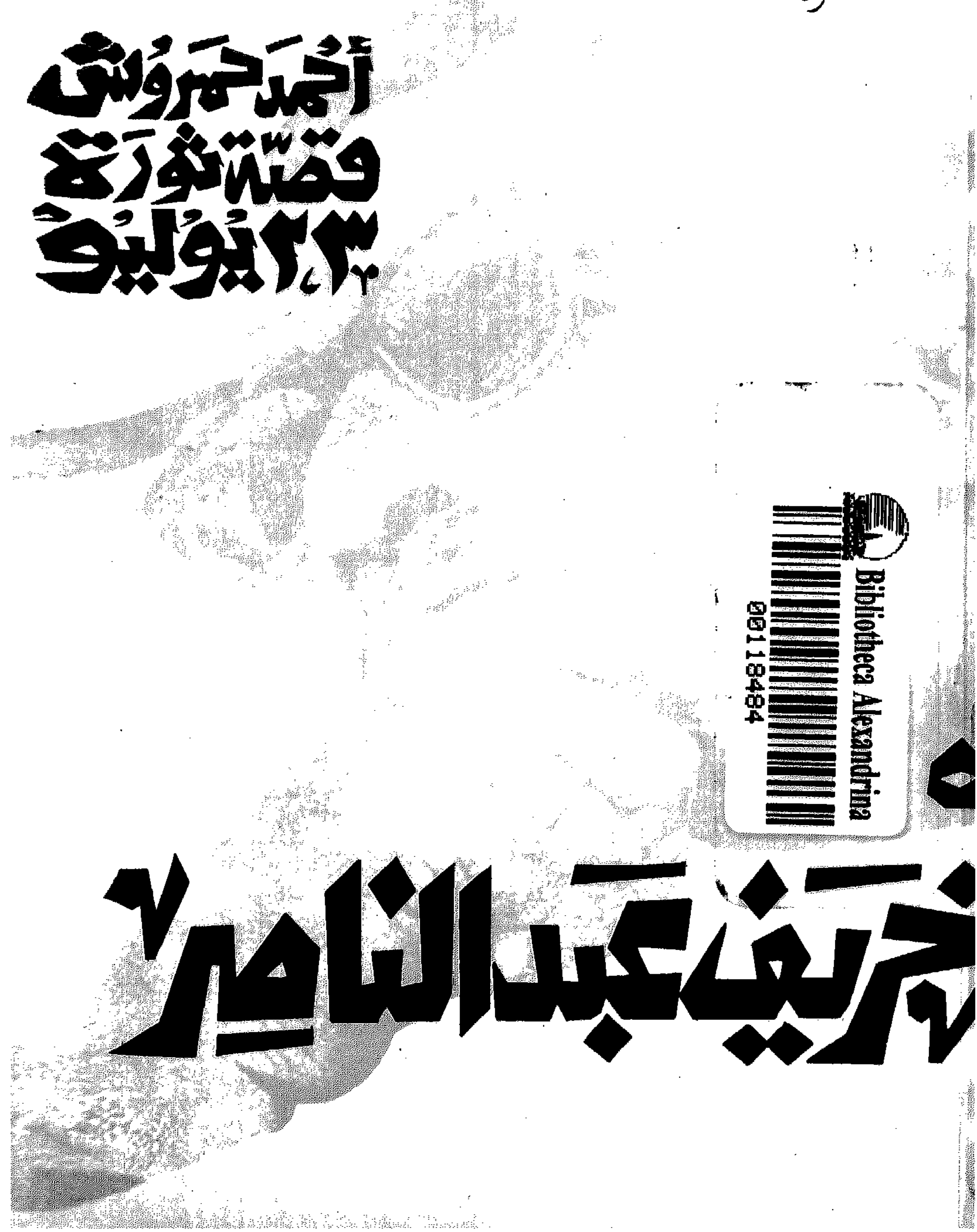
مكتبة مدبولي
القاهرة

أحمد حمروش

قصة ثورة ٢٣ يوليو



٥

خريف عبد الناصر

خريف عبد الناصر

الطبعة الثانية : ١٩٨٤

أحمد حمروش

قصة ثورة ٢٣ يوليو

خريف عبد الناصر

الجزء الخامس

مكتبة مدبولي - القاهرة

الاهداء

الى كل من أيد جمال عبد الناصر أو
عارضــه .. حيا
وكل من بكاه أو هاجمـه .. ميتـا
والى الاجيال الجـديدة التـي لم تعش
فتـرة عبـد النـاصر ..
ولكنهــا سوف تملك في المستقبــل ..
الكلمة في حكم مصر

مقدمة

اكاد اشعراليوم انى قد اديت بعض الواجب نحو ثورة يوليو ، عندما انتهيت من كتـــابة الجزء الخامس (خريف عبد الناصر) ··· وبـه تكتمـــل قصــــة عبد الناصر مع الثورة ··· ولكن قصة الثورة نفسها لم تكتمل بعد ·

والمحاولة فى هذا الكتاب تتعرض اساسا للقضيه الوطنية التى تعرضت لعديد من الهجمات منذ وثبت الحركة العسكرية الى السلطة ، واتخذت تحت قيادة جمال عبد الناصر مســارا وطنيا وقوميا تقدميا ·

وركيزة الهجمـــات كانت اسرائيل الدولة التى زرعت فى الارض العــربية عام ١٩٤٨ ثم تحــولت مع الوقت ومع مساعدات الدول الامبريالية انجلترا وفرنســـا ثم الولايات المتحدة الى مجتمع عسكرى متوثب لاداء دور رجل الشرطة فى المنطقة ·

واصبحت المشكلة الفلسطينية من هموم اى نظام عربي فرضت نفســـها على قادة ثورة يوليو الذين حرصـوا منذ البداية على عدم التورط فى معركة مع اسرائيل قبل أن تتوطد اقدامهم فى مصر ، ويتم جلاء قوات الاحتلال البريطانية عن منطقة قناة السويس ·

وارتفع فى هذه المرحلة شعار (الســلام والصلح) بين مصر واسرائيل ··· وتمت اتصالات سرية بين قادة ثـورة يوليو وبين حكومات اسرائيل فى محاولة لاستقرار الاوضاع فى المنطقة والتفرغ لبناء المجتمعات على اسس عصرية ·

ولكن حكومات اسرائيل اثبتت خــلال هذه الاتصالات التى يكشـف هـــذا الكتاب كثيرا من اسرارها ، انهـــا لا تريد

السلام ··· ولعبت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية دورا بارزا فى تحطيم اتصالات السلام وأيضا فى تحطيم الشخصيات السياسية الاسرائيلية التى لجأت الى هذا السبيل ·

وتأكدت هذه الحقيقة عندما اشتركت اسرائيل فى غزو مصر مع الدولتين الكبيرتين فرنسا وانجلترا عام ١٩٥٦ قبل أن تمضى خمسة أشهر على جلاء آخر جندى بريطانى عن أرض مصر ·

وبدأت منذ هذه اللحظة صفحة توتر جديدة فى حياة ثورة يوليو ··· تفرض نفسها على كافة الاحداث ··· لانها اثبتت أن فى اسرائيل قوة معادية تتحرك فى تناسق تام مع الامبريالية لضرب النظام الوطنى التقدمى فى مصر الذى لم يقبل الركوع وأصر على تثبيت الاستقلال الوطنى واشعال روح القومية والعمل من أجل الوحدة العربية وبناء المجتمع الاشتراكى ·

وكان عدوان يونيو ١٩٦٧ الذى انزلقت ثورة يوليو الى مصيدته التى أعدتها فى اتقان أجهزة الصهيونية التوسعية والمخابرات الامريكية ·

ويسلط هذا الكتاب الضوء على هذه الفترة الهامة من تاريخ شعبنا التى أعقبت الهزيمة القاسية والتى أصر فيها الشعب على تثبيت جمال عبد الناصر فى موقعه قائدا وزعيما رغم فداحة الهزيمة وما كشفته من أخطاء وانحرافات لبعض رجال الثورة وقادتها ·

ويظهر الكتاب الدور الخطير الذى لعبه جمال عبد الناصر منذ ١١ يونيو ١٩٦٧ عندما عاد بعد التنحى تحت ضغط الارادة الشعبية وليست هناك قوات مسلحة يمكن أن تحول بين الجيش الاسرائيلى وبين الوصول الى القاهرة ·

مسئولية خطيرة لا يتحملها الا زعيم وطنى قادر على الاستفادة من أخطائه وتجاربه ، متمرس على المقاومة ، مخلص لشعبه ، مدرك لحقائق اللعبة السياسية مستفيد الى اقصى حد من علاقاته الدولية ، مؤمن بدور القوة العسكرية واثق من أن المستقبل مع حرية الشعوب ·

نهض جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة بما يعجز عنه الانسان الفرد ... وحقق بعض ما يعتبر من الاحلام ... ووصل بالقوات المسلحة الى حـــرب الاستنزاف التى يضىء هذا الكتاب جوانبها الرائعة التى تســـتحق تمجيد التاريخ وفخر الشـــعب .

وبينما كان جمـــال عبد الناصر على قيد خطـــوة من النصر ... وعلى بعد أســـابيع من تنفيذ خطة الدفاع ٢٠٠ لتحرير كافة الأرض المحتلة .. وعقب ايام من قبول مبادرة روجرز التى قبلها لدفع الصواريخ الى ضفة القنال الغربية استعدادا للهجوم الشامل ... شاء القـدر أن يختطفه من شعب مصر ومن الأمة العربية ، وأن ينهى دوره التاريخى ، وان تكتب الكلمة الأخيرة لزعامته الحية فى قصـــة ثـورة ٢٣ يوليـــو .

مات جمـــال عبد الناصر فى الخـــريف ـ ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ـ وفى خريف العمر أيضا ـ ٥٢ عاما .

مات ... وهو فى قمة الأداء وروعة العطاء .

مات ... قبل ان تكتحل عينـاه بالأرض المحـــررة ... وقبل ان يقلده الشعب اكاليل النصر .

مات ... ولكن دوره لم يمت ... ولن يموت .

احمد حمروش

الباب الأول

مصر واسرائيل قبل يونيو ١٩٦٧

(اسرائيل ؟ نحن لا نتحرش باحد ، شريطة الا
تسعى اسرائيل للخروج من حدودها)

صاغ صلاح سالم وزير الارشاد
القومى فى حديث مع الصحفى
الفرنسى بيير دى بيتمان عام ١٩٥٣

الفصل الأول

ثورة يوليو واسرائيل

(ليس صحيحا ان ثورة ٢٣ يوليو قامت بسبب النتائج التى اسفرت عنها حرب فلسطين ، وليس صحيحا كذلك انها قامت بسبب الاسلحة الفاسدة التى راح ضحيتها جنود وضباط ، وابعد من ذلك عن الصحة ان يقال ان السبب كان فى ازمة انتخابات نادى الضباط ٠٠ ان الامر فى رايى كان ابعد من هذا واعمق اغوارا) ٠٠
جمال عبد الناصر ــ فلسفة الثورة

كانت حرب فلسطين سببا من الاسباب الرئيسية التى دفعت الى تنظيم الضباط الاحرار الذى قاده جمال عبد الناصر بعد انتهاء القتال ، وتوقيع الهدنة عام ١٩٤٩ ، وظهور اسرائيل قسرا كدولة جديدة غير معترف بها فوق أرض الوطن العربى ٠

تم اندفاع الجيش المصرى الى حرب فلسطين بغير حسابات دقيقة ، وبتغيير مفاجىء فى موقف رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى ، بعد ان صدر قرار الملك فاروق للجيش بالتحرك .

عندما عرض النقراشى الموضوع فى مجلس الشيوخ ســـأله فؤاد سراج الدين سكرتير الوفد ـ كما قال لى ـ (هل قدرت موقف الانجليز ووعد بلفور ؟) .

وكان جواب النقراشى غريبا ومعبرا فى نفس الوقت اذ قال :

ـ انا أحب أطمئنك على أن الانجليز ايضـــا .. هم الذين يشـــجعوننى على ذلك !!

وهكذا زال تردد النقراشى الذى عبر عنه فى البداية .. بتشـــجيع الانجليز وأوامر الملك .

وانتقل الجيش من حالة الجمود والسكون التى فرضها الاســـتعمار البريطانى بعد توقيع اتفاقية السودان عام ١٨٩٩ واســـتمرت نصف قرن ، الى حالة الحركة والحرب .

قال الفريق عثمان المهدى رئيس اركان حرب الجيش للضـــباط وهو يودعهم :

ـ انكم تدخلون نزهة فى فلسطين !

وكان الجيش بعيدا تماما عن تشكيلات الحرب .. كل سلاح منفصل بذاته ، وليست هناك مجاميع للقتال ، والاسلحة متخلفة ، ولا توجد مناورات

والتقدم النسبى الوحيد كان قاصرا على اســـلحة الدفاع الجوى والمهندسين التى شاركت الى حد ما فى خطة الدفاع عن مصر اثناء الحرب العالمية الثانية .

كانت طوابير الجيش لا تخرج الا لتوديع المحمل وهو فى طريقه الى مكة ، او لتشييع الجنازات العسكرية .. وفيما عدا ذلك كانت أســـوار الثكنات مغلقة على الجنود فى حياة رتيبة قاســـية .. مدة التجنيد خمس سنوات ، ومرتب الجندى ٥٤ قرشا فى الشهر فقط ، يتناول وجبات العدس مرتين كل يوم ، وثلاث مرات فى الايام الثلاثة التى لا يباع فيها اللحم !

تغير واجب الجيش فجأة .. فأصبح للقتال ، بعد ان كان يســـتخدم أحيانا كأداة للقمع والارهاب ضد الحركات الوطنية ، مثلما حدث فى تزييف أحزاب الاقلية للانتخابات لحرمان الوفد من التعبير عن ارادة الشعب ، وفى استخدام اسماعيل صدقى له كقوة طوارىء احتياطية لقمع مظاهرات الطلبة والعمال عام ١٩٤٦ ، وفى القيام بأعمال البوليس عندما قام ضباط البوليس باضرابهم الشهير عام ١٩٤٧ الذى اعتصموا فيه بحديقة الازبكية بالقاهرة .

كان التغيير مفاجئا وغير مدروس .

اطلق الجنود فى العريش يوم ٦ مايو ١٩٤٨ طلقات رصـــاص بلغت ١٠٠ر٠٠٠ طلقة دون أى انضباط او سيطرة ، تحت وهم هجوم للصهيونيين على المدينة لانهم لم يدربوا على القتال من قبل .

قال لى ذلك أحد ضـــباط الكتيبة الاولى مشاة محمد احمد البلتاجى عضو مجلس الشعب ، ومحافظ الجيزة الاسبق ، وهو يروى لى صـــورة دخول كتيبته الى فلسطين يوم ١٥ مايو باعتبارها مقدمة للجيش ٠

(دخلت الكتيبة فى عربات اوتوبيس احضرها مقاول انفار اســـمه (بامية) ، وعبرت الحدود فى الخامســـة فجرا ثم توقفت حوالى العاشرة صباحا وهم فى الطريق الى غزة امام بعض طلقات من جيب صـــهيونى فى كفار دروم ٠٠ ولم تدخل غزة الا فى السابعه مساء بعد الغروب) ٠

لم تكن هناك خرائط عسـكرية ٠٠ وكل المعلومات هى ما توافرت من دراســة تاريخ المعارك فى الحرب العالمية الاولى ٠٠ والاعتماد فى الحركة والتوجيه كان على سؤال الفلسطينيين ٠

وفى استجواب قدمه فؤاد سراج الدين فى مجلس الشيوخ الذى كان يضم ٢٠ وفديا ، ١٣٨ من انصار الحكومة ، ونظر فى جلسة سرية ، اثناء الهدنة الاولى ، قال سراج الدين للنقراشى انه تبين منـــذ الايام الاولى ان الجيش لا تتوافر عنده الحملة الكافية ، وان الحكومة تستولى على وســائل النقل المدنية لحساب الجيش ٠

وتبين من رد النقراشى انه رفض اقتراحا لنورى السعيد بتشكيل قيادة مشتركة تتولى مصر قيادتها بدعوى (انه لا يتحمل متاعبهم ، ولا يضع رقبته فى ايديهم) !!

لم يقرر المجلس عدم الثقة بالحكومة ٠٠ واطال حبال الصبر ٠

وقد اجبرت الظروف محمود فهمى النقراشى على مصـــارحة الملك عبد الله ملك شرقى الاردن اثناء اجتماع زعماء العرب فى شتورا بلبنان بأن الجيش العربى قد تخلى عن واجبه ٠

ومن علامات الارتجال ايضا ان حيدر باشا قائد الجيش قد طلب اثناء حضـــــوره اجتماع مجلس الوزراء قبل ١٥ مايو ضرب تل ابيب بالقنابل لوجود الزعماء الصهيونيين هناك !

ولكن هذه الصورة لا تشمل كل ضـــباط الجيش المصرى ، ولا تعبر تعبيرا كاملا عن روح النضال التى كانت كامنة فى صدور بعضهم ٠

تطوع بعض الضباط فى حرب فلسطين ، مدفوعين اساسا بروح وطنية وصلات خاصة مع الاخوان المسلمين الذين كانوا من اكثر التنظيمات نشاطا فى الدعوة للحرب تحت شعار التعاون الاسلامى ٠

وكانت هذه الظاهرة ردا حاسما على بعض الذين تصوروا ان الجيش هو هؤلاء الضـــــباط الكبار الخاضعون خضوعا مطلقا للسراى ، مترهلو الكروش ، جامدو العقلية ، البعيدون تماما عن اية روح ثورية ٠

ومنذ اللحظة الاولى فى القتال ، اثبت الجنود والضباط انهم ورغم نقص الاســـلحة والتدريب والوعى بطبيعة الحرب ـ لم تكن تنقصهم روح البذل والتضحية ٠٠ واستشهد الكثيرون من الجنود والضباط وهم يحاربون ببسالة نادرة ٠

وخلال القتال توهج الوعى ، واكتشف البعض ان خللا ما فى القاهرة

هو الذى وضعهم فى هذه المأساة ·· وكانت هذه هى بداية نسج خيوط تنظيم الضباط الاحرار ·
وكانت بريطانيا ترقب المعارك وقواتها تحتل مصر ·· وهى فى رضا تام عن كل ما يدور فوق أرض فلسطين ·
مصر تستهلك ارصدتها الاسترلينية التى كانت تدين بها بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية والتى بلغت حوالى ٤٠٠ مليون جنيه ·· معسكرات الاعتقال فتحت فى ضاحية (هاكستيب) اسم المعسكر السابق للجيش الامريكى ـ وضمت الوطنيين والشيوعيين الذين قادوا حركة الجماهير منذ عام ١٩٤٦ ، حيث تزايدت المظاهرات واضرابات الطوائف ، واشتعل الصراع الطبقى ، وتجسمت العداوة للاستعمار البريطانى ·· والجيش المصرى يتعرض لضربات وهزائم ، تحولها الصحافة الى انتصارات ، ولكنها تكسر افئدة الجنود وصغار الضباط ·· والاحكام العرفية تؤدى دورها فى خدمة الاستعمار والسراى واحزاب الاقلية ·
ليس هذا فقط ، بل ان بريطانيا كانت تحرك اتباعها فى الدول العربية لتنفيذ مخطط يستهدف الحاق العار بجيش مصر ·

خلال حصار القوات المصرية فى الفالوجا ، تقدمت شرقى الاردن بمشروع أعده جلوب لفك حصار القوات ·· ويقضى بأن تقوم القوات العراقية والاردنية بهجوم يشغل الاسرائيليين بينما تدمر القوات المصرية اسلحتها الثقيلة ، وتتسلل هاربة على الاقدام خلال طريق سرى فى الصحراء يعرفه ضابط بريطانى من ضباط جلوب ·
رفضت القيادة المصرية اقتراح جلوب لما يحيط بصاحبه من شكوك ·· وطلبت الى الضابط والجنود المصريين ان يدافعوا حتى آخر طلقة .
وكان جمال عبد الناصر واحدا من ضباط هذه القوة المحاصرة ·· الذين رفضوا الانسحاب ·
وقال جمال عبد الناصر لزملائه ان الانسحاب من الفالوجا يضعف المفاوض المصرى فى مفاوضات رودس التى اسفرت عن اتفاقية الهدنة .
بقيت القوات المصرية محاصرة ، تقاوم فى صمود وشجاعة ·· وفشلت خطة ايقاعها فى كمين مشروع جلوب ـ الذى جاء فى كتاب صهيونى صدر بعد الحرب ـ ان اسرائيل كانت على علم بالخطة وانها كانت تنتظر القوات المصرية لابادتها ·
ولم تدمر الاسلحة المصرية الثقيلة ، لتكسب بريطانيا من وراء ذلك ، ضعفا لقوات الجيش ، وشراء لاسلحة جديدة باعتبارها المصدر الرئيسى لتسليح الجيش .
كانت المرارة التى استولت على قلوب رجال الجيش من هزيمة قواتهم راجعة الى نظام الحكم فى مصر ، حيث كانت للاستعمار اليد العليا فى تحريك الامور ·· واكتشف الاذكياء منهم الدور الذى لعبته السياسة البريطانية فى دفع الجيش للقتال ، واكتشفوا ايضا ان الذين اثاروا قضية فلسطين على اساس روح التعصب الدينى قد قدموها للجماهير بشكل خاطىء وضار ·

اسرائيل وحركة الجيش :

ونضجت الظروف لقيـــــام تنظيم موحد بين رجال الجيش ، وظهرت المنشورات الاولى للضباط الاحرار ، تاكيدا لقيام جبهة من الضباط المنتمين لتنظيمات مختلفة ٠٠ الاخوان المســـلمين والشـــيوعيين ومصر الفتاة والمستقلين ٠

ركزت منشورات الضباط الاحرار على القضية الوطنية ، والفســاد الذى استشرى فى الجيش والمجتمع ٠٠ ولم تتعرض كثيرا لمشـــكلة زرع اسرائيل كدولة عنصرية فى أرض الوطن العربى ٠

والاهداف الستة للضباط الاحرار انطوت اساسا على مشاكل مصرية محلية تســتهدف القضــاء على ثلاثة ٠٠ الاستعمار واعوانه من الخونة المصريين ثم الاقطاع واخيرا الاحتكار وســيطرة رأس المال على الحكم ٠٠ وتســـتهدف اقامة ثلاثة ٠٠ عدالة اجتماعية وجيش وطنى قوى وحيــاة ديموقراطية سليمة ٠٠ ولم تذكر شيئا عن اخطار الصهيونية التوسع ، ولم تتحدث عن موقف معين تجاه اسرائيل ٠

وعندما انتصرت حركة الجيش ليلة ٢٣ يوليو انشغلت بتحقيق اهدافها (المصرية) وواجهت من القضايا والمشاكل ما استنفد طاقة قادتها الشبان ، ولم يكن هناك وقت او تطلع الى ما يدور خلف الحدود ٠

عبر جمال عبد الناصر عن ذلك فى كتابه الذى ســـجل فيه خواطره واصدره باسم (فلسفة الثورة) ٠٠ اذ قال :

(ليس صحيحا ان ثورة ٢٣ يوليو قامت بسبب النتائج التى اسفرت عنها حرب فلسطين ، وليس صحيحا كذلك انها قامت بسبب الاســـلحة الفاسدة التى راح ضحيتها جنود وضباط ، وأبعد من ذلك عن الصـــحة ما يقال ان السبب كان ازمة انتخابات نادى ضباط الجيش ٠

انما الامر فى رايى كان ابعد من هذا واعمق اغوارا) ٠٠

ويجسد جمال عبد الناصر افكاره المعبرة عن هذا الاتجاه قائلا :

(كنا نحارب فى فلسطين ، ولكن احلامنا كلها كانت فى مصر ٠٠

وكان رصاصنا يتجه الى العدو الرابض امامنا فى خنـــادقه ، ولكن قلوبنا كانت تحوم حول وطننا البعيد الذى تركناه للذئاب ترعاه) ٠٠

ويســـتطرد جمال عبد الناصر قائلا : انه وجد من خبرته وتجربته فى فلسطين ان مصر (فالوجا اخرى على نطاق كبير) ٠

ويروى ما كتبه ضابط اسرائيلى اسمه (يردهان كوهين) فى جريدة (جويش اوبزرفر) كبرهان على صحة ما يقول ، فقد كتب الضابط الاسرائيلى الذى ذكر انه التقى بجمال عبد الناصر اثناء مباحثات واتصـــالات الهدنة قائلا :

(لقد كان الموضوع الذى يطرقه جمال عبد الناصر معى دائما هو كفاح اسرائيل ضد الانجليز ، وكيف نظمنا حركة مقاومتنا السرية لهم فى فلسطين ، وكيف استطعنا ان نجند الرأى العام فى العالم وراءنا فى كفاحنا ضدهم) ٠

ولم يكن جمال عبد الناصر هو الوحيد من قادة الضباط الاحرار الذى شـــارك واستبسل فى حرب فلسطين ‥ زكريا محيى الدين كان معه فى الفالوجا ، وكمال الدين حسين كان من أول المتطوعين ، وصــــلاح سالم وعبد الحكيم عامر كانا فى قيادة القوات ، وقد قتل القائمقام احمد عبد العزيز الذى كان من اوائل المتطوعين ايضـــا وهو يركب بجوار صلاح سالم فى عربة جيب ‥ واشترك ضــباط الطيران ، عبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم فى القتال . وتعاونا مع فوزى القاوقجى ‥ واغلبية الضباط الاحرار كان لهم دور فى حرب فلسطين وكثير منهم حصـــلوا على اوســــمة للبطولة والشجاعة ٠

اما محمد نجيب الذى عين بعد الحركة رئيســا لمجلس قيادة الثورة ورئيسا للجمهورية ، فقد كان من ابطال حرب فلسطين ‥ جرح ثلاث مرات وامضى ٣٩ يوما فى مستشفى القنال ثم العجوزة ، وتولى فى عهـــد قيادة اللواء احمد فؤاد صادق قيادة المجمـــوعة الضــاربة من اللواءين العاشر والرابع مشاة ، وكان عبد الحكيم عامر قد عين اركان حرب هـــذا اللواء ، ويوسف صديق الذى كان فى احدى كتائب المقدمة ولم يعد للقاهرة الا بعـد أن أصابه نزيف الرئة ٠

كان رأى محمد نجيب فى هذه الحرب الا تكون صـــداما بين جيوش نظامية ، وانما تكون قتالا شبيها بحرب العصابات التى يقوم بها المتطوعون فى مواجهة العصابات الصهيونية ٠

ولم تصدر تصريحات عدوانية ضد اسرائيل فى ســـــنوات الثورة الاولى ٠

عنــدما زار محمد نجيب غزة فى ٢٣ اغسطس ١٩٥٢ اكتفى بتمنى (الاستقلال لفلسطين) ٠

وقال صــــلاح سالم فى حديث مع الصـــحفى الفرنسى بيير دى بثمان (اسرائيل ؟ نحن لا نتحرش بأحد ، شريطة الا تسعى اسرائيل للخروج من حدودها) ٠

واذاعت اذاعة قبرص التى كان يشرف عليها البريطانيون ان المباحثات مع جون فوستر دالاس التى تمت فى مايو ١٩٥٣ لم تتناول قضية فلسطين ٠

وفى الاحتفال بالعيد الاول للحركة ٢٣ يوليو ١٩٥٣ قال صلاح سالم فى مؤتمر صحفى حضره محمد نجيب وجمال عبد الناصر الذى بقى صـامتا حيث كانت قد اجريت له عملية استئصال الزائدة الدودية ‥ قال صـــلاح سالم (ان مصر ترفض الشرط الذى تضعه بريطانيا للانضـــمام الى حلف دفاعى لان ذلك يشمل بريطانيا التى يجب ان تسوى خلافاتنا معها حـــول السويس ، واسرائيل التى لا نزال فى حالة حرب معها من الوجهة الفنيـــة بسبب أرض محتلة ومتنازع عليها) ٠

المشـــكلة مع اسرائيل لم تصبح بعد ملفا فى ادراج المحفوظات ‥ ولكنها ايضا ليست قضية ملتهبة ، ولا تســـجل احاديث وتصريحات قادة الثورة هجوما على اسرائيل ولا رغبة فى تدميرها .

ولعل الضباط الاحرار كانوا يعملون ـ كما يقول جان لاكوتير في كتابه عبد الناصر ـ بشعار غامبيتا حول الالزاس واللورين (لنفكر في ذلك باستمرار ، ونمتنع عن الكلام فيه) .

وفي الجانب المقابل وجه بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل تحية لحركة الجيش في اليوم التالي لانتصارها متمنيا النجاح للواء محمد نجيب .

وفي ١٨ اغسطس ١٩٥٢ جاهر رئيس حكومة اسرائيل بسياسة الانفتاح على مصر (الجديدة) ، وراحت صحافة تل ابيب تتحدث عن امكانية تحقيق السلام .

وكانت جريدة المصري قد نشرت يوم ١٤ مارس ١٩٥٢ تقول ان موشى شاريت وزير خارجية اسرائيل يبذل مساعي لدى انطوني ايدن لتحقيق امنيته في الوصول الى صلح بين اسرائيل والدول العربية ، لاعتقاده ان هذا يخلق صلة رسمية بين بلاده ودول الشرق الاوسط .

كان هذا امتدادا لما سبق ان اعلنه وزير الخارجية الوفدي محمد صلاح الدين في هيئة الامم بنيويورك عام ١٩٥٠ عندما قال (ان مستر اتشيسون يعرب عن رأي جميع الوفود العربية الاخرى حين يقول ان الحكومات العربية تود ان توقف الولايات المتحدة مساعيها لدى هذه الحكومات لعقد الصلح مع دولة معتدية ضربت عرض الحائط بجميع قرارات الامم المتحدة) .

ولكن احمد الشقيري يقترح ان تجرى محادثات بين اسرائيل والدول العربية تحت اشراف الامم المتحدة .

فرصة سلام :

انتصار حركة الجيش المصري يفتح صفحة جديدة في العلاقات العربية ـ الاسرائيلية .. وتصريحات المسئولين من الجانبين تتسم بالهدوء والحرص على عدم التورط في موقف عدواني .

وفي هذا الجو الهادىء تجاوزت الامور حدود التصريحات الى الاتصالات السرية او شبه العلنية .

يقول جان لاكوتير في كتابه (عبد الناصر) ان الصحافة الاسرائيلية وبصفة خاصة جريدة (هاآرتس) كانت تتحدث عن امكانيات الحل السلمي (مستندة الى مواقف لمحمود فوزي سفير مصر في لندن في ذلك الوقت والى محمد نجيب نفسه الذي قيل انه اعترف في مجالسه الخاصة بوجود اتصالات سرية) .

ويقول جان لاكوتير الذي عمل هو وزوجته سيمون مندوبين للصحافة الفرنسية في مصر خلال سنوات الثورة الاولى (من المؤكد انه في نهاية عام ١٩٥٢ دارت اتصالات بين ممثلين شبه رسميين عن كلا البلدين لكنها لم تدم طويلا) .

ويشير لاكوتير الى حديث تم مع بن جوريون غداة وفاة جمال عبد الناصر صرح فيه بن جوريون بقوله : (نجيب كان شخصا ممتازا وكان ذكيا وناعما واعتقد انه كان بامكاننا ان نعقد صلحا معه) .

ولكن محمد نجيب قد اكد لى انه لم تجر معه اية اتصـــــالات سرية للصلح مع اسرائيل ٠٠ ومع هذا فانه رغم اصـــابته ثلاث مرات في حرب فلسطين لم يكن عنيفا فى موقفه من اسرائيل ، وشـــــغلته مثل بقية زملائه قضية تحرير مصر من جنود الاحتلال البريطانيين ٠

ولم تعرف حركة الجيش موقف العداء من اليهود المصريين مطلقا ، فقد ذهب احمد انور قائد البوليس الحربى ـ على سبيل المثال ـ مندوبا عن اللواء محمد نجيب رئيس الجمهورية فى ٢ نوفمبر ١٩٥٢ لحضـور افتتاح محلات شيكوريل فى شارع ٢٦ يوليو او ـ فؤاد سابقا ٠٠٠

ويذكر التاريخ ان عددا من الرأســـماليين اليهود المصريين امثال شيكوريل ومزراحى و ٠٠ كانوا ضد الصهيونية لما كانت تمثله احلامها من خطر على مصالحهم الخاصة ٠

يؤكد هذا الاتجاه ما نشرته مجلة دير شـــــبيجل الالمانية فى عدد ١٩ ديسمبر ١٩٦٦ عندما قالت (لقد كان انتصار الالمان المعاديّن للسامية مصدر فرحة غير عادية للصهاينة ، فقد اعتبروا ذلك هزيمة لليهود الغربيين المتنورين الذين لم يعيروا الصهيونية أى اهتمام وفضلوا ان يتطوروا وسط الامم الاخرى) ٠

الفترة الاولى للثورة تبدو مناسبة تماما لحل مشكلة اسرائيل بطريقة سلمية ، ولكن مجلس قيادة الثورة لا يستطيع ان يقفز فوق قضية التحرير والجلاء ولا يستطيع ان يهمل مشـــكلة شعب فلسطين ٠٠ ومع ذلك فهناك اتصالات تتم فى سرية ٠٠ تستهدف توضيح وجهات النظر وصـــولا الى السلام لشعب فلسطين وللمنطقة ٠

ساعد على ذلك وجود موشى شــــاريت وهو يهودى شرقى فى موقع المســـئولية ، وحرصه على وجود علاقة طيبـــة مع العرب ، ضمانا لامن اسرائيل ٠

كان موشى شاريت وزيرا لخارجية اسرائيل الى ان خلف بن جوريون رئيسا للوزراء فى يناير ١٩٥٤ وكان معارضـــا لاتجاهاته الاســـتفزازية الرافضة للحلول الوسطية مع العرب ، والتى ادت الى هجوم اسرائيلى على معسكر للاجئين الفلسطينيين فى عزة فى أغسطس ١٩٥٣ ومصرع ٢٠ عربيا وجرح ٦٠ منهم عدد كبير من النســاء والاطفال ثم هجوم اسرائيلى اخر فى اكتوبر ١٩٥٣ على قرية (كيبية) الاردنية ومصرع ٦٢ شخصـــا من غير المقاتلين ٠

ولذا كان فى نعيين موشى شـــاربت رئيســـا للوزراء بادرة امل فى الوصول الى حل سلمى معقول ٠

قال لى ثروت عكاشـــة انه كان يلتقى ببعض الاسرائيليين اثناء عمله ملحقا عسكريا فى باريس ـ ضمن اتصالاته العديدة التى يفرضـــــها عليه منصبه ـ وانه فهم منهم ان الفرصة متاحة لوجود حل سلمى وخاصة بعد وصول شاريت لمنصب رئيس الوزراء ٠٠ وقد استمرت هذه الاتصالات خلال ثروت وغيره من الرسميين فى سفارة مصر ، وخاصة عبد الرحمن صـــادق ئول عن المكتب الصحفى .

—

ولم تكن اتصالات ثروت عكاشة بالاسرائيليين وحـــدهم ، ولكنه كان يتصل ايضا ببعض الشيوعيين المصريين من اليهود الذين اخرجوا من مصر ، وعلى راسهم هنرى كورييل ·

لعبت هذه المجموعة دورا بارزا فى امداد ثروت عكاشة بالمعلومات ، والسعي لتقريب وجهات النظر والوصول الى حل سلمى لمشـــكلة الشرق الاوسط .. وقد استمرت علاقة ثروت عكاشة بهذه المجموعـــة ســـنوات طويلة ، حتى بعد ان عين سفيرا لمصر فى ايطاليا ، ثم وزيرا للثقافة ·

وفي مجال الوصول الى سلام عادل وحقيقى تحرك ايضا المناضـــل المصرى البارز يوسف حلمى المحامى عضـــو اللجنة العليا للحزب الوطنى الجديد ثم عضو الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) الذى غادر مصر بعد الافراج عنه عقب اعتقاله عام ١٩٥٣ وكان سكرتيرا عاما للمجلس المصرى للسلام ·

وفى باريس تشكلت لجنة عربية اسرائيلية عام ١٩٥٤ ضمت يوسف حلمى ودكتور مراد خلاف ، والكاتب الاسرائيلى آموس كينان ، وابل لابيل عضو تنظيم (ماتسبين) فيما بعد .. واتصل يوسف حلمى بوزير الصـــحة الاسرائيلى مازربلاى العضو فى مجلس وزراء موشى شاريت ·

ورغم اختيار يوسف حلمى البقاء فى باريس فى ظروف معيشية قاسية الا انه كان على صلة ايضا بثروت عكاشة ، يناقش معه القضـــية المصرية الاسرائيلية ، ويكتب له وجهة نظره الهادفة الى تحقيق السلام لرفعها الى المسئولين ·

وتجاوب يوسف حلمى فى ذلك مع رأى مجلس الســـلام العالمى الذى صرح احد قادته البارزين انطوان ثابت رئيس مجلس السلم اللبنانى عقب اجتماعه فى بودابست خلال يونيو ١٩٥٣ بقوله ·

(لقد عاش العرب واليهود بسلام حينما لم يثر المســـتعمرون النزاع بينهم وسيعيشون بسلام اذا منع تدخل الاجنبى) ·

كما صرح المندوب السوفيتى فى مجلس الامن اندريه فيشنسكى بقوله فى ابريل ١٩٥٤ : (لقد تجاهلت الدول الغربية القضايا الرئيسية ·· وهذا يدل على ضرورة ايجاد حل سريع لقضية فلسطين فهذه قضـــية تؤدى الى نزاعات وعدم تفاهم مما يعكر العلاقات ويعقد الوضع فى المنطقة ·· ان هذا التعقيد لا يتفق مع مصالح المواطنين الاسرائيليين والعرب المحبين للسلام) ·

وكانت الحكومة السوفيتية قد استأنفت علاقاتها الدبلوماسية مـــع اسرائيل فى يوليو ١٩٥٣ بعد ان كانت قد قطعتها نتيجة لنســـف بعض الارهابيين للسفارة الســـوفيتية فى تل ابيب ، وذلك بعد اعتذار الحكومة الاسرائيلية وتعهدها بعدم تاييد اى حلف معاد للاتحاد السوفييتى ·

وكان جورجى مالنكوف رئيس الوزراء السوفييتى فى ذلك الوقت قد صرح امام مجلس الســـوفييت الاعـــلى عندما حاولت بعض الصـــحف الاستعمارية تفسير استئناف العلاقات بين البلدين بانه موجه ضـــد الدول العربية بقوله :

(ان هذا الزعم لا اساس له من الصحة ، فاننا نرغب فى توطيـــد علاقات الصداقة مع الدول العربية) .

وكانت هناك الى جانب هذه الاتجاهات خطوات اخرى مبشرة .. فقد ســاعد موقف جمال عبد الناصر المتزن على نجاح مهمة المبعوث الامريكى اريك جونستون الذى حضر الى مصر مبعوثا من ايزنهاور عام ١٩٥٣ لحل مشكلة مياه نهر الاردن بين اسرائيل وجاراتهـــا العربية .. وذلك خلال المفاوضات المصرية البريطانية لتحقيق الجـــلاء والتى كانت قد توقفت يوم ٨ مايو ١٩٥٣ .

واثناء ذلك صرح موشى شــاريت فى الذكرى الخامسة لقيام اسرائيل ١٥ مايو ١٩٥٣ ، بأن اسرائيل على استعداد للانضـــمام الى نظام دفاعى او اقليمى اذا عقد العرب صلحا معها .

هذا فى الوقت الذى صرح فيه تشرشـــل كما جاء فى جريدة المصرى يوم ١١ مايو ١٩٥٣ بأنه يريد ان يرى اسرائيل اقوى دولة فى شرقى البحــر الابيض المتوسط .

ولكن قادة حركة الجيش لم يكونوا على استعداد مطلقا لقبول اى نوع من انواع الاحلاف العسكرية .. كما ان محمد نجيب رد على تشرشل ردا غير مباشر نشرته الصحف فى اليوم التالى بقوله : (ان معاهدة ١٩٣٦ الملغاة فرضت على مصر تحت ضغط قوات الاحتلال) .

واثناء مرور رالف بانش الامين المساعد للامم المتحدة بالقاهرة عام ١٩٥٣ وضع على مائدة البحث فكرة عقد صلح مقابل قطاع يســـمح بربط مصر بالاردن ، مع اعطاء الاسرائيليين حق المرور الى ايلات .

ومنذ اصبح موشى شاريت رئيســـا للوزراء فى يناير ١٩٥٤ توقفت الاعمال العدوانية الاسرائيلية على الدول العربية المجاورة ، ولكن على غير رضا من رجال المؤسسة العسكرية الاسرائيلية .

وما ان وقعت مصر اتفاقية الجلاء مع بريطانيا حتى هاجت المؤسســة العسكرية الاسرائيلية ضد سياسة شاريت الســـلامية ، وانفردت باتخاذ مواقف عدائية مضادة .

كان بن جوريون زعيم هذه المؤسسة قد خرج من منصب رئيس الوزراء مجبرا بعد ان فشلت ســـياسته المستفزة ، واعلن انه ســوف يعتزل فى مستعمرة (سد بوكو) المنعزلة فى صحراء النقب للتعبد والتأمل ، ولكنـه اشترط ان يخلفـــه فى وزارة الدفاع بنحاس لافون ، وأن يكون موشى دبان رئيســـا لاركان جيش الدفاع الاسرائيلى .. والاثنان من اخلص تلاميذه الاوفياء .

ولكن بن جوريون لم يعتزل فى الصـــــحراء ليتعبد ويتأمل .. وانما ليراقب ويدبر .. ووضع خطته على اساس تخريب المفاوضـــات المصرية البريطانية بارسال فريق من العملاء فى يوليو ١٩٥٤ لتفجير القنابل فى دور سينما مملوكة للبريطانيين فى الاسكندرية ، ومكتب الاســتعلامات الامريكى ، لاظهار حركة الجيش فى مظهر العجز وعـــدم القدرة على تثبيت

قواعد الامن فى المجتمع .

ولكن المؤامرة لم تنجح وضبطت خلية العملاء التى اعترفت ، وكان ماعرف باسم (فضيحة لافون) وزير الدفاع الذى دبر العملية واعترف بدوره على بن جوريون باعتباره العقل المفكر والمدبر للمؤامرة ..

ومع ذلك ظل موشى شاريت في موقعه ، واستمرت الاتصالات به بعد ان ثبت عدم صلته بهذا الحادث بل واداننه له .

ولم يهدأ بن جوريون ، بل واصل تنفيذ خطته ، فارسل فى ٢٨ سبتمبر ١٩٥٤ بوساطة اتباعه فى الحكومة ووزارة الدفاع مركبا اسرائيليا (بات حاليم) يرفع العلم الاسرائيلى فى محاولة لعبور القنال ، ولكن السلطات المصرية احتجزت الباخرة واعتقلت بحارتها للتحقيق بدعوى اطلاقهم النار على مراكب صيد مصرية فى خليج السويس .. وقد استندت السلطة المصرية فى موقفها الى اتفاقية القسطنطينية التى تعطيها الحق فى ذلك ، ومع ذلك وافقت على تشكيل لجنة تحقيق دولية اثباتا لحسن نيتها .

ولم تفلح هذه المحاولة ايضا فى خلع شاريت من موقعه ، كما لم تفلح فى تخريب فرص البحث عن طريق السلام .

فى هذه الفترة مر بالقاهرة نائبان بريطانيان من حزب العمال .. ريتشارد كروسمان المعروف بميوله الصهيونية والذى الف كتابا فيما بعد باسم (مصر وعبد الناصر) ، وموريس اورباخ الذى حضر ليدافع عن الجواسيس الاسرائيليين المعتقلين .

* * *

وقد استغل اورباخ فرصة وجوده فى القاهرة فجعل من نفسه وسيطا بين جمال عبد الناصر وموشى شاريت ، الذى وصل به الامر الى اقتراح اعادة ١٠٠,٠٠٠ مائة الف لاجىء فلسطينى الى ديارهم ، مما اعتبر على حد قول جان لاكوتير (اشجع بادرة قام بها مسئول اسرائيلى كبير) .

كانت المحادثات والاتصالات السرية تدور كما يقول انطونى ناتنج فى كتابه (ناصر) حول موضوع اللاجئين الذين قبل شاريت تعويضهم وعودة عدد منهم دون السماح بعودتهم جميعا حتى لا يكتسحوا الاسرائيليين على حد تعبيره .. كما ان شاريت لم يستطع ان يلتقى مع رغبة جمال عبد الناصر فى ايجاد حدود ملاصقة او مشتركة بين مصر والاردن ، حيث قال شاريت : ان صحراء النقب قد ضمت لاسرائيل بناء على قرار التقسيم الذى وافقت عليه هيئة الامم المتحدة عام ١٩٤٧ ، وقد رد جمال عبد الناصر برفض ذلك حيث ان هذا يضاف الى ماكانت اسرائيل نحتله وقت الهدنة عام ١٩٤٩ ، وكانت القوات الاسرائيلية لم تحتل جنوب النقب بعد .. وقال عبد الناصر ان المباحثات يجب ان تكون على طريقة (خذ وهات) وليس على طريقة قبول الامر الواقع حيث تأخذ اسرائيل النقب لانها ضمن حدود التقسيم وتأخذ منطقة الجليل الاعلى لانها غزته بقواتها .

ولكن شـــاريت ومؤامرات بن جوريون تحيط به وتحرجه لم يكن فى وضع يسمح له بأى تنازلات عن أراض قامت عليها دولة اسرائيل ·

ومع ذلك فقد خلقت صـــلاته جوا من الهـدوء بين اسرائيل والدول العربية كان يمكن أن يؤدى مع الوقت الى اتفاق سلام مقبول ·

ولكن عامـــلا خارجيا فرض نفسه على الموقف أيضـــا ، فبعد أن كان دين اتشيسون وزير خارجية الولايات المتحدة قد أعلن بعد حركة الجيش مباشرة أن هناك شرطين أساسيين لتأييد ومساعدة الولايات المتحدة للنظام الجديد فى مصر وهما : الاتفاق مع بريطانيا والصلح مع اسرائيل .

بعد ذلك تغير الموقف عندما اكتشف جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة بعد ذلك ان مصر ترفض الانضمام للاحلاف العسكرية تحت المظلة الامريكية ، وأن توقيع اتفـــاقية الجلاء مع البريطانيين لم يحقق كل أحلامهم فى المنطقة ··· وأن الصلح مع اسرائيل مازال سرابا ·

تغير موقف دالاس من مصر بعد أن قررت مصر الاشتراك فى مؤتمـــر باندونج للشعوب الآسيوية الافريقية رغم معارضة الولايات المتحـــدة لذلك فى اتصالاتها السرية وتصريحاتها العلنية ··· ورغم عدم ترحيب عدد من المصريين بهذا الاتجاه فى وقتها ومنهم محمد حسنين هيكل الذى اعترف فى مقالاته بعد ذلك بأنه كان مخطئا فى رأيه لما لقينه ثورة يوليو من ترحيب وما لقيه جمال عبد الناصر من احترام وتقدير ·

وأراد دالاس أن يلقن مصر درسا ، فأعاد بن جوريون الى منصب وزير الدفاع الاسرائيلى فى منتصف فبراير ١٩٥٥ ، وبن جوريون هو السـياسى الاسرائيلى الذى تبنى ربط سياسة اسرائيل بالولايات المتحدة فى مؤتمـــر بلتيمور ، بعد أن كان حاييم وايزمان هو مهندس ربط عـــلاقة اسرائيل ببريطانيا أيام كان نفوذها فى الشرق الاوسط هو الاقوى ·

تخريب فرصة الســـلام :

أراد دالاس أن يوجه ضربة للجيش المصرى تهـــز هيبته ووحدته ، وتشعره أن الدولة التى تســـندها الولايات المتحدة قادرة على الحاق ضربات مهينة بمصر ، وانه لا سبيل الا الخضوع للسياسة الامريكية والابتعاد عن هذه التيارات الوطنية فى آسيا وافريقيا ·

وشرع بن جوريون ينفذ خطته فى حماس متسرع على غزة التى كان جمال عبد الناصر يزورها فى أوائل فبراير ١٩٥٥ وأعلن للجنود هنـــــاك بناء على ثقته بالهدوء الذى صاحب وجود شـــاريت فى قمة المسئولية بأن احتمالات الهجوم الاسرائيلى عليهم غير واردة ·

ولكن لم تكد تمضى عدة أيام على عودة بن جوريون الى وزارة الدفاع حتى قام الجنود الاسرائيليون فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥ بغارة وحشية على غزة قتلوا فيها ٢٩ من رجال الجيش حسب الرقم الذى أعلنه جمال عبد الناصر بعد ذلك فى حديث مع مراسل جريدة النيويورك تايمز فى ٦ أكتـــوبر ١٩٥٥ ، وقتلوا أيضا عددا من المدنيين الفلسـطينيين ، وادان الجنرال بيرنز

كبير مراقبي قوات الهدنة عملية اسرائيل واعتبرها اعتداء مدبرا متعمدا ·

خربت هذه الغارة التي دبرها بن جوريون محاولات السلام بين مصر واسرائيل ووضعت جمـــال عبد الناصر في وضع حرج أمام الجنـود وأمام الشـــعب ·

ويقول المقربون من جمال عبد الناصر في هذه الفترة انه ظل عدة ليال ساهرا يكاد لا يغفو ، يفكر في حل يواجه به هذا الموقف الجديد ·

وقد حرص على الا يتورط في معارك تصادمية لم يهيىء نفسه لهـــا بعد ··· فحظر الاســلحة مازال مفروضـــا على مصر ··· ورغم الطلبات المتكررة من أمريكا فانها لم تمد مصر بقطعة سلاح واحدة ، سوى المسدس المذهب الذى حمله دالاس هدية لمحمد نجيب من ايزنهاور وكان مســـدسا بلا ذخيرة ·

والقاعدة البريطانية في القنال مازالت تحت سيطرة البريطانيين وجلاء الجنود البريطانيين لم يتم بعد ، ومنع الاسلحة كان هو القبضة التى يمكن بها خنق مصر ·

وأصبح جمال عبد الناصر مثل الاســـد المحاصر ··· وهو على قيـد أسابيع من السفر الى باندونج ·

نسفت هذه الغارة محاولات السلام وحالة الهدوء ، وفرضت على جمال عبد الناصر اتخاذ عدة قرارات ·

أولا ··· ضرورة شراء الاسلحة من أى دولة لمواجهة التهديد والعدوان الاسرائيلى حماية للوطن وكرامة الجيش ·

ثانيا ··· السماح للفدائيين بالانطـــلاق من قطـاع غزة الى داخل اسرائيل ··· ولكن تحت القيـــادة المصرية وتوجيهها ··· وكان جمـــال عبد الناصر حريصـــا على منع ذلك خـــلال فترة الامل فى الوصـــول الى اتفـــاق سلمى ·

ثالثا ··· ارتبطت هذه الغارة فى ذهن عبد الناصر بدخول العــراق الى حلف بغداد قبلها بأسابيع فاتخذ قرارا من شقين أولهما شديد الهجوم على نورى السعيد خلال صوت العرب وثانيهما محاولة تقوية ميثاق الضمان الجماعى لجامعة الدول العربية ليواجه به حلف بغداد ·

يقول جمال عبد الناصر (كان هـــذا الاعتداء هو ناقوس الخطر الذى جعلنا نبحث وندقق فى تعـريف الســلام ومعنى الســلام وتوازن القوى فى المنطقة) وذلك فى خطبته أمام طلبة الكلية الحربية فى ٢ أكتـــوبر ١٩٥٥ ، والتى أشار فيها لاول مرة الى أن المخابرات المصرية قد استطاعت أن تحصـــل على وثيقة تثبت ان أمريكا وبريطانيا تمدان اسرائيل بالسلاح ·

وكانت فرنسا حتى ذلك الوقت هى المصدر الرئيسى لامداد اسرائيل بالســـــلاح ·

وفى بحثه عن طريق جديد للامداد بالسلاح بعد الغارة ، لم يتردد فى مطالبة كل من الدولتين أمريكا وبريطانيا بأسلحة جديدة ، بعد أن كانت

القوات المسلحة المصرية قد وصلت الى حالة متخلفة تماما عن أسلحة العصر ، فلم يكن عندها سوى ست طائرات صالحة للعمل وذخيرة تكفي لمعركة مدتها ساعة واحدة وذلك كما ذكر ناتنج في كتابه (ناصر) .

وكانت صحف الغرب قد نشرت ان اسرائيل تستطيع حشد ٢٥٠٫٠٠٠ عسكرى خلال ٤٨ ساعة بينما قوات مصر لم تكن تتجاوز ١٠٠٫٠٠٠ اذا اضيفت لقوات الدول العربية وصلت الى حوالى ٢٠٠٫٠٠٠ ... وقد رفض جمال عبد الناصر قائلا (هذا هو التوازن الذى يموهون به علينا) .

وعدد جمال عبد الناصر أنواع الأسلحة التى حصلت عليها اسرائيل من بريطانيا بناء على الوثيقة الفرنسية التى وقعت فى يد المخابرات المصرية والملحق العسكرى المصرى ثروت عكاشة ، كما عدد أيضا الأسلحة الفرنسية والامريكية ، وذلك فى نفس خطبته أمام طلبة الكلية الحربية .

حققت غارة غزة هدفها المنشود فى تخريب فرص السلام ، ولكنها لم تحققه فيما يتعلق بأضعاف حركة الجيش أمام الشعب والجنود ... ولم ينجح دالاس وبن جوريون في اذلال مصر .

وكان القرار الذى اتخذه جمال عبد الناصر باطلاق الفدائيين من غزة ، عاملا من العوامل التى ساعدت الصقور المتشددين فى اسرائيل ، وأعطتهم فرصة مواصلة غاراتهم العدوانية .

ووقع موشى شاريت فى حرج شديد اذ كان مضطرا للصمت على الغارات الاسرائيلية التى تكررت على دير البلح وخان يونس والصبحة والحدود الاردنية والسورية والتى اضطرت همرشولد للقول (هذه بربرية لا مبرر لها) وأعلن الجنرال بيرنز انها (تثير لدى كل القلق والخطر حول المستقبل) .

وتشكلت من الفلسطينيين فرق (الفدائيين ردا على بن جوريون)... ولكن حركتهم داخل اسرائيل كانت تقابل بغارات على المدنيين ... ويتوتر الموقف ويشحب أمل السلام ، وتزداد سيطرة بن جوريون والمؤسسة العسكرية .

وأصبح وجود موشى شاريت رئيسا للوزراء نشازا في هذا الجو العاصف ... واتهمته الصحف بالضعف .

ولم يكن رد مصر على غارة غزة بالفدائيين فقط ... ولكنه كان أيضا بعقد صفقة الاسلحة التشيكية ، التى أعلن عنها يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ .

وكانت مصر قد اتخذت قبل اعلان الصفقة قرارا يقضى بتشديد الحصار على ميناء ايلات يوم ١٢ سبتمبر ومنع الملاحة الاسرائيلية فى خليج العقبة سواء فى البحر أو الجو ، واضطرت شركة الطيران الاسرائيلية (العال) الى ايقاف رحلاتها الجوية الى جنوب أفريقيا .

وكانت الامور قد وصلت بذلك الى غايتها فى تحديد موقف موشى شاريت الذى علق على صفقة الأسلحة بقوله (انها خطر لا مثيل له ومن

المحتم أن تؤثر تأثيرا بالغا على أمن اسرائيل. كما انها غيرت ميزان القوى تغييرا حاسما وضع حدا لتفوق اسرائيل النوعى على مصر ... انها خطر داهم لم تشهده اسرائيل منذ حرب الاستقلال) .

وصمت المؤسسة العسكرية شاريت بالضعف ، واضطرته الى الاستقالة فى نوفمبر ١٩٥٥ والعودة ليكون وزيرا للخارجية فقط فى وزارة يرأسها بن جوريون ... ولكنه لم يبق فى منصبه سوى سبعة شهور خلفته بعدها مسز جولدا مائير .

عاد بن جوريون رئيسا للوزراء مطلق الصلاحيات ، معلنا ان اسرائيل سوف تستخدم القوة لفتح خليج العقبة أمام الملاحة البحرية والجوية .

انتصر الصقور المتشددون فى اسرائيل ، وبدأوا يهاجمون نقط الحدود المصرية ويستولون عليها ، ويستفزون مصر للتورط معهم فى معركة .

ولكن جمال عبد الناصر كان حريصا على موازنة موقفه فى هذه المرحلة ، وتحاشى الوقوع فى مصيدة القتال ، فى وقت لم تكن الاسلحة التشيكية قد وصلت فيه وأصبحت صالحة للاستخدام ، وعلاقاته مع الدول الغربية تدخل دائرة التوتر ، والدول العظمى تحرص على المحافظة على روح مؤتمر قمة جنيف الذى عقد فى الفترة من ١٨ الى ٢٤ يوليو ١٩٥٥ وحضره ايزنهاور وايدن وبولجانين وخروشوف وادجار فور .

الحلو من القتال :

كانت صورة معارك ١٩٤٨ مازالت ماثلة فى أذهان القيادة العسكرية الجديدة ، فلم تكن قد مضت خمس سنوات على توقيع الهدنة ، وأسلحة الجيش مازالت كما هى بغير تجديد واضح ، رغم البعثات العسكرية المتعددة التى ذهبت الى انجلترا وأمريكا .

وكان واقع الجيش وطبيعة النظام فيه قد تغيرت بعد ترقية الصاغ أركان حرب عبد الحكيم عامر الى رتبة اللواء وتعيينه قائدا عاما للقوات المسلحة ، فقد كان هذا التغيير بمثابة قفزة فوق الواقع لم تحدث فى تاريخ الجيش المصرى من قبل .

ولم يعد احترام الاقدمية واردا ، فقد تحطم ذلك مع قيام حركة الجيش واستبعاد كبار الضباط ، وظهور فئة جديدة من صغار الضباط المقربة من القيادات الجديدة ، الذين شكلوا نفوذا أضعف من سلطة وشخصية قادة الوحدات ، وفك ترابط وثبات الانضباط العسكرى ، وانطلق بعض الضباط خارج الحياة العسكرية اما بالعمل السياسى مع هيئة التحرير ، أو الانطلاق فى الحياة المدنية تحت رداء ما سمى فى ذلك الوقت (مندوب القيادة) .

وعندما عين عبد الحكيم عامر قائدا عاما اختار لادارة مكتبه مجموعة من الضباط أركان الحرب حسنى السمعة يرأسهم حافظ اسماعيل ومعه محمد على عبد الكريم ومحسن ادريس ونور الدين قره وصلاح نصر وتوفيق عبد الفتاح وعباس رضوان ... والثلاثة الاخيرون كانوا من الضباط الاحرار الذين أوكلت اليهم مهام سياسية أكثر منها عسكرية .

ومنذ عين عبد الحكيم عامر قائدا عاما انقطعت صلة أعضاء مجلس قيادة الثورة بضباط الجيش ـ كما قال لى زكريا محيى الدين ـ وكان هـذا هدفا غير مباشر استهدفه جمـــال عبد الناصر بعد تحركات ضباط المدفعية فى يناير ١٩٥٣ الى جانب ثقته الكبيرة فى عبد الحكيم عامر .

ورغم أن عبد الحكيم عامر كان انسانا كبيرا ، الا انه لم يكن مؤهـــلا بحكم طبيعته لقيادة عسكرية كبيرة تحتاج الى الموهبة والطاقة والدأب على الدراسة والتدريب .

وكانت غارة غـزة أول مواجهة عســكرية تستقبله فى مسئوليته الجديدة ... ولذا حرص عبد الناصر فى ظل هـذه الظروف على تفـادى الصدام العسكرى ، واقترح على الجنرال بيرنز قائد قوات الطوارىء الدولية أن تنسحب القوات الاسرائيلية والمصرية لمسـافة كيلو متر على جانبى خط الهدنة ، وبعد رفض اسرائيلى استمر شهورا ، سحب عبد الناصر القـــوات المصرية وحدها فى محاولة منه لاثبـــات حسن نيته وتفادى قتـــال غير مطلوب .

ومع ذلك كان عبد الحـكيم عامر يتصرف بطـريقة انفعـالية غير مسئولة ... قال لى الفريق عبد المحسن مرتجى انه أثناء زيارة عبد الحـكيم عامر للقسيمة تسلق جبل الصابحة وشاهد عسكريين اسرائيليين على مدى البصر فقال (مفيش راجل يجيب الاثنين دول) ... وفعلا شنت القـوات هجوما على الصـابحة واستولت عليها ثم تركتها بعد قتل وجرح عدد كبير من السرية الاسرائيلية التى كانت تحتلها .

وقـد أعطت هـذه العمليات المتعجلة غير المدروسة فرصة لبن جوريون والصقور الاسرائيليين لتنفيذ خططهم المعادية للسلام .

وفى سبتمبر ١٩٥٥ تعـرض جمـــال عبد الناصر لضربة اسرائيلية جديدة هزت معنوياته عنـدما احتلت القوات الاسرائيلية منطقة (العوجا) المنزوعة السلاح والتى كان يتبادل حراستها قوات مصرية وأخرى اسرائيلية كل منها مدة ١٥ يوما ... ودفعته الى تأكيد شراء السلاح السوفيتى واعلان ذلك بعد محاولات متعددة لتفادى هذا الموقف الصدامى مع الامبريالية .

واعقب ذلك هجوم على الكونتللا فى شهر أكتوبر ثم هجوم آخـــر فى نوفمبر انطلق من العوجا الموقع الاستراتيجى الذى قاموا باحتلاله وقتل فيه ٧٠ جنـديا مصريا ، وكان ذلك بعد ســاعات فقـط من تصريح معـلن لبن جوريون أبدى فيه استعداده لمقابلة جمال عبد الناصر لعقد تسـوية معه ... وكأنما كان هذا التصريح هو (مدفعية تخدير) تسبق الهجوم .

ولم يسـتطع جمـــال عبد الناصر أن يفعل شـيئا فى وجه هـذه الاستفزازات سوى الاعلان بأن الجيش المصرى قـد قام بهجـوم مضاد ناجح أجلى فيه الاسرائيليين عن مواقعهم ... وهو هجوم وهمى لم يحدث أبدا .

كانت القيادة العسكرية الجديدة محصورة فى قفص يجبرها اما عـلى الركوع للامبريالية الامريكية وفقدان الاستقلال الوطنى والخضـوع لنفـوذ

اسرائيل ··· وأما الشبب بالاستغلال الوطنى مع الصبر وابتلاع العمليات الاستفزازية ·

واختارت القيادة العسكرية الطريق الثانى ··· وبعد أن صـــدرت تعليمات للواء السادس خفيف الحـــركة بهجوم نحدد موعده عـلى الفراقدة فعلا وصرف النظر عن ذلك كما يقول الفريق عبد المحسن مرتجى ··· وبعد أن وضعت خطة لاستعادة (العوجا) نفرر الغاؤها فى آخر لحظة ·

واعترض صدقى محمود قائد القوات الجوية على طلب عبد الحكيم عامر بأن يقوم الطيران المصرى بطلعات فوق غزة وبئر سبع ·

وقال لى زكريا العادلى امام سفيرنا السابق فى الهند والقائد فىالقوات المسلحة ، الذى أعد مشروع المناورة (انتصـــار) أكبر مناورة عســـكرية قامت بها القوات المصرية علىطريق مصر ـــ الاسكندريةالصحراوى ، وكانت أول مناورة تشترك فيها القوات على أسس قتالية فعلا ··· قال لى انه عندما سأله اللواء محمد ابراهيم رئيس أركان الحرب فى ذلك الوفت (هـــل يمكن القيام بأعمال تعرضية للاسرائيليين ؟ فأجابه بتقرير من ١٧ صفحة مضمونه كلمة (لا) ، وذلك تفاديا لكارثة محتملة ، وكانت النتيجة نقله ملحقـــا عســـكريا فى تركيـــا ·

كانت فترة من فترات القلق التى انتابت قادة الحركة العســـكرية ، الذين شعروا أن محاولات السلام مع اسرائيل على أسس واقعية عادلة لم تكن أكثر من سراب ، وأن تفـــاعلات السياسة الدولية ، وخطط القـــوى الامبريالية تفرض على المنطقة توترا مستمرا يحـــاول حصـــار هؤلاء القادة الشبان الوطنيين ·

واقترح جمال عبد الناصر على ثروت عكاشة فى هذه الفترة من عام ١٩٥٥ أن يعود قائدا لســـلاح الفرســـان بعد أن كان ملحقا عسكريا فى باريس ··· ولعله شـــعر انه بحـــاجـــة الى وجـــود بعض من يثق فيهم من الضباط الاحرار فى مراكز قيادية بالقوات المسلحة ·

وفى ورقة أصدرتها (مجموعة من أنصار السلام المصريين) فى باريس عام ١٩٥٧ رصد للموقف السلامى الواضح لجمال عبد الناصر ·

قال لمراســـل الديلى هيرالد فى ٦ نوفمبر ١٩٥٥ (لا يوجد عند مصر أية نية لمهاجمة اسرائيل) ·

وصرح لمجلة لايف فى ١ نوفمبر ١٩٥٥ (مصر لن تستخدم الاسلحة التشيكوسلوفاكية للحرب مع اسرائيل) ·

وفى تصريح الى جريدة (نيويورك ورلد تلجرام) فى ١٢ نوفمبر ١٩٥٥ (ان مصر مستعدة للبحث عن حل وسط مع اسرائيل) ·

وقال لجريدة فرانس سوار فى ديسمبر ١٩٥٥ (ان هدفنا ليس تدمير اسرائيل ، ولكن مناقشة تقـــود الى تطبيق قرارات الأمم المتخـــذة منذ عام ١٩٤٧) ·

وصرح جمال عبد الناصر لاذاعة وتليفزيون كولومبيا فى يناير ١٩٥٦ (لقد صرحت فى باندونج ووافقتنى الدول العربية لأول مرة ، على اننا نريد

تطبيق قرارات الأمم المتحدة التى اتخـــذت عامى ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ وأقــرت مشروع التقسيم) ··· وصدر بيان يؤيد هذا الاتجاه الذى أقره مؤتمــر باندونج عقب زيارة جمال عبد الناصر لتيتو فى بريونى ·

وهكذا كان موقف جمال عبد الناصر ، حتى بعد غارة غزة ، يتجه الى تحقيق السلام ··· ولكنه فى نفس الوقت كان حريصا على عدم الخضــوع أو الركوع ملقيا مسئولية دعم اسرائيل على الاستعمار ·

اتصالات السلام لم نتوقف حتى مع بن جوريون ·· ويقول جان لاكوتير فى كتابه (عبد الناصر) انه قابل بن جوريون فى شهر يونيو ١٩٧٠ (فى الفيللا المثقلة بالذكريات فى تل أبيب) ويكتب :

حدثنـــا بن جوريون وهو يهز رأسه الابيض أمام تمثال داود لميكل انجلو عن جمال عبد الناصر فقال (انه رجل دولة ·· نعم ·· ولكنه يظهر غير ما يضمر) وراح يراجع فى ذاكرته المحاولات لاجراء محادثات من عام ١٩٥٥ حتى عام ١٩٧٠ ، وأطرف هذه المحاولات كانت الواقعة بين ينـــاير وأبريل ١٩٥٦ قام وسيط محايد بأربع رحــلات بينه وبينى ··· لكننى أقسمت الا أبوح بالكثير ··· كل ما يمكننى اضافته هو انه بعد رابع زيارة قام بها الوسيط الى القاهرة قال له عبد الناصر (فلتقف اتصالاتنا عند هذا الحد لاننى غير مقتنع بجدوى الذهاب الى أبعد) ·

ويواصل لاكوتير رواية هذه القصة مشيرا الى لقاء تم بين بن جوريون والمراســل الصـــحفى (فيليب غارنيه ريمون) بعد وفاة عبد الناصر فى مستعمرة (سوى ــ بوكر) وساله الصحفى :

ــ ألم يكن وسيط ١٩٥٦ هو روبرت اندرسون وزير الخارجية السابق فى الحكومة الامريكية والصديق الشخصى لايزنهاور ؟ ·

قال بن جوريون :

ــ أنت الذى نطقت اسمه ولست أنا ·

ويقول لاكوتير (وكانما تحرر بن جوريون من عبئه فحكى كيف قــام اندرسون بالوساطة دون تكليف من أحد ، وزعم بن جوريون ان الوســيط قد أكد له أن عبد الناصر كان ايجابيـــا فى البداية ·· وانه كان يتردد بين القاهرة والقدس ··· ينزل فى فنـــادق الدرجة الثانية بالعاصـمة المصرية ويقابل جمال عبد الناصر ليلا فى أماكن سرية ، لا يتكرر ارتيادها) ·

ثم يقول بن جوريون ان الاتصـــالات قد توقفت فى السابع عشر أو الثامن عشر من أبريل ١٩٥٦ عنـــدما فاتح اندرسون عبد الناصر فى عقد معاهدة عدم اعتداء بين البلدين ·· وكان جواب عبد الناصر ·

ــ اذا ما أعطيت الامر بذلك ·· فان النار سوف تطلق على ·

ويعلق بن جوريون قائلا :

ــ لا شك انه كان على حق فى ذلك ·

ويعلق لاكوتير قائلا بانه اذا صدقنا بعض ما قاله بن جوريون ، فليس أكيدا أن عبد الناصر كان ينتظر اية نتيجة من اتصالاته غير المبـــاشرة مع

دافيد بن جوريون ، لان ناصر كان يعتبره (كذوبا وعدوا تستحيل مصالحته) •

ويقول لاكوتير أيضا (يجدر بنا الاعتراف بأن السلام لم يكن واردا فى ذهن عبد الناصر لا فى عهد شاريت ولا فى عهد بن جوريون لانه كان مخلصا فى العمل على تحرير الأرض المصرية واعادة فلسطين الى أهلها) •

ولكى نستكمل جوانب القصة وأسرار المباحثات أعود الى كتاب بن جوريون (العرب والفلسطينيون وأنا) الذى يتحدث فى الجزء الأول منه عن هذه الاتصالات التى قام بها روبرت اندرسون فى يناير ١٩٥٦ •

يسجل بن جوريون بعض أحاديثه مع المندوب الامريكى الذى قابله فى حضور موشى شاريت وزير الخارجية وعمدة القدس تيدى كوليك ومدير مكتب رئيس الوزراء فى ذلك الوقت باكوف هرتزوج ، وسفير الولايات المتحدة فى اسرائيل وأحد ممثلى دوائر الامن الامريكية • فيقول :

كثيرون من أبناء شعبنا لا يقبلون الحل السلمى لاسباب ثلاثة :

١ ـ أن شعبنا عاش خلال قرون فى المدن فقط ولا يستطيع أن يعيش فى الريف •

٢ ـ فى فلسطين لابد من القبول بخفض مستوى المعيشة •

٣ ـ البلد الذى عدنا اليه كان صحراويا وفى الواقع بدت المهمة فى بادىء الأمر مستحيلة لكن القوة تغلبت على المصاعب •

ويقول (ان رئيسا عربيا واحدا فقط كان يريد السلام ، ولم يكن يخاف من اعلان ذلك جهارا •• هذا الرئيس هو الملك عبد الله ملك الاردن وقد اغتيل •

ويقول أيضا (ان تغير النظام فى مصر ايقظ فى قلوبنا السلام ، وقد اتصلنا بمحمد نجيب فطلب الينا الانتظار ، ولما خلفه عبد الناصر جددنا اتصالاتنا معه دون نتيجة ثم تدهور الموقف) •

لم يذكرْ بن جوريون طبعا انه هو شخصيا المسئول عن تدهور الموقف بغارة غزة •

ويقول المبعوث الامريكى انه كان يقابل جمال عبد الناصر ليلا ومعه زكريا محيى الدين وعلى صبرى ويذكر أن عبد الناصر قال له عن المباحثات (ان الموقف هو من الدقة بحيث لو عرف الناس بالمبادرة التى اتخذها للقيام بهذه المباحثات فانه على الا أواجه مأزقا سياسيا فحسب بل ربما بضع رصاصات) ثم قال ان عبد الناصر كان حريصا جدا على سرية المحادثات واقد قال (لو عرف الناس بمحادثاتنا فسأجد نفسى مضطرا لتكذيبها) •

ويحبذ بن جوريون استمرار الاتصالات ويشير الى الاتصالات السابقة مع شاريت فيقول (تمت فى السابق اتصالات مع شاريت ولم يذع سرها ، اما دون اتصالات فلن نتوصل الى شىء) •

ويدور الحديث الذى يسجله بن جوريون فى كتابه عن محاولة اقرار وقف اطلاق النار ، ويقول شاريت (يجب أن يكون هناك وقف اطلاق نار ليس عسكريا فحسب بل وسياسيا أيضا) •

ويؤيد شاريت أيضا استمرار الاتصالات ويطالب بأن تكون على أعلى مستوى كمحاولة منه للبرهنة لعبد الناصر على أن التنازل عن أية قطعة أرض من اسرائيل تعتبر عملية صعبة أو مستحيلة .

ويذكر روبرت اندرســـون أن كيرميت روزفلت كان حاضرا بعض اجتماعاته مع جمال عبد الناصر .

ويحاول شاريت تفســير عملية غزة على انها كانت ردا على احــكام الاعدام التى صدرت فى مصر ضــد مرتكبى حادثة لافون ، ولكن المندوب الامريكى الذى حاول الدفاع عن بن جوريون أمام عبد الناصر باعتباره ليس المتسبب فى هذا الحادث ، قال ان عبد الناصر أبلغه (أن الموقف بدأ ينهـار فعلا منذ تلك اللحظة أما فى الماضى فلم يكن الشــعب المصرى يهتم بقضية فلســطين .

والعــودة الى تفاصيل ما ورد فى كتــاب بن جوريون عن محاولات الاتصال مع جمال عبد الناصر يثبت انه كان حريصا على السلام فى المنطقة حتى يتيح للدول العربية أن تبنى مجتمعاتها الجديدة بعيدا عن مأســاة الحرب ... وانه من جهته لم يسهم مطلقا فى هــدم هذه المحاولات ، ولكن المؤسسة العسكرية الاسرائيلية والخطط الامبريالية هى التى سعت الى تحطيم هذه الجهود واشاعة القلق والتوتر فى المنطقة ، ومحاولة السيطرة على شعب اسرائيل عن طريق تخويفه من جيرانه العرب .

خطب عبد الناصر فى الجبهة الشرقية يوم ١٤ مايو ١٩٥٦ وبعد أن روى قصة تسليح الغرب لاسرائيل قال (اننى لا أقول ان فرنسا هى التى أعطت اسرائيل السلاح وحدها . وانما اعتبر أن الغرب كله تآمر فى هــذا مع فرنسا لمصلحة اسرائيل ضد العرب) ...وأكرر (نحن لانقبل استغلالا ولا سيطرة ولا تحــكما ، اذن فهنــاك حرب بيننا وبين الاستعمار برغم ارادتنا ، لاننا نحارب هذه الحرب من أجل الدفاع عن كياننا واســتقلالنا وشرفنا وحريتنا وكرامتنا) .

نعم ... كانت الحرب مفروضة على النظام العسكرى العنيد فى مصر الذى لا يقبل أن تكون يد الاستعمار هى العليا والمسيطرة .

وعبد الناصر الذى لم يخطب خطبة واحدة ضد اسرائيل قبل حادث غزة اكتشف (ان اسرائيل التى يسندها الاستعمار الذى لا يريد لهذه المنطقــة أية حرية ويعتبرها مزرعة لمصالحه كما هى خطة الاستعمار فى القضاء على الامة العربية جميعا) .

تحــركات الغــرب :

كانت صفقة الأسلحة التشيكية ضرورة اجبارية فرضتها الظروف على النظام الجديد فى مصر .. لم يكن هناك مجال لتفاديها .

وكانت تحركات اسرائيل العدوانية قد وضعت القادة العســكريين الجدد فى موقع الدفاع ... وقد بلعوا كثيرا من الاستفزازات التى ذكرناها والتى تمادت فصرعت ضابطين مصريين وصلتهما طرود اسرائيلية متفجرة ،

أولهما البكباشي صلاح مصطفى أحد الضباط الاحرار في مدينة الاسكندرية والذى كان الأول فى دفعة عبد الحكيم عامر ، والذى قتله الطرد المنفجر فى عمان وهو يعمل ملحقا عسكريا هنـــاك ، والثانى الصاغ مصطفى حافظ ضابط المخابرات العسكرية فى قطاع غزة ٠

ولم يقف الغرب مكتوف اليدين أمام محاولة جمال عبد الناصر الخروج من المأزق الذى فرض عليه ٠٠٠ قرر دالاس ارســال كيرميت روزفلت الذى زار مصر بعد حريق القاهرة وحاول أن يصلح من شأن الملك فاروق عبثا ٠٠ والذى توطدت صلته بجمال عبد الناصر فى الشهور الأولى بعد حركة الجيش بأمل أن تضغط أمريكا على بريطانيا للجلاء ، وبأمل أن تحصل مصر على أسلحة من أمريكا ٠

وعندما علم جمال عبد الناصر ، بحضور كيرميت روزفلت قرر أن يعلن على العالم نبـأ صفقة الاســلحة ، لانه كما قال حسنين هيكل فى كتـــابه (عبد الناصر والعالم) لايستطيع الامتناع عن مقابلة كيرميت روزفلت (ولكنه لا يريد ان يكون موضع استجواب ، ولا يرغب فى ان يسأل اذا كان النبــأ صحيحا أو لا) .

قطع عبد الناصر الطريق على كيرميت روزفلت وأعلن نبأ الصفقة يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ بعد توقيع الاتفاق بأسبوع وقبل وصول اية شحنة من الأسلحة التشيكية وذلك أثناء افتتاحه لمعرض صور فوتوغرافية اقامته ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة ٠

ويروى حسنين هيكل أن أحمد حسين سفير مصر فى واشنطن عندما علم بالنبأ من جمال عبد الناصر أفلتت أعصابه وأخذ يردد فى انفعال بالغ (جواتيمالا ٠٠ يا سيادة الرئيس ٠٠٠ جواتيمالا) ٠

وكان الامريكيون ومخـــابراتهم المركزية قد فرغوا لتوهم من تنظيم عملية انقلاب ضد حكومة أرمينيز اليسارية فى جواتيمالا ٠

وقال عبد الناصر وقد فرغ صبره (فلتذهب جواتيمالا الى الجحيم) ٠

ووصـــل كيرميت روزفلت حامـــلا تهديدات دالاس التى تتلخص فى ايقاف المساعدات الامريكية والتجارة مع مصر وقطع العلاقات الدبلوماسية ومحاصرة مصر ومنع السفن حاملة السلاح من الوصول اليها ٠

ولكن السفير الامريكى هنرى بايرود استطاع أن يقنع كيرميت روزفلت بأن يــكون دبلوماسيا مع عبد الناصر ، واســـتمرت المحـادثات يومين بين عبد الناصر وروزفلت الذى لم يعلن تهديدات دالاس ، ولكنها كانت محادثات بغير نتيجة فلم يتراجع عبد الناصر عن موقفه ٠

وأطلق دالاس مبعوثا ثانيا هو جورج آلن مســــاعد وزير الخارجية الامريكية ، الذى سبقته أخبار من وكالات الانبــاء تشير بأنه يحمل انذارا آخر ، فأسرع عبد الناصر باستدعاء كيرميت روزفلت وأبلغه بأنه لــو صح ذلك فانه سيأمر رئيس التشريفات بطرد الزائر الامريكى وسيبلغ مراسلى الصحف بأنه قرر قطع العلاقات الدبلوماسية مع أمريكـــا ، لانه لا يقبل أن يعيش أو يحكم تحت ضغط التهديد ٠

وفى نفس الوقت قرر جمال عبد الناصر أن يستعد لنوع من المقاومة الشعبية ، واتصل بى كل من أحمد فؤاد الذى كان قد أصبح عضوا فى مجلس الانتاج والذى كان مازال مقربا من جمال عبد الناصر والصاغ لطفى واكد الذى كان مديرا لمكتبه فى ذلك الوقت وأبلغنى كل منهما على حده رسالة من جمال عبد الناصر تطلب منى الاتصال بمن أعرفهم من اليساريين استعدادا لحمل السلاح والعمل سرا فى وجه أى محاولة للتدخل الامريكى غير المحسوب .

ولكن جورج الن لم يقدم رسالة دالاس بعد أن اقنعه كيرميت روزفلت والسفير الأمريكى بايرود بتفادى الكارثة ، وخلال المقابلة بين آلن وعبدالناصر حاول الاول أن يقنع عبد الناصر ــ كما يقول حسنين هيكل ــ فى كتابه (عبد الناصر والعالم) بأن الغاء الصفقة يمكن أن يجعل الولايات المتحدة تنظر الى قضية امداد مصر بالسلاح نظرة ايجابية .

ولكن عبد الناصر قال له (لقد فات الاوان) .

فات الاوان فعلا ووصلت شحنات الأسلحة الى ميناء الاسكندرية

وخطب انطونى ايدن فى نوفمبر ١٩٥٥ فى قاعة البلدية المعروفة باسم (جيلد هول) واقترح حلا للنزاع العربى الاسرائيلى ، يستند الى حدود جديدة لاسرائيل تكون بين حدود الهدنة القائمة وحدود قرار التقسيم الصادر عام ١٩٤٧ .

وقد قوبل هذا الخطاب بارتياح عبر عنه جمال عبد الناصر بقوله فى بيان (انه يحتوى على عناصر بناءة يمكن أن تكون اساسا للبحث) .

كان موقف بريطانيا قد تغير نسبيا من اسرائيل بعد تحول بن جوريون الى المظلة الامريكية ، عندما أصبحت الولايات المتحدة أقوى الدول الامبريالية وأكثرها قدرة ونفوذا .

ولكن موقف ايدن لم يكن تعبيرا عن تغير استراتيجى فى موقف بريطانيا ، فقد كانت تواصل سعيها لاقامة حلف بغداد ووصل الفيلد مارشال جرالد تمبلر رئيس أركان حرب الامبراطورية الى عمان فى محاولةلضم الاردن الى الحلف .

وكذلك حاول ايدن اقناع خروشوف أثناء زيارته هو وبولجانين الى بريطانيا فى ١٨ أبريل ١٩٥٦ بأن يوقف صفقات السلاح لمصر ، فكان رد خروشوف انه مستعد لتنفيذ ذلك اذا شمل الحظر امداد الأسلحة لكل الدول حتى المرتبطة بمعاهدات مع بريطانيا .

وأسرع عبد الناصر بالاعتراف بالصين الشعبية ليتفادى أى محاولة لحظر وصول السلاح تبعا لقرار قد تتخذه الأمم المتحدة التى لم تكن الصين قد أصبحت بعد عضوا فيها .

ولم يوقف اليأس خطوات دالاس ، بل انه أرسل روبرت اندرسون الى جمال عبد الناصر حاملا رسالة من الرئيس ايزنهاور تطلب حل المشكلة الفلسطينية وانهاء حالة الحرب بين مصر واسرائيل ، وهو الشخصية التى ذكر بن جوريون أنها كانت همزة الوصل بينه وبين عبد الناصر من يناير الى أبريل ١٩٥٦ .

وكان رأى جمال عبد الناصر أن يستند أى حل الى مشروع التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ ، مما يظهر ويؤكد أن جمال عبد الناصر لم يكن ضد اسرائيل ولم يكن من دعاة تدميرها .

ورغم دخول الامريكيين كما يقول محمد حسنين هيكل فى تفصيلات صغيرة لتنفيذ المشروع ، ورغم مباحثات اندرسون ، فان المشروع كان محكوما عليه بالفشل ، لان الاسرائيليين لم يكونوا ينوون الرجوع الى الحدود المقررة فى مشروع التقسيم .

كان تراجع الاسرائيليين عن الارض التى ثبتوا أقدامهم فيها أمرا غير وارد عندهم .

وتوقفت محاولات الغرب ، وتضاعفت مساعداتهم لاسرائيل التى بقيت الدولة الوحيدة فى المنطقة التى لا تحكمها حدود قانونية معروفة .

وأصبحت ثورة يوليو مطالبة بمواجهة هذه الدولة التى زرعت فى الأرض العربية .

الفصل الثاني

عدوان اسرائيل ١٩٥٦

(ان مصر وعبد الناصر قد كسبا من عدوان ١٩٥٦ أكثر مما خسرا ... فقد تاكدت وثبتت سيطرة مصر على قناة السويس) .

انطوني ناتنج
وزير الدولة البريطاني اثناء العدوان

لم تصل محاولات السلام بين الحركة العسكرية فى مصر وحكومة اسرائيل الى نتيجة ايجابية ، وتعقدت الامور تحت ضغط الامبريالية الامريكية والعالمية ومحاولة فرض نفوذها وسيطرتها على المنطقة ، والدور الذى لعبته المؤسسة العسكرية الاسرائيلية المتواطئة مع الحكومة الامريكية .

وكان حصول جمال عبد الناصر على السلاح من المعسكر الاشتراكى

نقلة واضحة للقوات المسلحة المصرية خطت بها الى عصر النفاثات ووضعت أحد أهداف الثورة الرئيسية (تكوين جيش وطني) موضع تنفيذ عملي من جهة التسليح والتدريب ، وفرضت على حكومة اسرائيل أسلوبا جديدا في المواجهة ·

وفي العيد الرابع للثورة بالتحديد يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ أعلن جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس ردا على قرار جون فوستر دالاس بسحب تمويل السد العالي ، وذلك قبل أن يمضي أربعون يوما على جلاء قوات الاحتلال البريطاني لمنطقة القنال يوم ١٨ يونية ١٩٥٦ ·

وتحركت أفكار العدوان في صدر بن جوريون الذي لم تؤد غاراته المتكررة على الجيش المصري غرضها بوقوع الحركة العسكرية في مصيدة الاستفزاز والانزلاق الى الحرب في وقت لم تكتمل فيه أسلحة الجيش ··· فلم يكن لدى مصر في ذلك الوقت سوى ست طائرات صالحة للعمل ، وثلاثين طائرة معطلة وليس هناك قطع غيار ، والذخيرة كانت محدودة ·

ويفسر موشي ديان في مذكراته أسباب تحولهم من سياسة الغارات المفاجئة أو الردع المحدود الى التفكير في حرب شاملة فيقول :

(ان السبب الرئيسي كان في استخدامنا المتواصل لاسلوب العمليات الانتقامية ، فان العمليات التي فاجأت المصريين والاردنيين في البداية وهم غير مستعدين لها ، أصبحت الآن مسألة تقليدية ، لذلك فحينما تخرج وحداتنا في عملية ضد مبنى للشرطة أو معسكر للجنود فانها تجد جنوده مستعدين للقتال ··· اننا لن نستطيع الاستمرار في حالة لاهي (بالسلام ولا هي بالحرب) ··· ان علينا أن نرغم جيراننا العرب على الاختيار بين وقف الارهاب ضد اسرائيل وبين الدخول في حرب ضدنا بطريقتين :

١ ـ أن تنزل الضربات الانتقامية أثناء النهار ونستخدم من اجل ذلك المدرعات والطائرات ، وحينئذ تقل خسائرنا في الارواح فضلا عن أن الدول العربية (وأولها مصر قبل كل شيء) لن تستطيع تجاهل أثر هذا على رعاياها ·

٢ ـ أن نجتاز الحدود ونحتل المواقع الرئيسية التي تسيطر على المنطقة و نشترط للجلاء عنها وقف الارهاب ·

وهكذا اختارت اسرائيل طريق الحرب لقطع الطريق على وصول الأسلحة لمصر ، ووقف غارات الفدائيين ، وفتح الملاحة الاسرائيلية في مضايق تيران ··· كما انه كان هناك موقف داخلي يدفع للحرب ، وهو الحالة المعنوية المتوترة من القتال المتقطع ، وفشل فضيحة لافون ومحاكمة الجواسيس الاسرائيليين في مصر ، ولذا وجد بن جوريون أنه في حاجة الى عمل كبير يعيد ثقة الشعب في جيش اسرائيل · ويعطي للجيش دفعة معنوية جديدة ·

وبن جوريون لا يطيق أن ترتبط مصر مع الاتحاد السوفيتي بأية رابطة ··· وخاصة اذا كانت هذه الرابطة هي السلاح ·

قال بن جوريون عام ١٩٤٦ بأنه (اذا وافقت بريطانيا على انشاء دولة يهودية في فلسطين فنحن على استعداد أن نضمن أن تكون هذه الدولة

قاعدة ضد روسيا) . . هذا فى الوقت الذى اعقب الحرب العالمية الثانية التى ضحى فيها الاتحاد السوفيتى بعشرين مليونا من ابنائه فى حرب ضد النازية التى قتلت ٦ ملايين يهودى .

وجد بن جوريون أمامه فرصه لتحقيق ما نادى به من ضرورة الحرب قبل أن تصل الاسلحة السوفيتية الى مصر فقد قال صراحة (لابد أن يسقط النظام فى مصر قبل أن تصل الأسلحة الروسية) .

وكان بن جوريون قد استدعى أخلص مريديه (موشى ديان) مر فرنسا التى كانت تفتح أبوابها للقادة الاسرائيليين ، وتمد اسرائيل بالاسلحة المتطورة ، وذلك للحقد الذى كانت تشعر به تجاه قادة ثورة يوليو الذين كانوا يساعدون ثوار الجزائر بكل ما يطلبون منذ أعلنوا ثورتهم فى أول نوفمبر ١٩٥٤ وذلك بعد شهور من هزيمة الفرنسيين فى معركة (ديان بيان فو) التى انهت وجودهم فى فيتنام بعد توقيع اتفاقية جنيف .

كلف بن جوريون (دايان) بأن يعد خطة حربية لغزو مصر بعد أن كان قد استطاع أن يقنع أمريكا بالتصريح لفرنسا ببيع طائرات المستير ٤ التى كانت تنتجها خاصة لحلف الاطلنطى ... وذلك فى رسالة حملها (هربرت همفرى) الى الحكومة الفرنسية من ايزنهاور ووزير خارجيته دالاس .

ولكن اعداد الخطة وحدها لم يكن كافيا لاشعال الحرب ... كان لابد من وجود سبب مقنع يكون تبريرا للعدوان ... وقال دايان فى مذكراته (كان من السهل خلق المبرر) ... وصرح بن جوريون لمراسل النيويورك تايمز : (سوف نكون فى العقبة فى العام القادم وسوف نستولى عليها من البر والبحر والجو معا) .

وفى غمرة هذا التوتر لم يكن معقولا أن يحتفظ بن جوريون رئيس الوزراء بموشى شاريت – رجل السلام النسبى – وزيرا للخارجية ، فتخلص منه فى ١٨ يونيو ١٩٥٦ عندما أرسل له خطابا يقول فيه (ان وجودك فى وزارة الخارجية ليس فى مصلحة الدولة) وعين جولدا مائير بديلا له .

صرح شاريت بعد ذلك بقوله (أرغمنى بن جوريون على الاستقالة لانه كان يعتقد اننى العقبة فى سبيل ما كان قد استقر عليه وهو انه لابد من حرب قريبة جدا مع مصر ، كانت الحرب قادمة ويجب الا اعارضها ، ولابد أن أخرج . وأنا لم اكن لاعارض الحرب تحت أى الظروف ، ولكن حكمتى كانت تختلف عن حكمته) .

ويبدو أن دالاس قد أسهم فى ايجاد المبرر لاسرائيل بسحبه تمويل السد العالى ، ووضعه مصر تحت ضغوط رد الفعل ، الذى تتربص به اسرائيل .

كتب بن زوهار مؤرخ حياة بن جوريون يقول (كانت الحرب ضد مصر مقررة لدى بن جوريون فقد عاد الى وزارة الدفاع فى فبراير ١٩٥٥) .

وكتب أيضا (كانت أزمة السويس بعدئذ طارئة وهى لم تغير فى شيء

من خطط اسرائيل التي كانت ستهجم على أية حال ، ولكنها سهلت لها أصعب الامور وهو السلاح والحلفاء) .

التحضير للعدوان :

وجدت حكومة بن جوريون فى تأميم القناة فرصتها فالى جانب السلاح والحلفاء كما كتب بن زوهار . كان هناك المبرر ايضا .

وعندما وقف جمال عبد الناصر في ميدان المنشية بالاسكندرية يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ يخاطب الجماهير فى خطبته التاريخية الخالدة اهتزت أعصاب كثير من الساسة الغربيين ، وبدأت تدرس الخطط على أساس حسابات جديدة ، وظهرت احتمالات الحرب فى الافق .

والتقت رغبة الساسة البريطانين والفرنسيين فى تحطيم القائد المصرى الذى جرؤ على تأميم القناة ، مع رغبة بن جوريون فى اسقاط النظام قبل وصول الاسلحة للجيش المصرى .

ولم تعد فرنسا تلعب دور مورد السلاح لاسرائيل ، ولكنها بدأت تلعب دور المخطط والمنفذ لخطة العدوان بعد أن أصبحت طرفا مباشرا في المشكلة .

وبدأت خطة العدوان تنسج خيوطها بين انجلترا وفرنسا أولا ، ثم اقترحت فرنسا أن تشترك اسرائيل فى خطة الغزو ... ولكن ايدن تردد عندما نصحه الدبلوماسيون البريطانيون بقولهم ان فرنسا واسرائيل همـا أكثر الدول جاذبية لكراهية العرب ، لدور فرنسا فى مقاومة ثورة الجزائر ، ولدور اسرائيل المعروف ... وان اشتراك اسرائيل سوف يعقد الموقف ، ويحرج الحكام الموالين للغرب ، ويعطى لعبد الناصر فرصة اشعال العداوة على امتداد الوطن لعربى .

وكان ايدن يعلم تماما أن حكومة اسرائيل تتحرك فى توافق تام مع جون فوستر دالاس ... وكانت بريطانيا لم تسقط بعد تماما فى شرك الخضوع والتبعية للسياسة الامريكية .

وفى (مجتمع جمال عبد الناصر) الجزء الثانى (قصة ثورة ٢٣ يوليو) تفصيل وتوضيح لكل ما دار من تدبير للعدوان بعد تأميم القناة ، ولذا اكتفى هنا بتسليط الضوء على الدور الذى لعبته اسرائيل ، بعد أن وافق ايدن أخيرا على اشتراكها فى خطة العدوان .

وضع الجنرال شال الفرنسى خطة تقضى بأن تهاجم اسرائيل مصر عبر سيناء ، وحينما تعبرها تتدخل بريطانيا وفرنسا وتدعو الدولتان الى ايقاف الحرب ... وإذا لم تقف تحتلان القناة ، حتى لا تتوقف الملاحة فيها .

ووضعت الخطة على مائدة المناقشة والتعديل هى وخطة (موسكتير) البريطانية ، وخطة (موشى ديان) الاسرائيلية ... وانتهى الامر بعد اجتماع سرى عقد فى ضاحية (سيفر) بباريس وحضره بن جوريون ودايان وسلوين لويد وجى موليه وكريستيان بينو .

وتحدد دور اسرائيل شريكة مع الدولتين الكبريين : تبدأ الهجوم أثناء تدمير سلاح الطيران البريطانى لسلاح الطيران المصرى على الارض ، ثم تتقدم

بريطانيا وفرنسا بانذار لكل من اسرائيل ومصر بوقف الحرب والانسحاب عشرة كيلو مترات بعيدا عن ضفتي القنـــــاة ، والا تتدخل قواتهما لحماية القنـــــــاة ٠

ولم يكن ممكنا لمثل هــذه الخطة ان تتم بعيدا عن عيــون الحـــكومة الامريكية أو وكالة المخابرات المركزية ، وصلة بن جوريون ودايان بأمريكا لا تسمح لهما بالقيام بمثل هذه الخطوة دون ابلاغ ، وفرنســـا كانت قاعدة المخابرات الامريكية في أوربا ٠

وأخيرا دخلت الخطة دائرة العلاقات الرسمية ، فقد ذهب جاك شابان دالماس الوزير وقتها في حكومة جي موليه وأبلغ السفير الامريكي دوجلاس ديلون بالعملية المشتركة ضد مصر ، ولم يعلق السفير الامريكي سوى بقوله (ألا يمكن تأجيل العملية حتى ما بعد الانتخابات الامريكية) ٠٠٠ ثم أرسل السفير تفاصيل ما سمعه الى واشنطن ٠

وقال آلان دلاس رئيس المخابرات المركزية الامريكية وشقيق جــــون فوستر دالاس وزير الخارجيه (حصلت المخابرات المركزية على المعلومات من عدة مصادر ، وتوافرت لها حقائق وتكهنات دقيقة عن التواطؤ الثـــلاثى ، وخاصة من تقارير جاءت من قبرص) وقد كان أمرا شـــائعا ومعروفـــا للمخابرات الامريكية أن اعـــلان اسرائيل للتعبئة يوم ٢٧ اكتوبر هـــــو علامة الهجوم ٠

وقال كريستيان بينو وزير خارجيـــة فرنســـا بعد حدوث العـــدوان ما يأتي :

(أحسسنا فى تلك الايام ان الولايات المتحـدة لا تريد أن تعــــرف وأنها لا تطلب معلومات عما يحدث ، وكنا مطمئنين الى أن أجهزة المخابرات على اتصال وثيق بعضها ببعض ، وخاصة البريطانية والامريكية ، وعــلى أية حال كانت هناك اتصالات معروفة بقيادة الاسطول السادس طلبنا اليهم فيها أن يبتعدوا بالاسطول عن تحركات أساطيلنا ٠

كان أمرا مؤكدا أن الولايات المتحدة تعــرف خطة الغـزو لانها طلبت من جميع رعاياها مغادرة المنطقة قبل الغزو بيومين ٠

ولم تكن الخطة معـــروفة عند الولايات المتحدة فقـط ، ولكنها كانت معروفة عند مصر أيضا ٠

كانت المعلومات التى تجمعت كافية لتوضيح خطة العدوان ، وقــد جاء ذلك تفصيليا فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر ــ الباب الأول) فقد ارســل الملحق العســكرى المصرى بتركيا الأميرالاى زكريا العادلى أمام معلومات تفصيلية عن تحركات بريطانية فرنسية اسرائيلية للهجوم ٠ وحضر بنفسه الى القاهرة حيث أبلغها لعبد الحكيم عامر ٠

واتصلت مجموعة اليهود من الشيوعيين المصريين المقيمين فى باريس ، بالملحق العسكرى المصرى فى ذلك الوقت ثروت عكاشة ، وأبلغته بأنبـــاء الغزو المحتمل ٠٠٠ وعندما تجمعت له أنبـــاء وافية عن ذلك من هــــــذا المصدر ومصادر أخرى قرر ارسال عبد الرحمن صادق المستشار الصحفى برسالة خاصة الى جمال عبد الناصر ٠

قال لى عبد الرحمن صادق إنه حفظ الرسالة وما بها من معلومات عن ظهر قلب ، ولم يحمل معه أية أوراق ، وغادر باريس الى بروكسل كما لو كان فى نزهة عطلة نهاية الاسبوع ، ومنها اتجه فورا الى القاهرة ، حيث قابل على صبرى فى مبنى رئاسة مجلس الوزراء ، وسمع منه الرسالة ، ثم قابل جمال عبد الناصر فى مكتبه ، وأعاد عليه الرسالة مرة أخرى .

ويقول عبد الرحمن صادق ان جمال عبد الناصر تشكك فى صحة المعلومات ، فطلب منه أن يعيد الرسالة مرة أخرى ، وسأله عن مصدرها ، ثم قال (ان هذا يتناقض مع ما عندنا من معلومات) .

لم يكن جمال عبد الناصر يتوقع أن تقف اسرائيل مع الدول الكبرى على مستوى واحد فى تنفيذ خطة الغزو .

وتوافرت معلومات أخرى من مصادر مختلفة .

قال لى زكريا محيى الدين انه توافرت لديهم معلومات كافية عن الحشود ، ولكنهم استبعدوا احتمالات التدخل لعدم وضوحها اذ كانوا يعتبرون ذلك نوعا من الضغط السياسى ... كما انهم استبعدوا فكرة الربط بين هجوم اسرائيل وملاحقته بهجوم بريطانى فرنسى مشترك .

ويقول زكريا محيى الدين أيضا انه لم يكن هناك استبعاد لفكرة العدوان الانجليزى الفرنسى وانما اتخذ ذلك فى تقديرهم كخطة خداع لصالح الاسرائيليين .

ويؤكد زكريا انه لم يؤثر على الخطة الدفاعية المصرية احتمالات الانزال فى بور سعيد والاسكندرية ... ولكن الخديعة الحقيقية كانت فى هجوم الاسرائيليين ، لان الجيش كان قد وضع خطته الدفاعية على أساس الانزال الانجليزى الفرنسى ، ولذا فانه لم يتحرك لسيناء الا يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ .

كان جمال عبد الناصر قد اعتقد ان نسبة خطر الغزو قد انخفضت الى ١٠٪ بل انه استبعد احتمالات الغزو بعد موافقه وزراء خارجية فرنسا وانجلترا ومصر على المبادىء الستة وهى :

١ ــ أن تكون الملاحة فى القناة حرة ومفتوحة دون تمييز .
٢ ــ أن تحترم سيادة مصر .
٣ــ أن تكون ادارة القناة منفصلة عن سياسات أية دولة كانت .
٤ ــ أن تحدد رسوم القناة باتفاق بين مصر والمنتفعين بالقناة .
٥ ــ أن تخصص نسبة عادلة من العائدات لتحسين القناة وتطويرها .
٦ ــ فى حالات النزاع يجب تسويه الامر بالتحكيم .

كان جمال عبد الناصر متطلعا الى مرور الازمة وتسويتها سلميا ، وكان فيما يبدو حسن النية الى حد ما بخطط الامبريالية الشرسة ، فانه عندما ابلغه صلاح سالم بعد عودته من مؤتمر لندن أن الغزو ــ فى رايه ــ أصبح مؤكدا ، لم يأخذ جمال عبد الناصر قوله ماخذ الجد الذى يحمل بوادر الخطر .

لم يتصور جمال عبد الناصر ان ايدن يمكن ان يقدم على هذه المغامرة التي قد تطيح باسمه ومستقبله .. ولم يكن يتصور ايضا ان اسرائيل يمكن أن تدفع قواتها لتصل الى قناة السويس بعد اقل من سبع سنوات على قيامها ، وأقل من سنة ونصف على عودة بن جوريون الى رئاسة الوزراء ، وخاصة ان معدل الاحتكاكات والغارات الاسرائيلية الفجائية على القوات المصرية كانت قد خفت ... بل انه كان قد تقرر سحب قوات من سيناء لتدافع ضد غزو محتمل للقناة ، ويؤكد ذلك الفريق عبد المحسن مرتجي الذى كان يعمل وقتها فى مكتب (اللواء) عبد الحكيم عامر قائلا انه لم يكن فى غزة والعريش سوى فرقة مشاة واللواء السادس فقط .

العدوان :

لم تكن هذه القوة المشكلة من فرقه ولواء كافية ... ليس للدفاع عن سيناء ، وانما حتى لمراقبة تحركات العدو فى هذه الارض الشاسعة التى تبلغ مساحتها (ثمن) مساحة مصر .

ولذا فانه عندما أعلن الاسرائيليون يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ انهم قد ارسلوا طابورا مدرعا الى سيناء ، لم تكن قد وردت بعد أية أنباء عن ذلك من القوات المصرية ... وعلم جمال عبد الناصر بذلك من أجهزة الاستماع فى مكتبه .

وسرعان ما أذاع الاسرائيليون فى العاشرة مساء ان قواتهم قد أصبحت على مقربة من قناة السويس ، وكانوا يقصدون بذلك قوات المظلات التى هبطت فوق ممر متلا .

ويقول زكريا محيى الدين ان هذه الانباء قد دفعتهم الى وضع خطة لمجابهة غزو اسرائيل فقط ، ذلك ان احدا فى القيادة العسكرية لم يكن قد تصور أبعاد الخطة كاملة ، وأن هناك تدبيرا عدوانيا مشتركا بين الدول الثلاث اسرائيل وفرنسا وانجلترا .

هذا بينما يؤكد حافظ اسماعيل مدير مكتب القائد العام فى ذلك الوقت انه كانت هناك خطة عسكرية لمواجهة كل الاحتمالات .

ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) ـ (ومع ان عبد الناصر كان شديد الريبة فى امر انزال المظليين الاسرائيليين فى منطقة ممر متلا ـ نظرا الى بعدها السحيق عن القوات البرية الاسرائيلية ـ فقد كان لايزال مقتنعا بأن المشاركة فى العمليات الحربية بين اسرائيل وبريطانيا وفرنسا هى من المحرمات غير الواردة ، وكان لايزال مقتنعا بأنه ليس فى وسع ايدن أن يتعاون مع الاسرائيليين بهذه الطريقة) .

ولكن فجر اليوم التالى بدد كل الشكوك وأظهر حقيقة الخطة عندما تبين ان طائرات سلاح الجو الملكى البريطانى (كانبيرا) قد حلقت فى سماء مصر ... وتم ابلاغ السفير الامريكى الجديد فى القاهرة (ريموند هير) بذلك .

وفى الساعة الرابعة استدعى السفير المصرى فى لندن (سامى أبو الفتوح) الى وزارة الخارجية البريطانية ، كما استدعى كمال عبد النبى

سفير مصر فى باريس الى وزارة الخارجية الفرنسية في نفس الوقت ، حيث سلما الانذار المشترك الصادر عن الحكومتين البريطانية والفرنسية الى مصر واسرائيـل •

كان الانذار يطلب من كل من اسرائيل ومصر أن توقف اطـلاق النار وتنسحب عشرة أميال من كل جانب من طرفي القنـــاة ، ويطلب من مصر القبول باحتـــلال القـــوات الانجلو فرنسية للمواقع الرئيسية فى بور سعيد والاسماعيلية والسويس •

كانت المهلة المحددة فى الانذار ١٢ ساعةفاذا ما انتهت هذه المهلة ـــ على ما جاء فى الانذار ـــ دون أن تنصاع اى من الحكومتين او كلاهما الى المطالب السابقة ، فان قوات المملكة المتحدة وفرنسا ستتدخل باية قوة تحتمها الضرورة لتأمين الانصياع •

وفي نفس الليلة اجتمعت الحكومة المصرية لتقرر ما يجب عمله ••• وكان الرأى هو أن قبول الانذار ســـوف يعتبر كارثة ولذا تقـــرر رفض الانذار ، بينما قبلته اسرائيل تبعا للخطة المشتركة •

واتجهت القيادة لمواجهة العدوان والغزو الثلاثى .

قال الفريق مرتجى ان جمال عبد الناصر كان هو صـــاحب القـــرار بسحب القوات المصرية من سيناء بعد أن تكشفت الخطة المعادية حتى لا تقع بين فكى الكماشة القادمة من اسرائيل عبر سيناء والغازية لمصر من طـريق بور سعيد على مجرى القناة •

وحدث أول خلاف فى وجهات النظر بين جمال عبد الناصر الذى أخذ هذا القرار ، وبين عبد الحكيم عامر الذى أصدر اوامره للمدرعاتبالتوجهالى سيناء لمقاومة الغزو الاسرائيلي ••• ويقـول حسنين هيكل ان النقاش قـد استمر بين الرجلين طوال الليل مما اخر سحب الدبابات من سيناء .

وفى اليوم التالى ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ اختلف عبد الناصر مرة أخرى مع القيادة العامة للجيش التى وجدت ان انسحاب الدبابات الى الدلتا يتيح لها فرصة خوض معركة بالدبابات ضد القوات البريطانية والفرنسية الغازية ، ولذا نقلوا مركز الرئاسة الى الزقازيق ••• وكان هـــذا مخالفا لتصـــور عبد الناصر الذى نظر الى الامر نظـرة استراتيجية وسياسية تقضيبضرورة الدفاع عن القناة والتشبث بها حتى لا يحقق لقوات الغزو المعادية غرضهـــا الذى يتركز في العودة لاحتلال منطقة القناة ، وليس الزحف الى القاهرة •

كانت هذه هى بداية الخـــلاف بين جمـــال عبد الناصر وعبد الحكيم عامـــر •

وكان مجلس قيادة الثورة قد انتهى دوره ، ولم يعد له وجود شرعى بعد مرحلة الانتقال، وحصل أعضاؤه علىقلادة النيل التى تمنحهم فىالبروتوكول أسبقية على الوزراء واستقال من أعضائه يوسف صديق وصـــلاح ســـالم وأبعد كل من عبد المنعم أمين وخالد محيى الدين ، كما رفض جمال ســـالم الاشتراك فى الحكم بعد انتهاء فترة الانتقال .

قال جمال عبد الناصر ان أقرب اثنين اليه خلال فترة العدوان كانا عبد اللطيف البغدادى وزكريا محيى الدين ٠

ويقول عبد اللطيف البغدادى انه لازم جمال عبد الناصر ملازمة الظل خلال فترة العدوان ٠٠٠ وقد واجه عبد الناصر بنفسه الجماهير فى خطبة الجمعة الشهيرة بمسجد الازهر الشريف معلنا انه سيحارب وسيبقى مع اولاده فى القاهرة لن يغادرها ... وكان صوته متحشرجا لمرضه بالانفلونزا ٠

ولم يكن خلاف جمال عبد الناصر مع عبد الحكيم عامر هو الخلاف الوحيد ٠٠٠ نشأ خلاف ثان بينه وبين صلاح سالم الذى جسم الخطر الذى يمكن ان ينجم عن العدوان والانذار ، وطلب من عبد الناصر ان يسلم نفسه الى السفير البريطانى سير همفرى تريفليان طالما هو المستهدف شخصيا ، كما نشطت الاذاعات المعادية فى تصوير الامر بهذه الصورة ، اذ بدأت اذاعة بريطانية من قبرص باسم (صوت بريطانيا) كان غايتها اثارة الشعب المصرى ومحاولة التفرقة بينه وبين جمال عبد الناصر ٠

قال جمال عبد الناصر لصلاح سالم أنه لو كان يعتقد أن البريطانيين يريدون شخصه فقط لاستسلم لهم راضيا ، ولكنهم يريدون مصر وشعب مصر وثورة مصر ولذا قال له (أننى افضل أن أضحى بنفسى وأنا اقاتل ، ولكننى لن أستسلم) ٠

وتراجع صلاح سالم عن موقفه ، وأدرك خطأه ، وأراد أن يثبت حسن نيته فى لقاء له مع عبد الحكيم عامر بالقيادة العامة فلبس ملابس جندى كان مكلفا بحراسة المكتب ، وطلب أن يعود فى خدمة القوات المسلحة ، فكلفه عامر بالدفاع عن السويس ، وكان زميله كمال الدين حسين قد كلف أيضا بالدفاع عن الاسماعيلية ٠٠٠ وبذل الاثنان جهدا ايجابيا واضحا فى اعداد المقاومة الشعبية ٠٠٠ وتركز الدفاع على القناة من البحر الابيض الى خليج السويس ، واغرقت فيها بعض البواخر لسد الملاحة واعاقة تحركات الاساطيل البريطانية والفرنسية ٠

وفى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) تفاصيل قصة المقاومة الشعبية فى بور سعيد وغيرها والتى كان يشرف عليها زكريا محيى الدين وزير الداخلية ٠

وفى يوم أول نوفمبر وضح للعالم ان مصر لا تقف وحدها فى المعركة ، وان دخول اسرائيل ضمن خطة العدوان ، قد حشد الدول العربية حول القاهرة ٠٠٠ فاذاعة دمشق وعمان بدأت تذيع قائلة (هنا القاهرة) بعد ضرب محطات الارسال فى ابى زعبل ... وابلغ الملك حسين عبد الناصر باستعداد الاردن للهجوم على اسرائيل ، ولكن عبد الناصر طلب منه عدم الاقدام على هذه الخطوة حتى يظل الجيش الاردنى سليما .

وكان شكرى القوتلى رئيس جمهورية سوريا فى موسكو وقتها وطلب من المسئولين هناك أن يتدخلوا لحماية مصر ٠٠٠ كما نسف الضباط الوطنيون ومعهم عبد الحميد السراج مدير الشعبة الثانية (المخابرات)

محطـــات ضخ البتـــرول الموجودة فى الاراضى السورية والتابعة للشركة البريطانية فى العراق ·

وقطعت سوريا والمملكة السعودية علاقاتهما الدبلوماسية مع كل من انجلترا وفرنسا ، واكتفت الاردن والعراق بقطع العلاقات مع فرنسا حيث كانت تربطها ببريطانيا علاقات صداقة خاصة الى جانب حلف بغـداد الذى ارتبطت به العراق ·

الأمة العربية كلها وقفت الى جانب مصر ··· وكل قـــوى التحـرر الوطنى ، والدول الاشتراكية جميعها .. وجمـــاهير ملحوظة من الشــعب البريطانى والفرنسى تظاهرت ضد العدوان الذى كان يتطور يوما بعد آخر ، فالطائرات البريطانية تقذف القوات المصرية المنسحبة من ســيناء ، وتدمر الطائرات المصرية وهي جاثمة فوق أرض المطارات خلال يوم واحد ·

ويقول عبد اللطيف البغدادى ان الرأى كان قد استقر على عزل قائد الطيران صدقى محمود ، ولكن عبد الحـــكيم عامر تشبث ببقائه ··· بينما يقول زكريا محيى الدين انه كان قـــد تقـــرر عزل قادة الجيش والبحـرية والطيران ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ·

الحرب مستمرة وكفة العدوان راجحة ، ويستشعر جمال عبد الناصر الخطر ولا يطيق البقاء فى القاهرة ، فيحاول السفر الى بورسـعيد وفى مدينـــه (أنشاص) التى عانت من الغارات البريطانية يعلم لحظة وصـــوله يـوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ خبر نزول قوات المظـــلات البريطانية فى بور سعيد ، والفرنسية فى بور فؤاد ، فاضـــطر للعودة الى القاهرة ليدير العمليات من مبنى مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة .

واجهت مصر العدوان الثلاثى والكل يردد (حنحارب) ، واغنيـــات (الله أكبر) (والله زمان يا سلاحى) ترتفع كل مكان ·

ومضت المعركة الحربية والسياسية كما ظهرت تفصيلا فى الباب الاول من الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) الى ان صدر قرار وقف اطلاق النار عقب نشر الصحف البريطانية والفرنسية لانذار بولجانين الشهير واجتماع مجلس العموم فى صباح نفس اليوم لاتخاذ القرار .

ويقول انطونى ناتنج فى كتابه (ناصر) ان مصر وعبد النـــاصر قـــد كسبا من عدوان ١٩٥٦ أكثر مما خسرا ، فقد تأكدت وثبتت سيطرة مصر على قنـــاة السويس ·

ومع ذلك فان القوات المســلحة المصرية قد انسحبت من سيناء دون الدخول فى معـــارك تصادمية مع القـوات الاسرائيلية ، ولم يصمد القادة العسكريون فى وجه الغزاة البريطانيين فى بور سعيد كما صمدت المقـاومة الشعبية ··· وضربت الطائرات المصرية وهى جاثمة على الارض فى المطارات دون حركة أو مقـــاومة ··· ولم تثبت القيـــادة العامة للقوات المسلحة (عبد الحكيم عامر) قدرة حقيقية على التوجيه والقتال .

صادف العدوان فترة حساسة للقوات المصرية المســلحة ، فالتسليح السوفيتى والتدريب عليه لم يكتمل بعد ··· والاسلحة البريطانية عاجزة

ومتخلفة ... عقيدة القتال ومدرسته مرتبطة بالاسلوب البريطانى ... وعديد من الضباط حصلوا على بعثات فى أمريكا ... وكان هناك خبراء من فلول النازيين فى ألمانيا تحت اشراف الجنرال فون باخر .

كانت نتيجة العدوان الثلاثى على مصر بمقياس العمليات العسكرية هزيمة لا شك فيها ... فقد فرض القتال فرضا فى توقيت غير مناسب لم تتخذ أو تتوافر فيه الاحتياطات اللازمة للقتال ... ومع ذلك فقد اضعف اشتراك ثلاث دول فى العدوان مرارة الهزيمة .

ولا ينفى هذا ان بعض الوحدات قد قامت بدور باسل وشجاع .. ولكن الاغلبية العظمى من الوحدات لم تختبر اختبارا جادا فى القتال .

قال لى الفريق مرتجى ان اللواء السادس مشاة عطل دخول القوات الاسرائيلية الى سيناء مدة ثلاثة أيام الى أن صدر له الامر بالانسحاب ... ولم تهجم القوات الاسرائيلية مع ذلك الا بعدها بيوم كامل ، ولم يحدث أى اختراق الا فى رفح حيث ضرب اللواء الذى كان يقوده الاميرالاى جعفر العبد من البحر بالسفن الاسرائيلية .

وقد بلغت خسائر الجيش المصرى ألف قتيل ، واستشهد عدة مئات فى عمليات المقاومة الشعبية فى بور سعيد ، وأسر ستة آلاف مصرى وفلسطينى معظمهم من قطاع غزة ولكن افرج عنهم تدريجيا بعد وقف القتال ... ولم تبلغ خسائر المعتدى الا ١٧١ قتيلا اسرائيليا ، ٢٦ جنديا فرنسيا وبريطانيا عند الانزال ثم ارتفع الرقم خلال عمليات المقاومة الشعبيه .

وأمام هذا الموقف الواضح ، اقترح اللواء عبد الحكيم عامر أن يقدم استقالته من قيادة القوات المسلحة ، ولكن جمال عبد الناصر لم يوافق على ابتعاد صديق عمره ، واصر على بقائه رغم تعارض ذلك مع فكرته عنه وخلافه معه أثناء وضع خطة المعركة ... وكان التشبث به سببا فى بقاء صدقى محمود فى مركزه رغم مسئوليته عن كارثة الطيران حيث وافق جمال عبد الناصر على أن يعطيه فرصة أخرى .

ورغم الهزيمة العسكرية ، كان هناك نصر سياسى لا شك فيه .

اكتسبت ثورة يوليو وزعامة جمال عبد الناصر شعبية هائلة فى الأمة العربية جعلته يصل الى قمة لم يعرفها زعيم عربى من قبل ، حيث كانت صوره ترتفع فى كل مكان ، وخطبه يحفظها البعض عن ظهر قلب .

تحركت فى الدول العربيه روح المقاومة للانظمة الرجعية التى لم يسعدها قرار جمال عبد الناصر بتأميم القناة ، ولا تحقيقه للنصر السياسى الذى انتهت اليه معركة العدوان ، وبدأ ذلك فى العراق المرتبط بحلف بغداد .

كان قرار جمال عبد الناصر برفض الانذار والصمود والحرب سببا فى تقدير دول العالم الثالث والدول الاشتراكية للدور الواقعى البارز الذى تلعبه مصر فى مقاومتها للامبريالية ودعمها للتحرر الوطنى .

انكشف نهائيا الدور الذى تلعبه اسرائيل فى المنطقة لخدمة الامبريالية والاستعمار ... وفقدت بريطانيا وفرنسا كثيرا من المكتسبات والعلاقات

التى حصلت عليها خلال تاريخ طويل نتيجة لربط خطتهما مع اسرائيل .
وبعد أن توقف اطلاق النار ، بدأت فترة انسحاب القوات المعتدية .

بعد العـــدوان :

انسحبت القوات البريطانية والفرنسية قبل أن تنسحب القـــوات الاسرائيلية ، وكان يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ هو يوم الجلاء الثانى فى عام واحد للقوات البريطانية عن مصر ومعها حليفتها القوات الفرنسية .

كانت فرنســـا تحرض اسرائيل على البقاء فى سيناء ، ولذا أسرع شيمون بيريز بالتوجه الى باريس فى فبراير ١٩٥٧ ليبحث مدى المعـــونات التى يمكن أن تقـــدمها فرنســـا لاسرائيل فى حالة فرض عقوبات عليهـا أو استئناف الاعمال الحربية ، وقد أبدت فرنســـا استعدادها للوقوف الى جانب اسرائيل .

ومع ذلك فان قوات اسرائيل انسحبت تدريجيا بعد محاولة مستميتـــة لتشبث بالأرض التى احتلتها ... ولكن الظـــروف الســياسية العالميه وقرارات الأمم المتحـدة ، وتربص حـــكومة الولايات المتحـدة بالمنطقة بعد انســـحاب القـــوات البريطانيه والفرنسية ... كل ذلك دفع اسرائيل للتراجع ... ولكنهـــا لم تتراجع تراجعـــا كاملا كما فعلت الدولتـــــان الكبيرتان .

كانت الاتفاقية التى أمكن التوصل اليها تفرض شروطا رأى جمـــال عبد الناصر انه من المصلحة الا يرفضها رفضا تاما فى هـــذا الوقت تفاديا لتعقيد الامور ، وهو لا يملك قـــوات مسلحة قادرة على الردع ، ومشـاكل المجتمع الجديد تنتظر من يضع لها حلولا .

وتحت مظلة الامم المتحـــدة ، وبحضور وموافقة وزراء خارجية مصر واسرائيل والولايات المتحدة وانجلترا وفرنســـا تقرر الجـــلاء للجميع مع الشروط الآتية :

أولا ... وضع ستار دفاعى من قـــوات الأمم المتحدة على الحدود بين القوات المصرية والاسرائيلية .

ثانيا ... فتح مضيق تيران المسيطر على ميناء ايلات للملاحة والتجارة الاسرائيلية .

ثالثا ... اخلاء شرم الشيخ لهيئة الرقابة الدولية .

رابعا ... الاتفـــــاق على أنواع محددة من الاسلحة لا تتعدى حدودا مرسومة جهة الشرق .

كانت هذه الشروط فى واقعها تنازلات أكيدة من الجانب المصرى ... ولكنها اذا قورنت بالانتصـــار السياسى الذى تحقق بعد العدوان ، واجبار قوى ثلاث دول على الانســـحاب قبل أن تمضى سنة اشهر على العدوان ، تعتبر ضئيلة ، وخاصة اذا وثقنا أن فكرة العـــدوان على اسرائيل وتدميرها كانت أبعد ما تكون عن فكر جمال عبد الناصر .

يعتبر جان لاكوتير قبول عبد الناصر (دليلا على التخلف العســـكرى

الذى وجد انه قد انتهى اليه) ٠

ويقول انطونى ناتنج (رغم نجاح عبد الناصر فى جذب الرأى العام العالمى الى صفه ، ونجاحه فى الحصول على التأييد المعنوى للدولتين العظيمتين مريكا وروسيا الا أنه عرف وقبل نقطة ضعفه ، ولذا رضى فى مباحثاته مع همرشولد حلولا وسطا) .

كان جمال عبد الناصر قد بدأ يدرك أن انحسار النفوذ البريطانى الفرنسى عن المنطقة ، لا يعنى انحصارا كاملا لنفوذ الامبريالية العالمية ، ولكنه يفتح شهية الامبريالية الامريكية لوراثة نفوذ الدولتين، وان اسرائيل قد بادرت بوضع نفسها تحت عباءة النفوذ الامريكى ... ولذا فان التناطح الكامل ورفض هذه (التنازلات) المحدودة ربما كان كفيلا بتغيير اتجاه الموقف الامريكى ، وزيادة عناد اسرائيل ورفضها للانسحاب ٠

ولذا فانه يصعب القول بأن ذلك كان (تهاونا وطنيا) من جمال عبد الناصر ٠٠٠ ولكنه كان يعنى ادراكا واعيا بطبيعة الظروف التى كانت قائمة خلال هذه الفترة ٠

انسحبت اسرائيل تماما فى شهر مارس ١٩٥٧ بعد أن حرقت الطرق وبثت الالغام ودمرت آبار البترول وفى نفس هذا الشهر وفى يوم ٩ بالتحديد أصدر الكونجرس الامريكى قراره بشأن مشروع ايزنهاور تحت اسم (دعم السلام وتوطيد السلام فى الشرق الاوسط) وهو يخول ايزنهاور سلطة استخدام القوات المسلحة فى المنطقة ، وانفاق مبلغ ٢٠٠ مليون دولار لتنفيذ نصوص معاهدة الامن المشتركة ٠

أوفد ايزنهاور ممثله الشخصى جيمس ريتشاردز فى جولة استطلاعية بالمنطقة لحث دولها على قبول (مبدأ ايزنهاور) وسارعت اسرائيل باعلان ترحيبها وموافقتها على مساعدة الولايات المتحدة لدول المنطقة فى الاحتفاظ باستقلالها ووحدة أراضيها ، وخاصة بعد أن ضاعت هيبة بريطانيا وفرنسا بعد فشلهما فى العدوان على مصر (مما خلق فراغ القوة فى هذه المنطقة الاستراتيجية) ٠

ونشطت اسرائيل فى الدعوة لمشروع ايزنهاور وتجسيم الخطر الشيوعى كما صرح بذلك شيمون بيريز مدير وزارة الدفاع فى ذلك الوقت عندما أكد (ان وجود اسرائيل يشكل حاجزا ضد انتشار الشيوعية لا فى الشرق الأوسط فحسب ٠ بل وفى أفريقيا كذلك ٠٠٠ وان ــ تقوية ــ اسرائيل انما هو ضمان لاستقلال كثير من شعوب المنطقة) ٠

ولكن مشروع ايزنهاور لم يجد عند مصر من الترحيب ما وجده عند اسرائيل ، فقد أدرك عبد الناصر أن الامريكيين يريدون أن ينشروا مظلتهم على المنطقة ، وأن يرثوا المصالح البريطانية والفرنسية فيها ٠٠٠ ولكنه لم يكن مستعدا لقبول ذلك ، وخاصة بعد أن انسحبت القوات المعتدية فعلا ، وأصبحت قوات الأمم المتحدة تشكل ستارا دفاعيا وحاجزا سلميا بينه وبين اسرائيل ٠

ولم تجرؤ دولة عربية فى هذا المد القومى على قبول (مشروع

ايزنهاور) فقد كانت مصر قد أكدت دورها الطليعي المتميز ، وكان جمال عبد الناصر قد أصبح الاسم والشخصية التى تخفق لها قلوب الجماهير على امتداد الوطن العربى ، والتى لا يجرؤ حاكم على اتخاذ موقف مضاد له ، وهو الذى خرج منتصرا من معـــــركة العـــــدوان ، مستمرا فى تأييد ثورة الجزائر ، قاسيا فى مهاجمته لحلف بغداد ومشاريع الامبريالية المشبوهة ٠

فشل مشروع ايزنهاور فعــلا ٠٠٠ وبدأت حكومه الولايات المتحــدة تدرس استرانيجيتها وسياسنها الجديدة فى المنطقة ٠

والفشل فى مواجهة الخصم لا يعنى عدم محاولة النسرب الى صـــفوفه وتمزيق وحدته، وهكذا فعلت حكومة الولايات المتحدة عندما قررت تفتيت الجبهة العربية التى خرجت من حرب ١٩٥٦ شديدة الثقة والتماسك ٠

أخذت الحـــكومة الامريكية فى الشهر التالى مباشرة لرفض مشروع ايزنهاور ــ أبريل ١٩٥٧ ، تركز أنظارها على الاردن وتعلن عن قلقهـــا من امتداد السيطرة الشيوعية على البـــلاد ٠٠٠ ونجحت الدوائر الامريكية فى فتح ثغرة تلبت فيها الحكومة الوطنية وعزلت قيـــادة الجيش ، واضــــافت الاردن الى قائمة الدول التى تحصل على مساعدات عســــكرية (انظر الجزء الثالث من قصة ثورة ٢٣ يوليو « عبد الناصر والعرب » الباب السابع) ٠

وما أن نجحت الخطة الامريكية فى الاردن حتى حولت انظـــارها الى ســــوريا ، ولكن الخطة التى نقرر لها ان تنفذ فى اكتوبر ١٩٥٧ بتدخـــل تركى واسرائيلى لم تنجح لوعى الشعب السورى ووطنية قيـــادته واسراع جمال عبد الناصر بارسال قوات الى اللاذقية ٠

وأمام هذه المؤامرات لم يكن جمـــال عبد الناصر قد توارى فى الظل أو ارتضى لنفسه وحكومته الهدوء والسكون ٠٠٠ بل انه بدا هـــو الاخر فى تنفيذ استراتيجيته التى تحقق لمصر الاستقلال الوطنى ، وتحقق للعـــرب تضامنا قوميا مؤثرا ٠

المشكلة الاولى كانت توحيد تسليح الجيش وتدريبه وتحويله الى جيش مقاتل يمكن أن يكون سندا عند وضع اية خطة وطنية ٠

أول ضباط مصريين سافروا الى الاتحاد السوفيتى فى مارس ١٩٥٧ بأسماء مستعارة تحاشيا لنشاط المخابرات الامريكية ، وكانت الاســـلحة السوفيتية قد بدأت تتدفق منذ أكثر من سنة ٠٠ ووصل الخبراء السوفيت كما يقول الفريق عبد المحسن مرتجى فى اواخر عام ١٩٥٨ باعداد محدودة على مستوى القيادة العليا فقط ، حيث اشتركوا فى اعادة تنظيم القـــوات على أساس المدرسة والعقيدة الشرقية .

اسرائيل تجد ان وسيلتها الوحيدة للحياة والبقاء هى الارتبـــــاط بالدولة الامبريالية ــ الولايات المتحدة ــ وتعرض عليها دور المنفذ لسياستها فى المنطقة ٠

ومصر تجد أن وسيلتها الوحيدة أيضا للمحافظة على استقلالها الوطنى وبناء مجتمعها بارادة الشعب ، هو أن توطد علاقتها مع الدول الاشتراكية التى أبدت استعدادا لتزويدها بالسلاح ثم المصانع فيما بعد ٠

مواقف سياسية جديدة :

فرض العدوان الثلاثي على المنطقة واقعا جديدا ··· وبدأت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي يلعبان دورا متزايدا في المنطقة ··· وتحدد موقف الدول العربية من اسرائيل باعتبارها دولة معتدية ··· تحتل جانبا من أرض فلسطين ، ولاتكتفي بذلك فتهجم على مصر وتحتل جانبا من أرضها·

ومع ذلك فانه عندما سألت المسز دوروثي طومسون جمال عبد الناصر في يناير ١٩٥٧ خلال حديث نشرته (مجموعة أنصار السلام المصريين) منقولا عن مجلة (البوليس المصرية) قائلة :

(سألت الرئيس صراحة هذا السؤال : هل تنوى تدمير اسرائيل ؟ انهم يقولون ان هذا هو هدفك) ·

أجاب (انني اتحدى مسيو موليه ومستر سلوين لويد ان يجدا في كافة خطبي وتصريحاتي كلمة تشير الى انني أنوى تدمير اسرائيل) ·

ونشرت وثيقة أنصار السلام أيضا فقرة أذيعت من اذاعة القاهرة يوم ٢٧ مارس ١٩٥٧ توضح المواقف السلامي لمصر وتقول :

(ان الجلاء عن غزة وشرم الشيخ يضع نهاية لعملية غزو مصر ، ومصر الآن مستعدة لحل أي مشكلة معلقة بوسائل سلمية ··· وللحقيقة فان موقف مصر كان سلاميا قبل واثناء وبعد العدوان) .

واذا كان بن جوريون قد افلح فيتخريب محاولات السلام الاولى معموشي شاريت ، فان الوقت والظروف لا تعتبر متأخرة ·

عندما وقع العدوان على مصر حلت (اللجنة العربية الاسرائيلية) التي شكلت في باريس من يوسف حلمي وآخرين كما اوضحنا في الفصل الاول ، وارسل يوسف حلمي برقية تأييد لجمال عبد الناصر في حربه العادلة ضد المعتدين كما أرسل نداء للشعب الاسرائيلي يفسر فيه تورط الحكومة الاسرائيلية في العدوان ، ويوسف حلمي كان يفرق كثيرا بين شعب اسرائيل وبين سياسة حكومته ··· كما أرسل خطابا حادا مفتوحا للحكومة الاسرائيلية يدين تصرفاتها العدوانية نشرته الصحف الفرنسية ·

وقد عاد يوسف حلمي اولسكرتير للمجلس المصرى للسلام الىالقاهرة عقب العدوان عام ١٩٥٧ بعد أن كان قد غادر القاهرة خلال ازمة مارس ١٩٥٤ ، عاد يوسف حلمي ليواجه موقفا جديدا في مصر ·

كان يوسف حلمي أحد المؤسسين الرئيسيين لحركه السلام في مصر وانتخب سكرتيرا لها بارادة أعضاء المجلس المصرى للسلام الذى كان يرأسه محمد كامل البندارى سفير مصر في موسكو ·

وكانت حركة السلام تصدر منذ انشائها قبل الثورة مجله (الكاتب) الاسبوعية التي نافست في التوزيع المحلي معظم المجلات التقليدية ، وسبقت غيرها في السودان ·· كما كانت حركة تستمد وجودها وقوتها من الجماهير التي تناضل ضد الحرب الباردة واخطار السياسه الامريكية التي تبناها جون فوستر دالاس وزير الخارجية وعرفت بسياسه حافة الهاوية ·

ورغم تعطيل الحكومة لمجلة (الكاتب) ضمن عدد من المجلات والجرائد أثناء سنوات الصدام بين حركة الجيش والقوى السياسية المختلفة كما ذكرت تفصيلا في الجزء الاول (قصة ثورة ٢٣ يوليو) ·· فقد ظلت حركة السلام

قائمة تناضل من أجل أهدافها الانسانية ٠٠ ولم تتوقف رغم خروج يوسف حلمى من مصر بعد ملاحقة السلطة له ، ودخول سعد كامل الى السجن ٠

وكان عبد الرحمن الشرقاوى قد تولى أعمال السكرتير بالنيابة خلال تواجد يوسف حلمى فى الخارج ٠

ويقول عبد الرحمن الشرقاوى انه قد أسلم العمل ليوسف حلمى فور عودته ليكون سكرتيرا عاما للسلام كما كان وكما عرفه الناس ٠

ولكن تيارات جديدة بدأت تتحرك ضد يوسف حلمى باصابع السلطة التي لم تكن لتسمح بوجود هذه الحركة التي ولوانها ليست حزبا سياسيا الا أنها تجمع الناس حول قضايا سياسيه يأتى السلام فى مقدمتها ٠

وكان محمد كامل البندارى قد اسلم رئاسة المجلس للدكتور ابراهيم رشاد أبو التعاون فى مصر ووكيل وزارة الشئون الاجتماعيه السابق ٠

أرادت الحكومة أن تفرض العسكريين ايضا على هذه الحركه الشعبية واختارت خالد محيى الدين ، وهو الذى كان قد عاد من الخارج واعطيت له رئاسة تحرير جريدة المساء ٠٠ ولكنه لم يستطع ان يصل الى منصب السكرتير العام عن طريق الانتخاب ٠ لانه لم يكن فى الاصل عضوا فى المجلس المصرى للسلام ٠ كما أن أعضاء المجلس كانوا يريدون تحاشى فرض السلطة لشخص معين عليهم رغم أن خالد محيى الدين كان ذا وجه تقدمى ٠

ولم يعد باقيا سوى التدخل السافر من جانب الحكومه بصورة قرار بتشكيل المجلس المصرى للسلام ، ظل الدكتور ابراهيم رشاد رئيسا له واصبح خالد محيى الدين سكرتيرا عاما ٠٠ وابعد عن المجلس عدد من رواده ومؤسسيه الاوائل مثل يوسف حلمى وسعد الدين كامل وعبد الرحمن الشرقاوى والشاعر كمال عبد الحليم والفنان حسن فؤاد ٠

وهكذا لم يعد فى مصر أى نشاط يمكن ان يقترب من السياسة ، وهى تسيطر عليه أو تخضعه لارادتها عن طريق فرض اعضاء مجلس الادارة عليه٠

وابتعد يوسف حلمى عن المجلس المصرى للسلام ، بعد أن ابعد عنه ، وعاش يرقب فى صمت سلوك بعض الذين وضعوا أيديهم فى يده خلال نضال مشترك ٠٠ ولم يشأ القدر له أن يعانى مزيدا من العذاب النفسى ، فاقتحم عليه حياته مرض خطير انتهى به الى الموت وهو اكمل مايكون شبابا وأعلى ما يكون همة ، وأصفى ما يكون نفسية ٠

مات يوسف حلمى ٠٠ بعد ان اثرت مواقفه الشجاعة فى تغيير رؤية الكثيرين من اعداء السلام داخل اسرائيل ٠٠ وبعد ان وقف فى حزم ووضوح الى جانب جمال عبد الناصر بعد ان نجحت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية فى تخريب محاولات السلام ٠

وتوضيحا لروح السلام أجاب جمال عبد الناصر على سؤال محدد للكاتب الامريكى وليام أتورد نشر فىالديلى اكسبريس يوم ١١ يونيو ١٩٥٧ :

سواء دمرت اسرائيل أو طلبت السلام ، ماهو الحل الذى تختار ؟ وتحت أى شروط توافق لوضع نهاية لحالة الحرب مع اسرائيل ؟

وقال جمال عبد الناصر :

ـــ أننى لم أتحدث مطلقا عن تدمير اسرائيل .. واى تسوية شاملة يجب ان تأخذ فى الحسبان حقوق العرب اللاجئين ومشاكل الحدود ...

ومن الجانب الاسرائيلي فانها يجب ان تأخذ في الاعتبار حقوقها فيإستخدام القناة وخليج العقبة، انني لا أعرف متى تكون هذه التسوية الشاملة ممكنة.

وعبد الناصر في ذلك يؤكد قناعته في الاعتراف باسرائيل كدولة فرضتها الظروف وزرعتها في المنطقة .

وفي احدى جلسات جمال عبد الناصر مع اعضاء امانة الاتحاد الاشتراكي في تاريخ لاحق (٢٣ فبراير ١٩٦٥) اثار احد الاعضاء قضيةمتعلقة بتداول كتاب يدرس الاوضاع النقابية في اسرائيل وينتقد ذلك ، وعبد الناصر يلح على ضرورة دراسة الاوضاع في اسرائيل على اساس علمي دقيق .

واستنكف العضو ايراد اسم اسرائيل مسبوقا بكلمة دولة ، وكنا قد اعتدنا بعد عام ١٩٤٨ أن نقرن اسم اسرائيل في الكتابة والاذاعة بلقب (المزعومة) ورد عليه جمال عبد لناصر باستفاضة ووضوح :

انت لانستطيع في الواقع القول بأن اسرائيل ليست دولة .. ان اسرائيل دولة تعترف بها الدول ، واما اذا كنا نحن لا نعترف بها فان ذلك لايمنعنا من التعرف على كل انظمتها ، وحين نتكلم عن اسرائيل فاننا يجب أن نعتبرها دوله .. وأود ان أشير الى انني دائما لأقول اسرائيل المزعومة أو دولة العصابات لاننا في هذا تكون كمن يضحك على نفسه)

. واستشعرت اسرائيل التي أجبرت على الانسحاب ان منواجبها خلق استراتيجية جديدة تزداد فيها التصاقابالولايات المتحدة بعدفشل (مشروع ايزنهاور) وفشل خطة الاعتداء على سوريا في اكتوبر ١٩٥٧ كما ذكرنا ، والتي انتهت برد فعل عكسي اثمر الوحدة بين مصر وسوريا في (الجمهورية العربية المتحدة في فبراير ١٩٥٨) .

وكانت ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ في العراق ، وتدخل الاسطول السادس الامريكي في لبنان ، ووصول قوات بريطانية الى الاردن ، فرصة لاسرائيل للضغط من اجل زيادة ارتباطها بحكومة الولايات المتحدة والحصول على الاسلحة منها ، حيث لعبت على التناقض بين السياسه الامريكيه والعربية .

اسرع شيمون بيريز في اغسطس ١٩٥٨ الى الولايات المتحدة يحمل قائمة بالاسلحة والمعدات المطلوبة لاسرائيل ، غير ان الولايات المتحدة طلبت مهلة للدراسة .

وفي مارس ١٩٦٠ عقب الازمة التى نشأت بين اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة حول المنطقة المنزوعة السلاح على الحدود السورية ،سافر بن جوريون الى الولايات المتحدة طالبا من ايزنهاور صواريخ هوك (لتحمى اسرائيل من الوحدة العربية التى حاصرتها من الشمال والجنوب ، وجعلت سماءها مطوقة بدولة واحدة هي الجمهورية العربية المتحدة) .

ولكن ايزنهاور لم يبت أيضا في هذا الطلب حيث كانت مدة رئاسته على وشك الانتهاء. وأشار الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل عام ٦١/١٩٦٠ الى مدى الدعم الامريكي لاسرائيل في فقرة جاء فيها :

(ان الولايات المتحدة تؤكد في بيانها من جديد موقفها من اسرائيل وتنوه بأن وجود اسرائيل وازدهارها جزء لايتجزأ من السياسة الخارجية الامريكية كما تقدر حكومة الولايات المتحدةمحاولة اسرائيل تدعيمسياستها

وضمان مستقبلها السياسي • وهي مستعدة لزيادة مساعدتها الفعاله من أجل تحقيق هذين الهدفين)

هـذا التوجه الاسرائيلي نحو امريكا كان محسوبا بعد تغيير نظام الحكم في فرنسا خلال مايو ١٩٥٧ ووصول ديجول الى الحكم بعد ثورة الجنرالات، واختفاء معظم أصدقاء اسرائيل القدامى من العسكريين والسياسيين الذين شاركوا في مؤامرة العدوان الثلاثي •

أنهى ديجول وجود ممثل اسرائيلي خاص في وزارة الدفاع الفرنسية قائلا : (ان فرنسا دولة مستقلة ولن تسمح لبعثات خاصـة بأن ترابط في وزارة الدفاع الفرنسية) ، وطلب في رسالة الى عبد الناصر اقامه علاقات جديدة مع العالم العربي •

ومع ذلك فان بن جوريون زار فرنسا في يونيو ١٩٦٠ لاتمام صفقـة شراء طائرات ميراج جديدة بدأ التفاوض من اجلها عام ١٩٥٩ •

واعتمدت اسرائيل أيضا على التسلح من ألمانيا الغربية بتصريح خاص من الولايات المتحدة عقب زيارة بن جوريون لواشنطن في مارس ١٩٦٠ •

وكانت أول صفقة أمريكية تقرر ارسالها الى اسرائيل ، صـفقة من صواريخ (هوك) المضادة للطائرات عقب زيارة بن جوريون الى أمريكـا واتفاقه مع الرئيس جون كنيدى على ذلك صيف عام ١٩٦١ •

وبدأت سلسلة من الخطابات المتبادلة بين كنيدى وعبد الناصر يمكن الاطلاع عليها في كتاب محمد حسنين هيكل (عبد الناصر والعالم) ••ولكن تبادل هذه الخطابات التى تعرضت من جهة عبد الناصر لحقـوق اللاجئين الفلسطينيين كما ورد في خطابه بتاريخ ١٨ اغسطس ١٩٦١ الذى جاء فيه : (كان هدفي أن اشرح لكم ان حق اللاجيء الفلسطيني مرتبط بحق الـوطن الفلسطيني وأن بقية الاركان العربية لايمكن أن تعزل نفسها عن العـدوان الذى انقض على واحد منها بسبب واضح هو أن هذا العدوان – فضلا عن كل مايعنيه التضامن العربي – يهدد الاقطار العربية الباقيه بالخطر نفسـه والمصير نفسه) •

وقد حاول بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل خلال هذه الفترة أن يعيد من جديد محاولات الاتصال مع جمال عبد الناصر عن طريق المارشال تيتو ، فأرسل اليه خطابا بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٩٦٢ كما ورد في كتـابه (العرب والفلسطينيون وانا) يدعوه فيه الى الوساطة لبدء مفاوضات بين مصر واسرائيل تستهدف عقد اتفاق سلام .. ولكن تيتو رد عليه بعد اربعة أشهر بتاريخ ١٤ أبريل ١٩٦٣ يقول (اننى اذا أخذت بعين الاعتبار الظروف الحالية في هذا الجزء من العالم ، والتوتر الذى يسود فيه ، اجد أن التدخل الخارجي لايمكن حسب رايي أن يتوصل الى النتائج المرغوب فيها) .

اعتذر تيتو واستقال بن جوريون في ١٦ يونيو ١٩٦٣ •

وفي تبادل الخطابات بين كينـدى وعبد الناصر اتضحت سـياسة الأخير غير العدوانية، ولكنها لم تمنع كيندى من الموافقة على امداد اسرائيل في نفس الصيف – كما ورد في كتاب العسكرية الصهيونية ، المجلد الاول – الذى وصله فيه هـذا الخطاب بصواريخ هوك ، وفتح باب عريض لامداد اسرائيل بالاسلحة ، وكان ذلك بداية موقف سياسي جديد في المنطقة •

الفصل الثالث

ضغوط على النظام

(تالم عبد الناصر أشد الالم من الانفصال ، فقد كانت الوحدة أول تعبير على مستوى دولى عن حلمه بالوحدة العربية ، ولم يكتب لها أن تبعث فى حياته ، ومن هنا فانه عندما سمع بتورط وكالة المخابرات المركزية فى المؤامرة ، أحس بالتاثر والدهشة معا ، ذلك انه اذا كان كيندى يتقرب منه فما الذى يدفع وكالة المخابرات المركزية للعمل ضده ؟) .

محمد حسنين هيكل
عبد الناصر ـ والعالم

لم تعرف ثورة يوليو فترة ازدهار واستقرار ، مثلما عرفت بعد العدوان الثلاثى ، وانسحاب القوات المعتدية .. ولم يحظ جمال عبد الناصر بتأييد شعبى جارف كما حظى عام ١٩٥٧ وما بعد ذلك .

كانت سنوات صعود خارقة .. رغم الهزيمة العسكرية التى تحولت الى نصر سياسى باهر .

لم يقف الناس كثيرا عند التنازلات التى قدمت ثمنا لجلاء القوات الاسرائيلية .. ولم تسلط الدعاية اية أضواء عليها ، اذ اعتبرت أمرا ثانويا لا يفسد روعة النتيجة النهائية .

وانفرد جمال عبد الناصر في قمة السلطة يشكل مجتمعه الجديد ، ومن حوله اعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين .. وقد بعد الفارق بينه وبينهم ، بعد أن اصبح شخصية عالمية يفخر بها العرب ، وتتطلع اليها حركات التحرر الوطني في العالم الثالث ، وتتوطد الصداقة بينه وبين قادة الدول .

ولم تمض عدة شهور على محاولة الامريكيين اخضاع النظام في سوريا - أكتوبر ١٩٥٦ - حتى أعلنت الوحدة بين مصر وسوريا ، وظهرت الجمهورية العربية المتحدة الى الوجود في ٢٢ فبراير ١٩٥٨ .

ولم تكد تكتمل خمسة أشهر على قيام الجمهورية العربية المتحدة حتى قامت ثورة ١٤ يوليو - ١٩٥٨ في العراق ، وبادر جمال عبد الناصر بزيارة موسكو لضمان تأييد الاتحاد السوفيتي للقوى الوطنية في المنطقة .

وبدأ الاستقطاب في المنطقة يأخذ شكلا واضحا .

وتحركت قوى الامبريالية لمساندة الانظمة الرجعية خوفا من امتداد آثار ثورة العراق .. فنزلت قوات الاسطول السادس الامريكي في لبنان ، وتحركت القوات البريطانية من قبرص الى الاردن .. وكانت هذه هي بداية (الضغوط المباشرة) التي تتعرض لها المنطقة .

ولكن القوات الامريكية لم تبق طويلا ، فقد انسحبت من لبنان عقب انتخاب فؤاد شهاب رئيسا للجمهورية بعد شمعون . ولم يكن قد مضى عليها اكثر من اربعة شهور .

وجلت بعد ذلك القوات البريطانية عن الاردن .

وعندما سأل الصحفي الهندي (كارانجيا) جمال عبد الناصر في ٢٩ سبتمبر ١٩٥٨ قائلا .

- يبدو ان الاردن التي احتلتها القوات البريطانية هي في الحقيقة الضحية الكبرى للغرب .. فما هو حل هذه المشكلة ؟

أجاب عبد الناصر :

من الصعب العثور على اجابة محددة لهذا السؤال ، ولكن المؤكد ان الشعب الاردني هو الذي يستطيع بوطنيته وحكمته ان يرسم الطريق ، ولكن الامر الذي اتضح ويزداد كل يوم وضوحا هو ان الحديث عن عملاء عبد الناصر او هيئات او منظمات تعمل لحساب عبد الناصر .. او الحديث عن عدوان مباشر او غير مباشر من جانب الجمهورية العربية المتحدة قد اصبح اكذوبة لا يكاد يصدقها حتى الذين اخترعوها انفسهم بل لعل العالم كله يرى الآن من الذي يستخدم العملاء ومن الذي يدير الاموال في الاردن .. ان ملك الاردن تسلم من الولايات المتحدة سبعين مليونا من الدولارات منذ قام بانقلابه المشهور على الحكم الوطني ، منذ اكثر من عام ، هذا الملك الآن في حاجة الى رجال المظلات البريطانيين لكي يحموه من شعبه) .

ولكن عملية الاستقطاب لم تمض في المنطقة الى غايتها ، فسرعان ما تغيرت الظروف عقب الخلافات التي نشأت بين ثورة يوليو المصرية وثورة يوليو العراقية .. والتي امتدت آثارها الى العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٩ ، وهو العام الذي تميز بظهور

الخلاف بين عبد الناصر والشيوعيين العرب تم اعتقال الشيوعيين المصريين ، وتبادل الاتهامات بين جمال عبد الناصر وخروشوف .

وتلقفت حكومة الولايات المتحدة هذه الخلافات محاولة توسيعها والاستفادة منها فى محاولة للنفوذ الى مصر من جديد ، بعد ان ارتكب دالاس خطأه الكبير بسحب تمويل السد العالى ، ومحاولة أمريكا فرض مشروع ايزنهاور .

ووصل الخلاف مع الاتحاد السوفيتى من جهة ، والتقارب بين مصر وامريكا من جهة اخرى الى حد تحويل ٢٤٠ طالبا كانوا يدرسون فى الاتحاد السوفيتى الى الولايات المتحدة .

واستصدر الامريكيون القانون رقم ٤٨٠ الذى أتاح لهم فرصة امداد مصر بالقمح وغيره من المساعدات الاخرى .. واستمر الامر كذلك بعيدا عن صخب الدعاية مدة عامين كاملين ١٩٥٩ ، ١٩٦٠. تسلم بعدها جون كنيدى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية ، وبدات بينه وبين جمال عبد الناصر سلسلة من الخطابات المتبادلة تناقش المشاكل المحلية والعالمية .

وكانت مشكلة اسرائيل محورا من محاور النقاش كما يتضح فى الخطاب الذى كتبه جمال عبد الناصر يوم ١٨ اغسطس ١٩٦١ والمنشور فى كتاب محمد حسنين هيكل (عبد الناصر والعالم) ، ردا على خطاب كنيدى فى مايو ١٩٦١ الذى قال فيه :

(اننا لعلى استعداد للمساعدة فى حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين الماساوية على اساس مبدا اعادة التوطين او التعويض عن الممتلكات ، وعلى المساعدة فى ايجاد حل منصف لمشكلة تنمية مصادر مياه نهر الاردن ، وان نقدم عوننا لاحراز التقدم فى الجوانب الاخرى من هذه المشكلة المعقدة) .

ويبدو ان حكومة مصر قد تصورت أن هناك بابا قد فتح لحل مشكلة فلسطين ، فبادرت وزارة الخارجية بارسال النشرة رقم ٢٧ / ت لسنة ١٩٦١ بتاريخ ١٠ أغسطس الى بعثات التمثيل الدبلوماسى والقنصلى للجمهورية العربية المتحدة بالخارج الحاقا لنشرة سابقة صدرت فى اول اغسطس .

تقول النشرة :

نود الاحاطة بما يلى :

١ ــ لم يطرأ أى تغيير فيما سبق وجاء فى النشرة المذكورة أعلاه ، وتود الوزارة أن تؤكد مرة أخرى ضرورة مراعاة عدم الخوض فى موضوع اللاجئين الفلسطينيين قدر الامكان ، وخاصة فى الولايات المتحدة الامريكية والدول المرتبطة بها .

وتدون النشرة فى نهايتها ملاحظة تقول :

ان وزارة الخارجية تتشرف بافادتكم انها اذ ترسل اليكم هذه التعليمات انما تهدف من وراء ذلك الى التسهيل على سير المفاوضات التى تدور الآن فى جو هادىء وبالطرق الدبلوماسية مع حكومتنا وحكومة الولايات المتحدة الامريكية لحل قضية اللاجئين الفلسطينيين .

ان هذه المفاوضات تتقدم بصــــورة مرضـــية وقد اظهرت الحكومة الامريكية نيتها الحســـنة نحونا وذلك بتوقيعها على اتفاقية تبادل فوائض السلع التموينية معنا ، وعدم اثارة موضوع اللاجئين ســـاعد كثيرا على سير المفاوضات فى الطريق المرغوب ٠

التوقيع : وكيل الخارجية ـ محمد حافظ اسماعيل ٠

كان هذا التقارب يتم بعد صدور قوانين يوليو ١٩٦١ ، واثناء صدور الميثاق ، ووضوح اتجاه التحول الاجتماعى نحو الاشــتراكية ، وهى أمور لا ترضى فى مضمونها الامبريالية الامريكية ، ولا الرجعية العربية ٠

وسرعان ما انتهت فترة الهدوء التى نعم بها جمال عبد الناصر ونظامه ، بعد انســحاب القوات المعتدية عام ١٩٥٦ ، وتمصير الممتلكات البريطانية والفرنسية ، ورفض الدول العربية جميعا لمشروع ايزنهاور ، واعلان الوحدة وظهور الجمهورية العربية المتحـــدة ، وعــدم تردى الامور مع الاتحــاد السوفيتى الى الحضيض رغم خلافات ١٩٥٩ فقد عبرت الدولتان الجفـــوة بالاتفاق على اتمام المرحلة الثانية للسد العالى ، ومواصلة التعـاون الفنى والاقتصــادى ، وكذلك عودة العلاقات مع الولايات المتحدة الامريكية الى طبيعتها بعيدا عن التوتر، واستقرار الهدوء على الحدود المصرية الاسرائيلية٠

سرعان ما انقضت هذه الفترة من الهدوء والانتصــــار ، ووقعت الجمهورية العربية المتحدة ونظامها التقدمى تحت ضغوط شديدة مختلفة ٠

الانفصـــال :

كان انفصال سوريا عن مصر ، وفشل أول تجربة للوحدة ، أول هزيمة سياسية تلحق بجمال عبد الناصر ، بعد سنوات صعود خارقة ٠٠

وقع الانفصــال فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ بعد شهرين تقريبا من اعلان قوانين يوليو الاشتراكية ، وكان ذلك تأكيدا بأن الرجعيين الذين عارضــوا هذه القرارات ، قد قرروا رفض الاستكانة للنظام الذى حقق للبرجوازية فى سوريا نموا واستقرارا لم نشهده فى ســنوات الانقـــلاب المتعددة (أربع انقلابات فى خمس سنوات من ١٩٤٩ الى ١٩٥٤) ٠

نجحت أول محاولة انقلابية تمت فى عهد الوحدة ٠٠ فلم تكن هناك محاولات جادة سابقة ، ولم يحاكم ضابط سورى بتهمة تدبير انقلاب ٠

كان السبب الرئيسى فى ذلك هو تفريغ الجيش من الضـــباط الذين توافرت لهم ميول أو ارتباطات سياسية ســـواء من البعثيين أو الشيوعيين أو أصحاب الميول الاخرى ، بعد أن قطعت ثورة يوليو خيوط الاتصال بينها وبين الاحزاب السياسية التى لعبت دورا وطنيا فى حياة الشعب السورى ٠

وقد اعترف جمال عبد الناصر بهذا الخطأ اثناء محادثات الوحـدة الثلاثية عام ١٩٦٣ عندما قال (ان حل الاحزاب الســـورية على اختلاف مشاربها سار بسرعة شديدة (وماكانش صح) على حد تعبيره ٠٠

وقال ايضا فى نفس المحادثات (احنا فى سنة ١٩٥٨ كان لازم اتبعنا أسلوب آخر وهو حل الاحزاب التى لا تتفق فى الهدف ، ثم تجميع الاحزاب

الاخرى التى تجمعها وحدة الهدف ·· الاحزاب القومية تكون هى الطلائع الثورية فى جبهة قومية تسير على هدف واحد) ·

لم يبق فى الجيش الســورى الا الضباط الذين لم تكن لهم ارتباطات سياسية نشطة فى الماضى ·· وكانت تجربة تفريغ الجيش المصرى من العناصر المهتمة بالسياسة بما فيهم معظم الضــــباط الاحرار ، قد طبقت فى الجيش السورى ايضا ·

وكانت الرجعية السورية قد استكانت لنظام الوحدة لما وفره لها من استقرار وارباح ·· ولابعاده شبح حدوث تغيرات اجتماعية حادة يتعــاون فى قيادتها البعثيون والشيوعيون والديموقراطيون التقدميون ··

ولكن صدور قوانين يوليو فجر كل التناقضات التى كانت نائمة تحت السطح ، ودفع العناصر الرجعية فى الجيش وخارجه الى التحرك والمغامرة ، فى وقت كان اسلوب الحكم فيه قد خلق مقاومة ضـــد تصرفات القيادات المسئولة فى القوات المســلحة ، ووزارة الداخلية التى اتسمت تصرفاتها بالبعد عن الانسانية فيما اشــتهر عنها من اعتقالات وتصــفيات بدنية للمعارضين ، كما حدث مع الشهيد فرج الله الحلو سكرتير الحزب الشيوعى اللبنانى الذى اعتقل وقتل وأذيب جسده فى الاحماض لضــياع معـــالم الجريمة ·

وانتهزت العناصر الرجعية وقوع خلاف بين المشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية وعبد الحميد السراج وعجز جمال عبد الناصر عن التوفيق بينهما ، ثم استقالة السراج من منصـــبه وهو الذى كان قد وفر أجهزة امن تسربت الى معظم قطاعات المجتمع ، وفجأة لم تعد لها قيادة ·· وتحركت هذه العناصر لتوجيه ضربتها لأول تجربة للوحدة فى تاريخ العرب الحـديث ·

كان عبد الحكيم عامر موجودا فى دمشـــق وقت وقوع الانقلاب ·· وبعض الذين شـــاركوا فيه كانوا اعضـــاء فى هيئة مكتبه (عبد الكريم النحلاوى) ، وكان هذا دليلاً على قصر نظره ، وعدم ادراكه بالاخطـــار المحيطة به ، وانتهاجه اســلوبا بعيدا عن الثورية والقدرة على توجيـــه الامور ·

عدد الضباط الذين شاركوا فى الانقلاب كانوا ٣٧ ضـــابطا فقط ·· وهى قلة ضئيلة جدا ما كان يمكن لها ان تنجح لو كان فى الجيش ضــباط ثوريون من ذوى المبادىء الوحدوية والتقدمية ·

وثبت ان احد زعماء الانقلاب (حيدر الكزبرى) كان على صلة وثيقة بالنظام الاردنى والملك حسين الذى امده بالمال والتأييد ··

وكان الملك حسين والملك سعود قد اتفقا على ضرب الوحدة ·· وثبت فيما بعد أن الملك ســـعود قد مول الانقلاب بمبلغ ١٢ مليون جنيه كما صرح الملك نفسه بعد عزله من عرشه ولجوئه الى مصر ، وثبت ايضا بعد سقوط حكومة الانقلاب الاولى وتقديم بعض اعضائها للمحاكمة فيما عرف باســم

(قضية الدندشي) ان عملاء المخابرات المركزية الامريكية قد لعبوا دورا في مؤامرة الانفصال ·

كانت قمة الاتحاد القومي قد اسهمت في المؤامرة أيضا ، فقد عين مأمون الكزبري سكرتير الاتحاد القومي في دمشق رئيسا لوزراء حكومة الانفصال ، وله سابقة معروفة في تاريخه فقد عين رئيسا للجمهورية السورية لمدة ٢٤ ساعة بعد انقلاب الشيشكلي في محاولة لاستمرار خطه واسلوبه ، ولكنه أبعد امام ضغط الاحزاب الوطنية التي استولت على الحكم بعد ابعاد الشيشكلي ·

والغريب ان مأمون الكزبري كان صديقا شخصيا لعبد الحميد السراج ·

وعندما عرف بعض الضباط الوطنيين الذين شاركوا في عملية الانفصال الدور الذي قام به حيدر الكزبري متعاونا مع النظام الملكي في الاردن قاموا باعتقاله في سجن المزة ·

اثبتت عملية الانفصال التي تمت بسرعة خارقة خلال ٢٤ ساعة ان هناك تدبيرا عريضا شمل المخابرات المركزية الامريكية ، والنظامين الملكيين في السعودية والاردن ، والعناصر الرجعية داخل اجهزة الحكم وقواته المسلحة ·

وفقد جمال عبد الناصر سوريا في غمضة عين ، وهو الذي كان يعشقها عشقا خاصا ، ولا تضيع من ذاكرته استقبالات الشعب السوري له وحمل عربته فوق الاكتاف في حلب ·· وحاول في اللحظات الاخيرة ان يتدخل عسكريا لمنع اتمام الانقلاب ولكنه تراجع عن ذلك امام وضوح الموقف له بعد انتقاله الى مكتب مدير الاذاعة لاول مرة في حياته ·

كانت صدمة شديدة لعبد الناصر ··

ويعبر محمد حسنين هيكل في كتابه (عبد الناصر والعالم) عن حالة جمال عبد الناصر في هذه الفترة بقوله :

(تالم عبد الناصر أشد الألم من الانفصال ، فقد كانت الوحدة أول تعبير على مستوى دولي عن حلمه بالوحدة العربية ولم يكتب لها ان تبعث في حياته ، ومن هنا فانه عندما سمع بتورط وكالة المخابرات المركزية الامريكية في المؤمرة ، احس بالتأثر والدهشة معا ، ذلك انه اذا كان كنيدي يتقرب منه فما الذي يدفع وكالة المخابرات المركزية الى العمل ضده ؟) ·

الضغوط على النظام كانت تنبعث إساسا من المخابراب المركزية الامريكية رغم العلاقات الحسنة ظاهريا بين جمال عبد الناصر وكنيدي ·

ولا شك ان أول هزيمة سياسية يتعرض لها جمال عبد الناصر قد أفقدته الكثير من شعبيته المدعمة بانتصارات متتالية ، وأوضحت له ان طبيعة نظامه ليست مستقرة على أسس راسخة ··

وفي هذه الفترة الحرجة التي اعقبت الانفصال تلقى عبد الناصر في نوفمبر رسالة شفوية من كنيدي عن طريق السفير جون بادو يشير فيها الى ما اسماه (سباق التسلح) في المنطقة ، والى ان بعض

اعضاء مجلس الشيوخ الامريكى يدعون ان امريكا تساعد عبد الناصر على شراء الاسلحة ، وحجتهم فى ذلك ان اعطاء القمح لمصر بناء علـى القانون الامريكى ٤٨٠ يمكن عبد الناصر من توفير عملة صعبة لشراء الاسلحة ٠

وكانت مدة الاتفاق على القانون قد أوشـكت على نهايتها (ثلاث سنوات بدأت عام ١٩٥٩) ٠

بدأ عبد الناصر يرتاب فى صدق نوايا كنيدى ، كما يقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) حيث مرت لحظات (كان يعتقـد خلالها ان الفوضى مقصودة لتتيح لذراع من ذراعى حكومة الولايات المتحدة ان تتبع سياسة ودية يقصد منها ان تكون سـتارا ، بينما تعمـل الذراع الاخرى ضد مصر) ٠

ولم يكن الانفصال هزيمة لحلم الوحدة العربية فقط ، ولكنه كان ضربة شديدة للموقف العربى تجاه اسرائيل ٠

قبل ايام من الانفصال كان جمال عبد الناصر يخطب فى شباب وعمال سوريا يوم ١٧ اغسطس ١٩٦١ ويقول لهم انه يقرأ ما تذيعه محطة اسرائيل ويجد كل توجيهها وهدفها هو اثارة الاقليمية (لان اسرائيل تعتبر الوحدة خطرا عليها ، وان معنى الوحدة العربية فناؤها ، وان بقاءها قد يطول اذا استمر الخلاف فى داخل الامة العربية) ٠

ولكن الخلاف وصل الى الانفصال فعلا ، وتحطمت الكماشة العربية التى كانت تحيط باسرائيل ، وتستطيع ان تطبق عليها عسكريا ٠
وظهرت الى السطح الخلافات المصرية السـورية حول الموقف من اسرائيل خلال اجتماع الجامعة العربية فى شتورا صباح ٢٢ اغسطس ١٩٦٢ والذى حضرته وفود ١٢ دولة ، وتخلفت العراق ولم ترسل وفدا ٠

انضم امين النافورى الضـابط ووزير الوحدة السـابق الى الوفد السورى فى الجلسة السادسة ليواجه زملاءه أكرم ديرى وجادو عـز الدين اعضاء وفد الجمهورية العربية المتحدة ، وبدأ حديثه باتهام مصر بالتخاذل لقبولها قوات الطوارىء الدولية ، مسفها قول المشير عامر بان هـذا يوفر على مصر تكاليف المواجهة الى ان تستعد مصر تماما لمناطحة اسرائيل ٠

ويتمادى أمين النافورى فى هجومه فيتهم مصر بأنها تسـاعد اسرائيل بطريق غير مباشر عنـدما تتقاعس فى الهجوم عليهـا ، وتدخل فى ذلك حسـابات عبر عنها انها ـ غير صحيحة ـ ودلل على ذلك بقوله (القذف الجوى بأحسن الشروط وعلى الارتفاعات المتوسطة لا يحدث تخريبا اكثر من ٥ فى المائة فى المطارات وفى الاجهزة ، واذا ما تدخلت الطـائرات المقاتلة انعدمت فعالية القذف الجوى لاعتبارات نفسية وانسانية تتعلق بالسـلامة الشخصية لافراد القاذفات) ٠٠ ويؤكد امين النافورى رأيه بالقول (وعلى كل حال حسب معلوماتى ان قوات الجمهورية العربية المتحدة تستطيع سحق اسرائيل حتى ولو دعمت بالمساعدة الفرنسية التى كانت عام ١٩٥٦ ، وهى

فرقة مدرعة خفيفة ولواء جوى) .

وانطلاقا من هذا المنطق الذى نشرته كاملا فى الجزء الثالث من قصة ثورة ٢٣ يوليو (عبد الناصر والعرب) .. هاجم أسعد محاسن عضو الوفد السورى مصر وقال (ان حياد القاهرة الايجابى هو بين اسرائيل والعرب فقط) .. وتناسق ذلك مع حملة الدعاية السورية المضادة لحكم القاهرة والتى وصلت قمتها باتهام اكرم الحورانى لجمال عبد الناصر (بالتخاذل وتنفيذ المخططات الامريكية فى المنطقة ومساعدة اسرائيل بطريق غير مباشر) .

كانت قضية الخلاف هى محاولة اسرائيل تحويل مجرى نهر الاردن ، وقد نقلت فى (عبد الناصر .. والعرب) بعض ما دار فى جلسة المناقشة كما وردت على لسان امين النافورى فى البيان الذى أدلى به فى مؤتمر شتورا .

وأعيد نشر بعض ما سبق ذكره لأدلك على انه كان هناك خلاف عميق فى اسلوب التعامل مع اسرائيل بين حكام مصر والمسئولين فى سوريا .

قال المشير عامر (ان الذى يخشاه ليس اسرائيل ، بل القوات الغربية التى تدعم اسرائيل) ونوه بالعدد المتزايد لقوات اسرائيل .

فأجبته – أى امين النافورى – (اننا نعرف قوات اسرائيل معرفة دقيقة ، ونعرف جيدا العدد الصحيح الذى تستطيع تجنيده من النساء والرجال ، ولدينا سجلات عن امكانيات اسرائيل العددية ، ولا يتجاوز الخطأ فيها نسبة ٥ فى المائة ، وليس هناك ما يقلق ابدا من جهة اسرائيل ، سواء كان من حيث عدد القطعات او من حيث التجهيز والمعدات) .

وهكذا يتبين ان التبسيط كان طابع المناقشة ، وان الرغبة فى التجريح كانت الدافع الحقيقى لاثارة هذه القضية الشديدة الحساسية والبالغة السرية فى اجتماعات علنية عامة ، لا ينجم عنها سوى الاساءة لنظام مصر ، ووضعه تحت ضغط المزايدة والمبالغة .

ولكن العقلاء فى سوريا لم يتركوا الامور تتردى الى الحضيض ، ولم تدفعهم شهوة الاساءة لعبد الناصر الى اشاعة البلبلة فى النفوس ، فقد نشر صلاح البيطار فى جريدة البعث يوم ١٨ اغسطس ١٩٦٢ مقالا عن تحويل مجرى نهر الاردن قال فيه :

(من حق الناس ان يسالونى : هل تكون عندك خلال هذه المناقشات ومن خلال الحوادث التى تعاقبت فيما بعد شهور ان عبد الناصر او المشير او الحكم فى الجمهورية العربية المتحدة يخطط لتصفية القضية الفلسطينية ؟

وجوابى : لا ، وهو ذات الجواب بالنفى الذى كنت اعلنه فى عهد الوحدة والذى اعلنته فى عهد الانفصال) .

وانتهى تناطح شتورا بانقلاب مارس ١٩٦٣ الذى قاده البعث وتولى فيه صلاح البيطار رئاسة الوزارة السورية والذى بادر بارسال كتاب الى امين الجامعة العربية يطلب فيه باسم حكومة الجمهورية العربية السورية اعتبار شكواها السابقة ضد مصر كأنها لم تكن وترجو حذفها من جدول

اعمال الدورة الاستثنائية لمجلس جامعة الدول العربية ·
طويت صفحة الذين دبروا الانفصال ، وتحسنت علاقات القاهرة مع دمشق ، ولكنها أبدا لم تعد الى ما كانت عليه قبل الوحدة من حيث تزاوج القوات المسلحة ، وتوحيد الخطط ، ووحدة القيادة فى المعركة ضد الامبريالية الامريكية والصهيونية التوسعية ·
واستمر الانفصال ندبا غائرا فى جبهة الجمهورية العربية المتحدة التى احتفظت بالاسم تعبيرا عن سـمو الهدف ، ولكنها فى الحقيقة كانت مصر فقط ·

وعندما سقط عبد الكريم قاسم فى العراق (فبراير ١٩٦٣) وسـقط حكم الانفصال في سوريا بعد شهر واحد ، بدأت محادثات الوحدة الثلاثية التى لم تصل الى نتيجة ايجابية ، لما تركته تجـربة التعامل بين ثورة يوليو وحزب البعث من اثار نفسية وسياسية فى كلا الطرفين ·
ولم يؤد الانتصار فى الجبهة الشرقية الى تلاحم حقيقى مـع مصر ··
وظل الانفصال شبحا يهدد أى خطوة وحدوية جديدة ·· وقيدا يعرقل حركة ثورة يوليو فى هذا الاتجاه ·· وضغطا سياسيا يعانى منه النظام ·

ثـورة اليمن ··

قبل ان يكتمل العام بيومين على انفصال سوريا من الجمهورية العربية المتحدة ، اذاع راديو صنعاء فى الخامسة مسـاء يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ بيانا أول تعلن فيه قيادة الجيش سـقوط الملكية فى اليمن وقيام الجمهورية العربية اليمنية ·
ولم يكن الامر مفاجئا لجمال عبد الناصر وعدد من ضباط المخابرات ، فقد كانت هناك صلات بين بعض الثوار اليمنيين وبعض المسـئولين فى القاهرة ·
وارسل قادة الثورة اليمنية وفدا الى مصر لطلب المساعدة من جمال عبد الناصر فى الايام الاولى للثورة ·· ويقول حسن ابراهيم ان جميـع اعضاء مجلس قيادة الثورة لم يعترضوا على فكرة مساعدة الثورة اليمنية عندما عرض جمال عبد الناصر الامر عليهم بصفتهم الشخصية ·
كانت قيادة الثورة بعد مرارة النكسة تبحث عن انتصار سياسى يعيد لها التألق ، والكلمـة المؤثرة فى الوطن العربى ·· ولذا كان التردد أمـام مساعدة الثورة اليمنية أمرا غير مفهوم ولا مقبول ، وخاصة انه لم يكن امـام الحركة الانقلابية فى صنعاء من سبيل لدعم موقفها سوى ثورة يوليو ، فقد كان البريطانيون فى الجنوب والسعوديون فى الشمال ·

وصل انور السادات الى اليمن فى الاسبوع الثانى من اكتوبر حيث وقع معاهدة دفاع مشترك بين مصر واليمن ، وكانت قد وصلت قبله ٣ طائرات حربية وقوات من الصاعقة تحركت من السـويس يوم ٥ اكتوبر وافرادها يلبسون قمصانا بيضاء وبنطلونات رمادية ·· (وفى الباب الرابع من الجزء الثالث لقصة ثورة ٢٣ يوليو) تفصيل للحركة السـياسية بين القاهرة وصنعاء ·

كان نجاح الحركة الانقلابية فى اليمن ، ومبادرة مصر لمساعدتها ، نقطة تحول فى المنطقة ، بعد ان انشقت الحركة الثورية العربية بعد الخلاف مع العراق وانفصال سوريا ، فقد ظهرت فرصة لوقف المد الرجعى فى المنطقة ومنع السعودية من السيطرة على الخليج العربى ، وتحطيم نظام رجعى متهالك ، وحماية ظهر الثوار فى جنوب اليمن ضد الاحتلال البريطانى ·

ويقول زكريا محيى الدين انه لم تكن هناك مناقشة مطلقا حول مبدأ مساعدة الثورة اليمنية بارسال قوات مصرية ، وانما كان هناك حديث فقط عن بعض محاذير التورط فى الحرب ·

ولم يكن جمال عبد الناصر بالتأكيد راغبا فى تورط القوات المسلحة المصرية فوق جبال اليمن وفى اعماق الوديان ، ولكنه دفع الى ذلك دفعا ، واتخذت القوى المعادية من اليمن جرحا تستهدف به طاقات ثورة يوليو ، وتضع النظام فى القاهرة تحت ضغط شديد ·

ولم تكن علاقة مصر مع الولايات المتحدة سيئة عندما قامت ثورة اليمن ·· فالخطابات كانت مازالت متبادلة بين كنيدى وعبد الناصر رغم شكوك الاخير فى اشتراك المخابرات المركزية الامريكية فى انفصال سوريا بالتعاون مع النظم الملكية والرجعية العربية ، قبل ان تظهر قضية الدندشى صدق هذه الحقيقة بعد انهيار انقلاب الانفصال ·

كتب انطونى ناتنج فى كتابه (ناصر) يقول ان جمال عبد الناصر قد طلب من السفير الامريكى جون بادو أية ملفات عن اليمن ، ولم يجد السفير الا ملفا قديما من السفارة الامريكية فى صنعاء ·

وكانت أول رسالة يتعرض فيها كنيدى للموقف فى اليمن مؤرخة فى ١٧ نوفمبر ١٩٦٢ ويقترح فيها الاتى كما وردت فى كتاب محمد حسنين هيكل (عبد الناصر ·· والعالم) ··

١ ــ الاجلاء المرحلى والسريع للقوات الاجنبية من اليمن ·

٢ ــ انهاء العون الخارجى للملكيين ·

٣ ــ الاجلاء المرحلى والسريع للقوات التى ادخلت ــ بعد الثورة فى اليمن ــ الى منطقة الحدود السعودية اليمنية ·

واقترح كذلك ان تصدر الجمهورية العربية المتحدة بيانا تعلن فيه استعدادها للقيام بفك اشتباكها على اساس المقابلة بالمثل ولسحب قواتها بسرعة وعلى مراحل اذا انسحبت القوات السعودية والاردنية من الحدود وأوقف العون السعودى والاردنى عن الملكيين اليمنيين ·

وقد رد عليه جمال عبد الناصر فى نفس اليوم حرصا منه فيما يبدو على تأكيد اهمية الوصول الى حل لهذه المشكلة التى كانت قد بدأت تفرض نفسها على الوطن العربى ·

وقال جمال عبد الناصر انه يخرج بالخلافات العربية عن نطاقها المحلى لاول مرة ، ويستجيب لرسالته نظرا لما يعرفه واكده له السفير الامريكى جون بادو من ارتباطات كنيدى الوثيقة بالمملكة العربية السعودية ·

واشار فى خطابه الى البيان الذى أذيع من القاهرة فى الساعات الاولى من يوم ٢٧ سبتمبر (بضرورة عدم التدخل الخارجى فى شئون اليمن ، وترك الشعب العربى اليمنى حرا فى اعمال ارادته وصياغتها نهائيا على النحو الذى يريده) ·

وفتح جمال عبد الناصر صفحة التدخل السعودى الاردنى المشترك لمساندة الملكيين ضد النظام الجمهورى فى اليمن قائلا انهما قد اندفعا بهذا ـ التصور غير الصحيح ـ وخاصة الملك سعود فى محاولة لغزو اليمن ·· واشار عبد الناصر الى الطيارين السعوديين الاحرار الذين كلفوا باعمال عدوانية ضد ثورة اليمن فقادوا طائراتهم الامريكية الى القاهرة وحمولتها من الاسلحة والذخيرة معبأة فى صناديق المعونة الامريكية ·

كما صارح جمال عبد الناصر كنيدى بان الجمهورية العربية المتحدة تملك وثائق تثبت ان بعض الطيارين الامريكيين قد اشتركوا فى عمليات نقل العتاد ما بين الاردن والسعودية الى حدود اليمن ، ومع ذلك فقد التمس عبد الناصر العذر لهم لعملهم (تحت عقود ملزمة ، وفى اطار ظروف فرضت عليهم ، وربما لم تكن ابعاد المسئولية فيه واضحة امامهم) ·

ويحرص جمال عبد الناصر على توضيح رغبته فى السلام ، ومحاولته بالوسائل الدبلوماسية تحقيق ابتعاد خارجى عن اليمن ، وانه اضطر الى ارسال قوات عسكرية بناء على طلب حكومة اليمن ·

ويقول فى خطابه (ان الجمهورية العربية المتحدة لم تكن تريد حربا مع السعودية على حدود اليمن ، فان الخلاف التاريخى بين حكومة المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة ، ليس خلافا من نوع يحسمه الصدام المسلح ، انما الخلاف أعمق من ذلك ، فان جذوره ضاربة فى أعماق الأوضاع الاجتماعية السائدة فى العالم العربى) ·

لم تصل الخطابات المتبادلة الى نتيجة عملية ، ولم توفر السلام للمنطقة ··· ومع ذلك اعترفت حكومة الولايات المتحدة بالثورة اليمنية فى ١٩ ديسمبر ١٩٦٢ بينما رفضت بريطانيا الاعتراف لان ثورة اليمن كانت تشكل تهديدا للاحتلال البريطانى فى عدن ، فى وقت كانت الولايات المتحدة فيه تحاول تثبيت أقدامها فى المنطقة ·

واستمر القتال دائرا لم يتوقف بين قوات الجمهورية اليمنية تساندها القوات المصرية ، وبين قوات الامام المدعومة بالقوات السعودية والاردنية والمرتزقة ورجال المخابرات الامريكية ·

فشلت محاولات جمال عبد الناصر المتكررة لوقف القتال وسحب القوات من اليمن ، أمام الخطة المشتركة التى نفذتها السعودية فى عهد الملك سعود ثم فى عهد فيصل من بعده ·

وكان مؤتمر القمة الأول الذى عقد فى القاهرة فى ٢٣ يناير ١٩٦٤ قد اخذ توصية بتصفية الجو بين مصر والسعودية ، بعد أن كانت العلاقات

قد تحسنت بين القاهرة وعمان ، ولكن مضت الشهور دون أخذ خطـوات ايجابية فى هـذا السبيل ·

كان فيصل أميرا أو ملكا شـديد التشبث بموقفه ··· عندما قررت الجامعة العربية ارسال بعثة خاصة فى أكتوبر ١٩٦٣ لمقابلة أنصار الامام ، أقام فيصل العراقيل فى طريقهم · وعجزت البعثة عن مقابلتهم ·

واستضافت اسعودية بقايا الاخوان المسلمين المعارضين للنظـام فى مصر ·· وبعض المصريين الهاربين والمتعاونين مع وكالات المخـابرات الغربية ··· واستضافت مصر لفترة الامير طلال بن عبد العزيز الذى كان يطالب بحد أدنى من الديموقراطية فى السعودية ، وذلك بعد لجوء بعض الطيارين السعوديين والاردنيين الى القاهـرة ·

وخلال عام ١٩٦٣ أعلنت السعودية رفضها قبول المحمل وكسـوة الكعبة وهو تقليد مصرى قديم ··· محاولة بذلك اثارة المشـاعر الدينية ضد جمال عبد الناصر ·

وكان موقف مصر من السياسة العربية قد تحسن قليلا ، بعد سقوط عبد الكريم قاسم فى العراق ، وانهيار حكم الانفصال فى دمشق ، وبـدء محادثات الوحـدة الثلاثية والتحضـير لمؤتمـرات القمة العربية فى القاهـرة ·

وقام جمال عبد الناصر بزيارته الأولى لليمن بعد ثلاثة شـهور من مؤتمر القمة الأول فسـافر فى ٢٣ أبريل ١٩٦٤ ومعه عبد الحـكيم عـامر وزكريا محيى الدين وأنور السادات ·

قال لى زكريا محيى الدين انه لاحظ أهمية الدور الذى تلعبه القـوات المسـلحة المصرية فى تأمين الثورة اليمنية ، بما ترك انطباعا عنده بأن انسحاب القوات دفعة واحدة قد يؤدى الى انهيار الجمهورية ·

وكان من نتائج مؤتمر القمة أن قام عبد الحكيم عامر بزيارة عمـان فى شهر يوليو ١٩٦٤ وخلالها اعلن الملك حسين أنه سـوف يسـحب مساعداته للملكيين · وكان ذلك عقب تصريح أصدرته الحكومة البريطانية فى نفس الشهر تعلن فيه أن اليمن الجنوبية سوف تحصل على اسـتقلالها ليس متأخرا عن عام ١٩٦٨ ·

وقام الملك حسين بزيارة مصر فى شهر اغسطس ·

وهنا قدر الامير فيصل حرج موقف السعودية بعد انسحاب الاردن من قضية اليمن ، وعجز الملكيين عن تحقيق انتصار كامل على الجمهـوريين فاستجاب لروح وتوصية مؤتمر القمة التى كانت تتعارض مع ارادة الملك سعود ، فأرسل رسـالة الى عبد الناصر فى سبتمبر يبدى فيها استعداده لمناقشة وقف اطلاق النيران ·

وفى مؤتمر القمة الثانى رأس الامير فيصل الوفد السعودى بعـد أن كان الملك سعود قد رأسه فى المؤتمر الأول ··· والتقى فيصل والسلال ··· وأبلغ فيصل عبد الناصر قرب عزل الملك سعود ، الأمر الذى نفذ فعـلا فى ٣ نوفمبر ١٩٦٤ واصبح فيصل ملكا للسعودية ، وسافرزكريا محيى الدين

لتهنئته بمنصبه وكانت خطـوة فى سبيل تهدئة الموقف ··· أسفرت عن صـدور قرار أعلن فيه الطرفان يوم ٥ نوفمبر قبول وقف اطـلاق النار ، عقب اجتمـاعات كانت قـد تمت بين الملكيين والجمهـوريين فى اركـويت بالسودان خلال شهر اكتوبر ·

ولكن الاتفاق لم ينفذ ··· خرج عليه أنصار الامام وأطلقوا النار مـن الجبال على الجيش المصرى ··· وما كان ذلك ممكنا لولا مباركة السعوديين له ··· وحدثت وساطات للتهدئة قامت بها الاردن والكويت والجزائر ·

وبادر جمال عبد الناصر ـ رغم كل شيء ـ بالذهاب يوم ٢٤ أغسطس ١٩٦٥ الى جدة لمقابلة الملك فيصل ومعه زكريا محيى الدين ·

قال لى زكريا محيى الدين أن جمال عبد الناصر كان حريصـا على عودة السلام الى اليمن ، وانه لم يتردد مطلقـا فى الذهاب الى السعودية عندما وجد أن ذلك يحقق هدفه الكبير ·

وقال لى أيضا أن جمال عبد الناصر كان يود أن يذهب الى مؤتمـر القمة الثالث فى الدار البيضاء الذى كان مقررا عقده بعد ثلاثة أسـابيع من الزيارة ، ومشكلة اليمن لا مكان لها فى جدول الاعمال ، ولا فى مناقشـات المؤتمر الجانبية ··· ولذا فانه رغبة منه فى ازالة اية مصـاعب تعترض الاتفاق استدعى السلال الى القاهـرة فى اكتوبر ١٩٦٥ ليرطب نفسـية السعوديين ويقلل من ثغرة الخلافات ·

قال لى اللواء طلعت حسن القائد العام للقوات المصرية والذى عين فى يوليو ١٩٦٦ ان المجموعة الحاكمة بعد السـلال كانت تتآمر على الوجود المصرى بصلات سرية مع السعوديين والامريكيين ، وانها تمثل ردة رجعيـة عن أهداف الثورة ، ولذا طالب بعودة السلال ·

ويمكن الرجوع الى تفاصيل الموقف داخل اليمن فى الفصـل الثالث من باب اليمن فى كتاب (عبد الناصر ··· والعرب) ·

القتـال لم يتوقف رغم مؤتمـر حرض ··· ورغم ذهاب جمـال عبد الناصر لمقابلة فيصل فى جدة ·

استنزاف طاقة مصر كان خطة امبريالية مدبرة ، أسـهمت فيهـا القوى الملكية والرجعية فى المنطقة ·

قال لى جمال عبد الناصر فى مقابلة معه بعد عدوان ١٩٦٧ (لقد أرسلت سرية الى اليمن اضطررت الى تعزيزها بسبعين الف جندى) ·

حاول جمال عبد الناصر كثيرا أن يتفادى الانزلاق الى هـذا الشرك ولكنه كان واقعا تحت ضغط عدة عوامل ·

أولا ··· تدخل بريطانيا خوفا على مواقعها فى عدن ، وارسـالها بعثة عسكرية لتنظيم الجيش السعودى ·

ثانيا ··· تدخل حكومة الولايات المتحدة تدخلا مباشرا فيما عـرف باسم (حرب كومر) وهو ضابط المخابرات الامريكى السـابق (روبرت كومر) الذى عينه جون كنيدى قائدا لما عرف باسم (قوة واجب) قاد فيهـا المرتزقة لصالح السعوديين والملكيين ··· كما قامت بامدادها بالأسـلحة والذخيرة والتأييد ·

ثالثا ··· تخوف حكام السعودية على نظامهم الملكى وتورطهم مع القوى الاستعمارية لمساندة فلول الاماميين من اتباع البدر ··· وعدم استجابتهم الى محاولات جمال عبد الناصر الصادقة لاقرار السلام وسحب القوات الأجنبية ·

رابعا ··· الاخطاء التى ارتكبتها بعض القيادات المصرية خلال القتال نتيجة نقص المعلومات وضعف التدريب على حرب الجبال ، والتسيب الذى فرضته ظروف البعد عن مصر وأسلوب المشير عامر وهيئة مكتبه فى معاملة الضباط ·

خامسا ··· التزام جمال عبد الناصر بموقفه الثورى فى تأييد حركات التحرر الوطنى بكل ما يملكه من طاقات رغم ما يحفل به ذلك أحيانا من نواقص وتناقضات تتمثل فى الاعتماد على ضباط المخابرات وعدم وجود كادر سياسى قادر ، وغيبة التنظيم ·

استمر القتال فى اليمن خمس سنوات تقريبا اثرت على القدرة القتالية للقوات المسلحة حيث ضعف التدريب وتراخى ، واستهلكت طاقة الجنود فى حرب عصابات لم يألفوها ·· نشرت النيويورك تايمز يوم ٢٤ مايو ١٩٦٧ أن ٥٠ر٠٠٠ جندى قاموا بالهجوم على الملكيين وخسرت القوات المصرية ما يقرب من ١٠ر٠٠٠ جندى ·

كما استنزفت حرب اليمن اقتصاد مصر ·· ولكن هذا لم يكن أمرا اختياريا ·· كانت هذه هى خطة الامبريالية لحصار النظام فى مصر واجباره على الخضوع ·

هذا الضغط الشديد الذى تعرض له النظام لم يؤد الى ركوعه وخضوعه للامبريالية ، ولكنه استطاع المقاومة ··· والقول بأن مساعدة ثورة اليمن قد استنزفت مصر تماما وكبدتها خسائر اقتصادية كبيرة هو قول مبالغ فيه كثيرا ··· فان مساعدات الأسلحة ووسائل النقل السريع كانت من الاتحاد السوفيتى وقد اعطيت مجانا ··· والأمور لم تصل فى مصر الى حافة الازمة لنمو خطة التنمية ··· والذين يثيرون القول بأن ما صرف من أموال فى التنمية كان كافيا لرفع مستوى الشعب يعيشون فى وهم التصور بأن النظام المصرى كان يمكن له أن يواصل عمليات التخطيط والبناء والتنمية وهو مغلق أبوابه على نفسه ·

ويقول زكريا محيى الدين أحد دعاة الاهتمام بالامور الاقتصادية وعدم نسجها بالقضايا السياسية ان صعوبة الموقف الاقتصادى لم تكن كلها كامنة فى اليمن ، وانسحاب القوات المصرية جميعها لم يكن ليحقق انفراجا حقيقيا للاقتصاد المصرى ·

ومع ذلك فان حرب اليمن كانت ضغطا من الضغوط الشديدة التى تعرض لها النظام فى مصر ··· والتى كسبت منها اسرائيل أساسا ··· فان القوات المسلحة بعد أن كانت قد وصلت الى ذروة التدريب والكفاءة من عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٦٣ كما أكد لى الفريق عبد المحسن مرتجى حيث كان قد تطور تسليحها واكتمل تنظيمها وارتفع تدريبها على

مبادىء القتال المصرية ثم عادت فتراجعت تحت ضغط الظروف الطبوغرافية في اليمن ، وطبيعة الارض التي لا تتشابه مع ارض سيناء ، وظروف المعركة التي كانت تدفع الوحدات الى الثبات والاستقرار لتعذر تدريبها او قيامها بمناورات ، وعدم مواجهتها العدو في معركة تصادمية .

كل ذلك أضعف من تدريب الوحدات وقدرتها القتالية في وقت زاد فيه عددها حتى بلغ ٧٠ر٠٠٠ جندي كما قال لي جمال عبد الناصر اي ما يعادل ثلث القوات المسلحة المصرية تقريبا .

ولذا شكلت حرب اليمن ضغطا اقتصاديا على النظام ، واثرت ايضا في قدرة القوات المسلحة على مجابهة أي غزو اسرائيلي ... كما ان عدم تسجيل اى انتصار سياسي أو عسكري لمدة خمس سنوات تقريبا قد اثر على النظام وعلى سحر شخصية عبد الناصر .

المشاكل الداخلية :

لا يوجد نظام بعيد عن المشاكل الداخلية ... ولا يمكن تحقيق الاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي قفزا فوق هذه المشاكل .

ولكن اسلوب ثورة يوليو في تشكيل المجتمع والتجارب التي خاضتها للوصول الى (صيغة ديمقراطية) ، والتغيير المتكرر في تكوين تنظيم سياسي (هيئة التحرير ـ الاتحاد الوطني ـ الاتحاد الاشتراكي) ، واقصاء قوى سياسية وطنية وتقدمية عن مجال العمل السياسي ، وعدم الاعتماد على تخطيط علمي مدروس (خطة خمسية واحدة) ، وعدم اعطاء الثقافة دفعة قوية تصل بها الى الجماهير في شتى أنحاء الجمهورية .

كل هذه العوامل وغيرها أنبتت كثيرا من المشاكل الداخلية التي لا يمكن القول بانه كان يمكن تجنبها تجنبا كاملا ، وانما كان يمكن أن تظهر بصورة بسيطة لا تهز المجتمع أو تؤثر فيه تأثيرا عميقا .

وقد أفرخت كل هذه المشاكل من نقص الديموقراطية والاعتماد شبه المطلق على تقارير اجهزة الأمن وما قد تحويه احيانا من صواب وأحيانا من اخطاء .

انجازات ثورة يوليو في مجال الديموقراطية كانت فقيرة ... مجلس الامة الأول انتخب عام ١٩٥٧ بعد خمس سنوات من الثورة ، ثم سرعان ما انفض مع قيام الوحدة (فبراير ١٩٥٨) ليشكل مجلس جديد بالاختيار عام ١٩٦٠ من ٤٠٠ عضو مصري ، ٢٠٠ سوري .. وبعد الانفصال تكون مجلس جديد عام ١٩٦٤ .

مجلس ١٩٥٧ كان من حق الاتحاد القومي أن يشطب اسماء المرشحين ، وأن يخلي الدوائر لاسماء معينة ، ولذا فان ما قاله لي زكريا محيي الدين من أن الانتخابات كانت حرة ونزيهة الى الحد الذي أسقطت فيه والد كمال الدين حسين ، وشقيق زوجته هو شخصيا ، لايعني أن الثورة قد انتخبت مجلسا ديموقراطيا سليما .

ومجلس ١٩٦٤ كان خطوة الى الامام فى طريق الديموقراطية ، فلم يحدث اعتراض أو شطب للمرشحين ، ولكن عضوية الاتحاد الاشتراكى كانت قيدا وحاجزا فى الطريق ٠

ومع ذلك فان هـذه المجالس لم تتفـاعل مع المجتمع تفاعلا ديمقراطيا يكسبها ثقة الجماهير ولم تعـرف نظـام المعارضة ولم تؤد دور الرقابة الشعبية السليمة ، التى تكشف الاخطاء والانحرافات وتقدم العـلاج ٠٠٠ قليلة هى الاصوات التى ارتفعت بالنقد ٠٠٠ بل لم تناقش أو تحط علمـا بقرارات خطيرة مثل دخول القوات المصرية لليمن أو مسار محادثات الوحدة الثلاثية مع سوريا والعراق ، أو تفاصيل انفاق المال العام ٠

ومجالس الامة لا يمكن أن تكون ـ وحدها ـ هى الصـورة النهائية للديموقراطية ، اذا كانت هذه الديموقراطية مفتقدة داخل صفوف الاتحـاد الاشتراكى العربى ، التنظيم الذى يفترض فيه أن يحتوى كل الآراء ووجهات النظـر المختلفة ، وقياداته كانت تفرض ولا تنتخب ٠٠٠ وقراراته كانت تصدر ولا تنفذ ٠٠٠ وأجهزته المختلفة كان واجبها الرئيسى هو التعرف على نبض الحياة فى سائر الانحاء ، وهو واجب رغم أهميته لا يصح أن يكون هو الواجب الرئيسى ٠

وعندما بدأت تجـربة تكوين جهـازه السـياسى الطليعى (طليعة الاشتراكية) لم تتم بصورة تنظيمية سليمة ، بل انها تحت ضغوط الرابضين فى مركز السلطة تحولت الى صـورة من صور الاتحاد الاشتراكى ٠٠٠ ولكن بطريقة أفضل قليـلا كمـا أشرنا الى ذلك وغيره فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) ٠

وكان طبيعيا ـ من وجهة نظر العسكريين الذين وثبوا الى السلطة ـ أن يقوموا بتصفية خصومهم السياسيين ، وقد قاموا بالغـاء الاحزاب والدستور وتأكيد سلطة مجلس قيادة الثورة حتى نهاية فترة الانتقال ٠٠ وخلال ذلك تعرضوا لمصادمات مع الاحزاب ورجال السياسة السابقين ٠٠ وكان أخطر صدام لهم مع الاخوان المسلمين الذين تميزوا بتنظيم متماسك يملك السلاح ، والارهاب ليس نظرية مرفوضة عنده ٠

لم يكن الاخوان المسلمون حزبا ديموقراطيا ٠٠٠ ولكن الاسلوب الذى استخدم معهم أيضا لم يكن ديموقراطيا ٠٠٠ مفهوم أن يحـل الاخـوان المسلمون وأن يقدم قادتهم للمحاكمة ، ولكنه غير مفهوم أن يفـرض عليهم تعذيب جماعى غير انسانى ٠

كانت حركة الجيش قد قامت بأكبر عملية اعتقال فى تاريخها عام ١٩٥٤ اذ اعتقل عدة آلاف فى ليلة واحدة ، تعرض بعضهم فى السـجن الحـربى لاساليب مهينة ، وقامت محكمة الثورة التى رأسها جمال سالم بمحاكمـة أعضاء جماعة الاخوان المسلمين باسلوب يهبط من كرامة القضاء ويحط مـن مستوى الحكم فى مصر ٠٠ ومع ذلك فقد اعتقد جمال عبد الناصر انه قد قضى على الاخوان المسلمين بعد هذه التصفية الادارية الشاملة ٠٠٠ ولكن ذلك لم يكن صحيحا ٠٠٠ فالتصـفية الادارية وحدها لا يمكن ان تنفع مع

أصحاب المبادىء ـ حتى ولو كانت خاطئة ـ ذلك لان القهر والعنف لا ينزع الافكار من الرؤوس ٠

لم تبذل الثورة جهدا حقيقيا فى تصفية الاخوان المسلمين فكريا عن طريق توعية الناس وتثقيفهم واتاحة فرصة الاختيار الديموقراطى للجماهير واكتفت باحكام الاعدام التى أضدرتها محكمة الثورة ، وقضبان السجن الحربى وجدران المعتقلات ٠

ولم يكن كل ذلك كافيا ٠٠ فقد عاد الاخوان المسلمون للظهور مرة أخرى بعد عشر سنوات فى عام ١٩٦٥ ، بنفس الاسلوب القديم ٠٠٠ تنظيم جهاز سرى وتدبير محاولات للاغتيال ٠٠٠ شجعهم على ذلك احتضان بعض الدول لافرادهم الهاربين من مصر مثل السعودية وبلاد الخليج ، وارتباط عناصر منهم مع جهات أجنبية مشبوهة ، وبقاء (الدعوة) راسخة فى صدور بعضهم ، لا يلغيها أو يضعفها وجود تنظيم سياسى مقنع للثورة ٠

ولذا فشل النظام فى أن يكتسب شرعية بين جماهير الاخوان الذين هم من الطبقة الوسطى الجديدة التى نمت مع الثورة ، فقد كان معظم المتهمين الرئيسيين من المهندسين والكيميائيين وخريجى الجامعات والطلبة ، ولم يكن يتهم أحد من العمال أو الفلاحين ٠٠٠ هذه الطبقة الجديدة التى قضت الثورة على تطلعاتها وأحلامها الذاتية ، وحاصرتها داخل الحدود فى أوضاع اقتصادية متواضعة ٠٠٠ ولم تضع حلا لمشكلة الاغراء المادى الكبير الذى يجذب بريقه خريجى الجامعات من البلاد البترولية ٠

كانت (دعوة الاخوان) دليلا على فشل النظام فى ايجاد تنظيم بديل يجذب الجماهير ٠٠٠ ودليلا على أن تصفية الاخوان لم تتجاوز الحدود الادارية الى الحدود الفكرية ، بل أنه حتى فى الحدود الادارية كان هناك تقصير ، فلم تنشط الشرطة لمعرفة خلايا جهازهم السرى وفشلت أجهزة الشرطة التقليدية الامر الذى أدى الى الاستعانة بالمباحث العسكرية ، وانتهى الى اخراج بعض كبار ضباط الشرطة من الخدمة ، وتغيير عدد كبير من المحافظين٠

ورغم كل ما قامت به الثورة من تأكيد لاتجاهها الدينى ، بزيادة عدد المساجد زيادة هائلة ، وبث اذاعة خاصة للقرآن والحديث ، واقرار الدين مادة رئيسية فى المدارس ، والحرص على التقاليد والشعائر الدينية ، فان الاخوان قد وجدوا سبيلا لاجتذاب بعض الناس ، مستندين الى الفراغ السياسى ، واثارة العواطف ضد أحكام الاعدام واجراءات التعذيب التى تعرض لها الاخوان ، ومهاجمة بعض أجراءات الثورة الصالحه مثل الغاء المحاكم الشرعية والمجالس الملية فى ٢٢ سبتمبر ١٩٥٥ واحلال المحاكم الوطنية بدلا منها للنظر فى دعاوى الاحوال الشخصية والأوقاف اعتبارا من أول يناير ١٩٥٦ ٠

ولم تبدأ الثورة دورها الحقيقى فى محاولة تصفية الاخوان تصفية فكرية الا بعد اعتقالات ومحاكمات ١٩٦٥ التى أشرت اليها فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) ، فقد بدأت أجهزة الاعلام تكشف دور

الاخوان تاريخيا ، وتسلط الاضواء على حوادثهم الارهابية ، مع توضيح المعنى الحقيقى لسماحة الاسلام وسلامة نظرته الاجتماعية العـادلة التى لا تتنافر مطلقا مع تطبيق الاشتراكية ، واسهمت فى ذلك جامعـة الازهر ووزارة الأوقاف ·

كانت حطوة متأخرة ولكنها نافعة ··· ومع ذلك فقد كانت (عودة الاخوان) ضربة موجهة لشرعية النظام ولزعامة جمال عبد الناصر التى لم تتعرض منذ عام ١٩٥٤ لمثل هذه المؤامرات أو المحـاولات الداخلية ··· ولا شك أنها احدثت هزة دفعت النظام الى مزيد من البحث عن اسـباب الضغوط أو الانفجارات الداخلية ·

وخلال هذه الفترة وما بعدها وقع حادث كمشيش الذى اثبت ايضـا أن فلول الاقطاعيين مازالوا يمثلون قوة انقضاض على النظام ، وأن خطوات الثورة فى محاربتهم لم تتجاوز أيضا الاجراءات الادارية وحدها ··· فلم تقتحم الثورة تجربة اطلاق حرية التنظيم للفلاحين والاجراء ·

وفى مواجهة ماوقع فى كمشيش تشكلت لجنة تصفية الاقطـاع التى راسها المشير عبد الحكيم عامر ، والتى اعتمدت فى حركتها على رجـال القوات المسلحة والاسلوب الادارى العنيف ، ولم تر أسـلوبا آخر لتصفية الاقطاع بعد ١٤ عاما تقريبا من صدور قانون الاصلاح الزراعى فى سبتمبر ١٩٥٢ ·

الاجراءات الادارية المصحوبة بالعنف ، كانت اقرب السـبل لقادة الثورة الذين نبتوا فى وسط عسكرى ، ولم يسهل عليهم التحرر من طبيعتهم أو عيوب مهنتهم ·

لم تكن هناك محاولة جادة أو غير جادة لتصـفية الفكر الاقطاعى سوى خطب ومناقشات جمال عبد الناصر التى كانت تقوم تنظيمات الاتحاد الاشـتراكى بدراستها وتحليلها ثم تطـوى صفحتها دون تاثير حقيقى فى الجماهير ·

وأضرب مثلا لذلك بما دار فى جلسة امانة الاتحاد الاشتراكى يوم ١١ مايو ١٩٦٢ عندما قال جمال عبد الناصر :

(أخشى أن نجد أننا كتلنا الرأسمالية الوطنية فقط لانها متكتلة وجاهزة فعلا ومن السهل تجميعها اما بقية القطاعات أو قوى الشعب فسنجد اننـا لا نستطيع تجميعها ··· ان عملية الاخ سيد مرعى سهلة جدا) ··· وكان سيد مرعى هو مسئول الرأسمالية الوطنية ·

عبد الحكيم عامر : أى أن الرجعية جاهزة
جمال عبد الناصر : يجب أن نفرق بين الراسمالية الوطنية والرجعية
سـيد مرعى : أرجو أن يقتنع سيادة المشير بهذا ·
جمال عبد الناصر : أنت ـ أى سيد مرعى ـ الذى يجب أن تثبـت ذلك

ومع هذه الخشية الواضحة من تكتل الرأسمالية الوطنية والعجز عن تكتيل القوى العاملة فان قيادة الثورة كانت على حذر دائم من ناحية حرية

العمل السياسي والتنظيمي للعمال والفلاحين ·· فقيادات العمال استمرت في أماكنها عدة سنوات دون انتخابات للتجديد خشية من ظهور عناصر تكون اقل التزاما وخضوعا للثورة وأكثر حيوية وتعبيرا عن مصالح الطبقة العاملة ·

وكذلك ترك الفلاحون يمارسون دورهم التاريخي الذى امتد آلاف السنين فى زراعة الارض ، دون أن تتاح لهم فرصة التجمع فى تنظيمات ونقابات واتحادات معبرة عن مصالحهم الحقيقية ، تحت قيادات شرعية منتخبه منهم فى ديموقراطية كاملة ·

ورغم حرص قيادة الثورة على وجود نسبة ٥٠٪ من العمال والفلاحين فى مجلس الامة وبعض مستويات الاتحاد الاشتراكى التنظيمية الا ان هذه العناصر لم تكن مفرزة بطريقة ديموقراطية ، ولم تكن تحتل مواقعها بارادة الجماهير ، وانما برضاء السلطات العليا فى الاتحاد الاشتراكى أو أجهزة الدولة ، وبذا فهى لم تكن تؤدى دورا معبرا عن مصالح طبقتها ، كما أنه يلاحظ أن جميع قيادات الاتحاد الاشتراكى الحقيقية فى المكاتب التنفيذية بالمحافظات . أو فى اللجنة التنفيذية العليا عندما شكلت لم تكن من العمال أو الفلاحين بل من ابناء البرجوازية الصغيرة ··· واللجنة التنفيذية العليا لم يكن فيها فلاح أو عامل ·

ويلاحظ ايضا أن الاتحاد الاشتراكى قد بقى منذ تشكيله عام ١٩٦٢ الى ما بعد صدور بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ وهو بغير لجنة مركزية أو لجنة تنفيذية عليا ··· كانت هناك امانة فقط لا تصدر أى نوع من القرارات ··· بل تثير أسئلة فقط يرد عليها جمال عبد الناصر وينتهى الموضوع ، كما قال لى الدكتور ابراهيم سعد الدين عضو الامانة ، وكما هو معروف ··· وكذلك كان الامر فى امانة طليعة الاشتراكيين كما أوضحت فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) ·

كانت خطب ومناقشات جمال عبد الناصر هى مؤشر التوجيه ، ولكنها وحدها لم تكن كافية دون تفاعل مع أجهزة تنظيمية قادرة على الاستيعاب والتوجيه واكتساب ثقة الجماهير بالقدوة والنضال ونكران الذات ·

ولذا كانت ردود فعل النظام فى مواجهة ما يظهر من ضغوط نابعة من المشاكل الداخلية المتراكمة بلا حلول ·· مثل تصفية الاخوان المسلمين وفلول الاقطاع تصفية فكرية وليست ادارية ··· كانت ردود الفعل متسمة أيضا بالاغراق فى مزيد من الاجراءات الادارية ، وقليل من المناقشات والدعاية الفكرية المؤثرة ·

كان عجز التنظيم السياسى وضعف قدرته القيادية عاملا من أهم العوامل التى جعلت النظام يستشعر الضغوط الداخلية بحساسية زائدة ، واجراءات ادارية عنيفة ·

وكان هذا العجز والضعف نابعا أساسا من نقص الديموقراطية داخل التنظيم ، وحق الفرد فى التعبير بحرية واطمئنان ··· وما يتبع ذلك

من غياب الديموقراطية الحقيقية فى المجتمع ... الديموقراطية التى تسمح بالمعارضة والنقد والنضال من أجل التغيير .

وفى مسار هذا الاتجاه كان الموقف من الشيوعيين أيضا والذى أوضحناه فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) .

وعندما قرر النظام الافراج عن الشيوعيين واخليت المعتقلات تماما عام ١٩٦٤ ، لم يفتح النظام أبوابه لاستيعاب هؤلاء المناضلين الذين أمضوا فى السجن سنوات مليئة بالقهر والعذاب ، رغم وجود فرصة متاحة لذلك تمثلت فيما ابداه جمال عبد الناصر من رغبة فى ضمهم الى طليعة الاشتراكيين . وما اتخذه التنظيمان الرئيسيان (الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى ، والحزب الشيوعى) من قرار بانهاء وجودهما التنظيمى استعدادا للنضال فى صفوف النظام .

وبقى الشيوعيون خارج دائرة النظام ... البعض منهم يدخل اليها ، ولكن تسلط عليه الاضواء لتقييد حركته ومنعه من التأثير فى الاخرين ... اما اذا انصهر فى بوتقة النظام وقبل كل الظروف القائمة بلا نقد أو تعليق ، فانه عندئذ يمكن أن يصل الى بعض المناصب المسئولة ... ولذا بقيت الكثرة الغالبة من الشيوعيين بعيدا عن مواقع المسئولية ، بل وبقى البعض منهم محروما من حق العمل رغم صدور قرار بتشغيل الخارجين من المعتقلات والسجون .

وعبر جمال عبد الناصر عن موقفه هذا صراحة عندما زار الاهرام واجتمع مع محررى الطليعة وقال لهم انهم يجب ان يؤدوا دور التضحية مثل (سان بيتر) .

كما لم يسمح النظام للطبقة العاملة والفلاحين بتنظيم أنفسهم نقابيا وسياسيا ، فانه أيضا لم يسمح لحزب الطبقة العاملة بالوجود ، ولم يسمح لاعضائه السابقين بأن يمارسوا نضالهم على نفس المستوى الذى يمارسه فيه الاخرون ... وظلت كلمة (الشيوعية تلاحق بعضهم وتطاردهم ، بل وتدخلهم المعتقلات والسجون ، كما حدث عام ١٩٦٦ عندما اعتقل كمال عبد الحليم السكرتير السابق لحدتو ومعه عناصر أخرى لفترة شهور .

صحيح أن الشيوعيين لم يأخذوا موقف المعارضة ، ولم يشكلوا أى نوع من أنواع الضغوط على النظام ... ولكنهم حوصروا بمنعهم من النشاط السياسى المسئول فى طليعة الاشتراكيين أو الاتحاد الاشتراكى ... كما أن انفراط مسبحة تنظيمهم قد دفع البعض منهم الى الاهتمام بامور حياتهم الخاصة بعيدا عن دفء الانتماء وحرارته ، وما يتبع ذلك من صقل للوعى ، وتغليب للامور العامة على الخاصة ، وتأكيد للقضية ونكران الذات .

وهكذا فقد النظام فرصة فريدة كان يمكن له فيها ان يستوعب خلاصة المناضلين المصريين لاكثر من عشرين عاما ، خاصة وان قيادة جمال عبد الناصر للمجتمع خلال هذه المرحلة لم تكن محل مناقشة مطلقا ، بل اعترف الجميع بزعامته ووطنيته وتقدميته .

ومن المؤسف أن كثيرا من الذين تولوا مناصب المســـئولية فى مرحلة التحول نحو الاشتراكية كانوا أبعد الناس عن فهم الاشتراكيه أو الاقتناع بها بينما وضعت الحواجز أمام الاشتراكيين الحقيقيين لتحول دون اداء دورهم الطبيعى فى المساهمة لنجاح خطط التنمية ٠

ربما لا يكون عدد الاشتراكيين الحقيقيين كافيا للخـــروج من أزمة نقص الكادر الاشتراكى الفنى فى دول العالم الثالث ٠٠٠ ولكن مجرد بقاء (الحساسية من الماركسية) والتهجم على كل من ينتقد أو يعـــارض بانه شيوعى ، كان هدما فى ذاته لامكانية استيعاب العناصر الصالحة ، وستارا يختفى خلفه اعداء التقدم من الرجعيين والمحافظين بدعوى انهم اشتراكيون محليون ، وفى نفس الوقت لا يحبون الشيوعية ٠

ومصر لم تطبق الا خطة تنمية واحدة هى التى تمت أثناء رئاسة على صبرى للوزارة وانتهت فى يونيو ١٩٦٥ وأصدر على صـــبرى عنها كتابا خاصا ٠٠٠ ويمكن القول بانها الخطة الوحيدة التى طبقت وانه رغم انها لم تحقق ٢٣٪ من اهدافها الا انها كانت بداية التوجه العلمى لبناء المجتمع ٠

كانت التنمية مشكلة من المشاكل الضاغطة على النظام ٠٠ وكانت ثورة يوليو من ثورات التحرر الوطنى الدائرة فى هذا المضمار ٠٠٠ ولذا اقترنت خطوات التقدم بمصاعب جديدة ٠٠٠ فالالتزام بتشـــغيل الخـــريجين فى المدارس والمعاهد والجامعات فرض نوعا من العمالة الزائدة على وحـــدات الانتاج فى وقت كانت تعانى فيه بعض المشاريع ووحـــدات الخـــدمات فى الاقاليم نقصا مبالغا فيه ٠

وعلى قدر ما أتاحته قوانين يوليو ١٩٦١ الاشتراكية من فرص أقامة مجتمع يسود فيه القطاع العام ، على قدر ما تحملت الدولة نسبة عالية من الاجور ٠

الاحصائيات تشير الى ان الاجور قد ارتفعت من ٥٠ ٪ الى ٥٢٫٩ ٪ خلال الســــنوات التسع الاولى للثورة ، ثم حـــدث ارتفاع حاد بعد ذلك من عام ١٩٦٥ فوصلت الاجور الى ٧٣ ٪ اذ تضاعفت من ١٠١ مليون جنيه حتى اصبحت ٢٣٤ مليون جنيه كما هو موضح فى البيان التالى الذى صدر فى عهد وزارة زكريا محيى الدين فى كتيب (اهداف المرحلة القادمة) ٠

الانفاق الحكومى

	١٩٥٢ ـ ٥٣	١٩٦١ ـ ٦٢	١٩٦٥ ـ ٦٦
جملة المرتبــات الحكومية	٥٤٫٨ مليون	١٠١ مليون	٢٣٤ مليون
جملة المصروفات الحكومية	١٠٨ مليون	١٩١ مليون	٣١٨ مليون

وشكلت لجنة فى يناير ١٩٦٥ برئاسة زكريا محيى الدين وعضوية عباس رضوان وكمال رفعت ومصطفى خليل لدراســـة اخطاء البيروقراطية ووضع الحلول لها ٠٠ ولكنها مثل كل اللجان وقعت فى مصيدة البيروقراطية نفسها ٠

ضاعفت هذه الحالة البيروقراطية فى مصر مع الزيادة المســـتمرة فى

عدد السكان ونقص التخطيط من متاعب النظام وشكلت ضغطا فرض عليه محاولة التهدئة حتى يعبر مرحلة الانتقال غير المستقرة فى سلام ، خاصة وهو يواجه مشكلة اسرائيل التى لم تصل بعد الى حل .

القوات المسلحة ..

لم تكن القوات المسلحة قوة من القوى الضاغطة على النظام ... العكس هو الصحيح ... كانت القوات المسلحة هى درع النظام وحاميته وسنده الرئيسى فى البقاء وفى تفريخ معظم الكادر القيادى فى مجالات كثيرة (العمل السياسى ـ الخارجية ـ الاقتصاد ـ الصناعة وغيرها) .

ولكن بعض ما كان يدور فى كواليس القوات المسلحة ، كان يشكل فعلا نوعا من الضغط على النظام وقيادته السياسية .

كان جمال عبد الناصر هو الذى رشح عبد الحكيم عامر ليرقى من رتبة صاغ الى لواء ، ويتولى قيادة القوات المسلحة فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ ، وذلك ثقة منه فيه لعلاقة الصداقة التى كانت تربطهما معا خلال العمل فى الجيش كانا يقيمان معا قبل الزواج فى شقة واحدة ... وبذا كان عامر هو القبضة التى يقبض بها جمال عبد الناصر على القوات المسلحة ، وهو السياج العازل الذى يحول دون وصول أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين الى صفوف الجيش وما قد يتبع ذلك من محاولات انقلابية .

ولكن العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ كشف خلافا بين الصديقين حول اسلوب مقاومة المعتدين ، ومع ذلك لم يصل الخلاف الى حد الفرقة ، وما قاله لى عبد اللطيف البغدادى وزكريا محيى الدين من انه كان هناك قرار بعزل قائد القوات الجوية صدقى محمود بعد تدمير الطائرات المصرية على أرض المطارات واصرار عامر على بقائه فلم ينفذ القرار ، انما يدل على ان جمال عبد الناصر حتى ذلك الوقت كان محتضنا لعبد الحكيم عامر ومفضلا تسليمه القوات المسلحة على نزعه منها ، وقد غلب علاقته الخاصة به وثقته الشخصية فيه على قضية وطنية تتعلق باهمال قائد عسكرى ومسئوليته عن تدمير قوات مصر الجوية .

وظهر خلاف جديد بين عبد الناصر وعامر عند ما حدث انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ فى وقت كان فيه عبد الحكيم عامر موجودا فى دمشق ، وله كل صلاحيات رئيس الجمهورية .

فرخ الانقلاب في مكتب عبدالحكيم عامرعددا من الضباط وضع ثقتهفيهم فكان ذلك دليلا على غفلته وعدم احساسه بالغليان الذى كان يفور فى صفوف المجتمع والقوات المسلحة .. وكان عبد الناصر قد ساند عبد الحكيم عامر فى خلافه مع عبد الحميد السراج الذى استقال وهو قابض على كل خيوط الامن الداخلى بصفته وزيرا للداخلية .

وكانت صدمة الانفصال اقسى على جمال عبد الناصر وعلى النظام من صدمة هزيمة ١٩٥٦ العسكرية والتى تحولت كما ذكرنا الى نصر سياسى .

لم يستطع جمال عبد الناصر ان يبلع مأساة الانفصال دون محاسبة عامر الذى كان مسئولا مفوضا فى سوريا ، فشكل مجلس الرئاسة وعين عبد الحكيم عامر نائبا للقائد الاعلى للقوات المسلحة بدلا من منصبه السابق كقائد عام للقوات المسلحة ، وقدم مشروعه المعروف بتحديد اختصاصات المشير فى تعيين قادة الوحدات المسلحة الى درجة كتيبة ، وجعل ذلك من اختصاص مجلس الرئاسة ، وقد تضمن المشروع الذى عرضه عبد اللطيف البغدادى فى جلسة غاب فيها عبد الناصر ، حدا من سلطة وزير الداخلية ايضا فى تعيين كبار المسئولين فى الشرطة الى درجة مأمور مركز .

ولكن المشروع لم يعتمد لاسباب ذكرناها تفصيلا فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) ، وأدى الى غضب المشير وسفره الى مرسى مطروح بعد تقديم استقالته ثم عدوله عنها بعد الحاح زملائه واصدقائه عليه مثل صلاح نصر وعباس رضوان .

لم تكن استقالة المشير عامر عملا فرديا ، ولكنها اخذت شكلا جماعيا فى صورة برقيات من كبار قادة القوات المسلحة تطالب بعدم قبول الاستقالة والتلويح باستقالة جماعية لكبار الضباط .. وكان عامر خلال قيادته للقوات المسلحة يغدق على الضباط ويلبى طلبات كل من يطرق بابه من أموال الدولة ، ولهذا كان محبوبا كشخصية انسانية ، وكان انتزاعه من القوات المسلحة فى ذلك الوقت يمكن ان يخلق المتاعب لجمال عبد الناصر .

والغريب ان بعض المقربين من عبد الحكيم عامر قد تصرفوا امام مأساة الانفصال تصرفات مشينة تجلب له العار ، مثل جلال هريدى قائد قوات الصاعقة الذى هاجم النظام وعبد الناصر فى تليفزيون دمشق ، وزغلول عبد الرحمن الملحق العسكرى فى بيروت والشخص المدلل من المشير عامر الذى لجأ الى سوريا خلال أزمة شتورا ، وعقد مؤتمرا صحفيا فى دمشق هاجم فيه النظام وعبد الناصر ايضا ، وهو الذى لجأ بعد ان كان المشير عامر قد سدد مئات الالوف من الليرات خسرها زغلول على موائد القمار فى كازينو بيروت .

ورغم ذلك فلم يفعل جمال عبد الناصر شيئا سوى تجميد بعض الضباط المصريين من مكتب المشير فى دمشق عن العمل لمدة عام مثل الفريق انور القاضى وثلاثة اخرين .. وعندما عدل المشير عن استقالته تراجع عبد الناصر عن مشروعه المعروض على مجلس الرئاسة للحد من اختصاصاته .. وغلب علاقته مع عامر مرة اخرى على علاقته بزملائه الاخرين فى مجلس الثورة مثل عبد اللطيف البغدادى الذى كان اكثرهم غضبا من المشير لعدم اخراجه صدقى محمود من قيادة القوات الجوية منذ عام ١٩٥٦ .

ولكن الانفصال والاستقالة ثم العدول عنها كانا نقطة تحول فى علاقة جمال عبد الناصر او النظام بالقوات المسلحة .

قال لى الفريق عبد المحسن مرتجى ان جمال عبد الناصر كان شديد الاهتمام بمتابعة تسليح القوات المسلحة بالاسلحة السوفيتية الحديثة والتدريب عليها والمناورات بها ، ويفسر ذلك قوله بان الجيش كان فى ذروة

كفاءته من اعوام ١٩٦٠ حتى ١٩٦٣ ٠٠ ولكنه يستطرد فيقول ان عبد الناصر قد فقد اهتمامه بالقوات المسلحة ومتابعة تقدمها وتطورها بعد الانفصال ٠

وكان المشير ايضا قد بدأ ينهج نهجا جديدا فى حياته الخاصة دفع به الى الحيـــاة الناعمة كما اوضحت فى الجزء الثانى (مجتمـــع جمـــال عبد الناصر) ، وضعفت بذلك قبضته على القوات المسلحة من الناحية الفنية والتدريبية ، والتقط الصاغ شمس بدران هذه الفرصة ففرض نفسه كشخصية مسئولة ، يلجأ اليها جمال عبد الناصر لمعرفة تفاصـــيل ما يدور فى القـــوات المسلحة ، ويعتمد عليها عبد الحكيم عامر فى تسيير الامور بلا حساب ٠

واقترنت هذه الحالة بحرب اليمن التى اضعفت القوات المسلحة من ناحية التدريب ومن ناحية الانضباط ٠٠ وزاد ذلك من ابتعاد جمال عبد الناصر عن مباشرة احدى مسئولياته كزعيم للدولة ، وهى القيادة العليا للقـــوات المسلحة ٠

وهنا بدأت القوات المسلحة تظهر بما فى كواليسها من تناقضـــات ، وما فى قيادتها من تسيب ، كقوة ضاغطة على النظام وعلى جمال عبـد الناصر شخصيا الى الحد الذى جعله يعين الصاغ شمس بدران وزيرا للحربية وهو غير مؤهل عسكريا لذلك فلم تتجاوز دراسته الكلية الحربية ، ولم يشترك فى أية عمليات حربية ، ولم يعرف عنه الاهتمام بالثقافة العســـكرية ، رغم شخصيته التى فرض نفسه بها على ضباط القوات المسلحة ، فلم يشـــتهر بانحرافات أعضاء مكتب المشير الآخرين الذين كان يقودهم سكرتيره الخاص على شفيق ، ولم يندمج مع المشير فى حياته الخاصة اللاهية التى انتهت بزواجه من الممثلة برلنتى عبد الحميد ٠

ومن مظاهر بروز القوات المسلحة كقوة ضاغطة على النظام ، الواجبات التى عهد اليها بها مثل الاشراف على مرفق النقل العام ، والجمعيات الاستهلاكية والتموين ، ومطاردة الاخوان المسلمين ، واخيرا لجنة تصفية الاقطاع ٠

ومن مظاهر زيادة سلطة المشير عامر أنه أصـــدر عقب تعيين شمس بدران وزيرا للحربية تحدد اختصاصاته بمعرفة الدستور او القـــرارات الجمهورية ٠٠ أصدر قرارا بصفته نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة يحدد اختصاصات وزير الحربية وهو عضو فى مجلس الوزراء ٠

ويعلق امين هويدى وزير الحربية ورئيس المخابرات العامة فى أول وزارة بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ على ذلك فى كتابه (اضواء على اســـباب نكسة ١٩٦٧) قائلا (هذه سابقة لم تحدث على الاطلاق) ٠

كان المشير عامر سلطة فوق مجلس الوزراء ٠٠ .صدور هذا القرار منه حتى ولو كان بمعرفة عبد الناصر انما يشـــكل اعتداء على تحديد المسئوليات التى رسمها الدستور ، ويظهر ايضا ان المشير عامر كان مطلق الصلاحية فى كل ما يتصل بالقوات المسلحة ٠

واثبت النظام بذلك انه مازال اسيرا للقوات المسلحة التى ينبع منها

وان اعتماده عليها يشكل عنصرا رئيسيا فى حياته واستقراره ·
ومعروف ان المشير والقوات المسلحة كان لهم رأى فى تعيين ومساندة كثير من رؤساء مجالس الادارة والمديرين والسفراء وغيرهم فى المناصب المسئولة ·

اذكر اثناء رئاستى لتحرير مجلة روز اليوسف ان قمنا بحملة شديدة ضد رئيس مؤسسة التعاون الانتاجى لما شاب تصرفاته من انحرافات مؤكدة ·· واثناء اجتماع لامانة طليعة الاشتراكيين قال لى سامى شرف سكرتير الرئيس جمال عبد الناصر للمعلومات انه معجب جدا بهذه الحملة ، وان عنده معلومات تؤكد صحة كل حرف فيها ·· واخذتنى الدهشة لسماعى هذا الحديث من شخص مسئول عرف الجميع عنه قربه من جمال عبد الناصر فقلت له متسائلا (ولماذا لا تقدمون هذا الشخص للتحقيق والمحاكمة ؟) ·· وقال سامى شرف همسا (هوه احنا نقدر ·· ده سانده المشير) !!

الى هذا الحد وصلت الامور ·· مساندة المنحرفين وعجز جمال عبد الناصر عن محاسبتهم ·· ولا استطيع الادعاء بانها كانت صورة عامة ·· كما لا استطيع الادعاء بان كل المنحرفين كانوا يختبئون تحت عباءة المشير ·· ولكنى اشير فقط الى ان جمال عبد الناصر لم يعد مطلق السراح فى توجيه القوات المسلحة او معرفة تفاصيل ما يدور فيها الا عن طريق المشير اذا اراد أو شمس بدران اذا سئل ·· كما ان القوات المسلحة قد تجاوزت دورها المعروف وهو حماية الوطن والانكباب على ذلك من ناحية التدريب والانضباط العسكرى الى اداء مهمات مدنية ما كان يجوز لها ان تقترب منها لو ان النظام كان قد استقر على اسس سليمة تحدد لكل جهة اختصاصها ·

ولعل هذا هو ما دفع جمال عبد الناصر الى التراجع عن تنفيذ ما ورد فى الميثاق من ربط القوات المسلحة والشرطة ورجال القضاء بالاتحاد الاشتراكى ··· فان تسييس القوات المسلحة يقتضى أن تكون قبضته عليها كاملة ، دون وجود تناقضات أو وجهات نظر متباينة بينه وبين المشير ·

كما أن المشير لم يكن حريصا على نمو الاتحاد الاشتراكى ، ولم يكن مؤمنا بأهمية تسييس الجيش ، فهو محبوب ومطاع بغير سياسة ، وليس هناك من مبرر يدفع الى تفتيح عقول الجنود والضباط بدراسة السياسة وما تفتحه من آفاق وتخلقه من أفكار ·

ولذا بقى نظام ثورة يوليو مثل نظم العالم الثالث التى تندفع من صفوف القوات المسلحة فى حركات انقلابية ··· تعتمد عليها وحدها لمساندة النظام ولا تخلق حزبا سياسيا قادرا على اكتساب ثقة الجماهير وثقة الضباط والجنود أيضا ·

وعلى قدر الخطوات الهائلة التى خطتها ثورة يوليو فى طريق الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى ··· وعلى قدر الانجازات الرائعة التى أرست أسسا متينة لمجتمع جديد ، وعلى قدر المكاسب التى احرزها أفراد البرجوازية الصغيرة والطبقة العاملة والفلاحين ··· فانها أبقت

القوات المسلحة أكثر المؤسسات تماسكا وتنظيما وقدرة فى المجتمع ٠

ولذا شكل هذا الانفراد والتميز للقوات المسلحة قوة ضغط على النظام ، جعلت قيادته السياسية أعجز من السيطرة عليها لتكون قوة محاربة قادرة على أداء مسئوليتها الوطنية ٠٠٠ وكانت اسرائيل ترقب وتعرف التناقضات الموجودة فى قمة السلطة والتى لم تكن خافية على المراقبين والراصدين ٠٠٠ الذين وجدوا اهتمام القوات المسلحة يتشعب بين التموين والنقل ومحاربة فلول الاقطاع والاخوان المسلمين ٠٠ بالاضافة الى وجود ٧٠٫٠٠٠ من شباب الجيل باليمن ٠

خيوط الامبريالية الامريكية

منذ رفضت مصر والدول العربية مشروع ايزنهاور عام ١٩٥٧ ، والامبريالية الامريكية تتربص بالمنطقة لفرض سيطرتها ونفوذها عليها ٠٠ ذلك ، بعد الهزيمة السياسية التى لحقت ببريطانيا وفرنسا بعد عدوان ١٩٥٦ ، وهما الدولتان صاحبتا النفوذ التاريخى ٠

لم تنتهج الامبريالية الامريكية نهج التدخل المباشر ، وانما أخذت تتحين الفرص المناسبة لاقامة أنظمة موالية وخاضعة ٠

وكان الخلاف بين جمال عبد الناصر وخروشوف عام ١٩٥٩ فرصة من هذه الفرص التى حاولت خلالها حكومة الولايات المتحدة أن تغير معالم الوجه الامريكى الذى شوهه التدخل فى كوريا والهند الصينية والكونجو وغيرها ٠

ولم يكن جمال عبد الناصر من الراغبين فى مناطحة السياسة الامريكية ٠٠٠ بل كان حريصا على علاقات هادئة بين الدولتين ٠٠٠ ورغم تجاربه فى السنوات الاولى للثورة لمحاولة الحصول على أسلحة للجيش ، وعجزه عن تحقيق ذلك ، الا أنه لم ييأس من محاولة خلق علاقة طبيعية بين الدولتين ٠

وكانت الخطابات المتبادلة بين كنيدى وعبد الناصر دليلا على هذه الرغبة ، ولكنها لم تمنع الامبريالية الامريكية من تنفيذ مخططاتها مثل مساعدة السعوديين فى اليمن ، وشن ما عرف باسم (حرب كومر) التى أشرنا اليها ، وتقديم صواريخ هوك لاسرائيل ، وفى تشجيع ألمانيا الاتحادية على امداد اسرائيل بالاسلحة والدبابات ثم قرارات البوندستاج (البرلمان) باقامة علاقات مع اسرائيل فى ١٢ مايو ١٩٦٥ الامر الذى أدى الى قطع جميع الدول العربية (عدا تونس والمغرب ولبنان) لعلاقاتها الدبلوماسية مع ألمانيا الغربية ٠

وقد علق شيمون بيريز على صفقة الاسلحة الالمانية بقوله :

(لقد تلقينا من المانيا الغربية خلال عدة سنوات أسلحة دون أن ندفع ثمنها قدرها العرب بما قيمته ٥٠٠ مليون دولار ٠٠٠ ان هذه الاسلحة قد سدت مجالا هاما فى الدفاع عن البلاد وفى حملاتها العسكرية التى تضمنت حرب الايام الستة) ٠

كانت مساعدات المانيا الغربية لاسرائيل والتى بلغت ٣٤٥٠ مليون مارك كاتفاقية تعويضات تتم بموافقة ومباركة حكومة الولايات المتحدة وتشجيعها ·

ولم تلبث حكومة الولايات المتحدة أن أسفرت عن موقفها فى امداد اسرائيل مباشرة بالأسلحة متجاوزة صواريخ هوك الدفاعية بعد اجتماع ليفى اشكول مع جونسون فى أول يونيو ١٩٦٤ حيث تقرر امداد اسرائيل بالدبابات الامريكية مباشرة دون وساطة دولة أخرى ·

ولم يكن اهتمام اسرائيل منصبا على الدبابات كأسلحة بقدر ما كان منصبا على فكرة الامداد المباشر وما تحمله من (مضمون سياسى) ·

ويمكن نلخيص نتائج تلك الزيارة كما ورد فى كتاب (العسكرية الصهيونية ـ المجلد الاول)

١ ـ ان الولايات المتحدة سوف تقف خلف اسرائيل فى الدفاع عن نفسها وانها لن تبقى مكتوفة الايدى اذا ما تعرضت للهجوم ·

٢ ـ ان الولايات المتحدة سوف تساعد اسرائيل فى حصولها على ما تحتاجه من دبابات وانها سوف تزودها بها مباشرة اذا لم تتمكن من الحصول عليها من مصادر أخرى ·

٣ ـ الموافقة على اتخاذ الخطوات اللازمة بشان المشروع المشترك الخاص بتحلية المياه بالطاقة الذرية ، كما انها تؤيد انجاز مشروع جونستون الخاص بتقسيم المياه (نهر الاردن واليرموك) بين اسرائيل والاردن ·

ويعلق شيمون بريز على نتائج هذه الزيارة بقوله (ان زيارة واشنطن قد فعلت الكثير فى سبيل تمزيق الحظر الامريكى على الاسلحه لاسرائيل ، وكما شاهدنا فانها بعد فترة قليلة مهدت الطريق لامداد أمريكا لنا بمعظم انواع الأسلحة كما مكنت اسرائيل من الاحتفاظ بميزان التسليح حتى بعد ذلك الحظر الذى فرضه ديجول فى أعقاب حرب الايام الستة) ·

ولذا كانت عين جمال عبد الناصر يقظة دائما لحركات الولايات المتحدة ، وخاصة بعد اغتيال كيندى وانتخاب ليندون جونسون رئيسا للولايات المتحدة الامريكية ·

ووقعت بعض الاحداث التى أدت الى اضعاف الثقة بين واشنطن والقاهرة ··· مثل زيارة خروشوف الناجحة فى مايو ١٩٦٤ ، وحرق بعض طلبة الكونجو للمكتبة الامريكية بالقاهرة ، عقب تدخل أمريكى فى الكونجو أثار احتجاج الافريقيين فى مختلف الدول ، ورفض جمال عبد الناصر للطلب الذى تقدم به اليه السفير الامريكى لوشيوس باتل مطالبا بالتعويض والاعتذار ·

واسقطت احدى الطائرات الميج المصرية بعد شهر من حرق المكتبة طائرة أمريكية خاصة لاحد كبار رجال صناعة البترول فى تكساس ، دخلت الاجواء المصرية بلا اذن وهى فى طريقها من ليبيا الى الاردن ، ولم

تستجيب لانذار طائرة الميج لها بالهبوط ٠

وتصادف أن كانت هناك مقابلة بين وزير التموين الدكتور رمزى استينو والسفير الامريكى فى نفس يوم حادث سقوط الطائرة للمناقشة فى موضوع مد اتفاق مصر بالقمح ، وقال السفير فى المقابلة التى استغرقت خمس دقائق فقط انه يعتقد أن الوقت غير مناسب لمفاتحة جونسون فى هذا الأمر ٠

وجاء رد جمال عبد الناصر على موقف السفير سريعا ومباشرا فقد خطب بعد أيام فى بور سعيد يوم عيد النصر ٢٣ ديسمبر ١٩٦٥ قائلا (السفير الامريكى يقول أن سلوكنا غير مقبول ٠٠٠ طيب حنقول لهم اللى مايعجبوش سلوكنا يروحوا يشربوا من البحر ٠٠٠ واذا ما كفاهمش البحر الابيض يروحوا يشربوا من البحر الأحمر) ٠

وقال جمال عبد الناصر صراحة (اننى لست مستعدا لبيع استقلال مصر فى مقابل ثلاثين أو أربعين أو خمسين مليون جنيه) ٠

كانت هذه الخطبة أول هجوم علنى صريح على أمريكا بعد فترة هدوء امتدت سنوات ٠٠٠ وكانت أيضا بداية لضغط أمريكى متزايد على مصر ٠٠٠ فرغم انه قد اعيد تجديد اتفاق تزويد مصر بالقمح ، الا انه تم لمدة ستة شهور فقط ويفصل ما بين كل فترة وأخرى ستة شهور اخرى ٠

ووصلت مصر الى حد الاشراف على نقص شديدفى القمح، ولجأ جمال عبد الناصر للاتحاد السوفييتى ، فأصدر كوسيجين أوامره لبعض البواخر السوفيتية المحملة بالقمح فى طريقها من كندا واستراليا الى الموانئ السوفيتية بتغيير مسارها والاتجاه فورا الى الاسكندرية لانقاذ شعب مصر مما قد يتعرض له نتيجة نقص القمح ٠

وهكذا بدأت حكومة الولايات المتحدة تباشر ضغوطها على مصر فى أدق وأخطر ما يمكن أن يتعرض له الشعب ٠٠٠ وهو عدم توفر لقمة العيش ٠

ولم تقتصر الضغوط الامريكية على هذه الحدود ، وانما امتدت لتصل الى المشكلة الكبرى ٠٠٠ اسرائيل ٠

ووصل جمال عبد الناصر خطاب من جونسون فى ١٨ مارس ١٩٦٥ تضمن عدة تلميحات خطيرة فيها أن الاسرائيليين منزعجون منتصريحات بعض الزعماء العرب المتشددة والمهددة لامن اسرائيل ووجودها ، وان ذلك قد يجبرهم على تحويل البرنامج الذرى السلمى الى برنامج اخر لانتاج أسلحة ذرية ، كما تشير الى توريد الاتحاد السوفيتى أسلحة لبعض دول المنطقة ، وتهدد صراحة ان الحكومة الامريكية سوف تمد اسرائيل بالأسلحة ، وانه اذا اثار عبد الناصر ضجة بشأن هذه الشحنات ، فسوف تزيد امريكا من مساعداتها لاسرائيل ٠

وكان جونسون قد أوفد افريل هاريمان وروبرت كومر (صاحب حرب

كومر فى اليمن) الى اسرائيل لطمانة الاسرائيليين وبذل الوعود لهم ٠
وبعد هذا الخطاب خفضت مدة اتفاق تزويد مصر بشحنات القمح من ستة شهور الى ثلاثة ٠
وصارح جمال عبد الناصر الشعب فى احدى خطبه قائلا :

(اننا عند عام ١٩٥٩ حتى الآن أخذنا الف مليـــون دولار مساعدات من أمريكا ، بل ان كل رغيفين فى البلد ، منهما رغيف مأخوذ كمســـاعدة من أمريكا ، فاذا قطعت أمريكـا عنا هذه المســاعدة ـــ وهذا يمكن أن يحدث ـ فماذا يكون وضعنا ؟ يجب أن نكون مستعدين لمجابهة مثل هـــذه المشـــاكل) ٠
ولكن تحركات الامريكيين وضغوطهم لم تتوقف ٠٠٠ فقـــد هاجمت القوات اليمنية مقر النقطة الرابعة فى تعز بعد اطلاقه طلقتين من البازوكا ، وتبين انه ستار لنشـــاط المخابرات المركزية الامريكية ، بعد تصـــوير المخابرات المصرية للوثائق الموجودة فيه ٠

ولم تنجح (الدبلوماسية الهادئة) التى طالب بهـــا جونسون فى نزع بذور الشك والمرارة من صـــدر جمال عبد الناصر وهو يواجه الضـــغوط الامريكية المتمثلة فى مســـاعدة اسرائيل ، والملكيين فى حـــرب اليمن ، وسحب تزويد مصر بشحنات القمح ٠
ومع ذلك كلف زكريا محيى الدين بتشكيل الوزارة فى أكتوبر ١٩٦٥ وقيل وقتها ان هـــذا الاختيار قد تم كمحاولة لتهدئة وتحسين الموقف بين القاهرة وواشنطن ٠٠٠ ولكن زكريا محيى الدين أكد لى انه لم يتلق أية توجيهات من جمال عبد الناصر فى هذا السبيل ، ولكنه بمبادرته عمـــل على التهدئة مقتنعا بسياسة قبول (سخافات) الامريكان وعدم الرد عليهـــا ، مع التسليم بحقائق يصعب التغلب عليها فى المرحلة ـ الآتية ـ فتـــؤجل لمرحلة ـــ مستقبلة ـــ وانه حاول أن يفيد مصر على قـــدر الامكـــان من هذه الدولة الكبيرة ٠
نجح زكريا محيى الدين فى مد اتفاقية تزويد مصر بالقمح مـــدة ستة شهور ، ولكنه قال لى (ان مصادقة الامريكان لنا أمر شبه مستحيل ، لأن البناء السياسى هناك يؤثر على استراتيجيتها ، وكانت اسرائيل خلال فترة الصـــــداقة التى قامت بين مصر والولايات المتحـــدة فى السنوات الاولى للثورة ، عاملا مؤثرا فى زعزعة هذه العلاقة ، خاصة واننا كنا نستجيب بسرعة للاحداث بانفعالات تؤثر على مواقفنا) ٠

وأعلن جمال عبد الناصر أمام مجلس الامة عن تحسن العـــلاقات مـــع أمريكا ٠٠٠ وقام بدور الوسيط من أجل الســـلام فى الحرب الفيتنامية ، وعقدت محادثات ثنائية انتهت الى توقيع اتفـــاقية يوم ٣ ينـــاير ١٩٦٦ بامداد مصر بمساعدة قدرها ٥٥ مليون دولار ٠
ونشأ جو معقول من الهدوء والمشاعر الطيبة كما يقول دمكجيان فى كتابه (مصر تحت حكم ناصر) ، وصل غايته بزيارة أنور الســادات رئيس مجلس الامة فى ذلك الوقت لواشـــنطن يوم ٢١ فبراير لتمهيد الطـــريق

لزيارة عبد الناصر نفسه الى أمريكا ٠

وكادت تطوى صفحة اعتقـــال الصحفى مصطفى أمين والدبلوماسى الامريكى اوديل فى الاسكندرية بتهمة التجسس ، ولكن أحداثا أخرى وقعت ، فدمرت ما تم بناؤه خلال شهرى يناير وفبراير ٠

أولا ٠٠٠ محاولة الملك فيصل اقامة حلف اسلامى تنضم اليه الدول ذات الانظمة الرجعية التى تدور فى فلك أمريكا ، فى وقت كانت حرب اليمن مازالت تشكل نزيفا لمصر بمساعدة السعودية وأمريكا ٠

ثانيا ٠٠٠ زيادة المخاوف المصرية من قدرات اسرائيل الذرية واحتمال توفر قنبلة ذرية عندها ، بينما عجزت مصر عن الحصول سوى على وعد ســــوفيتى بالمســـاعدة ٠

ثالثا ٠٠٠ وصـــول معلومات عن بيع أمريكـــا لطائرات ودبابات لاسرائيل الامر الذى اظهر أن ضـــغوط أمريكـــا لم تتوقف وأن محاولات التهدئة مع مصر ليست الا ستارا رقيقا لا يخفى الحقيقة ٠

رابعـــا ٠٠٠ رفض الشروط المتشـــددة التى حاول (صندوق النقد الدولى) فرضهاالاقراض مصر مبلغ ٧٠ مليـــــون دولار والتى تتلخص فى تخفيض قيمـــة الجنيه المصرى ، وزيـــادة الضرائب ، وخفض مصروفـــات الحكومة ٠٠٠ ولم يكن سهلا على النظام قبول هذه الشروط فى وقت كان يعمل فيه على احتواء السخط الشعبى بعدم زيادة الاسعار ، مع الاهتمام بميزانية الدفاع والتصنيع معـــا ٠

خامسا ٠٠٠ وصول الدور المتزايد للمخابرات المركزية الامريكية الى حد تدبير انقلاب ضد كوامى نيكروما فى غانا (فبراير ١٩٦٦) بعد تصفية سوكارنو فى اندونيسيا خلال عامى ٦٥ ، ٦٦ ، وتزايد التدخل الامريكى فى الدومنيكان وفيتنام ، الامر الذى دفع محمد حسنين هيكل الى القـــول فى الاهرام عدد ٨ ابريل ١٩٦٦، ٢٧ يناير ١٩٦٧ بمـــا يفيد بأن هجمة رجعية امبريالية تزحف نحو العالم مستهدفة الجمهورية العربية المتحدة ٠

وصدر قرار بوقف أى رحلات اضافية للطيران الامريكى والبريطانى فوق مصر اعتبارا من منتصف فبراير ١٩٦٦ ٠

ومع كل ذلك كان جمال عبد الناصر حريصـــا على عدم الوصـــول بالعلاقات المصرية الامريكية الى نقطة الانفجـــار ، فدعا دين راسك وزير الخارجية فى أبريل ١٩٦٦ لزيارة مصر لبحث مشروع من أجل الســـلام ، ولكنه لم يحضر لمشاغل حكومة الولايات المتحـــدة ومتاعبها فى فيتنام وفى الاستعداد للانتخابات ٠

ورغم صدور قرار الكونجرس الامريكى فى ١٤ يوليو ١٩٦٦ بوقف المساعدات الغذائية لمصر الا بموافقة رئيس الجمهورية شخصيا ، فان جمـــال عبد الناصر لم يعتبر ان الامور قد وصلت الى نهايتها ، ووافق على زيـــارة مدرعتين أمريكيتين لبور ســـعيد يوم ٢ ســـبتمبر ١٩٦٦ لأول مـــرة بعد ١٢ عاما ٠

وهكذا يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن جمال عبد الناصر كان ينهج

الاسلوب الآتى فى مواجهة الضغوط الامبريالية الامريكية :

أولا ... التمسك باستقلال مصر الوطنى ، ورفض كافة الضغوط الاقتصادية نظير اية مساعدات .

ثانيا ... الحرص على عدم تدهور العلاقات الى الحضيض ، أو وصولها الى منطقة الانفجار بمختلف الوسائل التى يملكها .

ثالثا ... عدم التردد فى مصارحة الشعب بكافة الاخطار والمتاعب القائمة لاعتماده المطلق على الجماهير فى مواقفه الوطنية .

وما كاد عام ١٩٦٧ يقبل حتى وصلت الضغوط الامريكية الى ذروتها ، فلم تعد هناك مساعدات غذائية ، واستقر جونسون فى مقعده رئيسا للجمهورية ، وتضاعف تسليح اسرائيل .

مواجهة الضغوط :

لم يكن جمال عبد الناصر راغبا بالتاكيد فى وقوع النظام تحت مطارق الضغوط الخارجية والداخلية ... ولكن اصراره على الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى ، دفع كافة القوى المعادية للتجمع ، وتنسيق أهدافها لهدم النظام والاطاحة بقائده .

● الانفصال السورى وما تبعه من حساسيات أفشلت محادثات الوحدة الثلاثية ، وجعلت نتائجها شديدة التواضع مقارنة بطموح أنصار الوحدة العربية .

● التورط فى اليمن نتيجة للتنسيق الامريكى البريطانى السعودى الاردنى لمساندة حكم الائمة الشديد الرجعية .

● مواجهة أعداء التقدم الاجتماعى والاشتراكى الذين تحركوا، مثل الاخوان المسلمين ، وفلول الاقطاع .

● عجز النظام عن حل كثير من المشاكل الداخلية نتيجة اعتماده المطلق على حكم فردى ينقصه تنظيم حزبى وكادر قيادى ووعى اشتراكى .

● كل هذه الضغوط كانت تؤثر على قدرة النظام فى البقاء والاستمرار محتفظا ببريق انتصاراته السابقة ، وشخصية زعيمه الساحرة المؤثرة فى مواجهة الضغوط والمؤامرات الامبريالية والصهيونية التوسعية .

سنوات الصعود توقفت ، وبدأت سنوات الجمود ... القدرة الثورية على حل المشاكل بالطرق الادارية استنفذت غايتها ، وبقيت المشاكل تحت السطح متراكمة .

ولكن النظام لم يقف جامدا أمام هذه الضغوط ... ولم يستكن الى ما وصل اليه بل اعتبر ذلك مقدمة للاطاحة به .

وفى محاولة للتغلب على المشاكل الداخلية ومواجهة ما تعرض له من ضغوط ، بدأ جمال عبد الناصر محاولة ، اعطاء تنظيمه السياسى (الاتحاد الاشتراكى العربى) دفعة من الحيوية بتكوية طليعة الاشتراكيين

وتشـــكيل المكاتب التنفيذية ، وتعيين على صبرى أمينـــا عاما للاتحـاد الاشتراكى بعد أن كان رئيسا للوزراء ، وهو فى ذلك الوقت كان موضع ثقة جمال عبد الناصر ، فهو أول من وصل الى هذا المركز الكبير متخطيا جميع الضباط الاحرار مما جعله موضع حسد أعضـــاء مجلس قيـادة الثورة ، ويلاحظ أن اســتقالة عبد اللطيف البغدادى وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم قد تمت أثناء رئاسته للوزارة ٠

ولا يمكن التقليل مطلقا من أهمية التغيير الذى طرأ على الاتحـــاد الاشتراكى فهو لأول مرة يبدأ فى مباشرة عمله على أســـاس سياسى وفكرى واضح بعد فترة جمود فرضت عليه عندما كان حسين الشـــافعى أمينا عاما له ٠٠٠ وخـــلال هذه الفترة أيضـــا نشـــطت منظمة الشباب واستوعبت أعدادا كبيرة لقنت أفكار الميثاق وخطب جمال عبد الناصر فى معسكرات للتدريب فى حلوان ومرسى مطروح وأبو قير ، وتخرج فيها جيل بدأ يهتم بالسياسة ويرتبط بها لاول مرة منذ عام ١٩٥٤ ٠

والى جانب التغيير الذى حدث فى الاتحـاد الاشتراكى والذى جاء تفصيلا فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) حدث تغيير أيضـا فى الوزارة فجاء زكريا محيى الدين رئيسا للوزراء وهو صاحب خبرة غير منازع فيها فيما يتصل بشئون الأمن ووزارة الداخلية ، وهى شئون هامة بعد حوادث الاخوان وفلول الاقطاع ، كمـــا انه كان مهتما بامور الادارة وما يصحبها من رغبة فى التغلب على اثقال البيروقراطية ، واعطـــاء الوحدات الانتاجية فرصة العمل على أسس اقتصادية متحررة من العمالة الزائدة والقيود السياسية ٠

كما ان تعيين زكريا محيى الدين رئيســـا للوزراء كان محاولة من جمال عبد الناصر لتخفيف الضغوط الامريكية على النظـــام فانه رغم أن زكريا محيى الدين قد أكد لى أن توجيهات جمـال عبد الناصر لم تتضمن ذلك صراحة ، الا ان انطــــونى ناتنج فى كتـــابة (ناصر) يقـول أن الامريكيين كانوا يعتبرون زكريا مواليـــا لهم وانهم كانوا يعتبرون عـلى صبرى معاديا لهم ٠

ونجح زكريا محيى الدين خلال فترة رئاسته للوزراء فى تثبيت قواعد الأمن ، وفى الحصول على معونة قمح من أمريكا لمدة ٦ شهور ، وبدأ بعقد مؤتمر للقادة الاداريين لمحاربة البيروقراطية ٠

ولكن وزارة زكريا محيى الدين لم تعمـــر طويـــلا ٠٠٠ فقد أوقف الامريكيون الامداد بالقمح ، ويعلل ناتنج ذلك بقوله ان المحصول قد ضرب فى أمريكا وانهم اضطروا لاعطاء الهند مزيدا من الحبوب تفاديا للمجاعة ، ولكن عبد الناصر اعتبر ذلك منهم اتبـــاعا لسياسة (القط والفار) ٠٠٠ وكذلك فان زكريا محيى الدين كان يجنح للانكماش بدلا من التوسع والتنمية٠

خـــرج زكريا محيى الدين من رئاسة الوزراء بعد ١١ شـــهرا فقط ليتولاها المهندس صدقى سليمان الذى أشرف على بناء السد العالى ، والذى لم يكن من الضـــباط الاحرار ٠٠٠ واعتبر جمال عبد الناصر أن رئاسة جونسون للولايات المتحـــدة ستظل فترة مســـاندة لاسرائيل ، رغم كافة

محاولات التهدئة والاتصـــالات الخلفية التى قام بها بعض المسئولين وغير المسئولين مثل علوى حافظ عضو مجلس الأمة الذى نشر مذكراته فى جريدة أخبار اليوم يوم ٣١ أغسطس ١٩٧٦ ويظهر فيها أن جمال عبد الناصر لم يتردد فى الاتصال بجونسون من أجل الهدوء والسلام فى المنطقة وليس من أجل الخضوع أو الاحتواء تحت المظلة الامريكية ٠

وفى مواجهة للضغوط المحيطة بادر جمال عبد الناصر باتخاذ خطوات هامة فى مجال السياسة العربية ، فدعا الى مؤتمر للقمة العربية بعد اعلان اسرائيل قرب استكمال المرحلة الأولى من (مشروع المياه القومى) الذى استطاعت به حجز نصف مياه نهر الاردن ٠

عقد المؤتمر الاول الذى دعا اليه جمال عبـــد الناصر بالقاهـــرة فى يناير ١٩٦٤ واشتركت فيه ١٣ دولة عربية أعلنت (ان تحويل مجـرى نهر الاردن عدوان خطير على المياه العربية واضرار بالغ بحقوق العرب المنتفعين بهذه المياه) وأعلنت أيضا تشكيل (قيادة موحدة لجيوش الدول العربية) ووافق المؤتمر أيضا على انشاء (منظمة التحرير الفلسطينية) ٠

كان انعقاد مؤتمر القمة خطوة نحو ضمور الخلافات العربية ، وظهور وحدة جديدة ضد التحركات الاسرائيلية التى ظهرت فى كثافة الاشتباكات الاسرائيلية على الحدود السورية والتى بلغت بعد مؤتمر القمة العــربى الثانى الذى عقد بالاسكندرية فى ١٤ سبتمبر ١٩٦٤ ، ١٤ عدوانا خلال شهرى أكتوبر ونوفمبر التاليين مباشرة .

أعلــن المؤتمـــر الثانى (ان الهــــدف القـــومى هو تحـــرير فلســـطين من الاســـتعمار الصــهيونى والالتزام بخطة العمل العـــربى المشترك مع استخدام جميع امكانيات العرب ، وحشـــد طاقاتهم وقدراتهم لمواجهة تحـديات الاسـتعمار والصهيونية واصرار اسرائيل على المضى فى سياستها العدوانية والتنكر لحقوق عرب فلسطين فى وطنهم) ٠

نتائج مؤتمر القمة لم ترق ابدا الى مستوى القرارات لقصور جدية بعض الدول العربية ٠٠٠ ومع ذلك زاد تدفق الاســـلحة الغربية وخاصة الامريكية على اسرائيل ، فوافقت حـكومة الولايات المتحـــدة على تزويد اسرائيل بطائرات (ســـكاى هوك) . وتمادت الهجمات الاسرائيلية على الاردن ، واستنكر موشى ديان سياسة (ضبط النفس) ضـد تحـــركات بعض الفدائيين بدأت مع تكوين (حركةالتحرير الوطنىالفلسطينى) فى أول يناير ١٩٦٥ ٠

وعقد مؤتمر القمة الثالث فى الدار البيضاء ، وأسفر عن (ميثـــاق التضلن العربى) واقترن ذلك بمزيد من التسلح الامريكى لاسرائيل حيـــث وصلتها دبابات باتون ٠

وجدت اسرائيل فى هذه المؤتمرات التى لم تســـفر عن شىء جـدى لصالح العرب ذريعة لاثارة الدول الغربية ضد ما أسمته التحركات العربية المعادية فى ظروف مواتية بالنسبة لها بعد أن اطمـــأنت للدعم الســياسى والعسكرى المباشر من الولايات المتحدة ، وبعد ان استكملت استعدادهـــا للحرب وشكلت قوة ضاربة تهيىء لها القدرة على شن حرب خاطفة ٠

الباب الثاني

الهزيمة

(أن أمريكا واسرائيل قررتا عام ١٩٦٥
أن التخلص من عبد الناصر بانقلاب داخلى
غير ممكن بسبب شعبيته وقوة مركزه ...
وأن الوسيلة هى هزيمته فى حرب محدودة
تفقده ثقة العرب واحترامهم) .

الصحفى الامريكى انتونى بيرسن

المجلة الامريكية ـ بنتهاوس

الفصل الاول

خطوات نحو المصيدة

(كان يجب وجود ٨٠ ألف جندى مصرى فى سيناء لقبولى فى الوزارة) .

موشى ديان ١٩٦٧

لم ينعقد مؤتمر القمة الرابع فى الجزائر كما كان محددا له ان يجتمع .

لم تثمر المؤتمرات الثلاثة السابقة سلاما فى اليمن ، ولا خطة ايجابية لمواجهة تحركات اسرائيل المعادية ... ولم تضع حدا للتمزق العربى .

العوامل التى دفعت جمال عبد الناصر للدعوة الى مؤتمر القمة ، وفى مقدمتها ما جاء فى مؤتمر رؤساء أركان حرب الجيوش العربية ، من أن الاوضاع الموجودة فى الدول العربية تؤثر على العمل العسكرى ، وأن قرار انشاء القيادة العربية الموحدة الذى صدر عام ١٩٦٠ لم ينفذ حتى ديسمبر ١٩٦٣ وهو الشهر الذى وجه فيه جمال عبد الناصر الدعوة لمؤتمر القمة .

هذه العوامل تعرضت لتغيرات كبيرة ... وبعد أن وقف جمال عبد الناصر يخطب فى عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٤ بعد انعقاد المؤتمر الأول قائلا : (لم نجد أبدا أية صعوبة فى تصفية الخلافات ، وكان الكل ميالا لتصفية هذه الخلافات لمواجهة خطر اسرائيل وعدوان اسرائيل وطلعنا بخطة عمل موحدة) ... وقف بعد ذلك فى الاحتفال بعيد الوحدة أيضا عام

١٩٦٦ يهاجم بعض الملوك والرؤساء بعد صمت وهدوء استمر عامين كاملين ، عقد خلالها ثلاثة اجتماعات للقمة فى القاهرة والاسكندرية والدار البيضاء ، وزار جدة فى محاولة لاقرار السلام فى اليمن ٠

هاجم حركة الملك فيصل لمحاولة انشاء حلف اسلامى ، وأشـــار الى ما نشرته الصحف الامريكية من أن واشنطن قد كلفت الملك فيصل وشــــاه ايران لانشـــاء هــــذا الحلف ٠٠٠ وذكر أن ايران قد فتحت فرعا للوكالة اليهودية فى طهران ، وان بن جوريون عقد محادثات مع رئيس وزراء ايران فى مطار طهران ٠

كما هاجم بورقيبة الذى نادى بالتفاوض مع اسرائيل ، بعد أن كان قد أعلن فى مؤتمر القمة الأول استعداد تونس لارسال وحدات من جيشها تقـف على حدود فلسطين ٠

لم يستطع جمال عبد الناصر أن يكظم غضبه من تحركات الامبريالية ، والمتجسدة فى تكوين حلف اسلامى ، حاول الملك فيصـــل الادعاء بأنه كان قرارا من قرارات المؤتمر الثالث فى الدار البيضاء ٠٠٠ والحقيقة أن الأمر لم يكن يعدو حديثا عارضا طلب فيه من الملك فيصل أن يستنهض المســلمين أثناء الحج لنصرة قضية فلسطين ، كما يتصل الرئيس اللبنانى شـــارل حلو بالفاتيكان لنفس الهدف ٠

تفجـــرت الخــــلافات من جديد بين الانظمة الرجعية ، وبين الانظمة الوطنية التقدمية ٠

وكان قد حدث انقلاب فى سوريا ضمن اطار حزب البعث أطاح بأمين الحافظ ، ووصلت الى الحـــكم مجموعة نور الدين الآتاسي وصــــلاح جديد ويوسف زعين وابراهيم ماخوس ٠٠٠ وبعد شهرين من الانقلاب صدر بيان من القيادة القطرية الجديدة لحزب البعث فى ٤ أبريل ١٩٦٦ يقـــــول (أن مؤتمرات القمة فيها عودة الى العمل التقليدى ازاء تحرير فلسطين وتضليل للشعب العربى ، ومحاولة لاجهاض أى حركة ثورية لتحرير فلسطين ، وهى سياج يحمى الرجعية من غضبة الجماهير ٠٠٠ انه تهرب من المعـــركة وانهزامية) ٠

كان البيان تعريضا غير مباشر بالقاهرة بدعوى التهرب من المعـــركة ، وتعريضا مباشرا بالرياض باعتبارها الرجعية التى تحميها مؤتمرات القمة ٠

وبدا واضحا أن فترة الهدوء العربى قد انتهت ٠٠٠ بعد وصـــول الجناح اليسارى من البعث الى مقاعد الحكم فى سوريا ، بانقلاب عسكرى فوق التقاليد الحزبية ٠

وواصل جمال عبد الناصر هجومه على الرجعية العربية فى خطـــاب عيد الثـــورة يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٦ قائلا (هادنا الرجعية على أســـاس انها تشترك فى وحدة العمل من أجل فلســـطين) ٠٠٠ ثم أشـــار الى أن مؤسسة أمريكية قد أخذت من السعودية ٥ ملايين جنيه للقيام بدعاية مضادة لمصر فى أمريكا ، كما انه وزعت منشورات أثناء الحج ضـــد النظـام فى مصر ٠٠٠ وانه توجد فى السعودية بعثات عسكرية أمريكية وبريطانية ٠

ثم حسم جمال عبد الناصر الموقف بقوله انه لا يستطيع الجلوس مع

القوى الرجعية فى مؤتمرات قمة قادمة ، وان الجمهورية العربية المتحدة لن تذهب وانه سيطلب من الجامعة العربية تأجيلها الى أجل غير مسمى ·

وأرسل محمود رياض وزير الخارجية خطابا بذلك الى الجامعة يوم ٢٥ يوليو ·

وهكذا لم ينعقد مؤتمر القمة الرابع الذى كان محددا له أن ينعقد فى الجزائر يوم ٥ سبتمبر ١٩٦٦ ··· وكتبت السعودية مذكرة تقول فيها (فى حالة الاخذ بمبدأ التأجيل فان المملكة العربية السعودية ترى نفسها مضطرة لتجميد كافة التزاماتها تجاه مؤسسات المؤتمر) ·

طويت صفحة مؤتمرات القمة ، واستبدلت بناء على اقتراح عبد الخالق حسونة بمؤتمر لوزراء الخارجية يوم ١٠ سبتمبر فى دورة مجلس جامعة الدول العربية العادية ، وحضره وزراء خارجية مصر والسودان وسوريا والعراق ولبنان والكويت واليمن فقط أما بقية الدول العربية فمثلها السفراء ·

اجتمع وزراء الخارجية العرب بعد أيام من احتفال الحكومة الاسرائيلية بافتتاح الكنيست الجديد فى القدس ، وكان ذلك « تدشينا لاختيار القدس عاصمة لاسرائيل رغم قرارات الامم المتحدة » ·

حضر هذه الاحتفالات وزراء وممثلون لواحد وأربعين دولة ·

ولم ياخذ مؤتمر وزراء الخارجية الا قرارا يعلن فيه (ان الامة العربية اذ ترفض التسليم بالامر الواقع المتمثل فى قيام اسرائيل بفلسطينها المحتلة ، تؤكد أن مدينة القدس عربية باعتبارها جزءا من فلسطين العربية ، وأن القدس الجديدة جزء لا يتجزأ من بيت المقدس) ·

ولكن الفدائيين الفلسطينيين كان لهم اسلوب اخر فى العمل ، هو شن الهجمات داخل اسرائيل ... كانت منظمة فتح (حركة التحرير الوطنى الفلسطينى) قد تشكلت فى أول يناير ١٩٦٥ وباشرت اعمالها الفدائية بلا تنسيق مع الانظمة القائمة فى تشكيل عسكرى باسم ((العاصفة) ··· ومنظمة (الصاعقة) التى تكونت فى أحضان النظام السورى وتحت رعايته ·

ازداد نشاط الفدائيين الامر الذى يذكرنا بما حدث عام ١٩٥٥ عندما فقدت اسرائيل ٢٥٨ شخصا قبل العدوان الثلاثى ، ولكن الامر يختلف لانه لم تكن هناك قوات طوارىء دولية على حدود مصر واسرائيل تحد من نشاط الفدائيين أو تمنعه ··· كما أن العلاقات العربية لم تكن قد وصلت الى هذه الدرجة من التنافر بعد وضوح الفرق فى الاختيار بين الانظمة الاجتماعية··· فقد كانت مصر وسوريا تعلنان الاشتراكية ، بينما يحرص الملك حسين على نظامه المعادى للاشتراكية ·

كان الفدائيون ينطلقون الى داخل اسرائيل من الحدود السورية بموافقة ضمنية من النظام ، ومن الحدود الاردنية بغير موافقة النظام ·

وكانت اسرائيل توجه غاراتها الانتقامية ضد سوريا ·

اتفاقية الدفاع المشترك : مصر والاردن :

كانت العلاقة بين القاهرة والنظام البعثى الجديد فى دمشق تقترب عن

ذى قبل ··· فقد كانت هناك عقبات كثيرة تعترض طريق عودة العلاقات الطبيعية بين الدولتين ، نتيجة الاخطاء التى ارتكبت فى عهد الوحدة ، وما خلفته من حساسيات وشعور متبادل بعدم الثقة ··· ولكن النظام البعثى الجديد كان يشق طريقه نحو التقدم ، فقد اتخذ عدة خطوات هامة مثل تأميم البنوك وشركات التأمين . وسيطرت الدولة على التجارة الخارجية والصناعات الرئيسية والثروات المعدنية بما فى ذلك البترول ··· واتجه فى السياسة الداخلية نحو التعاون مع القوى الوطنية والديمقراطية ومن بينها الحزب الشيوعى السورى وكان ذلك تطورا ملحوظا فى هذا المجال ··· كما ان النظام قد اتجه فى سياسته العربية الى التقرب من القاهرة ، وأظهر مزيدا من الثقة بجمال عبد الناصر ، كما أن بعض قادته حرصوا على خلق علاقات شخصية وطيدة مع الشخصيات التقدمية المصرية ، وأذكر أن ابراهيم ماخوس قد لعب فى ذلك دورا ملحوظا . زادمن رصيد النظام السورى عند النظام المصرى وعناصره التقدمية ، كما اتجه الى التقارب مع الجزائر أيضا حيث كان نور الدين الأتاسى وابراهيم ماخوس يعملان طبيبين هناك مع قوات الثورة الجزائرية ··· وفى السياسة الخارجية تقارب النظام من الدول الاشتراكية، ووقع عقدا مع الاتحاد السوفيتى لانشاء سد الفرات ، وهو مشروع يعطى دفعة قوية للاقتصاد السورى ·

بدأت الحساسيات فى الذوبان تدريجيا بين مصر وسوريا ، وطفت الى السطح حوادث الاعتداءات الاسرائيلية ردا على هجمات الفدائيين ·

وصل الى القاهرة وفد وزارى سورى فى يونيو ١٩٦٦ لأول مرة منذ ثلاث سنوات لاجراء مناقشات سياسية ·

والتقى جمال عبد الناصر مع زعماء البعث الجدد فى موقفهم المشترك من الرجعية العربية الحاكمة ·

وكان الجفاء قد عاد يحكم العلاقات مرة أخرى بين القاهرة وعمان، ومضت فترة اللقاء بعد مؤتمرات القمة واعتراف الأردن بجمهورية السلال فى اليمن كسحابة صيف ··· فقد ظهر الملك حسين بمظهر الملتصق بالحماية الامريكية ، ورغم قرار مؤتمر القمة بالاعتراف بمنظمة تحرير فلسطين الا انه اتخذ موقف العداء من أحمد الشقيرى ، وفرض قيودا على حركة الفلسطينيين فى الضفة الغربية ، وأصدر قرارا يحرم حمل الاسلحة فيها الا على جنود الجيش والشرطة ، الامر الذى يحول دون تكوين قوات مسلحة فلسطينية ·

كان الملك حسين يرى فى حمل الفلسطينيين للأسلحة والسماح لهم بالتسلل الى اسرائيل خطرا يهدد نظامه ، ويخلق ازدواجية ولاء فى دولة واحدة ··· ولكن الدول التقدمية (مصر وسوريا والجزائر) لم تشاركه هذا الرأى وأخذت موقف المساندة لمنظمة تحرير فلسطين ·

ولم يكن ذلك يعنى أن جمال عبد الناصر يرى أن تحرير فلسطين يمكن أن يتم فورا عن طريق القتال بالسلاح ، فهو فى مواقفه وتصريحاته منذ عدوان ١٩٥٦ كما يقول الكاتب الاسرائيلى (اليزير بيرى) فى كتابه (ضباط الجيش فى السياسة والمجتمع العربى) (انتهج سياسة تفادى المجابهة المباشرة السريعة مع اسرائيل) ·

صحيح أن بعض تصريحات عبد الناصر كانت تتحدث عن الحرب مع اسرائيل مثل تصريحه لمندوب اذاعة وتليفزيون كولومبيا فى ١٢ يوليو ١٩٦٥ الذى قال فيه (الحرب هى الحل الوحيد للمشكلة الفلسطينية) ··· ولكنه لم يكن يعنى الاندفاع اليها ، بل كانت مثل هذه التصريحات تتم فى حدود حرصه على الاحتفاظ بزعامته الشعبية ورغبته فى أن تظل القضية ملتهبة وليست خامدة ·

ويقول (اليزير بييرى) فى كتابه أيضا ان عبد الناصر خلال سنوات طويلة كان حريصا على عدم مناطحة اسرائيل الا اذا توافرت له ثلاثة عوامل :

١ ـ تفوق عسكرى عربى ·

٢ ـ تحقيق الوحدة والتضامن العربى ·

٣ ـ عزل اسرائيل عن القوى الغربية ·

ويقول محمد حسنين هيكل فى مقال له بعنوان (لمصر ··· لا لعبد الناصر) ان جمال عبد الناصر كان حريصا كل الحرص فيما يتعلق بالصدام المسلح مع اسرائيل لعدة أسباب :

١ ـ كان يرى أن الصدام المسلح مع اسرائيل لابد فيه من حساب احتمالات التدخل الامريكى ، وهو احتمال قائم يستهدف فرض الهزيمة على العرب اذا استطاع او سلبهم ثمار النصر اذا استطاعوا ··· واذن فان نجاح الصدام المسلح فى رأيه كان مرهونا بظرف دولى وعربى ملائم تكون فيه القوة الامريكية مصابة بالشلل او يمكن اصابتها به ·

٢ ـ كان من رأيه ان القوات المسلحة المصرية تحتاج على الاقل الى خمسة عشر عاما تستوعب فيها سلاحها الذى حصلت عليه من الاتحاد السوفيتى ، ولم يكن يقيس هذه المدة بتاريخ أول صفقة سلاح سنة ١٩٥٥ وانما كان يقيسها ابتداء من سنة ١٩٥٧ ومن هنا ، فقد كانت الفترة المحتملة للصدام المسلح فى تقديره هى الفترة ما بين سنة ١٩٧٢ وسنة ١٩٧٥ ·

٣ ـ وحتى يجىء هذا الوقت وتسنح فرصته فقد كان جمال عبد الناصر يعتقد اعتقادا راسخا أن اسرائيل نمو دخيل وسط الجسد العربى، وأن مقاطعتها واحكام الحصار من حولها وتشديد الضغط عليها كل يوم سوف يؤدى الى حبس الدم عن خلاياها ومن ثم الى ضمورها وسقوطها وهو ما عبر عنه بسياسة (السنطة وشعرة ذيل الحصان) ·

ويؤكد هذه الصورة موقف جمال عبد الناصر من مشكلة تحويل اسرائيل لمجرى نهر الاردن داخل اراضيها ، والمناقشات التى دارت حول ذلك فى عهد الوحدة كما جاء تفصيلا فى الباب الثانى من الجزء الثالث (عبد الناصر ·· والعرب) ·

لم تكن عند جمال عبد الناصر اذا رغبة فى الانزلاق الى الحرب قبل ان يستعد لها تماما ، ويقول انطونى ناتنج فى كتابه (ناصر) ان لهجة بعض تصريحاته لا تدل على تغيير فى موقفه الاستراتيجى من اسرائيل ·

ويدلل ناتنج على فكرته هذه بالقول انه بعد التغير الذى حدث فى سوريا ، وعجز جمال عبد الناصر خلال السنوات السابقة عن ضرب النظام السورى او عزله ، فانه لم يجد بديلا سوى الارتباط بالنظام البعثى الجديد حتى يتفادى سحب العرب الى حرب ثالثة مع اسرائيل ، حيث ان الغرب ما كان ليجد فرصة مناسبة لضربه اكثر من توريطه فى حرب مع اسرائيل

تكون سوريا هى البادئة بها مما يجعل الرأى العام العالمى يأخذ موقفا معاديا للعـرب ٠

ولم يكن امام جمال عبد الناصر من خيار آخر ٠٠ ففى دمشـــق نظام تقدمى جديد يشـــيد بدور مصر وعبد الناصر ٠٠ ويحرص على تحسين العلاقات مع القاهرة ٠٠ وهو ما افتقده جمال عبد الناصر منذ الانفصال ٠

ونظام البعث فى دمشق تميز ايضا بمغالاته فى الظهور بمظهر يسارى قد تبدو فيه بعض المغالاة المقصودة او غير المقصودة ٠٠ ولكن فى حـــدود الهجوم على الرجعية العربية التى كان يهاجمها عبد الناصر ايضا ، والتى كان واثقا من انها تدبر له مع الامبريالية العالمية كمينا جـــديدا ، بعد ان عجزت اليمن عن استنزاف دماء النظام ٠٠ وتراجع عدد القوات هناك ليصبح ٢٠٫٠٠٠ بدلا من ٧٠٫٠٠٠

العلاقات الجيدة ، والرغبة فى حد اندفاع المغالاة عند السوريين كان حافزا لجمال عبد الناصر على الارتباط مع النظام السورى بشكل يمنعه من توريط العرب فى اندفاعات غير محسوبة ٠

كان الاسرائيليون قد قاموا بغارة انتقامية ضـــد سوريا فى سبتمبر ١٩٦٦ ردا على ضربهم لمنشئات اسرائيلية اقيمت على أرض منزوعة السلاح تبعا لاتفاقية هدنة ١٩٤٩ ٠

وكان الاسرائيليون يرفضـــون فى عناد مناقشـــة مبدأ اقامة هذه التحصينات فى لجنة الهدنة المشتركة منذ بدأ انشاؤها عام ١٩٥١ ، وعندما اثار النظام البعثى الجديد هذه المشكلة كان جواب اسرائيل فى صورة تحذير باعتبار سوريا مسئولة عن كافة هجمات الفدائيين الفلسطينيين او غيرهم فى المستقبل وقال اسحق رابين رئيس الاركان فى ١١ سبتمبر (المعارك التى على اسرائيل خوضها ضد سوريا انتقاما للغارات التخريبية انما تستهدف النظام السورى ٠٠ هدفنا هو القضاء على هذا النظام) ٠

وعلى الجانب الاخر كان نور الدين الاتاسى قد اســـتقبل شوان لاى فى صيف ١٩٦٦ ، وحاول ان يعزله عن صداقته الناشئة مع مصر ومع الدول الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى ٠٠ ولكن الاتاسى لم يستجب لهذا الاسلوب الذى سبق ان اتبعه شوان لاى مع جمال عبد الناصر عام ١٩٦٥ عند بقائه فى القاهرة فترة قبل انعقاد مؤتمر التضامن الاسيوى الافريقى فى الجزائر والذى تقرر الغاؤه بعد حركة التصحيح التى قام بها هوارى بومدين فى ١٩ يونيو ٠

أبلغ نور الدين الاتاسى مصر بما سمعه من شوان لاى ، واســـتجاب الى نصيحة موسكو بالاقتراب من النظام الوطنى التقدمى فى مصر ٠٠ وسعد جمال عبد الناصر بان الخطوة الاولى للاقتراب جاءت من الجانب السورى فوافق فورا على ان تبدأ محادثات بين رجال اركان الحرب فى الدولتين ، وتم تبادل السفراء بين القاهرة ودمشق عقب انقطاع طال عهده منذ الانفصـــال فى اكتوبر ١٩٦٦ وفى يوم ٤ نوفمبر وقعت اتفاقية دفاع مشـــترك تعتبر ان الهجوم على دولة هو هجوم على الاخرى ٠

وكان جمال عبد الناصر واعيا بان هذه الاتفاقية قد تحمل له توريطا غير مطلوب ولذا كتب محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام قائلا (هذا الميثاق لا يلزم القاهرة بالتدخل اوتوماتيكيا لصد كل غارة انتقامية ضد سوريا) .

ومع ذلك يعتبر جان لاكوتير ان الجمهورية العربية المتحدة قد تورطت مع النظام البعثى الجديد في سوريا رغم تجارب الوحدة ، لتطرف قادته ومفهومهم لمعنى المسئوليات .. ويتمادى لاكوتير فيقول (يمكننا القول بان حرب الايام الستة انما بدأت فى ٤ نوفمبر ١٩٦٦) .

والحقيقة انه كان من أشد الامور صعوبة ان يأخذ جمال عبد الناصر موقفا سلبيا وانعزاليا من القضية الفلسطينية التى ظلت تعتبر محورا للحركة السياسية العربية ، والتى دعا هو من اجلها الى عقد مؤتمرات القمة ، ثم انسحب منها عندما شعر أن الرجعية الحاكمة تتآمر ضده خلال التهدئة التى فرضتها .

وكان هناك سبب آخر يدفع جمال عبد الناصر دفعا الى توقيع اتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا ، وهو دوره التاريخى البارز ، وزعامته السياسية التى تأثرت بهزيمة الانفصال ، وعدم الوصول الى نتيجة حاسمة فى حرب اليمن ، ومصرع عبد السلام عارف وتعيين اخيه عبد الرحمن وهو شخصية ضعيفة تردى الموقف السياسى فى العراق خلال حكمه الى حد تشرذم وتمزق القوى السياسية عدا البعث فى العراق الذى كان يدبر خطته للوصول الى الحكم .

كان صعبا ان يرفض العرض السورى للدفاع المشترك .. وقد وجد فيه محاولة للتخفيف من تطرف النظام فى دمشق ، ومحاولة لتغيير مفهوم المسئولية عندهم كرجال دولة .. وحذرهم من ان القاهرة لن تكون ملزمة اوتوماتيكيا بالرد على كل غارة انتقامية اسرائيلية .. ومع ذلك كانت الاتفاقية ــ رغم ضرورتها ــ خطوة نحو المصيدة .

الاردن .. والمصيدة :

وبعد ايام من توقيع الاتفاقية قتل ثلاثة من الجنود الاسرائيليين قرب الحدود السورية ، وفضل ليفى اشكول عدم اختبار جدية الاتفاقية فى ايامها الاولى .. واختار مكانا اخر لغارته الانتقامية .. قرية السموع الاردنية يوم ١٣ نوفمبر .. ربما تحاشيا لخسائر قد يتعرضون لها فى الهجوم على مواقع الجولان الحصينة .

هاجمت قوة اسرائيلية من المدرعات والطائرات القرية الاردنية فى نفس اليوم الذى وصل فيه الى عمان الجنرال أيوب خان رئيس جمهورية الباكستان ، اكبر الدول الاسلامية عددا .

أسفرت الهجمة عن تدمير ١٢٥ منزلا ، ٢٨ قتيلا ، ١٣٤ جريحا فى غارة استمرت اكثر من ست ساعات .

وانفجرت المظاهرات فى الاردن .. فى الضفة الغربية والشرقية ، وتعالت الهتافات ضد الملك حسين الذى كان قد اغلق مقر منظمة تحرير

فلسطين فى عمان بالشمع الاحمر ·· واهتز موقف الملك الذى لم يتدخل جيشه فى مقاومة الغارة ·

وتحرك الاسطول السادس لحماية عرش الملك كما نشرت جريدة نيويورك تايمز يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٦٦ ، واشارت الى انه اتخذ مراكزه فى شرق البحر الابيض لانزال جنوده عند طلب الملك حسين ·

وفجرت غارة الاسرائيليين على قرية (السموع) حملة دعائية هائلة ضد مصر وجمال عبد الناصر ، بدأت بمؤتمر صحفى لوصفى التل رئيس وزراء الاردن يوم ٢١ نوفمبر القى فيه اللوم على الجمهورية العربية المتحدة لان (مسئولية التدخل الجوى لحماية جنوب الاردن تقع على سلاح الطيران المصرى) حسب قوله ·· وعلى القيادة العربية الموحدة لانها (لم تطلب الى الجيوش العربية التحرك لنجدة الاردن) ·· وعلى الجمهورية العربية السورية (لان سلاح الطيران كان بوسعه ان يقصف الاهداف الاسرائيلية الحيوية ويخفف الضغط عن الاردن) ·· وعلى احمد الشقيرى لانه لم يفتح جبهة ثانية فى سيناء بتحريك جيش التحرير الفلسطينى المرابط فى قطاع غزه) ·

كان هذا الهجوم امتدادا لحملات الدعاية المضادة للجمهورية العربية المتحدة ولجمال عبد الناصر التى تبنتها اذاعة الاردن والسعودية والتى كانت تتهم النظام المصرى بانه ارتضى لنفسه موقف السلبية من القضية الفلسطينية ، وانه يحمى نفسه خلف جنود قوات الطوارىء الدولية المنتشرين على امتداد الحدود المصرية ، وانه سمح للاسرائيليين بعبور خليج العقبة وانشاء ميناء ايلات الذى يصله ٩٥ ٪ من بترول اسرائيل الوارد من ايران وذلك بالتنازل بعد عدوان ١٩٥٦ عن تواجد القوات المصرية فى شرم الشيخ والسيطرة على مداخل الخليج عند جزيرتى تيران وصنافير ·

ظلت الاذاعة الاردنية والسعودية تضرب على هذه النغمة المستفزة التى تحاول استثارة النظام المصرى ، وتدفعه الى اتخاذ خطوات غير محسوبة للقتال مع اسرائيل فى توقيت غير مناسب ·

ولكن النظام لم يندفع الى ما كانت تبتغيه هذه الاذاعات .. قال جمال عبد الناصر بعد غارة السموع فى خطاب أمام مجلس الامة (بالنسبة لجبهة الاردن لابد من تسليح سكان القرى الامامية ، ولو بالقدر الذى يمكنهم من الدفاع عن النفس والقيام بدور المعوق حتى نصل النجدات العسكرية النظامية ... ان أى جيش لا يستطيع ان يحمى جبهة واسعة كجبهة الاردن امام عدو غادر كالعدو الاسرائيلى بدون نظام للدفاع يعتمد على تسليح أهل القرى الامامية ... هذا هو رأينا فى العدوان الاسرائيلى على قرية السموع .

مازال جمال عبد الناصر حذرا وحريصا على عدم الاندفاع الى المصيدة المفتوحة .

وكان للحكم فى سورية رأى آخر أصدره فى بيان سياسى يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٦٦ قال فيه (الحل العملى الموضوعى هو لقاء القوى التقدمية

بهدف قيام حرب شعبية شاملة .. وانه يجب تشكيل جبهة تقدمية فى القطر العربى الاردنى .. وان حرب التحرير الشعبية هى التى تستطيع ان تطيح بالعرش الهاشمى وتدك اسرائيل من جذورها ، وان الحل هو الاستمرار فى الثورة الى ان يزول العرش الخائن من الوجود .. اليوم تحرير الاردن .. وغدا تحرير فلسطين .

ولا شك ان هذه البيانات كانت عاملا من العوامل المؤثرة على جمال عبد الناصر ، والتى تظهره بطريقة غير مباشرة فى مظهر الذى يتبع (سياسة ناعمة) ازاء اسرائيل ... ولكنه مع ذلك استطاع حتى هذه المرحلة ان يستوعبها هى واذاعة الاردن والسعودية .

وامام هذا الموقف المشتت دعا الفريق على على عامر قائد القيادة العربية الموحدة ، مجلس الدفاع العربى للاجتماع فى ٧ ديسمبر ١٩٦٦ . بعد حملة التشهير التى شنها المسئولون فى الاردن ضد القيادة الموحدة وتخليها عن مسئوليتها القومية فى حادث قرية (السموع) .

وكانت اجتماعات المجلس فرصة للمناقشة واثارة القضايا المختلف عليها ... فقال الفريق على على عامر ان حادث قرية (السموع) هو عدوان محدود لا يستهدف الاحتلال .. ثم شرح مخالفات الحكومة الاردنية لتوصيات القيادة العربية من حيث التسليح والتجنيد وبناء المطارات وانشاء الاسراب الجوية ، وعدم السماح للقوات العراقية والسعودية بالدخول ، ورفض تمركز مقاتلات عربية فى الارض الاردنية .

وقال محمود رياض وزير الخارجية ردا على اتهامات الاردن فى مذكرة رسمية تقدمت بها تطلب سحب قوات الطوارىء الدولية من قطاع غزة وسيناء لان وجودها على الارض العربية (يشكل عائقا يحول دون تنفيذ خطط القيادة العربية الموحدة) كما جاء فى نص المذكرة .

وقال محمود رياض (قوة الطوارىء الدولية لا تشكل اى قيد على الجمهورية العربية المتحدة او على حريتها فى العمل الذى نراه مناسبا . ونستطيع ان نطلب سحب هذه القوات فى اى وقت نشاء) .

الاردن تمارس سياسة الضغوط الدعائية والنفسية على النظام المصرى حتى فى المذكرات الرسمية وفى جلسات الجامعة العربية ... واصبح سحب قوات الطوارىء الدولية موضوعا مثارا تحت البحث منذ اواخر عام ١٩٦٦ .

وكشف احمد الشقيرى بعض مواقف الحكومة الاردنية من جهة قرارات القيادة العربية الموحدة ، اذ رفضت ما عرضته القيادة من توريد طائرات سوفييتيه مقاتلة من أحدث طراز واصرت على شراء طائرات امريكية (قديمة مجددة) حسب تعبيره ويبلغ ثمنها ثلاثة اضعاف ثمن الاولى وتورد بعد مدة تتراوح بين سنتين وثلاث .. وأشار أيضا الى رفض المساعدات ومنع القوات العربية المسلحة او الجوية من الدخول الى الاردن تنفيذا لقرار القيادة .

واعلن خطة القيادة التى تنص على ((مسئولية كل دولة فى رد غارات العدوان عليها طالما لم يؤد ذلك الى احتلال جزء من اراضيها) كما اشـــار الى رفض حكومة الاردن اعلان التجنيد الاجبارى ليمكن تكوين جيش احتياطى يستدعى عند الحاجة .

الخلافات فى مجلس الدفاع العربى حادة ، والقيادة العربية الموحـــدة قاصرة عن القيام بواجباتها فى التعبير عن القدرة والقوة الحقيقية لجماهير الامة العربية ، والنظم السياسية متنافرة النظرة رغم مواثيق الدفاع المشترك .

اثرت غارة قرية السموع على موقف الاردن ، فقبلت دخـــول ٢٠٫٠٠٠ جندى سعودى الى اراضيها وظلت على موقف الرفض من دخول القــــوات العراقية التى ظلت تنتظر عاما كاملا فى منطقة الرطبة على الحدود الاردنية ، مما جعل مؤتمر القمة الثالث فى الدار البيضاء يوافق على سحبها بعـــد ان (اصاب معداتها التلف وهبطت روح رجالها المعنوية) كما تقول كلمات تقرير القيادة العربية الموحدة بالحرف الواحد .

صرح ابا ابيان بقوله (ان الغارة قد جعلت الموقف يستقر) ... واعلن الجنرال موشى ديان يوم ٨ يناير ١٩٦٧ (ان الخطر الوحيد هو قيام انقلاب فى الاردن يطيح بالملك حسين ، فانه عنصر الاستقرار الوحيد فى منطقتنـــا ، واختفاؤه عن المسرح سيكون له نتائج خطيرة علينا .

وظل الملك حسين سادرا فى اسلوبه .. يشدد هجماته على النظـام فى القاهرة ، ويسحب اعترافه بجمهورية السلال فى اليمن قائلا فى وليمة اقامهـــا للملك فيصل فى ١٢ فبراير بعمان انه لن يسكت على حمام الدم الذى يجرى فى اليمن ... ويلتقى بالحاج أمين الحسيني الذى زار الاردن فى اول مارس .

الملك حسين يؤدى دوره فى تناسق تام مع ملك السعودية فيصل ويرفض الاثنان ارسال مندوبهما لحضور اجتماعات مجلس الدفاع العربى الذى عقد فى القاهرة فى ١٢ مارس ١٩٦٧ ، والذى تلا فيه الفريق على على عامر تقريرا موجزا استغرق خمس دقائق فقط طالب فيه المجلس ان (يبت فى امر القيادة العربية الموحدة حتى لا تبقى بدون عمل ، وان تصارح الدول العربية الامـــة العربية بالحقيقة .. وان قوات الدعم العربية لم تدخل الاردن ، وان عددا من الدول العربية لم تف بالتزاماتها المالية ..وان توقف الدول عن سداد التزاماتها سوف يؤدى بالوضع العسكرى الى موقف خطير) ثم صارح المجلس بقولــه (ان استمرار هذه الاوضاع لايمكن القيادة من تنفيذ المهمة التى اقرها مجلس الملوك والرؤساء فى الاسكندرية) .

كان رئيس اركان حرب الاردن والسعودية فى القاهرة ، ولكنهما رفضا حضور اجتماع مجلس الدفاع العربى .

وانتهى الاجتماع الى مطالبة الدول العربية الوفاء بالتزاماتها المالية

والعسكرية ، وتحدد شهر يوليو موعدا للاجتماع القادم .

سوريا .. والمصيدة

في يوم ٧ ابريل شنت القوات الجوية الاسرائيلية غارة على سوريا اسقطت فيها ٦ طائرات ميج سورية ... بينما اذاعت الحكومة السورية انها اسقطت ٥ طائرات اسرائيلية ، وسقطت لها اربع طائرات ... ولم يكن ذلك صحيحا .

وقد أثارت هذه الغارة معارضة داخل اسرائيل ... ليس لانها حدثت ، ولكن لانها تمت باستخدام عدد كبير من الطائرات . ولانه أعلن ان العملية تمت عن قصد وترتيب .

ويروى الصحفى الاسرائيلى شلومو نيكدمون فى كتابه (ما قبل ساعة الصفر) قصة النقد الذى وجهه الى الحكومة بنجوريون وشيمون بيريز وما قاله ديان من (ان جيش الدفاع كان يجب عليه الا يدفع بمثل هذا العدد الكبير من الطائرات صوب دمشق) ... واضاف بأنه كان من رايه ضرورة تحديد عملية الرد بنفس حجم العدوان السورى ، وعدم توسيع العملية حتى دمشق

ميثاق الدفاع المشترك لم يدفع القاهرة الى اتخاذ خطوات اكثر من ارسال الفريق صدقى محمود قائد القوات الجوية الى دمشق يوم ١٠ ابريل.

وانقضت الغارة التى قامت بها اسرائيل ردا على ضرب المدفعية

السورية للمزارعين حول بحيرة طبريا ، دون أن تحرك شيئا فى رقعة الشطرنج القــــائمة .
ولم يأخذ النظام السورى الذى خسر ٦ طائرات دفعة واحدة هذه الغارة مأخذ الجد ، ويقارن بين حالته العسكرية وحالة الاسرائيليين ... بل انه واصل هجماته بالمدفعية لاكتساب مظهر البطولة أمام نظام عمان المتربص ، لم يشأ القادة السوريون أن يركنوا الى الصمت والقاء التهم على الآخرين كما فعل الملك حسين ، بل انهم اختاروا طريق الاستمرار فى الرد واطــــلاق الفــــدائيين .

واتسمت تصريحات القادة الاسرائيليين بالعنف .. قال الجنرال اسحق رابين (لن يعرف نظـــام فى الشرق الادنى الامان والاســــتقرار ما لم تقلب حكومة دمشق) ولمح كما يقول رودلف ونستون تشرشل فى كتاب (حرب الايام الستة) بان قواته تستطيع مهاجمة دمشق والاطاحه بحكم نور الدين الاتاسى .
وخطب رئيس الوزراء ليفى اشكول فى نادى ايدار فى تل ابيب قــائلا (نظرا للاعتداءات السورية المتكررة والتى بلغت ١٤ اعتــداء فى الشــهر الماضى ، نرى انفسنا مجبرين على اتخاذ اجراءات حاسمة تفوق تلك التى اتخذناها فى ٧ أبريل الماضى) .
لم يدرك النظام السورى الاخطار الحقيقية التى تتهدده من تصريحات الزعماء الاسرائيليين .. بل لعله أدركها ووجد أن النجاة منها لا تكون فى الهدوء والتقاعس ، وانما فى الصمود والمواجهة .
ولا يمكن لأحد أن يعيب على نظام – أى نظام – دفاعه عن نفسه ووطنه بأسلوب القتال والمواجهة .. ولكن مايمكن ان يعاب عليه ، هو أن تكــون نظرته قاصرة ومحدودة على ظروف خاصة وليست شاملــة .. وأن تكــون حركته عفوية ومن باب ردود الفعل بدلا من ان تكون مدروسة ومنسوجة فى خطة استراتيجية سليمة .

كانت عين النظام السورى فى حركته على الجبهة الداخلية التى تحركها وتهزها تحركات الامبريالية .. مثال ذلك المقال الذى نشرته مجلة عســكرية محدودة التوزيع بقلم صبف ضابط مجهول يدعى ابراهيم الكلاس يهاجم فيه الاسلام ، والتقطت ذلك جريدة رجعية فى بيروت فأعادت نشر المقال ، وعقب على ذلك الشيخ حسن حبنكه من على منبر الجامع الأموى فى خطبة الجمعة وبعدها أغلق التجار الكبار محالهم وأعلنوا الاضراب وردت الحكومة السورية بالعنف على المتآمرين فاعتقل الشيخ حبنكه وظهــرت فى شــوارع دمشــق وغيرها الدوريات العسكرية وفصائل العمال المسلحين .. ومثال ذلك أيضــا محاولة الانقلاب الذى قام به الرائد سليم حاطوم والــذى أثبتت التحقيقات صلته بأجهزة المخابرات الامبريالية ثم هربه وبعض زملائه الى الخارج ،وظهوره فجأة بعد العدوان الاسرائيلى متسللا الى الاراضى السورية ، ثم اعتقاله ومحاكمته أمام محكمة عسكرية حكمت عليه بالاعدام هو وشريكه فى المؤامرة بدر جمعة ونفذ فيهما حكم الاعدام فورا .

وكانت عين النظام السورى فى حركته أيضا على دعاية عمان المستفزة والمتربصة لردود فعل الحكومة السورية على غارات الاسرائيليين ٠

وكانت عين النظام كذلك على المظهر الذى تود ان تظهر به المجموعة السورية الحاكمة وسط صفوف حزب البعث بعد الانقسام الذى حدث فيه والدور اليسارى المميز الذى تريد ان تنفرد به ٠

وكانت عين النظام أخيرا على القاهرة وجمال عبد الناصر ٠٠ تريد تحسين العلاقات وتوثيقها دعما للنظام فى الداخل وفى الوطن العربى ٠ ٠ مع اتخاذ منهج سياسى خاص لايجعل شخصية عبد الناصر تطغى على قادة سورية الجدد ، الامر الذى كان يدفعهم الى اتخاذ مواقف سياسية متطرفة لم تنضجها مسئولية الحكم الذى بدأت ممارستهم له منذ فبراير ١٩٦٦ فقط ٠

ولذا كانت بعض حركات وتصريحات قادة النظام الجديد تعتبر خطوات نحو المصيدة ، رغم النوايا ٠

مصر ٠٠ والمصيدة

الضغوط التى تعرض لها النظام فى مصر لم تدفع جمال عبد الناصر الى اتخاذ خطوات اندفاعية غير محسوبة لمناطحة اسرائيل ٠٠ كان حريصا حتى ذلك الوقت على التمسك باستراتيجيته التى تجعله يختار الوقت والظروف المناسبة لجولة جديدة ٠

ورغم ماقامت به الامبريالية الامريكية وخاصة فى عهد جونسون من ضغوط مباشرة فى اليمن (حرب كومر) ومن مساعدة للنظام السعودى والملكيين فى القتال الدائر هناك ٠٠ ورغم التغيير الحاسم فى قرار امداد اسرائيل بالاسلحة الامريكية مباشرة ٠٠ ورغم الضغوط الاقتصادية ومنع القمح ٠٠ فان جمال عبد الناصر لم يقطع العلاقات الديبلوماسية مع أمريكا مطلقا وهو الذى قطعها مع انجلترا وألمانيا الاتحادية وفرنسا لأسباب أبسط من ذلك ٠٠ ولم يقطع جسور الاتصال بينه وبين المسئولين في واشنطن سواء عن طريق الخطابات المتبادلة مع كنيدى ثم جونسون ، اوخلال بعض الاتصالات السرية ٠

لم تتجاوز ردود فعل عبد الناصر دائرة التصريحات المتشددة والهجمات اللفظية ٠

ولكن موقف الجمهورية العربية المتحدة الصريح فى مساندة حركة التحرير القومى فى جنوب اليمن وشبه الجزيرة العربية كان يسبب انزعاجا شديدا ومتزايدا للسياسة الامريكية والبريطانية معا ، ذلك ان ما تحويه أرض شبه الجزيرة من ثروة بترولية هائلة ، هو أمر لايمكن التفريط فيه لما يمكن أن يلحقه ضياعها من خسارة فادحة للرأسمالية العالمية ٠

أرغم نضال الشعب اليمنى ومساندة القاهرة له بريطانيا على قبول أبغض الاشياء الى قلبها وهو اعطاء وعد بإجلاء قواتها عن عدن فى أوائل ١٩٦٨ ٠

ومع ذلك عقد اجتماع قمة افريقي محدود فى القاهرة حضره بومدين ونيريري وولد داده ومندوب عن سيكوتورى وهى الدول التى قطعت علاقتها مع بريطانيا لسياستها فى روديسيا ، واتخذ المؤتمر قرارا بضرورة الاسراع فى جلاء بريطانيا عن الجنوب العربى ٠

وهكذا تضاعف حقد بريطانيا على مصر ، وخاصة بعد حرب السويس التى اعترفت بريطانيا بخسارتها لأول مرة فى المائة وخمسين عاما الاخيرة ٠

ورغم ان نصرا نهائيا لم يتحقق فى اليمن ، الا أن الوضع بالتأكيد كان قد استقر للنظام الجمهورى الذى اصبح قادرا على الدفاع عن نفسه ٠٠ وتعرض النظام السعودى لتخلخل شديد بعد زيارة الملك سعود لليمن فى ٢٣ ابريل ١٩٦٦ ومعه المشير عامر وأنور السادات ، ودعوته للشعب السعودى برفض الانصياع لحكومته قائلا : (اننى أستنكر كل الاستنكار دينا وعروبة هذه المذبحة التى راح ضحيتها ابناء الشعب اليمنى) ٠

الاتجاه المعادى للامبريالية فى شبه الجزيرة العربية اصبح مثيرا لقلق الدوائر الامبريالية ، ودافعا لها الى البحث فى أسلوب لتحطيم النظام الثورى التقدمى فى مصر باعتباره السند الرئيسى لهذا الاتجاه ٠

وتحركت بعض العناصر المضادة للنظام فى الداخل مدفوعة او غير مدفوعة بخيوط امبريالية ٠٠ الجهاز الارهابى للاخوان المسلمين ، فلول الاقطاعيين المتهربين من قانون الاصلاح الزراعى ، البرجوازية المقاومة للاتجاه نحو تطبيق الاشتراكية ٠

ولما كان النظام فى مصر حتى ذلك الوقت قد عجز عن تكوين جهاز تنظيمى له صفة حزبية ، يملأ الفراغ السياسى ٠٠ واعتمد فى حركته على سحر شخصية الزعيم ورصيده التاريخى الكبير ، والاجراءات الادارية الحاسمة ، فانه أخرج من (جرابه) مرة أخرى المباحث الجنائية العسكرية التابعة للشرطة العسكرية ، والتى كان دورها قد ذبل وانحسر بعد انتهاء محاكمات الاخوان المسلمين فى نهاية ١٩٥٤ وبداية ١٩٥٥ ثم انتهاء فترة الانتقال ١٩٥٦ ٠

عادت المباحث العسكرية تطفو فوق السطح مرة اخرى بعد عشرسنوات تقريبا ، وتؤدى دورا فى مطاردة الاخوان وفلول الاقطاعيين والمهربين وتجار السوق السوداء ، والمهملين والمنحرفين فى ميادين الخدمات مثل النقل العام والجمعيات الاستهلاكية وغير ذلك من الامور البعيدة عن اختصاصها ٠

ولم تكن تحركات المباحث الجنائية العسكرية تتم تحت الاشراف الواعى المباشر لعبد الحكيم عامر نائب القائد الاعلى للقوات المسلحة ، الذى انتهج أسلوبا ناعما جديدا فى حياته الخاصة بعد الانفصال ومحاولة تحديد اختصاصاته فى مجلس الرئاسة ثم استقالته وعدم قبولها ، فى الوقت الذى تعددت فيه مسئولياته وتشعبت الى الحد الذى يصعب معه على فرد واحد أن يباشرها بنجاح ٠٠ بينما هو مسئول فيه عن تنظيم وتدريب وقيادة القوات المسلحة ، التى يحارب الالوف من ابنائها فى اليمن ٠

كانت مسئوليات عبد الحكيم عامر تمتد من قيادة القوات المسلحة الى الاشراف على رجال الطرق الصوفية ، الى رئاسة اتحاد الكرة ، الى رئاسة لجنة

تصفية الاقطاع ، وأخيرا الى رئاسة هيئة الرقابة العليا للدولة التى شكلت فى ٧ مايو ١٩٦٦ وضمت على صبرى وعباس رضوان وعبد المحسن ابو النور وكمال رفعت وشمس بدران وعبد المجيد شديد ، والتى اعتبرت مسئولة عن ترشيح وتعيين كبار المسئولين فى أجهزة الدولة ومؤسساتها وشركاتها .

ولذا انفرد شمس بدران مدير مكتبه بمباشرة المسئولية الحقيقية لحركة المباحث الجنائية العسكرية ، وأراد جمال عبد الناصر مكافأته على جهده ،فعينه وزيرا للدفاع في وزارة صدقي سليمان (سبتمبر ١٩٦٦) ،وهو الضابطالذى لم تتجاوز معلوماته معلومات ضابط برتبة يوزباشى قبل الثورة ، انخرط فى العمل مع قيادة حركة الجيش ، دون ان ينمى معلوماته بأى نوع من انواع الدراسات العسكرية ودون أن يتخرج فى كلية اركان الحرب ، او يدرس دراسات عليا تجعله متابعا للتطور العلمى الحديث فيعالم التسليحوالتدريب والتكنولوجيا .

كان تعيين شمس بدران وزيرا للدفاع تدشينا لوضع قائم وتأكيدا لسلطته التى استمدها من علاقته بعبد الناصر وعامر ، ولكنه فى نفس الوقت كان مثيرا لكثير من علامات الاستفهام .. اذ لايمكن ان يدعى أحد بانهالاختيار المناسب فى وقت تتعقد فيه الامور وتتشابك فى الجبهة الداخلية . وتبدو فى الأفق ضغوط أزمة خارجية . ويدرك جمال عبد الناصر انه يواجه تحديا امبرياليا خطيرا .. وفى الوقت الذى كان فيه عبد الحكيم عامر ايضا قدابتعد عن متابعةالتطورات الحديثة فىالقوات المسلحة وفقد اهتمامهبمتابعة المناورات والتدريب على الاسلحة العصرية .

لم تعد قيادة القوات المسلحة بعد تعيين شمس بدران وزيرا للدفاع واستمرار عبد الحكيم فى منصب نائب القائد الاعلى للقوات المسلحة فى المستوى الذى يمكن القول فيه بانها قادرة على توجيه وتدريب وتحريك الجنود فى الوقت والمكان المناسب لمواجهة أى هجوم اسرائيلى ... خاصة وأن جمال عبد الناصر كان قد فقد اهتمامه ايضا بالقوات المسلحة منذ عام ١٩٦٢ بعد خلافة مع عبد الحكيم عامر . وآثر أن يترك له المسئولية كاملة ... وهو مالا يمكن لاحد ان يقر جمال عبد الناصر عليه . فهو فى النهاية الرجل المسئول طالما يتولى منصب القائد الاعلى للقوات المسلحة .

ولكن بتعقيدات العلاقات الشخصية . والحذر من حركة غير محسوبة من القوات المسلحة . والارتكان الى العناصر التى اعتاد جمال عبد الناصر على التعامل معها . والتى كان صعبا بل مستحيلا أن ينقض عليه لدوافعها الشخصية المقنعة برئاسته . وعلاقتها الوثيقة به رغم ما كان يشوب الجو من غيوم وخلافات ... هذه العراقيل دفعت جمال عبد الناصر الى جانب رسوخ جذور هذه الشخصيات وسابقة علاقتها مع قادة الجيش الى ابقائهم فى مناصبهم الحساسة المسئولة .

وقد صادف هذا التعيين خفضا فى ميزانية القوات المسلحة . يقول عنه الفريق صلاح الحديدى فى كتابه « شاهد على حرب ٦٧ » انه « .اجل انشاء تشكيلات جديدة ومطارات هامة كان من المقرر انشاؤها . وخفض من

نفقات تدريب القوات الموجودة فعلا ، وفى عدد ساعات تدريب الطيارين واستغنى عن تكملة الوحدات بالافراد والمعدات التى كانت تنقصها ، وما الى ذلك من الامور التى تؤثر حتى فى كفاءتها .. وكانت هذه هى المرة الأولى فى تاريخ القوات المسلحة التى تنفذ فيها هذه التخفيضات بطريقة جدية » .

هذا الخفض فى ميزانية القوات المسلحة يدل على أن جمال عبد الناصر لم يكن يرتب عدوانا ، أو هجوما على اسرائيل ... وانما كان يوفر أقصى ما يمكن من اموال لتنفيذ خطة تنمية ناجحة .

ويدل ايضا على ان جمال عبد الناصر لم يكن قد دخل بعد دائرة الشعور بخطر عدوان يتهدد مصر ... ولعله كان على يقين من انه طالما هو متمسك باستراتيجيته التى تمنعه من الانزلاق والتورط ، وطالما هناك قوات طوارىء دولية على الحدود ، فان خطر الحرب بعيد .. بعيد .

ولكن علاقات مصر مع أمريكا كانت تتأزم ولا تنفرج .. وتفرض على نظام الحكم فى مصر ان يكون اكثر يقظة واستعدادا ... وهو الامر الذى لا يتناسب مع خفض ميزانية القوات المسلحة .

كان لوشيوس باتل السفير الامريكى السابق فى القاهرة قد قال أمام لجنة الشئون الخارجية ما نشرته وكالات الانباء والصحف المصرية يوم ٦ ابريل ١٩٦٧ « من الصعب أن يجد الانسان شخصا معاديا للخطط الامريكية اكثر من عبد الناصر » .

وعلق سناتور يورك هيكتلوبر قائلا « موقف أمريكا يتراوح بين الارتفاع والهبوط كأنه قطعة من الفلين طافية فوق الامواج .. وينبغى حسم الموقف بصورة أو بأخرى » .

وكان السناتور واين مورس اكثر صراحة فى الاجتماع عندما قال « ان عبد الناصر يمثل تهديدا لمصالح امريكا ليس فى منطقته فحسب بل وفى العالم أجمع » .

ولم تنقض ايام على هذا الاجتماع حتى حدث الانقلاب العسكرى اليمينى فى اليونان يوم ٢١ ابريل ١٩٦٧ والذى اعتبر مؤشرا لإقتراب التحركات الامبريالية من المنطقة .

وكانت مصر وقتها تتعرض لحملة اشاعات منظمة سرت فى المجتمع بنشاط شديد حول أخطار يتعرض لها الاطفال من خقن يحقنون بها فى المدارس ، وما أحدثه ذلك من قلق وذعر دفع الحكومة الى تقديم قضية للمحكمة يوم ١٨ أبريل ١٩٦٧ ، وهى أمور واساليب كانت قد تجاوزتها الثورة بعد انقضاء اشهرها الاولى ، وما صاحب اعتقال السياسيين ومحاكمات الغدر والثورة من شائعات .

محاولات الامبريالية أصبحت اكثر وضوحا لهز المجتمع من الداخل ، وحصاره بالانقلابات العسكرية فى المنطقة .

وكان جمال عبد الناصر قد تلقى تقريرا من أمين شاكر الذى كان سفيرا فى بلجيكا ، وقبل ذلك كان مديرا لمكتبه ثم مسئولا فى المؤتمر الاسلامى ،

وعضوا منتدبا بمؤسسة أخبار اليوم عندما كان محمد التابعى رئيسا لمجلس الادارة .

قال لى أمين شاكر تفاصيل هذا التقرير المهم الذى اشار اليه ناتنج فى كتابه « ناصر » .

قال امين شاكر ان هنرى سباك أبلغه انه بعد انتقال مقر حلف الاطلنطى من باريس الى بروكسل ، استدعت الحكومة الامريكية سفراءها فى غرب أوربا لشرح نتائج خروج فرنسا من الحلف العسكرى .

هنرى سباك رئيس اتحاد دول غرب أوربا ونائب رئيس وزراء ووزير خارجية بلجيكا والذى يعتبر « مهندس أوربا » الذى أسهم فى انشاء حلف الاطلنطى والسوق الاوربية قال لامين شاكر ان خروج فرنسا عسكريا من الحلف يمثل نقطة تحول غير محدود فى الاستراتيجية وانه يمثل بداية النهاية لعهد الاحلاف ، وان على أمريكا تهيئة نفسها لذلك بعد ما بدا ديجول يبشر وخاصة اثناء زيارة بعض دول أوربا الشرقية بأن أوربا للاوربيين من الاطلنطى الى الاورال .

وروى سباك لامين شاكر ماقاله دين راسك وزير خارجية أمريكا من ان امن أوربا سوف يتعرض لصعوبات فى المرحلة القادمة ، وحذر من قوة السوفييت وشرح اهمية الشرق الاوسط وشمال افريقيا فى حماية غرب أوربا مما يفرض مسئولية تأمينها — بمعنى اخضاعها للنفوذ الامريكى .

وقال وزير خارجية أمريكا ان العقبة الرئيسية فى تحقيق هذا الهدف هو جمال عبد الناصر الذى ساءت علاقته بأمريكا بعد سحب تمويل السد العالى ، والذى فضح سياسة أمريكا الامبريالية اللا أخلاقية ، وقال ما تحرج السوفييت والكتلة الشرقية عن قوله كما قال أدلاى ستيفنسون .

وقال هنرى سباك لامين شاكر ان قرارا قد صدر عن الاجتماع بأن جمال عبد الناصر يجب ان يذهب لان المنطقة لن تخضع للنفوذ الامريكى طالما هو موجود وذلك لما يخلقه من صعوبات امام السياسة الامبريالية ، وردد ما قاله جو براون محافظ كاليفورنيا من أن صوت العرب له تأثير اكبر من راديو موسكو على الدول النامية .

وقال له سباك ايضا ان جونسون يميل بطبعه الى النتائج التى وصل اليها البنتاجون والمخابرات المركزية الامريكية .. وذكر سباك انه سيحاول تفسير الامور لهم بشكل آخر ولكن امله قليل فى تغيير هذا القرار .

وطلب هنرى سباك من امين شاكر ان يبلغ جمال عبد الناصر بتهدئة الموقف والا يعرض نفسه لجموح جونسون وأن يتحاشى اثارته حتى تنتهى مدته لانه لن يرشح نفسه للرئاسة مرة ثانية .

دار هذا الحديث وكتب امين شاكر تقريره فى فبراير ١٩٦٦ ، واشار فيه الى انه ليس هناك من سبيل الا ضرب الجيش لاسقاط النظام ، وان وسيلتهم فى ذلك هى اسرائيل ، وان حلف الأطلنطى يشارك فى ذلك فقد سمح للطيارين الذين انهوا مدة خدمتهم بالعمل فى اسرائيل كما انه أخلى سبيل الطيارين الذين هم من أصل يهودى .

يقول رودلف ونستون تشرشل فى كتاب « حرب الايام الستة » تأكيدا

لهذه الخطة ، وتوضيحا بأن امريكا كانت قد بدأت ممارسة اسلوب جديد فى المنطقة :

« راى رجال العهد الامريكى الجديد أن عليهم التحول الان نحو ملوك البترول فى العالم واعتبروهم « معتدلين » .. وهكذا دعى الملك فيصل لزيارة امريكا فى يونيو ١٩٦٦ ، واثناء وجود العاهل السعودى فى واشنطن اجتمع اليه الرئيس جونسون واعلمه ان القادة العرب لا يفهمون شيئا من السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط .. ونبه فيصل بدوره الرئيسى جونسون على انه لا يجوز الاعتماد على عبد الناصر ، فقد وقع فى احضان الشيوعية التى تزوده بالاسلحة » .

احل الامريكيون دم النظام المصرى ، واحل فيصل دم النظام وعبد الناصر ايضا .

وكانت تصل الى جمال عبد الناصر انباء تؤكد هذه الحقيقة ، وكانت التحليلات جميعا تشير اليها ، وقد كتب محمد حسنين هيكل ١١ مقالا اسبوعيا تحت عنوان « نحن وامريكا » كانت فيه اشارات واضحة للاخطار التى يتعرض لها النظام .

وفى أواخر ابريل استدعي الملك حسين الفريق عبد المنعم رياض الذى كان يعمل وقتها فى القيادة العربية المشتركة وابلغه ان لديه معلومات عن خطة يسهم فيها النظام الجديد فى سوريا مع بعض القوى الخارجية لجر جمال عبد الناصر الى مصيدة الحرب ، وطلب منه ان يبلغ هذه المعلومات الى جمال عبد الناصر .

ولما لم يكن هناك سبيل اتصال مباشر بين عبد المنعم رياض وجمال عبد الناصر فقد كتب تقريرا بذلك رفعه الى الفريق على على عامر قائد القيادة العربية المشتركة مطالبا رفعه الى القائد الاعلى للقوات المسلحة .

ولكن رغم خطورة التبليغ فان عبد المنعم رياض لم يتلق اجابة على تقريره .. وتصادف ان التقى به محمد حسنين هيكل فأبلغه بالموضوع من شدة قلقه وحرصه على أن يعرف جمال عبد الناصر هذه المعلومات ليدخلها عند تقديره للموقف كما قال لى هيكل .

وقابل جمال عبد الناصر عبد المنعم رياض ... ويبدو أن الثقة وقتها كانت ضعيفة أو منعدمة بالملك حسين ، فلم تستمر الاتصالات ... ربما اعتقادا من عبد الناصر بأنها محاولة من الملك حسين للايقاع بينه وبين النظام القائم وقتها فى سوريا .

ويقول امين شاكر ايضا انه بعد ان عين وزيرا للسياحة قابل جمال عبد الناصر فى شهر مايو ١٩٦٧ ، وابلغه ان حلف الاطلنطى يقيم جيش اسرائيل بنسبة ٨٥٪ من الكفاءة المطلوبة ، بينما يقيم جيش مصر بأقل من ٣٠٪ .

وقال جمال عبد الناصر لامين شاكر (ولكننى لن احارب) .

وقال له امين شاكر الذى افادته صلته الشخصية ببول هنرى سباك فى توسيع افق نظرته العامة للامور (ولكن الجانب الاخر سيحارب) .

ويبدو أن جمال عبد الناصر لم يأخذ هذه المعلومة الى جانب التقرير السابق لامين شاكر ، كما لم يأخذ تبليغ الملك حسين مأخذ الجد .. تماما

كما فعل عندما تدفقت عليه المعلومات عام ١٩٥٦ من جهات مختلفة تحذر من هجوم بريطاني فرنسي مشترك ، مستبعدا أن يقدم ايدن على هذه الخطوة المدمرة .

وكذلك لم يكن جمال عبد الناصر حتى هذا الوقت قد أدرك خطورة الخطة والمؤامرة المدبرة ، ولم يكن يتصور أن شراسة الامبريالية وضراونها يمكن ان تدبر خطة لتحطيمه بدفعه داخل المصيدة .

نشر الصحفي الامريكي أنتوني بيرسن في المجلة الامريكية « بنهاوس » مقالا جاء فيه « ان امريكا واسرائيل قررنا عام ١٩٦٥ ان التخلص من عبد الناصر بانقلاب داخلي غير ممكن بسبب شعبيته وقوة مركزه ، وان الوسيلة هي هزيمته في حرب محدودة تفقده ثقة العرب واحترامهم » .

كل الظروف القائمة تشير الى أن خيوط مؤامرة امبريالية تنسج حول مصر في هدوء . . . وان الانزلاق نحو المصيدة يتوقف على ردود فعل الزعيم الوطني الذي امتحنته التجارب والمواقف السابقة .

اسرائيل . . . والمصيدة

(لقد استغرق الامر من القوات البرية والطيارين عشر سنوات للاستعداد للدقائق الثمانين الاولى من الحرب) . . . هذه الكلمات التي قالها شيمون بيريز نائب وزير الدفاع الاسرائيلي بعد حرب ١٩٦٧ تعبر عن حقيقة الدور الذي لعبته الحكومة الاسرائيلية .

عشر سنوات وبضعة شهور كانت قد مضت منذ انسحاب اسرائيل من سيناء وغزة بعد العدوان الثلاثي ١٩٥٦ . . . وخلال هذه الفترة حدثت في مصر واسرائيل احداث تمس القدرة العسكريه .

تعرضت الجمهورية العربية المتحدة لمأساة الانفصال التي اسقطت التنسيق والقيادة الواحدة ــ وليست الموحدة ــ لطرفي الكماشة المحيطة باسرائيل ، واضعفت بالتالي القدرة على وضع خطة واحدة بقيادة واحدة تنفذها وحدات القوات المسلحة لدولة واحدة . . وبعد عام واحد انشغلت القوات المسلحة المصرية بحرب اليمن التي لم تحسم في أسابيع او شهور كما كان متوقعا ولكنها امتدت عدة اعوام في ظروف متتالية غير مواتية خسرت فيها ١٠٫٠٠٠ قتيل وكثيراً من الجرحى . . وتعرضت القوات المسلحة لامور كان يجدر بها ان تكون بعيدة عنها ، مثل ابقاء بعض كبار القادة في مناصبهم رغم اخطائهم الجسيمة مثل قائد القوات الجوية محمد صدقي محمود الذي ضربت طائراته على الارض في اكتوبر ونوفمبر ١٩٥٦ ، واتخذ قرار بابعاده ثم أصر عبد الحكيم عامر على بقائه . . واستمرار المشير عامر في منصبه قائدا عاما للقوات المسلحة وان كان قد تغير اللقب ليصبح (نائب القائد الاعلى) وذلك بعد مسئوليته عن مأساة الانفصال ، ثم اتجاهه الى حياه بعيدة عن الروح العسكرية القتالية مع مضاعفةمسئولياته فيأمور مدنية تستهلك طاقته وتركيزه كما ذكرنا . . واخيرا تعيين شمس بدران وزيرا للدفاع وهو لا يملك مؤهلات الفهم العميق لوسائل القتال الحديث ، فقد توقفت دراسته تماما منذ كان

يوزباشى فى ليلة ٢٣ يوليو .

وفى الجانب الاخر كانت اسرائيل تستعد لجولة قادمة ، بعد اجبارها على الانسحاب دون تحقيق اى غرض استراتيجى هام ، سوى انشاء ميناء ايلات والحصول على حق الملاحة فى مضيق تيران .

قال ديان امام الكنيست فى مارس ١٩٥٧ (ان الفشل العسكرى ترتب فى حقيقة الامر على هزيمة سياسية لم يكن امام اسرائيل الا ان تتجرعها حتى الثمالة وتنسحب من كل الاراضى التى احتلتها) .

ولذا بدات اسرائيل رسم سياستها الحربية على اساس قدرتها العسكرية الذاتية ، واصبحت مؤسسة الدفاع متحكمة ومسيطرة على سياسة الدولة، ووضع موشى ديان برنامجا يقضى بتعزيز القوات الجوية ودعم القوات المدرعة باعتبارها أقوى أسلحة تمثل القوى الضاربة فى الحرب التقليدية الحديثه ، كما ركزت اسرائيل اهتمامها على الابحاث الذرية ، ونجح شيمون بيريز فى ان يمد التعاون الفرنسى فى مجالات التسليح لتبادل الابحاث العلمية والفنية الخاصة بالطاقة الذرية .

وركزت اسرائيل سياستها واستراتيجيتها على اساس :

١ — الحصول على احدث الاسلحة وخاصة من اكبر مصادرها قدرة وتطورا (الولايات المتحدة الامريكية) .

٢ — الحصول على ضمانات لأمنها من الدول الغربية .

وفى هذا السبيل نجحت بخطوات متلاحقة :

أولا : كانت الدولة الوحيدة فى المنطقة التى رحبت بمشروع ايزنهاور عام ١٩٥٧ والذى كان يقضى بتخويل ايزنهاور سلطة استخدام القوات المسلحة فى المنطقة وانفاق مبلغ ٢٠٠ مليون دولار لتنفيذ نصوص معاهدة الامن المشترك .

ثانيا : واصلت اسرائيل علاقاتها الطيبة مع فرنسا حتى بعد وصول ديجول الى الحكم (يونيو ١٩٥٨) ، فحصلت منها على صفقة من طائرات الميراج ، تكررت أيضا بعد زيارة بن جوريون لباريس (يونيو ١٩٦٠ ويونيو ١٩٦١) .

ثالثا : استطاعت اسرائيل الحصول على أسلحة من المانيا الاتحادية بضغوط امريكية ووافق برلمان المانيا الغربية على ذلك فى ديسمبر ١٩٦٢ ، وتدفقت الاسلحة والدبابات على اسرائيل حتى فبراير ١٩٦٥ عندما اضطرت المانيا الاتحادية الى اعلان وقف تصدير الاسلحة بعد غضب الدول العربية واعتراضها بعد ان كانت قد صدرت ما قيمته ٥٠٠ مليون دولار حسب تصريح شيمون بيريز .. وقد عوضت المانيا ذلك باقامة علاقات ديبلوماسية مع اسرائيل فى ١٢ مايو ١٩٦٥ وامدادها بمعونات اقتصادية وصناعية هائلة .

رابعا : وصلت اسرائيل الى هدفها وقمة نجاحها بالحصول على اسلحة امريكية مما اعتبر تغييرا حاسما فى الموقف الامريكى ، بدأ ذلك بصفقة صواريخ هوك التى مزقت الحظر الامريكى ثم تبع ذلك الامداد بالدبابات والمدرعات وأخيرا طائرات « سكاى هوك » فى مايو ١٩٦٦ ، وأصبحت الولايات المتحدة بعد ذلك المورد الرئيس للاسلحة التى تحتاجها اسرائيل ، كما ضمنت تأييد الولايات المتحدة فى الوقوف خلف اسرائيل بصفة واضحة ونهائية .

وهكذا مضت السنوات العشر فى محاولات دائبة وناجحة لتحويل اسرائيل الى ترسانة حربية قادرة على (الاعتماد على قوتها الذاتية) مستندة اساسا فى سياستها الخارجية مع الولايات المتحدة زعيمة الدول الامبريالية .

ووصلت اسرائيل الى واحدة من خمس دول فى المنطقة تملك جيوشا تزيد عن ١٠٠٠٠٠ وهى باكستان وتركيا وايران المرتبطة بالحلف المركزى (بغداد سابقا) .. ثم مصر .

ولكن موقف اسرائيل كان يسبق غيرها فى نسبة المجندين الى عدد السكان ، اذ بلغت عام ١٩٦٠ كما ورد فى احصائيات اوردها (هاروتيز) فى كتابه (البعد الحربى فى سياسة الشرق الاوسط) .. بلغت ١٤٤ فى الالف بينما كانت فى مصر ٦ فى الالف ، ١١ فى الألف فى سوريا ، ٢٢٫٥ فى الالف فى الاردن .

هذه النسبة تلقى على اسرائيل عبئا كبيرا لا تستطيع تحمله لمدة طويلة ... وقد ظهر ذلك جليا فى المشكلة الاقتصادية التى تعرضت لها اسرائيل فى نهاية عام ١٩٦٦ بعد انتهاء اتفاقية التعويضيات مع المانيا الاتحادية التى وقعت عام ١٩٥٢ وبلغت مجموعها ٣٤٥٠ مليون مارك صرفت اساسا على دعم وتطوير الصناعة ووسائل النقل البرى والبحرى وزيادة مصادر الطاقة .

بلغ العجز فى ميزان التجارة الخارجية لاسرائيل ٥٠٠ مليون دولار ، وارتفع عدد العاطلين الى ١٠٠٠٠٠ عاطل اى أكثر من ١٢ ٪ من القوى العاملة فى ذلك الوقت ... واصبحت الحرب هى الحل الانسب للتخلص من هذه المشاكل الاقتصادية .

الوسائل العسكرية جاهزة ، ولكن الذريعة لشن الحرب هى التى تحتاج الى تدبير .. تماما كما كان الموقف قبل العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ عندما قال بن زوهار مؤرخ حياة بن جوريون (لم تغير ازمة السويس شيئا من خطط اسرائيل التى كانت ستهجم على اية حال ، ولكنها سهلت لها اصعب الامور وهو السلاح والحلفاء) .

كانت ازمة السويس هى مبرر العدوان الاسرائيلى عام ١٩٥٦ ، ولكن الموقف مع بداية ١٩٦٧ يختلف ... فقوات الطوارىء الدولية تشكل حاجزا على الحدود فى مصر .. وأية حرب تقوم بها اسرائيل على الدول المجاورة لا تحقق غرضها الا اذا استهدفت تدمير القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة .

ولذا بدأ التفكير فى ذريعة تدخل بها اسرائيل الحرب لتحقيق اهدافها وهى ... تدمير الجيوش العربية ، والتوسع الاقليمى ، وفرض السلام الاسرائيلى واسقاط الانظمة التقدمية فى الوطن العربى وفى مقدمتها النظام المصرى .

الحدود المصرية مقفلة ولا توجد اية اشتباكات يمكن ان تكون مبررا للهجوم .. والاردن تعرضت لغارات انتقامية اسرائيلية ، ولكن نظامها لا يشكل خطرا على اسرائيل ، وهو على علاقة غير ودية مع النظام المصرى مما قد لا يدفع النظام الاخير الى التحرك .

وبقيت سوريا .

وركزت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية خطتها على ان تكون سوريا هى الذريعة التى تؤدى الى الحرب .

كانت الظروف مواتية لذلك ، فالمقاومة الفلسطينية كانت نتحرك الى داخل اسرائيل عبر الحدود السورية .. وكانت سوريا تقوم بتنفيذ مشروعات المياه التى تعمل اسرائيل على احباطها بشتى الوسائل بما فيها العمل العسكرى ... وكانت مواقع الجولان الحاكمة على الاراضى الاسرائيلية المنخفضة هدفا من اهداف الحرب الاسرائيلية تعتقد المؤسسة العسكرية (بوجود حساب قديم يلزم تسويته مع الجيش السورى الذى لم يكف ... مستغلا ميزة طبوغرافية .. عن ملاحقة وضرب المستعمرات الزراعية التى يشرف عليها من أعلى الهضبة) كما ورد فى كتاب العسكرية الصهيونية

كانت هذه هى النقط المعلنة التى اعتمدت عليها اسرائيل لزيادة التوتر وخلق مبررات الحرب فى المنطقة .

واستجابت الدول العربية لهذا المخطط تدريجيا .. فاشتعلت اساليب الدعاية التى روجت لبعض كلمات التقطها الاسرائيليون مثل (تدمير اسرائيل والقاء اليهود للبحر) واتخذوا منها دليلا على عدوانية العرب . ، وجسدوا الخطر الذى يتعرض له لـه الاسرائيليون الامر الذى اتاح للمؤسسة العسكرية تشديد قبضتها على الجماهير هناك ، وعسكرة المجتمع ،ووضع كافة الافراد من سن ١٨ الى ٥٥ تحت سلطة جهاز التعبئة فى المؤسسة العسكرية .

هذا رغم ان أحدا من المسئولين الحقيقيين فى الدول المجاورة لم يصدر عنه مثل هذه التصريحات المستفزة والمسيئة معا .

ووجد اصحاب التدبير الاسرائيلي فرصتهم اوفر وافضل بعد عقد اتفاقية الدفاع المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة وسوريا ... فقد اصبح جذب النظام المصرى الى المعركة اكثر احتمالا عن ذى قبل .

وظهرت معالم التدبير بين اسرائيل والولايات المتحدة فى النشاط السياسى الكبير .. حتى أنه فى شهر مارس ١٩٦٧ زار اسرائيل فى وقت واحد كل من لوشيوس باتل مساعد وزير الخارجية الامريكية لشئون الشرق الاوسط وجنوب آسيا ، والذى ذكرنا تصريحاته المعادية للقاهرة أمام لجنة الشئون الخارجية بعد انتهاء عمله سفيرا لامريكا فى مصر .. وهارولد ساندوز مستشار الرئيس جونسون لشئون الشرق الاوسط ... وتاونسند هوبز من وزارة الدفاع الامريكية .

كل العوامل التى تؤدى الى احكام الخطة وتجهيز المصيدة أصبحت جاهزة ... وبقى انضاج المبرر وتحديد التوقيت المناسب .

السوفييت ... والمصيدة

منذ طلب جمال عبد الناصر اسلحة من الحكومة السوفيتية عام ١٩٥٥ لكسر احتكار السلاح الغربى وحظر تصديره لمصر ، وللاتحاد السوفيتى فى المنطقة وجود تدعم بالمساعدات الاقتصادية والصناعية .

وخلال عدوان ١٩٥٦ قدم بولجانين انذاره الشهير الذى كـــان اول الاسباب الرئيسية فى وقف العدوان الثلاثى ، وانحسار موجبه حتى الانسحاب الكامل .

ورغم تعثر العلاقات السياسية بين مصر والاتحاد السوفيتى ، واعتقال مئات الشيوعيين فى مصر عام ١٩٥٩ ، الا أن الامداد بالسلاح لم يتوقف تماما مثل التعاون الاقتصادى ، والموافقة على تكملة مراحل الســــد العالى .

والخبراء العسكريون السوفييت لم يدخلوا مصر مع السلاح ... فقد كان هناك تخوف وحساسية من التعامل مع اكبر دولة شيوعية ، ولذا اعلنت صفقة السلاح اولا على أنها من تشيكو سلوفاكيا .

قال لى الفريق عبد المحسن مرتجى انه بدا ارسال عدد محــــدود من الضباط الى الاتحاد السوفييتى فى مارس ١٩٥٧ اى بعد اكثر من عام ونصف على توقيع الاتفاقية ، وبدا وصول الاسلحة .. وامعانا فى السريه والتخفى ذهب الضباط باسماء مستعارة تحاشيا للمخابرات الامريكية .. و ٠ وصول الخبراء السوفييت فى اواخر ١٩٥٨ باعداد محدودة على مستوى القيادة العليا فقط حيث اشتركوا فى اعادة تنظيم القوات وزرع العقيدة الشرقية فى القتال .

وكتب الفريق صلاح الحديدى فى كتابه (شاهد على حرب ٦٧) يقول انه كان لوصول الشحنة الاولى من السلاح السوفيتى رنه فـــرح واغتباط فى الاوساط العسكرية لنجاح القيادة السياسيه فى تحطيم احتكار بيـــع الاسلحة بصرف النظر عن مصدرها الجديد .

وكتب ايضا يقول (ويسجل تاريخ هذه الفترة بعد وصول الشحنات الاولى من الاسلحة الحديثة وعلى رأسها الدبابات ٣٤ وطائرات الميج ، عـــدم وصول خبراء من الكتلة الشرقية ليساعدوا فى تفهم الاسلحة وشرح تشغيلها واستخدامها ، واكتفى بالكتب والنشرات التوضيحية المرافقة للاســـلحة والمترجمة الى الانجليزية .. وتقتضى الدقة فى تسجيل تاريخ هـذه الفترة أن أذكر وصول عدد محدود جدا من الخبراء التشيكو سلوفاكيين فى الســـلاحين البحرى والجوى) .

ويفسر صلاح الحديدى ذلك بقوله (اكاد اجزم ان فكرة استخدام الخبراء السوفيت فى القوات المسلحة المصرية على مستوى واسع ، واتباع الاسلوب الشرقى — كما كنا نسميه — فى تاكتيكات وتنظيم هذه القوات ، لم تخطر على أذهان المسئولين الا بعد الاعتداء الثلاثى) .

الظروف اذا هى التى دفعت الى كسر حاجز الحساســـية والاســـتعانة بالخبراء السوفييت ، ومع ذلك ظل هؤلاء فى معزل عن الاندماج فى حيــــاة الضباط الاجتماعية ، وظلوا على حرص شديد فى تغليف عملهم بالصمت حتى لايساء الى موقفهم من العناصر المعادية المتربصة بالتعاون الناشىء بين الدول الاشتراكية ودول التحرر الوطنى والتى يمكن انتوجه اليهم تهمة ترويج الدعاية الشيوعية ، فى وقت كان قانون العقوبات ومازال يعتبر الشيوعية جريمـــة يحاكم عليها الانسان .

حرص الخبراء السوفيت على ان يلتزموا بأداء واجبهم المطلوب منهم دون

نجاوز لحدوده ، ولو شعروا بنوع من العزلة عن المجتمع وما قد يتبع ذلك من ضيق وشعور بالوحدة .

ويؤكد الفريق صلاح الحديدى هذه الحقيقة فيقول (كان موقف الخبراء السوفيت وتصرفاتهم فى الفترة حتى نكسة يونيو ١٩٦٧ فوق كل شبهة ترمى الى اتهامهم بالتدخل فيما لا يعنيهم ، وكان لا يعنيهم الا اجادة عملهم واضفاء روح الجدية على انجازاتهم العسكرية ، شأنهم فى ذلك شأن شعوب الاتحاد السوفييتى الذين يقدسون عملهم ، فلم يحاولوا الحصول على سلطات او نفوذ قد ينفر القادة او الضباط منهم ، بل كانوا من الناحية الواقعية تحت قيادة المناطق والقيادات يلبون اية مهمة يكلفون بها ويشرحون — مخلصين — مايطلب منهم ابداء الرأى فيه متفانين فى عملهم ، على جانب كبير من اللباقة فى تعاملهم مع الضباط) .

لم تكن القبضة العليا فى القوات المسلحة المصرية للخبراء السوفييت وانما كانت للقيادة المصرية التى ترسم الاستراتيجية وتتخذ الموقف وتصدر القرار .

وكان التعاون قاصرا على المباحثات والمناقشات وتبادل المعلومات التى تتم بين القيادات السياسية او العسكرية على المستويات المختلفة .

ولا شك انه كان من مصلحة الاتحاد السوفيتى الاستراتيجية والسياسية أن يكون كل من النظام المصرى والنظام السورى متماسكا ، وقادرا على الثبات فى مواجهة الضغوط الامبريالية ، وحريصا على عدم التورط فى مصيدة اسرائيلية .

وأى نجاح واستقرار سياسى واجتماعى للنظامين لابد وأن ينعكس ايجابيا على الاتحاد السوفيتى الصديق الذى يقدم المساعدات العسكرية والاقتصادية فى سخاء واضح .

ولاشك ايضا ان الاتحاد السوفيتى كان يعرف حقيقه قدرات القوات المسلحة المصرية والسورية ايضا .. ويعرف نقط القوة والضعف فى كل منها ويدرك ان الدخول فى قتال غير محسوب هو امر ينذر بخطر شديد .

لم يكن من مصلحة الاتحاد السوفيتى اشتعال الحرب فى المنطقة بأى حال من الاحوال .. وكان حرصه على السلام وخشيته على النظامين المصرى والسورى باعثا له على ان يكون فى يقظة دائمة للمنطقة .

ولذا فانه عندما أبلغت موسكو القاهرة ودمشق بأن هناك حشودا اسرائيلية على الحدود السورية لم يكن ذلك من قبيل المبالغة او التمويه ، ولم يكن يعنى أكثر من اتخاذ الحذر مما يدبر ، وليس الاندفاع الى مايدبر فعلا .

اقترن هذا التبليغ بتحذيرات اسرائيلية عدوانيه ، ابتداء من رئيس الوزراء حتى أعضاء الكنيست، وصرح رئيس هيئة اركان حرب الجيش الاسرائيلى بأنه قادر على مهاجمة دمشق واسقاط الحكومة السورية ، وفى ٩ مايو وقبل أى تحرك عربى منحت لجنة شئون الامن فى الكنيست سلطات كاملة للحكومة للقيام بعمليات عسكرية ضد سوريا ، مما أظهر جدية التهديد .

ولم يكن ممكنا للخطة الاسرائيلية ان تنجح دون اثارة الشعور بالخطر

الموجه لسوريا ، حتى يلتهب الموقف ، ويدخل في دائرة ردود الفعـل ، ولذا فانهم قاموا بحشد قواتهم لاثارة الانتباه اليها ، ثم قاموا بتحريكها الى الجنوب حيث كانت النية مبيتة على توجيه الضربة الرئيسية ٠٠ وذلك بعـد أن أدت دورها الخداعى ٠

ولايلغى هذه الحقيقة ماقامت به اسرائيل من دعوة بعض المراقبين بمـا فيهم السفير السوفيتى الذى رفض الدعوة ، لمشاهدة الحدود والتأكد من عدم وجود حشود حولها ٠٠ فان قدرة القوات الاسرائيلية على الحركة السريعـة كفيلة بتغيير موقع القوات من مكان الى آخر في أيام ٠٠ بل في ساعات ٠

لم تكن هذه الحشود وهما أو خيالا كما حاولت بعض الدعايات الغربية تصوير الموقف في محاولة لتبرئة اسرائيل ، والاساءة للموقف السـوفيتى ، الذى تبين مع سريان الاحداث انه كان حريصا أشد الحرص على ألا يتـورط النظام المصرى ويكون البادىء بالاعتداء ٠

ويشير أمين هويدى الذى عين وزيرا للحربية ورئيسا للمخابرات العامة بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ مباشرة في كتابه (اضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧) الى هذه الواقعة قائلا :

(وقد وقف الكثيرون عند هذه النقطه وخرجوا باستنتاجات كثيرة أقلها أن الاتحاد السوفييتى دفعنا الى هذا الموقف حتى يستغله ضمن اطـار سياسته العالمية ... ولكن لعل فى هذا الاستنتاج ظلما فادحا للاتحـاد السوفييتى ، ولعله أيضا قفزة طويلة فوق الحقائق ٠٠ لأن من يرجع بالذاكرة الى تلك الايام يجد أن المسرح السياسى فى المنطقـة كان يوحى بأنه قابل للاشتعال) ٠

ويذكر أمين هويدى العوامل القائمة وقتئذ وهى دور اذاعات الاردن والسعودية ... والزيارات الكثيفة التى قام بهـا مسـئولون أمريكيون وبريطانيون لكل من عمان والرياض وتل أبيب ... والتهديدات الاسرائيلية المتكررة ضد النظام السورى .

كان الاتحاد السوفييتى حذرا تماما من الوقوع فى مصيدة حرب عالمية ، فهذا امر لم تعد تحتمله الدولتان العظميان بعد التطور الرهيب فى اسـلحة الدمار الذرية ... وكان حريصا على الا تندفع مصر فى مصـيدة الخطـة الامبريالية .

الايقاع السريع

كان ايقاع الاحداث سريعا ، وكانت بعض القرارات مثيرة ومفاجئة ٠

كانت أزمة الاعتداء في اليمن على مقر النقطة الرابعة ، قد ادت الى توجيه الحكومة الامريكية انذارا للحكومة اليمنية تطلب قبوله يوم ٢٧ ابريل فى ظرف ٢٤ ساعة والا سحبت الاعتراف بها ... ورفض السلال الاحتجـاج والانذار (ولتفعل أمريكا ما تشاء) حسب البيان الذى أصدره .

كانت الازمة تشكل تحديا للنفوذ الامريكى ، وخاصة أنها قد حدثت اثناء وجود الملك سعود مع المشير عامر وأنور السادات فى اليمن ، وتوجيههم خطبا ودعاية مثيرة ضد النظام السعودى المساند من أمريكا .

وكانت الحركة الثورية في اليمن الجنوبية تشكل تهديدا صريحا لبقاء اى نفوذ استعمارى فى جنـــوب شبه الجزيرة العربية الطافيـــة على بحر من البترول

وخطب جمال عبد الناصر فى عيد العمال اول مايو قائلا ان اسلحة امريكا الثلاثة هى الضغط الاقتصـــادى ، ونشاط المخابرات والحرب النفسية ... وقال (ان لدينا اشرطة مسجلة لرجال المخابرات الأمريكية فى القاهـــرة) .

وفى يوم ٩ مايو سافر الملك فيصل لزيارة لندن حيث قوبل بمظاهرات معادية من الطلبة العرب ، فى الوقت الذى كان يطالب انجلترا فيه بعمـــل عسكرى قوى لانهاء الثورة فى الجنوب كما نشرت الصحف البريطانية .

وكانت اذاعات الاردن والسعودية ، رغم التبليغ السرى الذى همس به الملك حسين لعبد المنعم رياض طالبا رفعه لجمال عبد الناصر ليكون على حذر من خطة تدبر ضده ... كانت هذه الاذاعات مازالت تواصل حملتهـــا الدعائية ضد مصر وتتهم النظام فيها بالتهادن مع اسرائيل .

وكانت الاردن قد اصدرت طابع بريد نشرت صحيفة الاهرام صورته فى الصفحة الاولى يوم ٥ مايو ٦٧ وهو يحمل هذه الكلمات (المملكة الاردنية الهاشمية ثم صورة جونسون وتحتها هذه الكلمات (بناة السلام العالمى) .

توافرت عند جمال عبد الناصر المعلومات الآتية :

١ ــ قرار الكنيست يوم ٩ مايو باعطاء الحكومة الاسرائيلية حق القيام بعمليات عسكرية ضد سوريا .

٢ ــ تواجد حشود عسكرية اسرائيلية على الحدود السورية .

٣ ــ تهديدات أشكول ورابين الصريحة ضد النظام الســــورى ، وحديثهم عن الزحف الى دمشق .

٤ ــ تقارير السفير السورى فى موسكو صلاح الطرزى الذى يقـــول ان مصادر موثوقا بها قد اكدت له ان الهجوم على سوريا قد تحددت له الفترة من ١٦ مايو الى ٢٢ مايو .

ضاعف من أثر هذه المعلومات فى نفس جمال عبد الناصر معاناته من هجمـــات الدعاية الاردنية والسعوديه التى اتهمته باتباع سياسة ناعمة مع اسرائيل ... وضاعف من أثرها أيضا شعوره بأنه لا يمكن أن يلتزم الصمت الى الابد وهو مرتبط مع سوريا بمعاهدة دفاع مشترك ...وضاعف من أثرها أخيرا حرصه على أن يبقى فى موقعه التاريخى أملا للامة العربيـــة فى معركتها التحريرية .

ولذا تصرف جمال عبد الناصر فى حدود ما تأثر به ... رفض يوم ١٥ مايو طلبا تقدمت به بعض قطع الاسطول السادس الامريكى لزيارة بعض الموانىء ، مشيرا فى رفضه الى تصريحات ليفى اشكول رئيس وزراء اسرائيل التى أعلن فيها صراحة (ان أمن اسرائيل يعتمد فى حمـــايته على وجـــود الاسطول السادس الامريكى) .

وأصدر يوم ١٣ مايو قرارا بحشـــد قوات مصرية فى ســـيناء تأهبا واستعدادا .

ولكن جمال عبد الناصر لم يقدم على هذه التصرفات بعقلية المقامر ، بقدر ما اقدم عليها بعقلية السياسى المناور .

عندما زار ابراهيم ماخوس وزير خارجية سوريا القاهرة يوم ١٦ مايو بعد ابلاغ سوريا يوم ١٤ مايو دول مجلس الامن بالمؤامرة ضد سوريا واعلانها بانها ستراجه اى عدوان اسرائيلى بكل طاقاتها ، قال له جمال عبد الناصر — حسب روايته لى — ان الجمهورية العربية المتحدة قد حشدت قواتها فى سيناء ليكون فى هذه المظاهرة العسكرية رسالة الى اسرائيل تجعلها تعاود التفكير .

وقال لي ماخوس ان جمال عبد الناصر قد أوضح له ان قدرة السوفييت على المساعدة المادية قد تكون محدودة ... وان مساعدتهم قد لا تتجاوز التأييد المعنوى والسياسى ، وربما انذار امريكا واسرائيل ، ولذا فان على النظام السورى ان يضبط اعصابه ولا يدفع الامور الى نقطة الخطر ، لانه — حسب تعبير عبد الناصر — (لا يريد أن يقفل باب التراجع وراء اسرائيل)

وقال عبد الناصر لماخوس ايضا (اريدكم ان تلمسوا دقة الموقف ، وعلينا ان نعالجه باعصاب باردة بعيدة عن اى استفزاز) .

واكد لى ماخوس انه ابلغ جمال عبد الناصر فى هذه المقابلة حرص النظام السورى على عدم الانزلاق فى مخطط امبريالى ، وان سوريا لا تطلب من مصر الاندفاع الى قتال غير محسوب العواقب .

وكان هذا دليلا على أن جمال عبد الناصر كان يتصرف حتى هذه اللحظة التى اعلن فيها حالة الطوارىء والاستعداد القصوى باعصاب هادئة ... وان اخبار الحشود الاسرائيلية على الحدود السورية مهما تنوعت مصادرها لم تكن لتجعله ينزلق الى دخول المصيدة .

ولكن اسرائيل تريد للموقف أن يزيد اشتعالا .

فى يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ وهو يوم الذكرى التاسعه عشرة لتأسيس اسرائيل ، حدث عرض عسكرى فى منطقة القدس الاسرائيلية التى كانت تعتبر ارضا منزوعة السلاح بناء على قرارات الهدنة ، قالت عنه صحيفة الجارديان البريطانية (انه كان خاليا من أية طائرات فى السماء ، ولا توجد دبابات او اسلحة متطورة من التى تعتمد عليها اسرائيل فى العرض العسكرى) .

كان واضحا ان العرض العسكرى فى القدس هو نوع من الاستفزاز .. وان غياب الاسلحة المتطورة كان يعنى انها هناك فى الحشود على الحدود .

واذاعت وكالة الانباء الفرنسية يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ تصريحا لليفى اشكول قال فيه :

واضح للحكومة الاسرائيلية ان بؤرة (الارهابيين) مركزة فى سوريا ، ولكننا وضعنا مبدأ بان نختار الوقت والمكان المناسب لصد المعتدى .. ويبدو ان سوريا قد اصبحت رأس حربة العرب فى حربهم ضد اسرائيل .. ولكن السوريين يعرفون قوتهم المحدودة ، وانه ليس بدون سبب ان تلعب سوريا دورا لمصلحة الدول الكبرى ، ولكن هذا لا يخيفنا) .

وقال ايضا (انه من المحتم ان تحدث مواجهة خطيرة بين سوريا واسرائيل اذا استمرت عمليات الفدائيين الفلسطينيين داخل اسرائيل) .

سوريا تصرح بانها (لن تغلق الحدود فى وجه الفلسطينيين الراغبين فى استعادة بلادهم السليبة) .

والجمهورية العربية المتحدة تصدر بيانا يقول انها (سوف تخوض المعركة ضد اسرائيل اذا تعرض الوطن السورى لعدوان يهدد ارضه وسلامته) .

وتتجاوز المظاهرة العربية حدود الكلمات .. وفجأة تختفى من الصحف العناوين الرئيسية التى تتحدث عن الثورة فى جنوب اليمن ، وتظهر اخبار اعلان حالة الطوارىء والاستعداد القصوى .

ويقرر جمال عبد الناصر سحب قوات الطوارىء الدولية التى ركزت عليها الدعاية لانظمة الحكم الرجعية والتى ابقت الحدود المصرية هادئة لمدة اكثر من عشرة اعوام .

ولكن تعليمات جمال عبد الناصر لم تكن تقضى بسحب قوات الطوارىء الدولية كلها ومن جميع مواقعها .

قال لى ماخوس انه اثناء مقابلته لجمال عبد الناصر ابلغه ان خطته تقضى بان تبقى قوات الطوارىء الدولية فى غزة وشرم الشيخ ، وأن تنسحب فقط من الخط الواقع بين (طابا ورفح) .

خطاب الفريق اول محمد فوزى رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة الى قائد قوات الطوارىء الدولية والذى صدر يوم ١٥ مايو ونشر فى صحف اليوم التالى يقول :

(احيطكم علما باننى اصدرت تعليمات الى جميع القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة لتكون مستعدة للعمل ضد اسرائيل فور قيامها بأى عمل عدوانى ضد اى دولة عربية ، وتنفيذا لهذه التعليمات تجمعت قواتنا فى سيناء على حدودنا الشرقية ولضمان امن قوات الطوارىء الدولية المتمركزة فى نقط المراجعة على حدودنا اطلب اصدار اوامركم بسحب هذه القوات فورا .

وقد اصدرت تعليماتى لقائد المنطقة العسكرية الشرقية فيما يتعلق بهذا الشان) .

الخطاب خال تماما من تحديد القوات التى يجب انسحابها ، ومن المراكز التى يسمح لها بالبقاء فيها ، على اساس الاتفاق على ذلك كما رسم عبد الناصر خطته .

ولكن يوثانت ابلغ القاهرة عن طريق محمد عوض القونى مندوب مصر فى الامم المتحدة بناء على نصيحة من مساعده الامريكى رالف بانش (أن عمل قوات الطوارىء هو مهمة سلام لا تتجزأ) .

وقد وضع هذا الراى جمال عبد الناصر فى موقف محير ، فقد اصبح مجبرا على الالتزام بكلمته فى سحب القوات .. ويشير اصبع الاتهام الى رالف بانش الذى احاطت علامات الاستفهام بنصيحته ، وهو الذى يعرف المنطقة لسابق خبرته بها عندما كان مندوبا للامم المتحدة .

وقد فسر جمال عبد الناصر ذلك بعد فوات الاوان فى حديث ادلى به الى الصحفى الفرنسى اريك رولو المصرى الاصل نشرته صحيفة الموند يوم ١٩ فبراير ١٩٧٠ وقال فيه :

(لم ارد شن الحرب سنة ١٩٦٧ والقادة الاسرائيليون يعرفون ذلك جيدا ، لم يكن فى نيتى اقفال خليج العقبة بوجه السفن الاسرائيلية ، لم اطلب الى يوثانت ان يسحب قوات الامم المتحدة من غزة وشرم الشيخ المشرف على مدخل الخليج لكن فقط من جزء من الحدود الممتدة من رفح الى ايلات ٠٠ الا ان امين عام الامم المتحدة قرر ـ بناء على نصيحة موظف امريكى كبير فى المنظمة ـ سحب جميع هذه القوات ليضعنى فى موقف المجبر على ارسال القوات المصرية الى شرم الشيخ واقامة الحصار وهكذا وقعنا فى الفخ الذى نصب لنا) ٠

رؤية جمال عبد الناصر لحقيقة الموقف تاخرت ثلاث سنوات حتى نشر هذا الحديث على الرأى العام العالمى ٠

انه فعلا كان يدخل المصيدة منساقا تحت ضغط ظروف لم يحسن تبينهاولم يجد حساباتها ٠

خطاب رئيس الاركان يطلب سحب القوات بلا تحديد ٠٠ وسكرتير هيئة الامم يصر على سحبها جميعا ٠

كان صعبا ٠٠ بل شديد الصعوبة ٠٠ ان يتراجع جمال عبد الناصر ٠٠ فانه عندئذ كان يخسر كل شىء ، وتنهال على راسه كل الاتهامات ٠

ولذا كتب محمود رياض وزير الخارجية خطابا من ٦٧ كلمة يطلب فيه من يوثانت سحب قوات الطوارىء الدولية من الاراضى المصرية ومن غزة ٠٠

صدر الخطاب يوم ١٧ مايو بعد يومين من خطاب الفريق اول محمد فوزى ٠٠ وبعد ساعات فقط اصدر يوثانت اوامره بسحب قوات الطوارىء جميعها دون الرجوع الى مجلس الامن او الى هيئة الامم المتحدة التى كانت منعقدة فى ذلك الوقت ٠

وقوات الطوارىء الدولية التى طلبت مصر سحبها لم تكن تتجاوز ٣٤٠٠ جندى من كندا والبرازيل والهند ويوغوسلافيا والنرويج والسويد والدانمرك ، استقرت داخل الاراضى المصرية بعد ان رفضت اسرائيل تواجدها على اراضيها بعد الانسحاب من سيناء ٠

وكانت قيادة قوات الطوارىء الدولية قد طالبت بعدم وجود قوات مصرية لمسافة عشرة كيلو مترات من الحدود ، حتى يتيسر لها فصل القوات العربية عن الاسرائيلية فصلا تاما ٠

وافق النظام المصرى على عدم وجود قوات مسلحة مصرية فى هذه المسافة حتى تتوافر لرجال البوليس الدولى حرية العمل كاملة ٠٠ وهكذا انتقلت حدودنا اوتوماتيكيا عشرة كيلو مترات الى الغرب ٠٠ وفى هذه المساحة كان السكان المدنيون من العرب الرحل يخضعون اداريا للسلطة المصرية ، ولكن الامن كان يحتاج الى تنسيق مع قوات الطوارىء اذا حاول رجال الامن المحلى فى سيناء القيام بواجبهم ٠

هذه المسافة الطويلة افقدت القوات المسلحة المصرية فرصة استكشاف

الارض ومعرفة خواصـــها ومراقبتها ٠٠ وظلت الاراضى الاسرائيلية بعيدة تماما عن الرؤية المصرية ٠

وكانت القوات الكندية هى المسئولة عن كافة التحركات الجوية لقوات الطوارىء وكذلك القيام بدوريات المراقبة من الجو فى بعض الاحيان ٠٠ وقد تقاسمت لذلك مطار العريش مـــع القوات الجويه العربيه ٠٠ ومعروف ان كندا عضو فى الكومنولث البريطانى ، وتربطها علاقات جوار طيبة مـــع الولايات المتحدة ٠

كان بعض العسكريين المصريين يشعرون بمرارة من فقدانهم السيطرة على بعض أراضيهم ، ولكنهم كانوا يقدرون أيضا أن ذلك يتم فى سبيل الهدوء والاستقرار ، خاصة وان قوات الطوارىء لم تكن بالحجم او التسليح الذى يتيح لها فرصة منع أحد الاطراف من الاعتداء على الطرف الاخر بالقوة ٠

كان واجبها محدودا بالمراقبة وابلاغ السكرتير العام بما يدور علـى الحدود مع تأمين المزارعين للعمل فى سلام فى ارضهم الملاصقة للحدود ٠

انسحبت القوات بأمر يوثانت خلال أيام قليلة ٠

وانهالت الانتقادات على يوثانت الذى عجل بتصرفه هبوب العاصفة ٠

كتب سولزبرجر كبير محررى الشئون الخارجية فى النيويورك تايمز يقول : (استخدم يوثانت منزلته الدولية لتشجيع عاصـــفة لابد وان تنتهى بالحرب آجلا او عاجلا) ٠

ونشرت الاهرام يوم ٢٠ مايو عناوين كبيرة :

محاولات مستميتة من جانب امريكا وبريطانيا وكندا واسرائيل للضغط على يوثانت ولكنه تمسك بنقطتين :

١ ـــ حق مصر لا ينازع فى سحب قوات الطوارىء ٠

٢ ـــ هو وحده الذى يملك الرد على طلب مصر ٠

ويبدو انه كان هناك (قصر نظر مصرى) لم يتبين الحقيقة خلال الايقاع السريع للاحداث ٠٠ فالدول التى اعدت المؤامرة وجهزت قواتها للعـــدوان تهاجم يوثانت لانه اسرع بسحب القوات ، مع ان ذلك كان حلما من احلامها ، وهدفا من اهم اهدافها حتى تظهر فى مظهر الدول الحريصة على السلام ٠٠ والقاهرة تدافع عن يوثانت لانه اسرع بالاستجابة الى طلبها ، وساعد على اعطاء القوة للمظاهرة العسكرية التى بدأتها فى سيناء ٠

وقال جمال يوم ٢١ مايو لضباط احد مواقع القوات الجوية المتقدمة (ان يوثانت تصرف بحكمة ووعى ونزاهة) ٠

كان انسحاب قوات الطوارىء الدولية نقطة تحول كبيرة فى الموقف ٠٠ وكان واجبا على جمال عبد الناصر ان يعيد تقدير موقفه بعد اضطراره الى ارسال قوات مصرية الى شرم الشيخ ، وهو الامر الذى لم يكن قد هيأ نفسه له ، والذى يخرج بالمظاهرة العسكرية عن ان تكون رسالة الى اسرائيل ، كما قال لابراهيم ماخوس ٠

ولكن الايقاع السريع للاحـــداث يبدو انه لم يخلق فرصـــة للتامل والمراجعة ٠

نشرت الصـــحف المصرية يوم ١٩ مايو اخبـــارا تقول ان القوات

الاسرائيلية تتدفق باقصى سرعة الى الجنوب ·· وقالت الاهرام ان الحشود المتجمعة امام سوريا (تذوب) · وقدرت الحشود بثلاث فرق اسرائيلية ·

وفي نفس اليوم ظهرت تصريحات عنيفة للمشير عامر ادلى بها للمحرر السياسى للاهرام قال فيها :

(لا ينبغى لاحد ان يساوره الشـــك فى ان الجمهورية العربية المتحدة ستضرب بكل قوة أى محاولة للعدوان ، وانه قد آن الآوان لوضع حد لسياسة التبجح والغرور التى يتصرف بها العدو الاسرائيلى) ·

قال عامر ايضـــــا (ان تحرك قواتنا يقلب موقف العدو الاسرائيلى راسا على عقب) ·

وتمت بعض التحركات ·· الفريق أول محمد فوزى سافر الى دمشق ·· والفريق اول عبد المحسن مرتجى عين قائدا عاما لقوات الجبهة المصرية مع اسرائيل ·· وتم الاتصال برؤساء العراق والجزائر واليمن ·· وهوارى بومدين يعلن تأييده المطلق لاجراءات مصر وسوريا ·

وزار المشير عامر المواقع المتقدمة يوم ٢١ مايو ·· وهو اليوم التالى لاعلان اسرائيل حالة التعبئة العامة واستدعاء الاحتياط ·

ورفضت القاهرة اقتراحا بدعوة مجلس الدفاع العربى لانهـا (ليست على اســـــتعداد لمناقشـــــة خطط الموقف الخطير الراهن مع الرجعيـــة او بحضورها ·

وحافظ الاسد وزير الدفاع وقائد سلاح الطيران السورى يعلن (ان القوات المسلحة اتمت استعداداتها والقوات الجوية فى المستوى الذى يمكنها من القيام بواجبها على اكمل وجه) ·

وفي نفس هذا اليوم ٢١ مايو عقد اجتماع للجنـــــة التنفيذية العليا برئاســـة جمال عبد الناصر ، حضره المشـــــير عبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وانور الســـــادات وحسين الشافعى ، وصدقى سليمان رئيس الوزراء ·

قال لى صدقى سليمان ان الاجتماع قد عقد فى صالون منزل جمـال عبد الناصر دون جدول اعمال او تحضير ·· وانه عندما عرض عليهم جمال عبد الناصر قراره باعلاق خليج العقبة لم يعترض احد منهم مطلقا ·· وكان الصمت هو تعليقهم الوحيد ·

لم يتحدث الا صـــــدقى سليمان الذى تساءل بحسن نية عما اذا كانت تقارير المعلومات والمخابرات تظهر الصورة واضحة ، وعما اذا كانت احتمالات قفل خليج العقبة قد درست دراسة عميقة واقعية ·· وكان الجواب من جمال عبد الناصر مختصرا بالايجاب ·

يقول صدقى سليمان انه يلوم نفسه لوما شديدا على عدم تحوله فى مناقشة صريحة حول القرار ·

وقد أكد حقيقة ما رواه لى صدقى سليمان ، ما قاله جمال عبد الناصر نفسه بعد الهزيمة للشهيد عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى السودانى عندما سأله عن السر وراء قرار قفل خليج العقبة فقال له ان الوحيد

الذى ناقش الامر معه كان صدقى سليمان •
واكد لى زكريا محيى الدين حقيقة ما دار فى هـذا الاجتماع ، وفسر عدم تساؤلهم او مناقشتهم للقرار بانهم كانوا على ثقة من جمال عبد الناصر ، وان حضور المشير وموافقته يدل على الاطمئنان لقدرة القوات المسلحة •
ويشير امين هويدى فى كتابه (أضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧) الى حديث دار بينه وبين صدقى سليمان اثناء عمله معه وزيرا للدولة فيقول :
(ابديت قلقى الشديد من تصعيد الموقف ، بل وابديت عدم ثقتى فى بعض القيادات العسكرية الموجودة ، وعدم قدرتها على مواجهة الموقف ، فكان رد رئيس الوزراء بهدوئه المعروف عنه (والله يا امين الريس شايف ان وجود قوات الطوارىء الدولية زى الدمل لازم ينفتح) •
ولا شك ان اتخاذ هذا القرار الخطير •• فى هذا التوقيت الحرج •• وبمثل هذا الاسلوب المنعزل البعيد عن حيوية المؤسسات السياسية والديموقراطية ، وهو أمر يدل على ان نظام الحكم كان اوتوقراطيا يعتمد على جمال عبد الناصر اعتمادا كاملا •• وان الثقة به ـ عن قناعة او ممالأة ـ كانت مطلقة حتى من اقرب زملائه له ، الذين تقاعسوا عن مناقشته ، او ارتضوا قراره بلا تعقيب •• وهم الذين كانوا يملكون وحدهم او قبل غيرهم بحكم الدستورية فى السلطة ، وبحكم الزمالة القديمة فى العمل •• فرصة الحوار معه ومناقشته •

وبدلا من الانجراف السريع وراء تخطئة القرار تخطئة كاملة ، علينا دائما ان نقدر الظروف المادية والمعنوية التى كانت قائمة •• والاهداف الكامنة فى صدر عبد الناصر عند اتخاذ القرار ••
كتب مكسيم رودنسون فى كتابه (اسرائيل والعرب) ان عبد الناصر لم يصدر هذا القرار لمجرد الاعتراف بحقوق مصر فى خليج العقبة ، وانما لاجبار اسرائيل على التفاوض فى كل ما نجم عن حرب ١٩٤٨ ، والوصول الى (حلول وسط) فيما يتعلق بقضية اللاجئين وتسوية مشاكل الحدود •
ولكن انطونى ناتنج يعتبر ان هذا الاستنتاج بعيد عن الحقيقة ويقول انه نتيجة لاتصالاته بعد الناصر يميل الى الشك فى ان عبد الناصر كان ينظر الى الامور بهذا الشكل ، وانه كان يتحرك برد الفعل اكثر مما يتحرك بالفعل •

والواقع ان اسرائيل كانت امامها عدة طرق مفتوحة للحل بعد اتخاذ القرار لو انها كانت تستهدف الوصول الى حل سلمى فعلا وهى :
١ ـ مواصلة الاتصالات الدبلوماسية والتركيز عليها رغم عدم جدواها المؤكد فى ذلك الوقت •
٢ ـ اختبار جدية قرار الحصار المصرى بارسال مراكب اسرائيلية خلال مضايق تيران ومعرفة رد الفعل المصرى •
٣ ـ محاولة القيام بعملية عسكرية محدودة لفتح المضايق لقواتها •
٤ ـ شن حرب وقائية •

وواضـــح ان طريق الحل الرابع كان اقرب الحلول الى تفكير قادة المؤسسة العسكرية الذين أعدوا خطتهم لذلك منذ اعوام طويلة ·
والحرب الوقائية تحتاج الى مبررات وذرائع هي التي ركزت عليهــا الحكومة الاسرائيلية لتوريط العرب فيها فى وقت غير مناسب لهم ·
وتمادت بعض تصريحات التهـــديد لاسرائيل دون حساب دقيق لظروف الموقف ، ودون تقدير لرد فعل ذلك على سكان اسرائيل الذين تجعل منهم هذه التصريحات عجينة سهلة في يد قادة المؤسسه العســكرية الاسرائيلية ·
ويقول هربر دمكميان في كتابه (مصر فى عهد ناصر) :
ان حشد القوات العربية على حدود اسرائيل منح الصقور هناك فرصة فريدة لاشعال حرب شاملة تجاوبت مع مشاعر السكان) ·

اعلن جمال عبد الناصر القرار يوم ٢٢ مايو اثناء زيارته لموقع القوات الجوية المتقدم ، معلنا اغلاق خليج العقبة وحظر الملاحة الاسرائيلية او مرور المواد الاستراتيجية ·· وهاجم فى الاجتماع زعماء الحلف الاســلامى الذين لا يوقفون شحن البترول الى ايلات ·
وفسر جمال عبد الناصر فى هـــذا الاجتماع رد فعله على تصريحات اشكول ورابين التى ذكروا فيها (انهم سيقومون بعمليات حربية ضد سوريا من اجل احتلال دمشق واسقاط النظام السورى) ووصف هــذا التصريح بقوله : (ان هذا التصريح ـ الذى صدر يوم ١٣ مايو ـ تصريح وقع جــدا الواحد لما يقراه يعتقد هؤلاء الناس قد وصل بهم التبجح والغرور الى الحد الذى لا يمكن السكوت عليه) ·
مازالت دمشق عند عبد الناصر المدينه العزيزة التى الهبت قلبــه بالحب يوما ما ·· ومازالت طبيعته المصريه الاصيله ترفض الرضـــوخ للتصريحات المهينة للكبرياء
ويفسر عبد الناصر لضباط القوات الجوية التطور السريع للاحــداث فيقول : (انه لم يكن هناك تفكير قبل يوم ١٣ مايو فى اتخاذ أى اجراء على اساس ان اسرائيل لم تكن تجرؤ على مهاجمة أى بلد عربى) ، ولكن وصلت فى هذا اليوم معلومات تفيد بحشــد ١١ او ١٢ لواء وان هناك نية عمــل عدوانى ضد سوريا يوم ١٧ مايو ، واتصلنا باخواننا الســوريين فوجدنا عندهم نفس المعلومات ، ولذا ارسلنا فوزى الى دمشق يوم ١٤ ، وقررنا ان احنا ندخل المعركة من أول دقيقة) ··
قرار قفل خليج العقبة الذى اتخذ فى هذا الاجتماع فوق ارض ســيناء هز العالم بعنف شديد ، ووضح ان الامور تتطور بايقاع اسرع من المتوقع ، وان شبح الحرب يقترب ولا سبيل لدفعه ·
قفل خليج العقبة يعنى القبض على رقبـــة اسرائيل ·· وهى لن تترك نفسها لتموت بين يدى المصريين ·
صحافة العالم تنشر (ان الحرب مع اسرائيل قد تنشب فى أى لحظة) ·· والدعاية الغربية تصـــور التحركات المصرية فى صـــورة عدوانية ·· وجونســـون يكتب الى كوسيجين بأن تتعاون امريكا وروسيا على مواجهة

الازمة ٠٠ويقترح السوفيت على جورج براون وزير الخارجية البريطانى اثناء زيارته الى موسكو عقد مؤتمر ثنائى مع امريكا لفرض تسويه للموقف ٠

ويصل يوثانت سكرتير الامم المتحدة الى مصر فى اليوم التالى مباشرة ــ ٢٣ مايو ــ ويجتمع ٤ ساعات مع جمال عبد الناصر ، اعطى له فيها وعدا بأن يدعو اسرائيل الى الامتناع فى اثناء بذل الجهود الديبلوماسية النشطة عن ارسال سفنها للمرور عبر مضيق تيران ٠٠ على ان تسمح السلطات المصرية بمرور كافة السفن الاخرى المتجهة لاسرائيل دون تفتيش ٠

وفى يوم ٢٥ مايو ٦٧ طار شمس بدران وزير الحربية المصرى الى موسكو ٠٠ وطار ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل الى باريس ولندن وواشنطن ٠

بدات رحلة ابا ايبان فجر يوم ٢٤ مايو دون ان تشير الصحف الى تحركاته واكتفت بالقول انه غادر البلاد لرحلة اعتيادية .

قابل ابا ايبان ديجول الذى قال له :

ــ لا تبداوا باطلاق النار .

وناقش مع المسئولين البريطانيين فى لندن (الوضع فى الشرق الاوسط) وظهرت صحيفة التايمس يوم زيارة ايبان للندن ــ ٢٥ مايو ــ بعنوان رئيسى يقول :

ــ (يوم آخر بلا قتال فى الشرق الاوسط) .

وفى واشنطن وضعت اللمسات النهائية للخطة ، وقال جونسون لايبان .

ــ (ان العلم الازرق والابيض يجب ان يمر فى المضايق) .

وصرح ايبان فى طريق عودته الى اسرائيل بباريس يوم ٢٧ مايو بقوله :

(لايمكن للسلام ان يتعايش مع حصار غير مشروع) .

وعندما سئل (هل انت متفائل ؟) .

اجاب (ان الشجاعة امر صعب)

عاد ايبان الى تل ابيب ، وهو الوزير الخبير المتمرس بعد ان تعرف على حقيقة موقف الدول الغربية من قضية مساندتها للحكومة الاسرائيلية ٠

وزيارة شمس بدران لموسكو فى هذه الفترة الحرجة يعطى لها اهمية قصوى ويدفع الى مناقشة نتائجها بتركيز شديد ٠

واذا تغاضينا عن قدرة شمس بدران على تحمل مسئوليته كوزير لحربية مصر ، فى وقت كان أبعد ما يكون فيه عن متابعة التطورات العلمية الحديثة لوسائل القتال ، وفى مستوى محدود وصلت اليه تجاربه ودراساته ، فاننا مع ذلك يجب ان نقف عند هذه الزيارة لما احاط بحديث شمس بدران فى مجلس الوزراء بعد عودته من علامات استفهام وتعجب ٠

قال لى الدكتور مراد غالب سفير مصر فى موسكو والذى حضر مباحثات شمس بدران مع جريتشيكو وكوسيجين انه ارسل تقريرا شخصيا الى جمال عبد الناصر عن نتائج الزيارة وما ورد فيها من تحفظ سوفيتى على بعض الخطوات التى اتخذت ، والتى قد تدفع الى التورط فى حرب غير محسوبة النتائج ٠

ارسل مراد غالب التقرير مع حمدى عاشور محافظ الاسكندرية الذى كان يقوم وقتها بزيارة للاتحاد السوفيتى ، وذلك خشية منه ان يكون شمس بدران لم يدرك تماما صحة الموقف السوفيتى وتقديرا من السفير المصرى لما يحيط بالموقف من اخطار .

وعندما صدر بيان الزيارة لم يتجاوز ما ورد فيه عن العبارات التقليدية ، وهى (ان محادثات دارت حول مسائل تهم البلدين فى اجتماع يتسم بالود والصداقة) .

ويذكر ان شمس بدران قد اجاب على تساؤل فى مجلس الوزراء المصرى عما اذا كانت مصر قد ادخلت فى حساباتها وجود الاسطول السادس الامريكى فى شرق البحر الابيض المتوسط ، بقوله (انه لو تدخل سنحطمه) .

ويروى امين هويدى زميل شمس بدران فى مجلس الوزراء حيث كان وقتها وزيرا للدولة فى وزارة صدقى سليمان فى كتابه (اضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧) :

(فى زيارة السيد شمس بدران وزير الحربية وقتئذ الى موسكو اكدت له القيادة السوفيتية اكثر من مرة عن املها فى عدم تصعيد الموقف والاكتفاء بما حصلنا عليه من انتصارات .. هذه حقيقة لا جدال فيها .

وكان السفير الروسى فى القاهرة يقوم بمثل هذا التاكيد ايضا .

ثم ما قيل عن ان الاتحاد السوفيتى وعد السيد شمس بدران بالتدخل فى حالة اى عدوان على مصر بعيد عن الحقيقة بل تؤكد الصحافة السوفيتية ان اليكسى كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى يؤكد المرة تلو الاخرى بعدم تصعيد الموقف والعمل على تعزيز الانتصارات السياسية التى حصلنا عليها دون التورط فى القتال) .

ويعلق امين هويدى على ذلك بقوله ان ما قاله البعض من ان معلومات موسكو عن الحشود السورية كانت كالزيت الذى يوضع فوق النار يتنافى مع هذه الحقيقة ويقول (ومن يريد ان يدفع الامور لا يستبدل الزيت بالماء ليصبه على النيران) .

ويكمل جان لاكوتير هذه الصورة فى كتابه (عبد الناصر) بقوله (سافر شمس بدران ليطلب اسلحة جديدة ، الا انه اصطدم بانتقاد كوسيجين ـ للاخطاء المؤسفة ـ التى ارتكبتها مصر : عرض عضلات فى سيناء ، حصار تيران واوصى رئيس الحكومة السوفيتية بالا تتضمن (المعدات الحربية) الممنوع مرورها البترول الضرورى لتموين اسرائيل ، كما اوصى وزير الدفاع السوفيتى بالانسحاب التدريجى للقوات المرابطة فى سيناء .

يثبت من هذا ما ذكره انطونى ناتنج ايضا فى كتابه (ناصر) من ان عبد الناصر لم يستشر السوفييت قبل قفله خليج العقبه ، وان آخر ما كان يمكن للسوفيت ان يطلبوه هو صدام عبد الناصر مع القوات الامريكية الامر الذى يمكن ان يسحبهم هم الاخرين الى ميدان المعركه .

كانت موات جانف راسو على حذر شديد من الخطوات الاندفاعية

التى تتم فى الشرق الاوسط ، فاعلن حالة التأهب والطوارىء فى نفس اليوم الذى صدر فيه قرار جمال عبد الناصر بقفل مضيق العقبة .

ويقول ناتنج ان شمس بدران قد اخطأ فى نقل وجهة نظر السوفييت المعارضة للحرب . واعتقد ان تأييدهم لمصر يتجاوز طبيعته ويمتد الى الحد الذى يورطهم فى حرب ثالثة .

وفى كتاب (ملف الحرب) الذى اعده (تيم هيواث) تسجيل لاحاديث عبد الناصر التليفزيونية التى اجراها مع انطونى ناتنج والنائب العمالى كريستوفر مايهيو يوم ٣ يونيو واذيعت فى السادسة من مساء ٥ يونيو بعد بداية العدوان .

سأل ناتنج قائلا :

(فى محاولة للنظر الى المستقبل فان روسيا قدمت كميات كبيرة من الاسلحة والدبابات والمطارات لمصر عدا الاموال والمساعدات الاقتصادية وبناء السد العالى وقدمت مع الصين مساعدات من القمح .. ووزير حربيتك قال ان روسيا قد وافقت على مساعدة مصر ضد اسرائيل .

هل يعنى كل ذلك ان حرية الحركة لمصر قد اصبحت محدودة كدولة محايدة ؟)

واجاب عبد الناصر :

اننا اخترنا سياسة عدم الانحياز .

تحدثت فى بعض كلماتى عن زيارة وزير حربيتنا لموسكو ولكننى لم أقل أنهم قالوا انهم سيكونون معنا اذا نشبت الحرب مع اسرائيل .. لا .. طبعا اننا نرحب بالفكرة وذلك لاننا لانريد ان نجابه ١٩٥٦ آخرى اما عن الحياد وعدم الانحياز فنحن أحرار ١٠٠٪ .

ويؤكد ذلك صحة استنتاج السفير مراد غالب وحرصه على ابلاغ جمال عبد الناصر حقيقة الموقف السوفييتى كما سبق أن ذكرت .. وقد اكد لى مراد غالب ان الاتحاد السوفيتى كانت له استراتيجية واضحة معروفة لمصر لاتسمح له بالموافقة على الهجوم على اسرائيل كما لايوافق على الهجوم على مصر .

ويروى الفريق أول محمد فوزى قصة شمس بدران تفصيلا فيقول :

كان الوزير شمس بدران قد كلف بمهمة للسفر الى موسكو فى الاسبوع الاخير من شهر مايو ومعه وكيل وزارة الخارجية فى ذلك الوقت السيد أحمد حسن الفقى . وانضم اليهما فى موسكو سفيرنا هناك الدكتور مراد غالب وتم لقاء كالمعتاد والهدف هو دعم جديد ، اسلحة للقوات المسلحة .. المهمة انتهت سريعا ، مثل باقى المهام الاخرى . واثناء عودة الوزير شمس كان وزير الدفاع السوفيتى جريتشكو يودعه . حصلت لفتة تقليدية بكلمة مجاملة خبط على كتفه للمجاملة .. وشدوا حيلكم احنا وياكم .. حاجة من هذا القبيل .

وعاد الوزير شمس ومعه زميله وكيل وزارة الخارجيه ومعهما المظروف الذى به محضر الجلسة .. الوزير شمس بدران اتجه رأسا من المطار الى الرئيس جمال عبد الناصر ، وقال له جملة .. ما معناه ان الحكومة السوفيتية والقوات المسلحة السوفيتيه معنا .

لقد فهم شمس بدران هذا من اللهجة العاطفيه التقليديه .. لهجة المجاملة .. التى أعلنت من وزير الدفاع فى توديعه بالمطار .

هذه الجملة خدعت بعض الشيء فى الفكر او الذهن لدى الرئيس جمال عبد الناصر وكان رد فعلها هو تشديد الاعلام فقط .. بعنى كان ساعتها وراها فيه خطبة للرئيس عبد الناصر مع احد التجمعات الشعبية .. فالخط الاعلامى زاد فى لهجته نتيجة لتأثير هذه الجملة .

ثم اتضح بعد ذلك أن الطرف الرسمى الاكيد الذى يحوى جلسة موسكو لم يطلع عليه الرئيس جمال عبد الناصر الا فى ١٣ يونيو لسنة ١٩٦٧ .

لم يقراه جمال عبد الناصر الا فى ١٣ يونيو الظرف فضل مقفول واتسلم من وكيل الوزارة احمد حسن الفقى لمكتب جمال عبد الناصر وفيه محضر جلسات الوزير شمس مع القيادة السوفيتية ومكتوب على الظرف « عاجل جدا ويسلم » ولم يفتح الظرف . ولما فتح الظرف وقرىء لم يوجد بالمحضر الرسمى أى اشارة سياسية او معنوية ، أو أدبية عن المساعدة او التأييد فى الصراع اللى حاصل فى ذلك الوقت اطلاقا .. كله كلام على التسليح حتا خدوا كذا حيدونا كذا .. حاجة زى كده ..

وأقول هذا للتدليل على الارتجال الشفوى غير الدقيق وتأثيره على الذهن وعلى الفكر .

ويستطرد قائلا : ثم دعى مجلس الوزراء الى الاجتماع .. وحضره الوزير شمس بدران وكان فيه تساؤل عن احتمال دخول امريكا مع اسرائيل كمساعدة مباشرة فى الصراع اللى موجود وخاصة ان الاسطول السادس موجود فى البحر الابيض . فرد شمس على الوزراء ردا تهكميا اسقط النقاش .. اسقط النقاش يعنى الترجمة اللى وصلت لى منقوله عن هذه الحاله .. انه «أوقف النقاش » يعنى معناها أيه هوه الاسطول السادس ؟ .. يعنى يطلع ايه الاسطول السادس ؟ .. وذكر التفصيل .. وقال : ده احنا بطيارتين تى يوم ١٦ أس .. وزورقين لنشات صواريخ .. قال نعمل مش عارف أيه ..

وهكذا توقفت المناقشة فى مجلس الوزراء .. وهذه يمكن ان نضعها تحت عنوان المبالغة المضللة فى قدرتنا العسكرية بالنسبة للحقيقة ، تشابها مع الخط الاعلامى عن القوات المسلحة .

ولكن شمس بدران يتحدث بنفسه عن حقيقة مادار خلال رحلته الى موسكو فيقول فى حديث مع مجلة الحوادث عدد ٦ سبتمبر ١٩٧٧ .

(فى حفل الغذاء الذى أقامه لنا جريتشكو تحمس أحمد حسن الفقى وكيل الخارجية وعضو الوفد فقال فى أحد الأنخاب (ان الشعب شديد الحساسية لمواجهة العدوان الاسرائيلى . وانه لن يتردد فى التضحية بابنه فى معركة ضد الامريكيين .. ودب الفزع فى الحفل . وقام الضباط الروس يخطبون محذرين من تصعيد الموقف ، فوقفت وقلت لهم : نحن لا نرغب فى أية مواجهة مع أمريكا . بل أؤكد لكم اذا مرت السفن الاسرائيلية فى حماية الأسطول الامريكى فلن نتعرض لها)

ويقول شمس بدران ايضا :

(عندما التقيت بكوسجين قال لى : لقد حصلتم على نصر سياسى كبير ويجب ان نعمل على تخفيف حدة الموقف الآن ٠

ويذكر ايضا ان جريتشكو قال له وهو يودعه فى المطار :

(شدوا حيلكم ٠٠ الاسطول السادس نزل مشاة أمس فى كريت ولكنه عاد وسحبهم لان أسطولنا فى البحر الابيض مزود بصواريخ وأسلحة نووية ، واذا حدث هجوم عليكم من الاسطول السادس فابعتوا لنا باشارة ستجدوننا عندكم فى المكان الذى تحددونه ٠٠ الاسكندريه أو بور سعيد ٠

واذا كان هذا هو ماحدث فعلا ٠٠ فانه لايمكن ان يعتبر تشجيعا على القتال أو ارتباطا فى معركة مصير ٠

ويذكر شمس بدران ان المشير عامر قد استدعاه بعد التنحى وأبلغهأن هيكل ومراد غالب يقولون ان مانقله شمس لعبد الناصر (كان غلط) ٠ ٠ والدليل ان الروس قد ابلغوا مراد غالب (آن الاسطول السوفيتى يراقب الاسطول السادس وانهم لم يشاهدوا تدخلا أمريكيا)

وهذا يتناقض تماما مع ماذكره شمس ولم يدون رسميا فى محضر المحادثات ٠٠ ومراد غالب مصدر ثقة لاجادته للغة الروسية حيث أمضى ١٢ عاما سفيرا فى موسكو ٠

الامر المؤكد ٠٠ ان خطأ ما قد حدث فيما نقله شمس بدران ، وفى عدم اطلاع جمال عبد الناصر على المحضر الرسمى للمحادثات ٠

ولكن جمال عبد الناصر كان واثقا فيما يبدو من ان اسرائيل لن تهاجم ، فى ذلك يقول ناتنج ايضا (وفى محادثاتى معه آثناء هذه الايام الحرجة ، بدا عبد الناصر مقتنعا انه يستطيع ركوب العاصفه والسيطرةعليها اذا لم يقدم لاسرائيل مزيدا من الاستفزازات)

ولذا حرص جمال عبد الناصر فى محادثاته مع يوثانت على ان يجنح الى تهدئة الموقف ٠٠ ولكن اسرائيل كانت قد اعدت خطتها للهجوم ورفضت اقتراح يوثانت الذى قبله جمال عبد الناصر والذى كان يقضى بتوفير (فترة تنفس) يمارس فيها جهوده الديبلوماسية النشطة على أن تسمح السلطات المصرية بمرور السفن المتجهة الى اسرائيل دون تفتيش ،على أن تمتنع السفن الاسرائيلية عن المرور الى حين الوصول الى تسويه ٠

وشجع عبد الناصر على هذا الموقف تأكيد الامريكيين له ــ كما يقول ناتنج ايضا ــ بأن اسرائيل لن تطلق الطلقة الاولى ٠

وفى يوم ٢٦ مايو نشرت الصحف مطالب الحكومة الامريكية لتسوية الموقف والتى تتلخص فى :

١ ــ ان الولايات المتحدة الامريكية ترى ان تظل قوات الطوارىء فىغزة وشرم الشيخ لحين صدور قرار من الجمعية العامة للامم المتحدة

٢ ــ ألا تتوجه أية قوات مسلحة الى شرم الشيخ الا بعد ان تصدر حكومة الجمهورية العربية المتحدة اعلانا رسميا بتأكيد حرية الملاحة فى مضيق تيران ٠

٣ ــ ألا تدخل الى غزة أى قوات مسلحة ٠

٤ ـ ان تظل الامم المتحدة ووكالاتها مسئولة عن الادارة في قطاع غزة حتى تتم تسويه المشكلة ٠

٥ ـ أن تعود القوات المصرية في سيناء ، والقوات الاسرائيلية في مواجهتها الى مواقعها الاصلية ٠

ولم يكن معقولا ان تستجيب القاهرة لهذه الطلبات بعد الخطوات التي اتخذتها ٠٠ ومع ذلك ظهرت جريدة الاهرام يوم ٢٨ مايو تحمل عنوانارئيسيا يقول (جونسون يناشد القاهرة ضبط النفس) ٠

وفي نفس اليوم عين زكريا محيي الدين قائدا للمقاومة الشعبية

وعقد جمال عبد الناصر مؤتمره الصحفي الشهير الذي بدا فيه عصبيا لانه كان قد أبلغ قبله بعدة ساعات ان ثلاثة ضباط قد وقعوا أسرى في يد اسرائيل أثناء قيامهم بالاستكشاف ، أجاب فيه على سؤال لستيفن هاربر محرر الديلي اكسبريس الذي سأله قائلا :

لقد مررتم كانسان بمرحلة ضغط كبيرة في اثناء أزمة السويس عام ١٩٥٦ فهل تجدون من السهولة بمكان تحمل أعبائها كانسان أكبر سنا مما كان عليه قبل ١١ عاما ، أم انكم تجدونها اصعب شأنا ٠ وكيف تستريحون من مشاكلكم ؟

وأجاب عبد الناصر بان الديلي اكسبريس تهاجمه يوميا ثم قال (بالنسبة للسن انا ماعجزتش ولسه مابلغتش ٥٠ سنة ٠ وانا مش خرف زي مستر ايدن بأي شكل من الاشكال) ٠

وفي يوم ٢٩ مايو توجه أعضاء مجلس الامة برئاسة انور السادات الى قصر القبة لاعطاء جمال عبد الناصر تفويضا كاملا لمواجهة الموقف ٠٠ وكان هذا حدثا جديدا في تاريخ الحياة السياسية اذ ينتقل ممثلو الشعب جميعا من قاعتهم الى قصر الرئيس ٠٠ ثم يقدمون له تفويضا يعتبر كل فرد منهم مسئولا عنه مسئولية ضمنية ٠

هذا بدلا من المطالبة بمناقشة الموضوع من كافة جوانبه ومحاولة التعرف على حقيقة الاخطار التي يتعرض لها الوطن

وفي نفس اليوم توجه عبداللطيف البغدادي وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم لمقابلة جمال عبد الناصر ٠٠ وهم اعضاء مجلس الثورة الذين قدموا استقالاتهم خلال السنوات الثلاث السابقة ٠ والذين كانوا قد أرسلوا له مذكرة يشرحون فيها الموقف ويعرضون أن يكون لهم موقع في أي قتال محتمل ٠

قال لي كمال الدين حسين ان المقابلة لم تمتد طويلا ٠٠ ثلث ساعة فقط ٠ وضح فيها ان جمال عبد الناصر يعرف حقيقة الجيش المصري ولذا فقد اعتقد انه لن يجرؤ على اعلان الحرب ٠

وقال لي حسن ابراهيم ان جمال عبد الناصر كان واثقا من أن شبح الحرب مازال بعيدا ، فقد قال لهم (أنا لن أحارب) ٠٠ وقال أيضا (لست أنا الذي سيأخذكم الى تل أبيب ٠٠ انه من سيأتي بعدي) ولكنه قال (أنا عاوز الهف شرم الشيخ) ٠

وعندما سأله حسن ابراهيم عما اذا كان سينرك الاسرائيليين يوجهون لنا الضربه الاولى قال : (ان امامهم ستة اسابيع) ٠

ولكن حسن ابراهيم يعدل أقواله في كتاب (الصامتون يتكلمـون) فيقول ان عبد الناصر أبلغه بأن أمام اسرائيل ٦ او ٧ أشهر) ٠

وقال لى عبد اللطيف البغدادى ان المقابلة قد أثبتت انجمال عبد الناصر لم يكن يدخل التحرك السريع نحو الحرب كعامل رئيسى ، وانه كان يعتقد أن المعركة ليست قريبة ٠ وانه وزملاءه قد قاموا بتجسيد الاخطار أمامه ٠

ويقول نانتنج فى كتابه (ناصر) عن هذه المقابله ان جمال عبد الناصر قد قال لزملائه انه ليست هناك مناسبة لمثل حديثهم الانهزامى الذى كان يفسر نقط الضعف فى قواتنا المسلحة ، ويقول انه عندما سأل البغدادى عن موقف السوفييت ٠ ردد له جمال عبد الناصر ماقاله شمس بدران عن اسـتعداد السوفييت لمساعدة مصر للنهاية حتى ولو تورطت فى حرب عالميه جديدة

وقال لى حسن ابراهيم أيضا انه أرسل له مذكرة اخـرى بتاريخ أول يونيـو ٠

كانت هذه المقابلة من المقابلات النادرة التى أتيح لجمال عبد الناصر أن يسمع فيها آراء صريحة بلا خوف او تردد من زملاء قدامى أتيحت لهم فرصـة العمل معه ١٢ عاما وأكثر قبل ان يبتعدوا عن المسئولية والحياة العامة ٠ ٠ ٠ ولكنها ظلت مع ذلك كنوع من الاستشارة فقط ٠

الايقاع السريع للاحداث يظهر شبح الحرب فى الأفق ، ويجعـل مع الانزلاق اليها أمرا عسيرا

موقف القوات المسلحة

أمر بديهى ان تكون عين جمال عبد الناصر عـلى القوات المسـلحة عند تفكيره فى اتخاذ أى قرار ٠

وصحيح انه كان قد فقد اهتمامه ورغبته للتدخل والاشراف على شئون القوات المسلحة تفصيليا ، منذ أن نشأ الخلاف بينـه وبين المشير عامـر بعد الانفصال ٠٠ ولكنه يظل مع ذلك القائد الاعلى للقوات المسلحة ٠

وحرب اليمن أو العملية ٩٠٠٠ كما كان اسمها الحركى كانت لاتزال قائمة ٠٠ صحيح ان حجم القوات قد انحسر هناك بعد ان كان قد وصل كمـا يقول الفريق صلاح الحديدى (شاهد على حرب ٦٧) بعد أن ازداد (حتى فاق فى وقت من الاوقات حجم القوات الموجودة داخل حدود الجمهورية ، فتأثرت بذلك الخطط الموضوعة عن سيناء لعدم توافر القوات اللازمه ، بل تأثر حجم القوات المتمركزة فى مواجهة القوات الاسرائيليه) ٠

ويعلل صلاح الحديدى ذلك بقوله (ان الامتيازات الضخمة التىمنحت للقوات المشتركة فى حرب اليمن كانت مغريه الى حد بعيد لجميع الرتب) ٠

كانت حرب اليمن غير ذات قيمة حربية علمية أو فنية لانها كانتأقرب ماتكون الى عمليات تأديبية وبوليسية ضد قوات الملكيين المتحركة ٠٠ ولذا فلم تكن القوات المسلحة المصرية مهيأة من ناحيه التدريب لحرب تصادمية معجيش عصرى مثل الجيش الاسرائيلى ٠

كان التدريب قد وصل الى مستوى فرقة مشاة أو مدرعة ولكنه هبط عام ٦٧/٦٦ ليتم على مستوى سرية فقط فى المنطقة الشرقية المسئولة عن سيناء .

وكانت القوات الجوية أيضا رغم امدادها بأحدث الطائرات العالمية غير مؤهلة لأداء واجبها حسب تطور الحرب الحديثه ، وذلك لاصرار صدقي محمود على أن تظل القوات الجوية ذات قيادة خاصه ، وفي وقت فرض فيه التطور حتميه انضمام فروع القوات المسلحه المختلفة تحت قيادة واحدة ... وهكذا غلبت الفكرة الانفصالية فى وقت كان دمج الفروع شرطا رئيسيا لدحول أية معركة .

وكان الدفاع الجوى بعيدا عن المستوى المطلوب ، اذ انه حدثت عدة اختراقات للمجال الجوى منذ اعلان حالة الطوارىء ، ولم يمكن اعتراض الطائرات المخترقة كما قال صلاح الحديدى (نتيجة عدم يقظة أفراد الدفاع الجوى ، أرضيين وجويين وخضوعهم للحياة الرونينية السائدة وقت السلم)

معظم هذه النواقص وغيرها لم تكن خافية على عيون المسئولين فى القوات المسلحة ولكنهم كانوا أعجز عن الوصول بهذه القوات الى المقدرة القتالية المطلوبة .. ولاشك ان الخلافات التى كانت قائمة بين القائد الاعلى (جمال عبد الناصر) ونائبه (المشير عامر) كانت من أهم الاسباب التى أدت الى ضعف القوات .. الى جانب انه لم تكن لها استراتيجية قتالية واضحة ، ولم ترسم لها أهداف جديدة للوصول اليها .. هذا الى أن الوضع الاقتصادى للدولة كان قد فرض خفضا فى ميزانية القوات المسلحة عام ٦٧/١٩٦٦

أما عن الاستفادة من خبرة السوفييت فانى أنقل ماكتبه الفريق صلاح الحديدى فى كتابه :

أما عن الخبرا السوفييت وما بذلوه من جهد طوال مدة تزيد عن العشر سنوات فلاشك انهم قد أفادوا فائدة كبيرة ، وكانت أعدادهم المتزايدة عاما بعد عام . وقد انتشرت فى كل الاسلحه ، ومعظم التشكيلات والوحدات تعمل بنفس الاسلوب المرسوم لها ، وتتدخل بالقدر المحسوب لدفع القدرة القتالية للقوات المسلحة ، ولكن رؤى منذ عام ١٩٦٤ تخفيض هذه الاعداد ، ورسمت السياسة لتنفيذ ذلك) .

ويستطرد صلاح الحديدى قائلا (وفعلا تناقصت أعداد الخبراء سنة بعد سنة حتى كانت الاشهر الاولى من عام ٦٧ فوقعت اتفاقية فى موسكو لينخفض بمقتضاها عدد الخبراء السوفييت الى أقل عدد ممكن)

هذا ولم يكن مصرحا للخبراء السوفييت بالذهاب مع الوحدات او التشكيلات الى سيناء ، رغم الايقاع السريع للاحداث ، وظهور شبح الحرب فى الأفق .

وعندما صدرت تعليمات القيادة العامة للقوات المسلحة باعلان حالة الطوارىء بحيث تتخذ كافة القوات حالة الاستعداد الكامل اعتبارا من الساعة ١٤٠٠ يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ واعلان التعبئة وحشد القوات فى جبهة سيناء طبقا للخطة الدفاعية قاهر .. تبين ان التعبئه قد أصبحت مجبرة على

تعديل خططها للظروف القائمة ، كما يقول تحليل أعدته شعبة البحوث العسكرية عن أسباب النكسة ٠

فوجئت القوات المسلحة بالتعبئة وهناك نقص بلغ ٣٧٪ من الضباط و ٣٠٪ من الرتب الاخرى ٠٠ زاد فى القوات الميدانيه حتى وصل ٤٠٪فى الضباط و ٤٤٪ من الرتب الاخرى ٠

ويقول أحد القادة المسئولين فى ذلك الوقت إنه (فيما بين ١٥ مايو و ٤ يونيو ١٩٦٧ كان قد تم صدور أوامر استدعاء وتعبئة وانشاء بلغ عددها ٢٠١ منها ٨٢ أمرا تضمنتها خطة تعبئة القوات المسلحة الموضوعة مسبقا و ١٩ أمرا بانشاء لم يسبق وضع خطة تعبئة له ٠

لم تكن هناك خطة تعبئه موضوعة لعام ١٩٦٧ ولذا عندما أعلنت حالة الطوارىء وتطلب الامر استدعاء ١٢٠٫٠٠٠ فرد احتياط ، رفعت التعبئة نسبة الاستدعاء الى ١٥٠٪ ومع ذلك لم يلب الطلب سوى ٨٢٫٠٠٠ أى بنسبة تخلف ٣٢٪ ٠

وقد دفعت قوات الاحتياط بمجرد تعبئتها الى مسرح العمليات المنتظر فى سيناء فزادت عن نصف اجمالى القوات المحتشدة فى سيناء ١٣٠٩ ضباط ٨٠٦٥٠ رتب أخرى من جملة ١٣٠٫٠٠٠ فرد تم حشدهم فى سيناء ٠

لم يكن هناك تدريب شامل على استدعاء قوات الاحتياط ، ولم يكن هناك تمرين سنوى لجنود الاحتياط ، كما انه لم يكن هناك فرز دقيق لخبراتهم السابقة ، الامر الذى أحدث أخطاء جسيمة فى توزيع الجنود على الأسلحة والواجبات المختلفة ٠٠ بل وتواجد فى الميدان حولى ٢٠٠ فرد يرتدون ملابسهم المدنية فى اللواء ١٢٥ مشاة احتياط الذى بلغ ٨٠٪فى الحمله الميكانيكية و ٩٧٫٥ فى المدفعية ٠

وفى اختصار ٠٠كانت القوات المسلحة غير مهيأة لهذا الاستدعاءالمفاجىء ٠٠ ولم يكن فى خاطر قادتها ان حربا سريعة يمكن أن تنشب فى جبهة سيناء ٠

ومع ذلك لم يعترض قائد واحد من قادة القوات المسلحة ٠٠ حسب تأكيد أمين هويدى وزير الحربية بعد النكسة ٠

انصرف القادة لتنفيذ التعليمات بحشد القوات ، واستمرت هذه العملية ثلاثة أسابيع ، تتكشف فيها الاخطاء ولا يقاومها احد ٠ تصدر فيها الاوامر بسحب قوات الطوارىء من خليج العقبه ، ولا يشير احد الى النقص الموجود ٠

قال الفريق عبد المحسن مرتجى فى حديث لمجلة آخر ساعة انه اعترض على تحرك القوات المصرية الى شرم الشيخ ٠٠ وكان الاجدر أن يتم الاعتراض على سحب قوات الطوارىء ٠

ويقول الفريق مرتجى ان المشير عامر قد صرح له بأن العمل سياسى وليس عسكريا ٠

ربما تكون قد حدثت اعتراضات أو ابديت بعض ملاحظات ٠٠ ولكن الواقع ان عجلة القوات المسلحة كانت قد بدأت تدور فى اتجاه المعركة ٠ ٠٠

وانشغل جميع القادة بتنفيذ واجباتهم ٠٠وربما تصور البعض منهم انالمعركة بسيطة وهينه ، فقد طلب احد كبار القادة من مدير احدى دور الصحف الاستعداد لطبع كروت بريد يرسلها الجنود الى أهلهم بعد الوصول الى تل أبيب ٠

ويؤكد هذه الحالة النفسية ماكتبه أمين هويدى فى كتابه عند مناقشته أن القوات المسلحة كانت مستعدة للقتال في حدود ظروفها المتاحة وقيادتها القائمة فهو يقول بعد اعتراضه على القول بأن القوات المسلحة لم تكنمستعدة للقتال :

(بل نجد ان ذلك يتعارض كله مع ما أكده السيد شمس بدران وزير الحربية وقتئذ فى مجلس الوزراء ، وعلى مسمع من كل اعضاء المجلس فى رده على سؤال موجه من احد الزملاء عن الموقف اذا تدخلت الولايات المتحدة الامريكية بأن القوات المسلحة كفيلة بمواجهة الموقف .. ولم يكتف بذلك بل اتبع رده بضحكة لازلت اسمع رنينها فى اذنى واخال ان كل الزملاء مازالوا يذكرون) ٠

ومع ذلك فان حديث جمال عبد الناصر مع زملائه اعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين ، وقوله لانطونى ناتنج كماورد فى كتابه انه لا يتصور ان اسرائيل وحدها دون معاونة جوية امريكية وبريطانية يمكن ان تلحق ضررا بالغا بالقوات الجوية المصرية الذى يجعل بعدئذ تقدم القوات الاسرائيلية فى سيناء معرضا للهجمات الجوية المصرية .. كما ان عبد الناصر استبعد امكانية هجوم اسرائيل فى جبهتين او ثلاث جبهات .

كان موقف جمال عبد الناصر يدل على استبعاده للمعركة حتى هذه اللحظة ، ويدل أيضا على توافر قدر من الثقه فى القوات المسلحة ٠٠

وعندما قال ناتنج لعبد الناصر قبل ٣٦ ساعة من الهجوم الاسرائيلى ان لديه معلومات تلقاها من لندن تفيد بأن اسرائيل قادرة على أن تقوم وحدها بما قامت به طائرات (كانبيرا) البريطانية عام ١٩٥٦ ، رفض عبد الناصر تصديق ذلك ، مشيرا الى ان طائرات النقل الاسرائيلية تواصل خلال الاسابيع الماضية نقل قطع طائرات الميراج من مصانع (داسو) بفرنسا لتركيبها فى اسرائيل ٠

وقال عبد الناصر له ان اجهزة المخابرات قد أكدت له ان طائرات الميج والسوخوى أفضل من كل ما تملكه اسرائيل ٠

ويشير ناتنج الى انه بعد مقابلته لناصر عقب النكسة قال له عبد الناصر انه بعد حديثه السابق معه توجه فورا لمقابلة المشير عامر فى مقر القيادة وابلغ قادة القوات المسلحة بأن يتوقعوا هجوما اسرائيليا خلال ساعات ٠٠٠ ولكن كان الوقت متأخرا ٠

ويقول رودلف رونستون تشرشل فى كتاب (حرب الايام الستة) :

(كان عبد الناصر يكون فكرة خاطئة عن قوة اسرائيل الحربية نظرا للمعلومات غير الاكيدة التى كانت تزوده بها مخابراته المتفككة ، وليست هناك من أسباب واهية توضح لنا ان عبد الناصر كان يسعى فعلا للتسبب بصراع

مسلح) .

ولكن مما لا شك فيه انه بعد ان اندفعت عجلة الامور في ايقاع سريع .. افلتت الخيوط من يد جمال عبد الناصر ، وأصبح واضحا تماما ان المعركة قادمة لا ريب فيها .

العرب ... في المعركة

كانت انظار العالم تتجه الى مصر ، وقد عبرت الاهرام عن ذلك بقولها (العالم مأخوذ بمفاجأة التحرك السياسي والعسكري المصري وسط الازمة الخطيرة في الشرق الاوسط) .

ومنذ وصلت الانباء عن الحشود الاسرائيلية على الحدود السورية وزيارات المسئولين المصريين لسوريا لاتنقطع .. سافر محمد فوزي رئيس الاركان يوم ١٤ مايو ، وسافر بعد ذلك زكريا محيي الدين يوم ٣٠ مايو الى بغداد ودمشق والجزائر .

حرص جمال عبد الناصر منذ البداية على الاتصال برؤساء العراق والجزائر واليمن فور اتخاذ قرار سحب قوات الطوارىء الدولية .

وقد حضر الى مصر رئيس اركان الجيش الجزائري ، الذي حمل اقتراحا من هواري بومدين بارسال قوات جزائرية ، فوافق جمال عبد الناصر على ذلك يوم ٢٣ مايو ١٩٦٧ ، وكانت هذه المبادرة تعبيرا من الثورة الجزائرية عن فهمها العميق لطبيعة المعركة بين قوى التحرر الوطني والامبريالية والصهيونية . والاف الاميال التي تفصل الجزائر عن سيناء لم تمنع قيادتها من القيام بواجبها القومي .

وخلال هذه الفترة كانت الجزائر تستعد لاستقبال السياسيين العرب المشتركين في الندوة التي بادر هواري بومدين بالدعوة اليها ، وحضرها لاول مرة في تاريخ العرب الحديث ، ممثلون لمختلف القوى والتنظيمات السياسية في الدول العربية ، واجتمع في قاعة واحدة ممثلون للاتحاد الاشتراكي العربي في مصر ، وحزب البعث في سوريا ، والاحزاب القومية المتناثرة في العراق والاحزاب الوطنية في المغرب العربي ... الى جانب الاحزاب الشيوعية في السودان ولبنان وسوريا والاردن .

عقدت (ندوة الاشتراكيين العرب) في جو يخيم عليه شبح الحرب .. ومع ذلك كان هناك شعور سائد بان الموقف سوف ينقذ في اللحظة الاخيرة .

اذكر ان فؤاد نصار سكرتير الحزب الشيوعي الاردني قد حضر سريعا للمشاركة في الندوة بعد افتتاحها ومتسائلا عن مصير الخطوات التي نندفع اليها في مصر .

واذكر ايضا ان هواري بومدين صرح بقوله ان الجزائر سوف تقف مع مصر وسوريا بلا اي تحفظ .

انتهت الندوة ووصلنا القاهرة مساء ٢ يونيو ١٩٦٧ .

كانت هناك دول عربية تقدر خطورة الموقف ، وتتحرك مع مصر .. مثل السودان واليمن والعراق والجزائر الى جانب سوريا .

ولكن الموقف في سوريا كان مختلفا عنه في مصر .

كانت الخطوات والاجراءات على الجانب المصرى واضحة لسحب قوات الطوارىء الدولية ... بينما تغيرت الامور على الحدود السورية ، فقد نشرت الاهرام يوم ١٩ مايو ان (القوات الاسرائيلية تتدفق بأقصى سرعة الى الجنوب والحشود المتجمعة امام سوريا ــ تذوب ــ) .

ولذا يقول امين هويدى فى كتابه (اضواء على اسباب نكسة ٦٧) ان الفريق محمد فوزى رئيس الاركان عاد بصورة مختلفة عما ورد فى التقارير السوفيتية .. والحقيقة انه وصل سوريا بعد اعلان مصر لحالة الطوارىء ، وانتهاء الدور الخداعى للحشود الاسرائيلية على الحدود السورية .

كما ان امين هويدى يقول ان عبد الكريم الجندى رئيس الشعبة الثالثة (المخابرات) فى الجيش السورى قد تساءل فى دهشة (لماذا كل هذه الضجة التى تثيرونها فى القاهرة ؟ ليست هناك حشود) وذلك عند مقابلته للوفد الذى كان يراسهزكريا محيى الدين .

كان ذلك فى ٣٠ مايو بعد ان كانت القوات الاسرائيلية قد تحركت فعلا الى الجنوب لاداء الواجب الملقى عليها فى خطة العدوان .

وتاكد لى ان السوريين بعد ان ــ ذابت ــ الحشود من امام حدودهم كانوا اكثر هدوءا ولم تكن بهم رغبة للاندفاع .. فقد قال لى ابراهيم ماخوس وزير الخارجية السورى فى الخرطوم وهو يجلس خارجقاعة مؤتمر القمة الذى رفضت سوريا الاشتراك فيه بعد الهزيمة (اننا لم نطلب من مصر ان تحارب من اجلنا .. ولم نتخذ من الخطوات مايعطى لاسرائيل مبررا للهجوم) .

ويقول أمين هـــــويدى ان السلطات السوريه قد اتخذت موقفا فاترا اثناء المباحثات التى تمت مع زكريا محيى الدين فى ذلك الوقت .

ولكن لم يعد هناك من سبيل لوقف التضامن العربى .

وكان اشد المواقف مفاجاة .. وصول الملك حسين الى القاهرة يوم ٣٠ مايو ١٩٦٧ بعد اتصالات سرية استمرت ثلاثة ايام ولم يذع نبأ وصوله الا بعد ساعتين ونصف بعد الاتفاق معه فقد اسفرت الزيارة عن اعلان اتفاقية دفاع مشترك وقعها جمال عبد الناصر والملك حسين .

وتشكلت جبهة شرقية أوكلت قيادتها للفريق عبد المنعم رياض .

وأنهت الاتفاقية الخلافات المعلنة بين الاردن ومنظمة التحرير ، فسافر أحمد الشقيرى مع الملك حسين عائدا الى عمان على نفس الطائرة .

كان تغير الموقف مفاجئاوباعثا على الدهشه .

خطب جمال عبد الناصر فى اول مايو ٦٧ ناعتا الملك حسين بانه خادم وعميل للامبريالية ... وانه يخدع الجماهير والامة العربية .

واذيع بيان سورى مصرى مشترك يوم ٢ مايو يقول (ان الملك حسين قد جعل من بلده حامية للاسلحة الاستعمارية ومعسكرا لعصابات المرتزقة المدربين) .

واعلن راديو دمشـــــــق يوم ١٥ مايو (اضربوا العرش العميـــل وحلفاءه الصهيونيين وسادته الامبرياليين) .

وكانت سوريا تدفع الى الاردن بعد ان تأزمت الامور بقوات تقوم بغارات تخريبية وصلت قمتها يوم ٢١ مايو عندما أعلنت اذاعه عمان ان حادثة قد

وقعت على نقطة (الرمثا) على الحدود المشتركة فى الواحدة والنصف ظهرا وأدت الى مصرع ٣ سياح اجانب ، ١١ اردنيا ،وجرح ٢٨ اردنيا وذلك نتيجة لانفجار لغم فى سيارة سورية عبر الحدود ٠٠ واعلنت قطع العلاقات مع سوريا ٠

لم تلفت هذه الحادثة انتباه الراى العام الذى كان مشغولا بتحركات القوات الاسرائيلية والمصرية ..

كتب بيتر هوبكيرك مراسل التايمز فى القاهرة يوم ٣٠ مايو يقول (كان لقاء الرجلين عبد الناصر وحسين مفاجأة شديدة للشعب المصرى وللاجانب فى مصر) ٠

وتبادل عبد الناصر وحسين كلمات الترحيب الودية الشديدة التى طوت صفحة الاتهامات والسباب المتبادلة ... واذاع راديو عمان ترحيبا بزيارة حسين للقاهرة والوصول لاتفاقية الدفاع المشترك ، وهو الذى كان يتهم النظام المصرى منذ ايام قليلة بالتعاون مع الصهيونيه والماركسيه ٠

تحسنت العلاقات مع مصر ، ولكنها لم تتحسن مع سوريا .

ويقول أحد الذين عرفوا بما دار فى المباحثات السرية التى امتدت ٦ ساعات ان الملك حسين كان يبدو فى مظهر من يريد الا يفوته شرف القتال مع رفاقه العرب فى حربهم ضد اسرائيل ٠

ولا شك ان الملك حسين كان فى وضع شديد الحرج .. فالوضع يلتهب يوما بعد يوم ، والموقف يشير الى ان قتالا عربيا اسرائيليا على وشك ان يبدأ ٠٠ لا أحد يستطيع التنبؤ بنتيجته ٠٠ ولا يمكن للملك حسين ان يتخلف عنه ، حتى لا يتعرض عرشه للانهيار ، وهو محاط بدول معادية له شخصيا مثل مصر وسوريا والعراق ٠٠ وفى بلده مئات الالوف من ابناء فلسطين ٠

اعتقد الملك حسين ان اتفاقيه الدفاع المشترك هى طوق نجاه ينقذه عن طريق الارتباط بمصر فى مواجهة النظام السورى الذى واصل هجومه على النظام الاردنى والملك رغم عقد الاتفاقيه باعتباره بؤرة للخيانة والمؤامرة ٠

ويشير تحقيق نشره الكاتب الصحفى الامريكى (انطونى بيرسون) فى مجلة بنتهاوس عن قضية الباخرة (ليبرتى) سنتعرض له فيما بعد ٠٠ يشير تحقيق بيرسون الى انه بعد اتفاق الولايات المتحدة واسرائيل على اسقاط جمال عبد الناصر ابلغت حكومة الولايات المتحدة الملك حسين بذلك، وخيرته بين البقاء على الحياد او المخاطرة بنظام حكمه ٠

قال لى محمد حسنين هيكل ان الشهيد الفريق عبد المنعم رياض كان قد تلقى رسالة سرية من الملك حسين بهذا المعنى وطلب ابلاغها الى جمال عبد الناصر ، ورفع الفريق رياض الرسالة الى الفريق على على عامر قائد القيادة العربية المشتركة ، كما سبق ان ذكرت .

ولكن القلق اصاب الفريق رياض لعدم وصول رد على هذه الرسالة من عبد الناصر رغم خطورة ماورد فيها من تهديد صريح له ولنظام حكمه .

ودبر هيكل لقاء بين عبد الناصر وعبد المنعم رياض .. الذى شرح له

مضمون الرساله والتي كانت تتضمن ان الحكومة الامريكية قد دبرت خطتها مع بعض عناصر النظام الحاكم في دمشق

ولذا تحفظ جمال عبد الناصر على هذه الرسالة لانها وردت من الملك حسين اولا ، ولانه اعتبرها محاولة للوقيعة بينه وبين نظام الحكم في دمشق ثانيا ، ولانه لم يعد يملك مفتاح الموقف وحده بعد تطور الاحداث وتلاحقها في ايقاع شديد السرعة .

وكان للاتفاقية انعكاسات متعددة .

الاتفاقية لم تصلح ما بين النظام الاردني ومنظمة التحرير .. وعودة الشقيري مع الملك حسين لم تكن خاتمة الخلافات . . . فالملك حسين كان مستعدا لمشاركة مصر في حربها ضد اسرائيل ، ولكنه لم يكن مستعدا للسماح لالاف الفلسطينيين المسلحين بدخول الاردن ، لاعتقاده بعدم فائدتهم للجيش الاردني من جهة ، ولانهم سوف يصبحون عنصر تهديد لنظامه من جهة اخرى .. ولذا فقد رفض الملك حسين عرض احمد الشقيري بادخال ٥٠٠٠ جندي من جيش التحرير الفلسطيني ولو كانوا تحت قيادة اردنية .. وكل ما وافق عليه هو اعادة فتح مكتب منظمة تحرير فلسطين في القدس والذي كان قد اغلق منذ بدا الخلاف مع الشقيري .

واعلنت السعودية وقف مساعداتها العسكرية الى الاردن ، بعد ان خذلت تعاونهما السابق ، ووضع الملك حسين يده في يد عبد الناصر .

وحاولت اسرائيل عن طريق اتصالات خاصة أن تقنع الملك حسين بالتراجع عن موقفه .. ولكن الملك حسين رفض ذلك كما يقول انطوني ناتنج اما انطوني بيرسون فيقول في تحقيق (بنتهاوس) ان اسرائيل كانت تدبر خطة لجر الاردن للمعركة اذا كان الملك حسين قد تردد في ذلك .

اما العراق فقد أخذت جانب التأييد للاتفاقية التي تسمح لقواتها بالدخول والوقوف على الحدود الاسرائيليه .

ولم ترحب الجزائر كثيرا بعقد الاتفاقية .

وفي مؤتمر صحفي عقده الملك حسين يوم ٤ يونيو قال ان زيارته للقاهرة هي تعبير عن علاقات التضامن الطبيعية بين العرب ضد عدو مشترك ..وعندما سئل عن موقف الاردن من سوريا ، قال ان الاردن يريد ان يزيل كل الخلافات امام الخطر المشترك .. وفي المؤتمر هاجم الملك حسين بريطانيا وخيرها بين معاداة العرب جميعا او معاداة اسرائيل .

وعقب المؤتمر الصحفي مباشرة اتصل جمال عبد الناصر بالملك حسين واخبره بانضمام العراق الى اتفاقية الدفاع المشترك .

وانضمت العراق يوم ٤ يونيو ، واذاع راديو بغداد ان العراق قد قررت فرض الحصار على أي شحنة بترول الى اى بلد يساند العدوان المدبر ضد اية دولة عربية .

وهددت الكويت بوقف شحن البترول في حال وقوف الدول الغربية الى جانب اسرائيل .

.. وقد هبطت النسبة التي عبرت قناة السويس أثناء هذه الفترة الى

٦٠٪ مـــن البترول العربى بعد ان كانت ٨٠٪ خـــلال الاحد عشر عاما السابقة
وهكذا وحد (الخطر المشترك) معظم الدول العربية . . . ولم يستطع الملك حسين أن يبقى فى موقفه المنعزل .

وقد كان لعقد اتفاقية الدفاع المشترك مع الاردن بطريقة مفاجئة اثر كبير فى تخطيط اسرائيل ، فقد اعطى لها مبررا اضافيا للهجوم ، وساعدها فى شن حملة دعائية عالمية تظهر العرب فى مظهر المتربصين للعدوان ، كمـــا منحهم فرصة توسيع نطاق ضربتهم المنتظرة لاكتساب مزيد من الاردن العربية .

سارعت الاتفاقية فى دفع عجلة الحرب وبددت كل احتمال للتســــوية السلمية .

أحكمت الدول العربية الحصار على اسرائيل وخاصة بعـــد الســـماح بدخول القوات العراقية الى الاردن .. واصبحت ازمة الشرق الاوسط تهدد بالانفجار بين لحظة واخرى .

وكانت فى مصر قوات من الجزائر والسودان . . . وفى الاردن قوات من العراق والسعودية .

وشكلت تصريحات عبد الرحمن عارف التى قال فيها للجنود العراقيين مودعا انهم سينتقمون لشهداء ١٩٤٨ وانهم بارادة الله سيلتقون فى يافا وحيفا . . . واذاعات الشقيرى التى تحدثت عن تصفية (اليهــــود) والقائهم فى البحر . . . واذاعة دمشق التى اكدت انها لن تتراجع فى مساعدة الفدائيين للتسلل داخل اسرائيل . . . شكلت فرصة دعائية هائلة لاسرائيل .

فقد سجل الاسرائيليون هذه الاذاعات واتخذوا منها دليلا على رغبـــة العرب المحيطين بهم فى العدوان ، وجعلوا منها ستارا مضللا يخفى حقيقـــة تدبيراتهم .

ولا شك ان هذه التصريحات كانت متعجلة ومضللة وغير مسئولة ، فانه رغم الاتفاقيات التى تمت بين الدول العربية فى آخر لحظة ، فانه لم تكن هناك استراتيجية حربية ولا قيادة عربية واحدة مسيطرة .

كان لقاء سياسى هام بين الدول العربية يمكن أن يعتبر بداية لوضع خطة سياسية وحربية متناسقة مبنية على الظروف الموضوعية القائمة . . . ولكن اندفاع الاحداث جعل من هذه الاتفاقيات أمورا صورية لا تترجم قـــدرات العرب الحقيقية .

ولذا واجه العرب الخطر صفا واحدا ، ولكن بعقليات متباينة واهداف متعددة . . . ولم يصلوا حتى لحظة العدوان الى استراتيجية شاملة موحدة .

نحو الانفجار

كان واضحا ان فرصة التسوية قد ضاعت ، وان الحـــرب وشيكة الوقوع .

وتوافرت لاسرائيل كل الظروف الملائمة لتنفيذ خطتها .. فاتخـــذت المؤسسة العسكرية من ميثاق الدفاع المشترك بين مصر والاردن ذريعة تمارس بها ضغوطها ، وارتفعت الاصوات تطالب بعودة بن جوريون الذى اســتقبل

لأول مرة عدوه السابق مناحم بيجين الذى يمثل أقصى التطرف الصهيونى واتفق الاثنان على ضرورة الحرب ٠

وبذا توحدت معظم الفئات السياسية فى اسرائيل ، وانحصر الخلاف حول الجهاز اللازم لادارة الحرب وتولى مسئوليتها ٠

ورفض ليفى اشكول فكرة عودة بن جوريون الى الوزارة قائلا :

(ان وجود جوادين عجوزين ـ يقصد نفسه وبن جوريون ـ لايستطيعان جر عربة واحدة سويا ، فاما أنا واما هو)

وبعد مداولات طويلة بين الاحزاب الاسرائيلية استقر الامر على تعيين موشى ديان وزيرا للدفاع ، ومناحم بيجين وزير دولة ٠٠ وكان هذا دليلا على ان حكومة ليفى اشكول قد استقر رأيها على الحرب ، وأنها تعين دايان وزيرا للحربية استجابة لمشاعر الشعب الاسرائيلى المؤيدة له ٠

وكان ديان قبل ذلك قد ذهب الى المنطقة الوسطى مع قائدها الجنرال ناركسين للتفتيش على قواتها ٠ وفرض نفسه خلال حركة سياسية وعسكرية نشطة ٠ أثبتت انه كان ينسق خططه مع بعض أفراد المجموعة الحاكمة ٠٠

قال ديان (كان يجب وجود ٨٠ ألف جندى مصرى فى سيناء لقبولى فى الوزارة) ٠٠ ولاشك ان ديان كان أحد الذين خططوا لاستجلاب هذا العدد الكبير من الجنود الى سيناء ٠

ويقول رودلف ونستون تشرشل ان قرار بدء العدوان قد اتخذ فى أول يونيو ١٩٦٧ بعد تعيين دايان ، وأن ميثاق الدفاع المشترك المصرى الاردنى كان هو السبب المباشر لذلك ٠

ولما كان وصول ديان الى منصب وزارة الدفاع يشير مؤكدا الى استعداد اسرائيل لبدء القتال ، وهو ما عبرت عنه الاهرام بقولها (انقلاب صامت فى اسرائيل يأتى بوزارة حرب) ، فان أول عمل قام به كما جاء فى كتاب تشرشل (حرب الايام الستة) كان هو :

(خداع العالم على أمل أن يأخذ زمام المفاجاة الضرورية جدا لاسرائيل والحصول على نصر مقابل اقل عدد ممكن من الضحايا المدنيين ، ومن هنا فقد أشيع فى اسرائيل على أوسع نطاق أن القوات الاسرائيلية التى مر اسبوعان على حشدها فى الصحراء والتى تنتظر بفارغ الصبر وبل وتطالب الحكومة باعطاء أمر الهجوم ... ان هذه القوات سوف يسرها أن تعلم أن الحكومة التى دخلها موشى ديان قد قررت الا تبدأ الحرب ، وقد حاولوا بذلك اظهار ديان وكانه مجرد (شخصية مدنية) لا يمتاز على غيره من المدنيين الا بانه محل ثقة لا اكثر) ٠

وفى مساء ٢ يونيو قام أحد مؤلفى كتاب (حرب الايام الستة) بمقابلة موشى ديان فى داره بضواحى تل أبيب بصفته مراسلا لمجلة (نيوز أوف ذى وورلد) وقال له :

(من الخطأ فى تصورى ان يقال ان اسرائيل قد فاتها القطار ، وانها لم تعد قادرة على التحرك ، فبالعكس ان مصير الحرب يمكن أن يتقرر فى الجو حيث الوضع الاستراتيجى لا يزال كما هو تقريبا) ٠

ولكن ديان واصل عملية التغطية قائلا :

(قلما تتلون الاشياء فى حياتنا باللون الاســـود وحده أو الابيض وحـــده اذ غالبا ما تكتسب الاشياء لونا رماديا ، فمن الصـــعوبة جدا آن نقطع بامكانية التفوق الجوى لطرف على الآخر) .

ولمزيد من الخداع قال ديان فى مؤتمر صحفى مساء السبت ٣ يونيو (ان وقف الرد العسكرى على الحصار المصرى المضروب حول مضيق تيران قد فات ، ولكن التنبؤ بما يمكن ان تؤدى اليه الجهود الدبلوماسية لا يزال سابقا لاوانه ... لقد اختارت الوزارة قبـــل دخولى فيهـــا طريق العمـــل الدبلوماسى ، ولابد ان نتيح للوزارة فرصة اختبار امكانيات هذا الطريق) .

ووزعت على الصحف يوم ٤ يونيو صور للجنود الاسرائيليين وهم فى حالة استرخاء على شاطىء البحر ضمن (عملية مدبرة وجزء من خطة رامية لتضليل الراى العام العالمى) .

احكمت الخطة الخداعية تماما ، وظهرت صحف اسرائيل يوم ٥ يونيو تحمل قرارات مجلس الوزراء فى امور بعيدة تماما عن الحرب ، مثل الموافقة على الاتفاق الثقافى بين اسرائيل وبلجيكا او الاتفاق بين اسرائيل وبريطانيا على تحديد الاساليب التى يجب اتباعها فى حال حدوث اختلافات عسكرية وتجـــارية .

وفى الجانب المقابل كانت اسرائيل قد رتبت عملية خداعية اخرى .

اثناء زيارة ابا ايبان للولايات المتحدة توجـــه الى الخارجية الامريكية بلا موعد يوم ٢٦ مايو وطلب مقابلة دين راسك فى الحال ، قائلا ان الموقف اخطر من أن يتحمل المجادلات الدبلوماسية لان (اسرائيل ستتعرض للهجوم والتدمير اليوم) ... وكان ايبان لايزال فى وزارة الخارجية عندما استدعى والت روستو سفير مصر مصطفى كامل ، الذى حمله رسالة من جونسون الى عبد الناصر طلب تبليغها له فورا ، وذلك كما قال جمال عبد الناصر للطلبة المبعوثين اثناء اجتماعه بهم فى ١٦ مايو ١٩٧٠ .

كانت هذه الرسالة هى الرسالة الثانية خلال ايام ... الاولى سلمت يوم ٢٣ مايو من السفير الامريكى ريتشارد نولتى الذى خلف لوشيوس باتل والذى لم يكن قد قدم أوراق اعتماده بعد — ولم يقدمها بعد ذلك ايضـــا — ولذا قدم رسالة جونسون الى محمود رياض .

كانت الرسالة تقول (ان الهدف الاسمى والارفع) هو تجنب القتال .

وفى نفس اليوم استدعى السفير المصرى الى وزارة الخارجيةالامريكية حيث سلمه يوجين روستو رسالة مماثلة وقال له (ان امريكا ابلغت اسرائيل صراحة ، انها ستناهض اى هجوم على اى دولة عربية) .

وكان ذلك فى اليوم السابق لوصول يوثانت .

الرسالة الثانية تختلف فى لهجتها عن الرسالة الاولى ... بينمـــا لم تمض ثلاثة ايام فقط .

كانت الرسالة قائمة على تبليغ الاسرائيليين باحتمال هجوم مصرى فى نفس الليلة ٢٦ مايو ، وقال جونسون فى رســـالته انه اذا هاجم المصريون وسددوا الطلقة الاولى فان من شان الحكومة الامريكية أن تتخذ موقفا شديدا

للغاية من مصر ... وانها لن تسمح بحدوث ذلك فى الوقت الذى يجرى فيه الامين العام للامم المتحدة اتصالاته .

وفي نفس الليلة توجه السفير السوفيتى ديمترى بوجداييف الى منزل جمال عبد الناصر على غير موعد وطلب ايقاظه فى الثالثه صباحا ،وحين استقبله عبد الناصر أوضح له أنه تلقى أوامر من القيادة السوفيتية بأن يقابله فورا وان يبلغه أن الامريكيين اتصلوا بالكرملين وأبلغوا الروس ان لدى اسرائيل معلومات تفيد أن المصريين سيبدأون الهجوم مع أضواء الفجر الاولى .

وقال السفير للرئيس انه يناشده بألا يقوم بتنفيذ خطته لان الطرف الذى يطلق الرصاصة الاولي — مهما يكن — سيصبح فى وضع سياسى لا يمكن الدفاع عنه ، ولذا فان السوفيت — كأصدقاء — ينصحون مصر بعدم اطلاق الطلقة الاولى ... واجاب عبد الناصر بأنه لم يصدر أوامره بالهجوم، وانه ليست هناك خطة للهجوم هذا الصباح .

نجحت اسرائيل بذلك فى خلق شعور دولى عام بأن خطة العدوان كانت ستتحرك من جانب مصر .

وقد حرص جمال عبد الناصر فى تصريحاته ومؤتمره الصحفى بعد ذلك على القول (بأننا لن نطلق الرصاصة الاولى ، ولن نكون البادئين بالهجوم) مخاطبا بذلك الراى العام العالمى ، وجونسون والقيادة السوفيتية وديجول ايضا الذى حذر الطرفين من اطلاق الطلقة الاولى .

واعتقد عبد الناصر بذلك انه قد كسب المعركة السياسية ، وان الموقف ليس مستعصيا على الحل بالاتصالات والمفاوضات السلمية .

ويشير الفريق صلاح الحديدى فى كتابه الى واقعة غريبة ، وهى أن التوقيت الذى طلبت فيه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى من مصر عدم القيام بالضربة الاولى (كان هو نفس التوقيت الذى حددته القيادة العامة بمصر لاتمام استعدادات القوات الجوية توطئة لضربة فجائية ضد قوات العدو الجوية) .

اذا صح ما رواه صلاح الحديدى فان معنى ذلك ان القوات المصرية الجوية كانت منذرة ومستعدة للقتال قبل العدوان بعشرة ايام على الاقل .

ولكن لم يثبت ان هناك أوامر هجومية قد صدرت للقوات المصرية ، وان الخطة الدفاعية (قاهر) كانت مازالت هى المنفذة ، عدا بعض طلعات قامت بها الطائرات النفاثة المصرية التى كانت تعبر اسرائيل من العريش الى البحر الميت فى ٤ دقائق وهى مدة غير كافية للاشتباك ... وكان ذلك جديدا فى حركة القوات الجوية المصرية التى لم تخترق المجال الجوى الاسرائيلى منذ الانسحاب من الاراضى المصرية بعد عدوان ١٩٥٦ .

واتمام الاستعدادات لا يعنى بالضرورة بدء الهجوم .

كان حبل الامل لم ينقطع بعد ... ورغم رسالة جونسون ... فان يوثانت أرسل رسالة برقية أخرى يوم ٣٠ مايو نشرها محمد حسنين هيكل

فى مقال له بعنوان (... لا لعبد الناصر) نشر فى جريدة الوطن الكويتية يوم ٢٢ أبريل ١٩٧٦ .

الرسالة تشير الى ما قاله يوثانت أمام مجلس الامن يوم ٢٦ مايو من انه يطلب فسحة من الوقت لتخفيف التوتر ويقول :

(وبالذات وبدون طلب اى تعهدات منكم او حتى رد فانني أعرب عن الامل فى أن تمتنعوا خلال مدة اسبوعين من لحظة استلامكم هذه الرسالة عن اى تدخل فى الملاحة الاسرائيلية عبر مضيق تيران .

وفى هذه الخصوص فهل لى ان اخطركم وفى كل الاحوال ان لدى من الاسباب ما يجعلنى أفهم انه فى الظروف العادية فانه ليس متوقعا أن تحاول اى باخرة اسرائيلية عبور مضايق تيران خلال مدة الاسبوعين المحددين) .

اعطت هذه البرقية الايحاءات التالية :

١ — ان هناك (فترة تنفس) مدتها اسبوعان يمارس فيها يوثانت جهده الديبلوماسى السلامى .

٢ — أن قوله بعدم مرور بواخر اسرائيلية ، هو امر يؤكد صلته باسرائيل واخذ موافقتها .

٣ — كانت حركة يوثانت مطلوبة من جونسون بناء على رسالته الاولى .

٤ — لا شك أن يوثانت كان على صلة بالدول العظمى الممثلة فى مجلس الامن .

وهدأت انفاس عبد الناصر بعد هذه الرسالة ، واعتقد ان مناورته السياسية قد نجحت ، وان الاخطار التى حملتها للمنطقة قد تجمدت او هى فى سبيل التجمد الذى سبق ان لعب دور الوسيط بين عبد الناصر وبن جوريون عام ١٩٥٦ .

وزاد من هذا الشعور عنده وصول روبرت اندرسون فى اليوم التالى لتسليم رسالة يوثانت — أول يونيو ٦٧ — والوصول الى اتفاق على ايفاد زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية لمقابلة جونسون يوم الثلاثاء ٦ يونيو .

قال جمال عبد الناصر للمبعوثين المصريين فى الخارج اثناء اجتماعهم به فى الاسكندرية يوم ١٦ مايو ١٩٧٠ وهو يستعيد درس الهزيمة .

(قبل ٥ يونيو الامريكان بلغونى انهم يضمنون كيان الدول فى المنطقة وانهم سيعارضون أى عدوان وفى يوم من الايام طلبوا سفيرنا فى واشنطن وقالوا له ان عندهم اخبار اننا حنهاجم اسرائيل وان وزير خارجية اسرائيل موجود فى المبنى ذاته فى وزارة الخارجية وطلبوا انهم يبلغونى فى الرسالة أن امريكا بتصمم على اعلان كيندى اللى هوه خاص بالتحفظ على الوضع فى المنطقة كما هو ومجابهة أى عدوان . .

وبعد ذلك حصل العدوان وكان من الواضح بالنسبة للامريكان انه فى وقت الحرب اذا كانت اسرائيل هى المنتصرة فان أمريكا ستتناسى كلية البيان اللى هيه اعلنته ، واذا كانت الدول العربية هى المنتصرة ، فامريكا

ستصمم على البيان اللى قالته والخاص بوحدة هـذه المنطقة وعدم تغيير الاوضاع بالنسبة لحدود المنطقة .

وتفجر هذا الشعور فجأة بمراقبة ما حدث فى اسرائيل ، ووصول المؤسسة العسكرية الى مواقع النفوذ ، وتعيين دايان وزيرا للدفاع الاسرائيلى .

وشعر جمال عبد الناصر ان اخطارا تتجمع فى الافق ، وان الخيوط التى كان يمسكها قد افلتت من يديه ... وأن الموقف قد تحول ليصبح خطيرا ... خطيرا .

وفى ذلك اليوم استقبل عبد الناصر النائب البريطانى كوليستوفرمايهيو الذى سأله (ان لم يهاجموا .. هل تدعهم وشأنهم؟ فأجاب عبد الناصر (ليس فى نيتنا مهاجمة اسرائيل) .

وقرر جمال عبد الناصر عقد مؤتمر عسكرى سياسي مساء يوم ٢ يونيو حضره معه المشير عامر وزكريا محيى الدين وانور السادات وحسين وحسين الشافعى وعلى صبرى وقادة القوات المسلحه .

وقد حدد جمال عبد الناصر رؤيته للموقف فى هذا المؤتمر كما يلى :

١ ــ الظروف الدولية تحتم عدم اتباع استراتيجية عدوانية (حتى لا نضحى بموقف أمريكا وباقى الدول الكبرى منا ، ولا سيما بعد ان اعلن الجنرال ديجول ان فرنسا ستقف ضد البادىء بالعدوان) وذلك تبعا لما ذكره الفريق صلاح الحديدى احد الذين حضروا هذا المؤتمر .

٢ ــ حدد اختيارين أمام اسرائيل ... اما قبول الامر الواقع ، أو شن حرب وهو ما يتوقعه بنسبة ١٠٠٪ وخاصه بعد تشكيل وزارة الحرب .. وحدد موعد قيامها بعمليات هجومية فى مدة يومين أو ثلاثه (أى ٤ او ٥ يونيو) ... وقد بنى ذلك على أن اسرائيل لابد ان تقوم بهجومها قبل وصول قوات الجيش العراقى الى الاردن ، وكانت قد بدأت التحرك فعلا وكان ينتظر وصولها خلال يومين .

٣ ــ شرح عبد الناصر تصوره للمعركة بانها (ستقوم على أساس توجيه اسرائيل ضربة جوية ضد قواتنا ودفاعنا الجوى حتى يتم شلها واخراجها من المعركة ... وطلب من العسكريين الاستعداد لتلقى هذه الضربة ، واتخاذ ما يلزم لتقليل خسائرها الى الحد الادنى حتى يمكننا بعدئذ توجيه ضربة رادعة ضد قوات العدو الجوية .

ويروى الفريق الحديدى ما دار فى هذا المؤتمر الهام من مناقشات فيقول :

(وهنا ساد الوجوم غرفة الاجتماع واعترى العسكريين نوع من القلق والصمت قطعه قائد القوات الجوية ، موضحا ان تحول استراتيجيتنا العسكرية من الهجوم الى الدفاع سيؤثر تأثيرا كبيرا على موقف القوات الجوية ، وان الفرق سيكون كبيرا بين الحالتين لان الروح المعنوية لقواته ستتأثر كثيرا فى حالة الانتظار لتلقى ضربة اسرائيل ، وانه يفضل لو كان من الممكن عدم تغيير الوضع عما هو عليه ... وكانت اجابة الرئيس الراحل على هذا التعليق اجابة طبيعية ، اعتبرتها كتب الاستراتيجية من البديهيات

فى هذا الفن ... اذ تعتبر أن استخدام الاجهزة العسكرية يكون لتنفيذ السياسة الخارجية للدولة ، وأن هذا الاستخدام هو استمرار للعمل السياسى ولكن بوسائل اخرى ، ومعنى هذا خضوع العسكريين الكامل للقرارات السياسية للدولة) .

ويقول الحديدى ايضا ان المشير عامر قد قال (اذا بدانا الضربة الجوية الاولى فلن تقف الولايات المتحدة الامريكية منتظرة الاحداث بل ستتدخل ضدنا بقوتها العسكرية ، بينما لو بدات اسرائيل هذه الضربة فلن تتدخل امريكا بقوتها .

لقد دخل حديث الرئيس جمال عبد الناصر الى حتمية قيام اسرائيل بالضربة الجوية وهي أول اجراءات العملية الوقائية من وجهة نظر اسرائيل .

ووجه الرئيس عبد الناصر الكلام الى الفريق اول محمد صدقى محمود، وتم نقاش حول :

١ ـ الخسائر المحتملة .

٢ ـ امكانية الرد بضربة مضادة .

وقد قدر الفريق أول صدقى الخسائر المنتظرة بعشرة الى ١٥٪ ولكنه قال ان هذا يعتبر فقدا للمبادأة .. وان هناك احتمال تكسيح القوات الجوية أتصور انني متذكر كلمة قالها بانجليزيه « كربل » Cripple

وتطورت المناقشة الى استحسان ملاقاة الضربه الجوية من اسرائيل بدلا من فقد عطف العالم ، وخاصه امريكا التى قد تميل الى الدخول فى صف اسرائيل فى حالة المبادأة من جانبنا .

واتفق فى آخر المناقشة فى هذا الموضوع بالذات على اتخاذ الاجراءات الوقائية الضرورية للتقليل من تأثير الضربة الجوية الاولى .

وافق المشير عبد الحكيم عامر على ذلك وقال للفريق أول صدقى محمود :

« ادرس هذا الموضوع وأبلغنى بالاجراءات التى ستتخذها بخصوص تأمين القوات الجوية ضد الضربة الاولى من اسرائيل . »

وانتهى الاجتماع بتأكيد من الرئيس جمال عبد الناصر بانه يعلم تماما الخطوات التى تتخذها اسرائيل داخليا وخارجيا فى مثل هذه الاحداث . متمثلا بما تم فى سنة ١٩٥٦ . مفاجأة عسكريه . حرب قصيرة . نقل المعركة الى ارض العدو .

قال جمال عبد الناصر هذا الكلام وهو شىء مكتوب فى الكتب .

وفى صباح يوم ٣ يونيو أخطر الفريق أول صدقى بامكانية التغيير ، وبالاوضاع التى راها مناسبة فى هذه الحاله . وذكر نقل القوات .. المقاتلات القاذفة غالبا .. او المقاتلات الى مطار كبريت .

ويعلق صلاح الحديدى على ذلك تعليقا صائبا يلقى به مسئولية جسيمة على قادة القوات المسلحة عموما ، وقادة القوات الجوية خصوصا اذ يقول:

(وكان من الطبيعى ان تتخذ عدة قرارات عسكرية فى اعقاب هذا المؤتمر تنفيذا للوضع السياسى الاخير ، وكان ضمن هذه القرارات ضرورة

اخلاء المطارات الامامية فى سيناء من الطائرات ، حتى لا تكون لقمة سائغة لطائرات العدو عند قيامها بالضربة الاولى ، وحتى هــذا القرار المنطقى لم يكتب له التنفيذ) •

كان جمال عبد الناصر فى هذا المؤتمر قد وصل الى قناعة كاملة حملها الى معاونيه من العسكريين والسياسيين بأن الحرب واقعــة ١٠٠ / ٠٠٠ وعندما يقرر رئيس الدولة والقائد الاعلى للقــــوات المسلحه ، فان الواجب كان يقضى على القيادات العسكرية والسياسية ان تتحرك بهذا المستوى من الفهم ومن تقدير المســئوليه .

القيادات العسكرية تحملت عبء تجهيز القوات المسلحة للمعركة .

اما بالنسبة للشعب ... فان الامر كان غريبا وشاذا ... فمعروف ان الحروب الحديثة لا تتم بعيدا عن الرجل المدنى فى القرية او المدينة ... وانه من الواجب تجهيز افراد الشـــعب للدفاع عن وطنهم فى اماكن اقامتهم او مراكز عملهم .•. ولكن شيئا من ذلك لم يتحقق .

افراد الشعب يتابعون الاخبار فى الصحف والاذاعة يستبد بهم القلق، وتحيط بهم التساؤلات ، وليس عندهم من عمـــل يقومون به ، أو جــواب يهـــدىء صـــدورهم .

والمناطق الحيوية ... حلوان وشبرا الخيمة والمحلة الكبرى وكفــر الدوار والموانىء تركت جميعا بلا حماية شـــعبية ... وجــاء تعيين زكريا محيى الدين قائدا للمقاومة الشعبية متأخرا فقد ظهر القرار فى صحف يوم الاحد ٢٨ مايو ٠٠٠ وكان زكريا قد سبق له ممارســـة هذا الواجب اثناء عدوان ١٩٥٦ ، ولكن الوقت الآن كان متأخرا جدا •

كان مراسلو الصحف الأجنبية يلحون فى السؤال عن التناقض الهائل بين تصريحات المسئولين التى تؤكد قيام الحرب •• وبين الحياة العادية للناس فى المجتمع وكأنهم لا يواجهون خطرا رهيبا •

وكانوا يتســـاءلون عن الفـــرق بين الحالة فى اسرائيل حيث اختفى الشباب ٠٠٠ وبين مصر حيث ترك الشباب فى الشوارع بلا واجـــــب او مسئولية •

نشرت الصانداى تايمز رسالة لمراسلها فيليب نائيــلى يوم ٢٧ مايو يقول فيها :

(ليس فى القاهرة مايوحى بأن هذه الدولة على حافة الحرب فزيارات السياح اليومية للاهرام لم تنقطع ، والمقاهى والمطاعم ممتلئـــــــة بروادها • وكثير من المصريين فى نادى الجزيرة الرياضى يلعبون الجولف ويسبحــــون ويعرضون اجسامهم لحرارة الشمس » •

أما مراسل صانداى تايمز فى تل ابيب دافيد دايدج فقد نشر فى اليوم نفسه رسالة تقول :(تكتيكيا لاتزال اسرائيل تقوم بتوازن على حافة الحــرب ولكن أى زائر غريب لتل أبيب يمكن ان يتصور الحرب قد قامت بالفعل • ففى مراكز جمع الدم يقف المتطوعون على النواصى فى طـوابير طويلة وفى

الضواحى يقوم تلاميذ المدارس بحفر الخنادق) .

كانت الجماهير فى مصر بعيدة تماما عن جو المعركة وروحها .. وكان الاتحاد الاشتراكى سادرا فى اجتماعاته غير المثمرة .. وكانت الحكومة قد عقدت مؤتمرامشتركا بين الوزراء والمحافظين يوم ٢٩ مايو أصدر عدةقرارات ادارية من التى تتعثر فى طريق البيروقراطية .

أمانة طليعة الاشتراكيين التى كان مفروضا انها قلب الحركةالسياسية فى الاتحاد الاشتراكى وجهازه السياسى لم تجتمع ولم تناقش المواقف ، ولم توضح أبعاد الاخطار التى تهدد مصر .

وعندما عدت من ندوة الاشتراكيين العرب فى الجزائر هرعت الى شعراوى جمعة أمين التنظيم وزملائى أعضاء الامانة ، فوجدت انهم يتوقعون الحرب ، ولكنهم كالحيارى لايعرفون ماذا يفعلون .

وعندما طالبت باجتماع عاجل للامانة ، كانت المشاكل الادارية قد أحاطت بالزملاء فى مناصب السلطة ، فباتوا أكثر انشغالا بها عن الدورالسياسى الذى يجب أن يقوموا به .

كانت هذه الصورة توضح بكل تأكيد ان جمال عبد الناصر لم يكن راغبا تماما فى شن حرب أو تدمير اسرائيل ، وانما كان يقوم بهندسة نصر سياسى غامر فيه بالوصول الى حافة الهاوية ، ولم يستطيع ان ينقذ نفسه فى اللحظات أو الايام الاخيرة .. فقد كانت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية بصقورها المتعطشة للحرب قد أعدت المصيدة للنظم التقدميه فى مصر وسوريا بالتعاون مع المخابرات المركزية الامريكية .

وكانت رغبة جمال عبد الناصر فى أن (يلهف) شرم الشيخ على حد تعبيره لزملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين قد دفعته الى خيوط المصيدة الصهيونية الامبريالية المشتركة ، ولم يعد قادرا على الفكاك منها رغم استخدامه لكل خبرته السياسية .

كانت الخطوات نحو المصيدة قد اكتملت .

وكانت اسرائيل على وشك تنفيذ خطتها الهجومية التى أطلقت عليها ساكوديا (الحمامة) .

الفصل الثاني

هزيمة عسكرية . . . بلا اعلام بيضاء

ان حرب ابنــاء النور ضـد اولئك الذين حاولوا اغراقنا فى الظلام قد انتهت .
« جنرال رابين »

« خسرنا معركة .. ولم نخسر الحرب »

جمال عبد الناصر

اطلقت (الحمامة) جارحة شرسة مثل صقر لينقض على فريسته ..
بدأت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية تنفيذ خطتها المرسومة التى اختارت لها الاسم الكودى الوديع ..

انطلقت أول موجة من الطائرات الاسرائيلية من قواعدها صباح الاثنين ٥ يونيو فى تمام الساعة الثامنة الا ربعا ، أو التاسعة الا ربعـا بتوقيت القاهرة .. واتجهت حسب توقيت دقيق نحو ١٩ مطارا فى سيناء والقنال والدلتا والصعيد .

واثناء الموجة الاولى للهجوم الاسرائيلى كان هناك حادث درامى مثير .. طائرة المشير عبد الحكيم متجهة الى مطار (بير تمادا) فى سيناء ومعه قائد القوات الجوية وقائد الدفاع الجوى ورئيس هيئة عمليات القوات المسلحة ،

وعدد من كبار القادة ، وعدد من رجال الاعلام والمصورين ، كان مفروضا ان اكون واحدا منهم لولا اختلاف فى الترتيبات الادارية والمواعيد .

طائرة المشير فى الجوفريسة سهلةللمهاجمين ٠٠ وفى مطار (بير تمادا) ينتظر كبار القادة الذين حضروا من مواقعهم بطائرات هليوكبتر لحضور المؤتمر الثاني للمشير فى سيناء بعد اعلان حالة الطوارىء والتأهب القصوى.

ميز الطيار الطائرات الاسرائيلية وهى تقصف احد مطارات منطقةالقناة فغير اتجاهه وابتعد بطائرته ، ولاحظ ذلك قائد القوات الجوية فدخل على الطيار فى كابينة القيادة يستفسر منه عن سبب تغيير مساره ، وشاهد بنفسه الطائرات الاسرائيلية ، فأمر الطيار بالعودة الى مطار القاهرة الدولى بدلا من مطار المالظة .. وذلك حسب رواية الفريق صلاح الحديدى الذى كان مديرا للمخابرات الحربية فى ذلك الوقت ٠

وعاد الفريق صدقي محمود الىالمشيرعامر ليبلغهبهذا الخبر المفاجىء٠٠ واتفق الاثنان على ان ترد القوات الجوية بالهجوم تبعا لخطة تبادليةموجودة٠

ولكن ركاب الطائرة لم يعرفوا جسامة التدمير الذى تعرضت له المطارات والطائرات اثناء تحليقهم فى الجو ٠٠ والاشارة التى أبلغت للقوات الجوية من طائرة المشير وهى فى طريق العودة لم تكن ذات اثر ٠

هبطت طائرة المشير فى مطار القاهرة الدولى ٠٠ لم يكن فى استقباله احد ٠٠ وهرع الى مقر القيادة العامة في مدينة نصر راكبا سيارة تاكسىقديمة ومعه العدد الذى استطاعت السيارة القديمة ان تحمله .

وفى نفس الوقت تقريبا كان كبار القادة تحت قيادة الفريق مرتجى قد تجمعوا فى قاعدة المليس ينتظرون هبوط طائرة المشير ٠٠ وعندما لاحت فى الافق طائرات اسرائيلية تطير على ارتفاع منخفض تدمر الممرات والطائرات وتقصف المخازن وغرفة العمليات ٠٠ وتبدد شمل الحاضرين وأذهلتهم المفاجأة ٠

ولم تكن طائرة المشير وحدها هى التى كانت تحلق فى الجو ٠٠ كانت هناك طائرة اخرى تحمل حسين الشافعى ، ومعه طاهر يحيى نائب رئيس وزراء العراق متجهة الى مطار فايد غرب القناة ٠

صحب وجود هذه الطائرات فى الجو صدور تعليمات الى دفاعنا الجوى بالا يطلق نيرانه .. اى يكون مقيدا .

وهنا يثور تساؤل خطير عن الاسباب التى دعت المشير الى القيام بهذه الجولة فى نفس التوقيت الذى حدده جمال عبد الناصر فى مؤتمره مع القوات الجوية كموعد محتمل للهجوم الاسرائيلى ٠

وقد علل لى الفريق اول محمد فوزى رئيس هيئة اركان الحرب وقت العدوان ، ذلك بأنه كان نوعا من تحدى قيادة القوات الجوية لقرارات وآراء جمال عبد الناصر ، ومحاولة لاثبات وجهة نظرهم الخاصة .

كما قال لى ايضا ان ذلك يرجع الى ثقة المشير عامر المطلقة بمعلومات المخابرات الحربية والتى تبين انها كانت خاطئه ومضللة منذ ١٥ مايو ١٩٦٧، ويدلل على ذلك المخابرات قد قدمت تقريرا فى ٢٧ يوليو ١٩٦٧ بعد انتهاء العدوان تقول فيه ان قوات العدو تزيد ٥٠٪عن تقاريرها السابقه ٠

كما ان تحليل المخابرات الحربية لعملية احتلال العدو لبعض المواقع الامامية فى الساعة الواحدة من صباح ٥ يونيو استعدادا كان (تدعيم وتقوية الدفاعات فى الخط الاول) .

ولذا فان وصول هذه المعلومات متاخرة اذ عرضها على شفيق على المشير فى الساعة السابعة صباحا اى بعد ٦ ساعات من ارسالها وثقة المشير فى تحليل المخابرات وتحدى قيادة القوات الجوية لرأى عبد الناصر فى موعد الهجوم ٠٠ كل هذا أدى الى طيران المشير فى الثامنة من صباح نفس اليوم ٠٠ وتعريض نفسه للخطر ٠٠ وترك القوات المسلحة بلاقيادة فعالة فى أدق لحظات الخطر ٠

وأتوقف قليلا لنقل مارواه الفريق اول محمد فوزى حول تقارير المخابرات الحربية لتكتشف انها كانت « من أهم نقاط الضعف التى زيفت الحقيقة وخدعت القيادة العسكرية والسياسية معا ٠

يقول الفريق أول محمد فوزى :

ودعونا نستعرض ما كانت ترسله المخابرات الحربيه من يوم ١٥ مايو ٠

١ ــ يوم ١٥ مايو ــ مازالت هناك تجمعات عسكرية اسرائيلية فى المنطقة الشمالية من ٥ الى ٧ لواءات ٠٠ وهذا خطأ ٠

٢ ــ يوم ١٧ مايو ــ الروح المعنوية للشعب الاسرائيلى منخفضه وهناك حالة منتشرة من الخوف والتساؤل فى اسرائيل ٠

٣ ــ يوم ١٩ مايو ــ الاحداث التى جدت فى المنطقة قد قللت من فرص اسرائيل فى تحقيق المبادأة ودفعتها الى اتخاذ موقف التريث والانتظار ٠

٤ ــ يوم ٢١ مايو ــ ظهر نشاط نقل جوى الى الجنوب ٠ الظروف ليست مناسبة لشن عمليات شاملة نظرا لفقد عامل المبادأة والمفاجأة ، علاوة على حاجتها للدعم العسكرى الخارجى ٠

٥ ــ يوم ٢٤ مايو ــ الفريق صلاح مرتجى قائد الجيش الميدانى يقرأ تقرير المخابرات الحربية عن مقارنة القوات ٠

مدرعاتنا ٣ ــ مدرعات العدو ١

مشاتنا ٣ ــ مشاة العدو ١ قواتنا متفوقة كلها بنسبة ١ الى ٣ ٠٠ نحن ثلاثة والعدو ١ ٠

يوم ٢٤ مايو ــ كلام عن تغيير قادة الفرق واللواءات ٠

يوم ٢٦ مايو ــ اخطر تقرير مضلل عن اهتمام اسرائيل بمنطقه ايلات ووصول قوات اضافية (٣ لواءات مدرعة ــ ٢ لواء مشاة ــ ١ كتيبة دبابات) ٠

يوم ٢٧ مايو ــ زيادة نشاط العدو تجاه الجنوب ٠ تعزيز بلواء ٠وهذا استمرار فى الخطأ ٠

يوم ٢٨ مايو ــ موضوع عن اسر مجموعة عمليات مدفعية . كانوا ثلاثة ضباط أو اثنين ٠٠ تاهوا واسروا ٠

يوم ٢٩ مايو ــ أمر المشير عبد الحكيم عامر بفتح مركز قيادة متقدم فى الميدان ، وتحريك عربات القيادة كلها الى هناك وكانت عربات ضخمه ٠

يوم ٣٠ مايو ــ تأكيد عن نشاط العدو فى وادى الحران ، ووادى نصاف

المعين • المحور الجنوبي • تعليمات من هيئة عمليات قيادة الجيش الميـــداني بتأمين الاتجاه التعبوى الجنوبي •

يوم أول يونيو ـ اكد مكتب مخابرات العريش ان عزم العدو وشيك على القيام بعمليات تعرضية ضد الاتجاه الجنوبي ، واحتمال اسقاط جوى معـاد جنوب الكنتيلا •• والتقرير يؤكد شن عملية هجومية ضد الاتجاه الجنوبي •

يوم ٢ يونيو ـ اسرائيل لن تقوم بأى عمل عسكرى تعرضي ، وان الصلابة العربية الراهنة ستجبر العدو وبلاشك على ان يقدر العواقب المختلفه المترتبـة على اندلاع الحرب في المنطقة •

ويعلق الفريق اول محمد فوزى على ذلك بقوله :

انني اقول ان هذه التقارير مضللة جدا • وقد انتشر هذا التخريب بـين القوات في ذلك الوقت • وتاثيره طبعا في الاتجاه المعاكس • خداع وتضليل •• تقاعس وبلبلة •• اسرائيل لن تهجم • تقليل درجة الاستعداد تلقائيا ، وقد حدث هذا من قوات او من قادة •

وهنا يجب ان نلاحظ ملاحظة هامة :

ان تقرير المخابرات الحربية موضع الثقة الكاملة من المشير يقول في ٢ يونيو ان اسرائيل لن تهجم •• هذا في نفس الوقت الذى كان فيه تحذير من الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية على ان الهجوم سيتم !!

ولم تكن هناك طلعات استطلاع متوافرة كثيرة ، لكي تؤكد او تنفى كلام المخابرات الحربية . وخرجت طلعة استطلاع واحدة او طلعتان في الجنـوب لتعرض موضوع الحشد • وجاءت منها صور عن العقبة وليس عن ايلات •• والطلعة الثانية لم تؤكد التأكيد المضبوط •• ومع ذلك •• فقد تم التصديق على تقرير المخابرات بأن هناك حشدا موجودا كما قدره بثلاثة لواءات مدرعة واثنين لواء مشاة ميكانيكى وواحد كتيبة دبابات وعززت بلواء آخر •

وهنا ينبت الشك في الصدر لاختيار اسرائيل هــــذا التوقيت .. فمن المحتمل أن تكون بعض المعلومات قد تسربت الى العدو •• أو ان تكون بعض الاشارات قد التقطت ، واختير التوقيت للهجوم بناء على ذلك •

واقع مثير •• كل قيادات القوات المسلحة سواء في القاهرة أو الجبهة بعيدة عن مواقعها .. ومصدومة بالهجوم الاسرائيلى المباغت .

وعندما وصل المشير عامر الى مقر القيادة ، وقبل ان يصل قادة وحـدات سيناء الى مواقعهم،كان كل شيء قد انتهى تقريبا ودمرت معظم قواتنا الجوية .

وعندما ارسلت قيادة القوات الاردنية التى كان يرأسها الفـــريق أول عبد المنعم رياض اشارة الى القيادة العامة للقوات المسلحة وقيادة القـــوات الجوية،تبلغها بما سجلته شاشات الرادار من قيام موجات متتاليهمن الطائرات الاسرائيلية ، لم تثمر هذه الاشارة شيئا ، فقد كان مفتاح الشفرة قد تغـــير صباح ٥ يونيو ، ولم يتمكن من استقبلها في القاهرة من فك رموزها فورا•• وعندما حلت الشفرة ،كانت قد وقعت الواقعة •

ويثير الفريق صلاح الحديدى ماسبق ان اشار اليه الفريق اول فوزى حول هجوم قوات اسرائيلية على موقع متقدم عند الحـــدود فى (ام بسيس)

واستيلائها عليه بعد اشتباك قصير بالنيران في السابعة والنصف صـــباح ٥ يونيو ٠٠ ويقول ان قائد الموقع قد ارسل ما ابلغته به نقط المراقبة ليلة ٤/٥ يونيو (الساعة الواحدة صباحا) من وجود تحركات غـــير طبيعيه للقـــوات الاسرائيلية ٠٠ ولكنه علم فيما بعد ان هذه الاشارة لم تعرض على قائد الجيش في سيناء الا بعد ظهر يوم ٥ يونيو . لانه كان مشغولا في الصباح باستقبال المشير ٠٠ ويقول ان الانذار لو وصل في موعده لكان هناك احتمال بتغيير المـــوقف ٠

وكانت هذه هي الحالة لحظة البدء في تنفيذ خطة (الحمامة) . . كـــل الظروف مهيأة لتحقيق اهدافها . . والى جانب هذا الاضطراب الشـــديد فى مواقع القيادات ، وصدمتها من مفاجأة الهجوم هى بعيدة عن مراكز رئاستها . فان كتاب (حرب الايام الستة) يضيف عوامل جديدة وضعها الاسرائيليون في تقدير موقفهم لتحديد انسب توقيت للجهوم :

١ ــ تجاوز فترة الفجر والصباح الباكر التى تكون الطائرات المصريه فيها في حالة انذار وجاهزة للتحليق خلال خمس دقائق ٠

٢ ــ الهجوم عند الفجر يجبر الطيارين الاسرائيليين على النهوض عند منتصف الليل اما تأخيره الى التاسعة فيترك لهم فرصة الراحة والنوم حتى الرابعة صباحا ٠

٣ ــ التأكد من ارتفاع الضباب الذى يغطى دلتا النيل فى الصباح الباكر معظم الايام .

٤ ــ التاسعة الا ربعا هو الموعد الذى يتحرك فيه الضباط المصريون عادة الى مواقعهم فيكون الهجوم مفاجأة لهم ٠

ولكن كل هذه العوامل التى أثارها تشرشـــل تدليـــلا على حسن اختيار ودقة التوقيت الاسرائيلى ما كان لها ان تنجح هذا النجاح الساحق لو كانت القيادة العليا للقوات المسلحة ، قد أخذت تعليمات جمال عبد الناصر باحتمال الهجوم يوم ٥ يونيو مأخذ الجد ، وأعدت خطتها على هذا الاساس ٠

لم يكن مفهوما ان يتحرك نائب القائد الاعلى المشير عـــامر فى طـــائرته وبغير حراسة الى مطار متقدم في سيناء في نفس اليوم الذى يتوقـــع فيه الهجوم ٠

ولم يكن مقبولا ان يسهر ضباط القاعدة الجوية في انشـــاص فى حفـــلة ساهرة ليلة ٤/٥ يونيو تغنى فيها المطربة شريفة ماهر ٠

ولم يكن طبيعيا وقد تحددت استراتيجية الدولة في التزام خطة دفاعية أن يندفع الى سيناء مايزيد عن ٨٠٫٠٠٠ جندى البعض منهم فيملابس مدنية، وعدد من الوحدات تنقصه الحملة والاسلحة ٠٠ وان تظل الطائرات رابضة على الارض فى الممرات الجوية للمطارات الامامية فى سيناء .

وعندما وصل المشير عامر الى مبنى القيادة العامة انتقل مباشرة الى الدور السفلى من المبنى الكبير الشديد الوضوح للطائرات المهاجمة .

يقول الفريق اول محمد فوزى ان المشير قد طلب من الفريق اول صدقى محمود معلومات عن القوات الجوية

وقد اجاب الفريق اول صدقى بذكر الحقيقة عن القوات الجـوية بعـد

انتهاء الضربة ، وكان لذلك تأثير عنيف على المشير شخصيا ، كما ان الفريق أول صدقي نفسه كان متأثرا كذلك ·

ولا شك ان هذه الكارثة قد تسببت من قصور شديد فى الدفاع الجوى وهو امر لم يكن مجهولا ولكنه كان مهملا ·

ويؤكد الفريق أول محمد فوزى ذلك بقوله :

(من ناحيه قصور الدفاع الجوى عن ملاحقة الطيران المنخفض حصلت اشارة لهذا الموضوع ، وكتب تقرير او نصيحة من الاتحاد السوفيتي بعدزيارة كبيرة جاءت الى مصر ·· وللاسف حتي تقريرهم لم يطبع ولم يوزع ·· بل ولم يترجم وبقى مختبئا ·· فكان النقص فى الدفاع الجوى معروفا ·· ولم يكن فى فكر القيادة احتمال بأن العدو سوف يصل الى أهدافه على الارتفاع المنخفض الذى وصل اليه يوم ٥ يونيو وبعد هذا اليوم ·

ويروى الفريق صلاح الحديدى قصة مادار فى هذه اللحظات فيقول :

بدات الاتصالات مع قائد الجبهة وقائد الجيش الميدانى لتفهم المواقف والوقوف على آخر المعلومات ، وكان المشيرشخصيا هو مركز هذه الاتصالات، واضطر فى بعضها الى التعامل راسا مع القادة المرؤوسين لعدم وجود قادتهم فى مراكزهم اما لعدم وصولهم بعد من المطار ـ الذى كانوا يستهدون فيه لاستقبال المشير ـ او لوجودهم فى مكان آخر للتعرف بأنفسهم على الموقف وسير الامور ·

كانت هيئة القيادة التى تكون المستشارين فى مختلف الشئون وعلى رأسهم رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة ، تحتل الغرف المجاورة ، عاكفة على تجميع المعلومات عن الموقف للالمام به ·ثم تقديم الاقتراحات المناسبة نوطئة ليتخذ القائد العام قراره فى ضوء هذه الدراسة ، ولكن هذا الاسلوب السليم الذى سبق التدريب عليه ، والذى يعتبر احدى الثمرات الهامة التى جنيناها من الدراسات النظرية فى اكاديميات ومعاهد الاتحاد السوفيتى ، بالاضافة الى ما بذله الخبراء السوفييت ليكون هذا الاسلوب تقليديا وتلقائيا فى التشكيلات والقيادات لم يلبث ان توقف نظرا لتضارب المعلومات التى كانت تصل الى القائد العام من جهة والى مستشاريه من جهة اخرى ، بالاضافة الى تدخل بعض كبار الضباط ـ الذين لايشغلون وظائف رسمية ترتبط ارتباطا عضويا بالمعركة ـ وكان معظمهم فى غرفة المشير ،تدخلا بعيدا عن المسئولية . .

كل هذا بجانب التغير السريع الذى كان يطرأ على المواقف فى الجبهة ،جعل المشير تدريجيا غير قادر على اتباع الاسلوب العلمى السليم فى ادارة المعركة، وصار هو فقط وبمفرده مصدرا للقرارات دون الرجوع الى مستشاريه ، بل وفى كثير من الاحيان لم يكن هؤلاء المستشارون يعلمون بهذه القرارات الا بعد فوات الاوان وعن طريق المصادفة فى معظم الاحيان .

تعطى هذه الصورة التى رسمها احد كبار قادة القوات المسلحة دليلا على ان القيادة العامة لم تكن فى مستوى الكفاءة لادارة حرب وطنية .

ولم يكن ذلك أمرا مفاجئا · كما انه لم يكن نتيجة لما حدث من أخطاء فقط . . ولكنه كان خطأ كبير بدأ عند ترقية عبد الحكيم عامر من رتبة صاغ الى لواء دفعة واحدة فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ وتعيينه قائدا عاما للقوات المسلحة ·

ثم ظهور هذه الفئة من الضباط المقربين الى المشير الذين افسدوا الانضباط العسكرى بصلاتهم الخاصه ٠٠ واخراج عدد كبير من الضباط الاكفاء للعمل خارج الجيش فى الوزارات المختلفة للتخلص من شخصياتهم المحبوبة او المؤثرة وضياع حرب ١٩٥٦ بلا محاسبة للمقصرين وخاصة قائد القوات الجوية محمد صدقى محمود الذى فقد قواته الجوية للمرة الثانية ٠٠ والانزلاق فى حرب اليمن دون وقفة تأمل وحساب للاسلوب الذى ساد القوات المسلحة ، ودفع الضباط الى السعى وراء الكسب والمنفعة الشخصية ٠٠ ثم الاستمرار فى تغليب الولاء على الكفاءة الى الحد الذى وصل به شمس بدران وزيرا للحربية وابتعد عن مواقع القيادة بعض من حصلوا على دراسات عليا فى اكاديميات الاتحاد السوفييتى ٠

لم تكن الحالة المضطربة التى واجه بها عبد الحكيم عامر الموقف جديدة أو شاذة ٠٠ فقد سبق أن تم الانفصال عام ١٩٦١ بين يديه وهو فى دمشق ٠٠ ومع ذلك فقد ظل فى موقعه معتمدا على حب الضباط له لما كان يغدقه عليهم بلا حساب او نظام ٠٠ والواقع ان شخصية عامر بقدر ماكانت عامرة بالعواطف الانسانية ، كانت فاقدة للمؤهلات التى تجعل منه قائدا عسكريا ٠

وكان رد الفعل الاول عن العدوان فى مصر هو ماأذاعه راديو القاهرة فى العاشرة الاخمس دقائق بعد خمسة واربعين دقيقة من اذاعة اسرائيل التى قالت (القوات الاسرائيلية تهاجم طابورا مصريا مدرعا يتحرك نحو اسرائيل)، وقالت اذاعة القاهرة (أيها المواطنون : اليكم انباء هامة ٠٠ بدأت اسرائيل هجوما على الجمهورية العربية المتحدة ، وقواتنا تواجه العدو وسنوافيكم بالاخبار فيما بعد) ٠

أذيع بيان القاهرة بعد ان سمع السكان اصوات انفجارات القنابل فى مطار غرب القاهرة وانشاص ثم مطار القاهرة الدولى ، وسمعها معهم كل المسئولين ٠

كان جمال عبد الناصر فى منزله ٠٠ وكان كل المسئولين ايضا ٠

عندما سمعت اول أصوات للقنابل اتصلت تليفونيا بشعراوى جمعة بصفته أمينا عاما لامانة طليعة الاشتراكيين ، لأستفسر منه عن حقيقة الموقف، وأتعرف على مايجب علينا ان نعمله ٠

كان شعراوى جمعة قد تلقى خبر الغارات قبل ذلك بدقائق ، ولم يكن يعرف واجبا واضحا لطليعة الاشتراكيين او للاتحاد الاشتراكى ، ويبدو أن واجبه كوزير للداخلية قد اخذ كل انتباهه ٠٠ وعندما قلت له انى سأذهب الى مقر الامانة فى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة وافق ٠٠ وأسرعت الى هناك فلم أجد الا بعض الموظفين الاداريين الذين التفوا هم الاخرون حول مذياع يتحرك بين محطة القاهرة واسرائيل ٠

ولم تكن هذه الحالة من الاضطراب غريبة او شاذة ايضا ٠٠ بل كانت طبيعية ، حيث لم يشكل التنظيم الطليعى او الجماهيرى على اسس حزبية وسياسية سليمة ، تتيح له قدرا من الديموقراطية الداخلية ، وتوفر له واجبات اساسية وتوحد بين اعضائه فى ايديولوجية اشتراكية واضحة ، وتؤهله لمواجهة معركة وطنية يفترض فيها ان يكون فى مركز القيادة للجماهير ٠

ولم يقتصر هذا الموقف على الاتحاد الاشتراكى .

رئيس الوزراء محمد صدقى سليمان لم يسمع بالحرب الا وهو فى سيارته متجها من منزله فى الهرم الى رئاسه مجلس الوزراء ، ولاحظ تجمع الناس ، ولما سال السائق علم ان هناك غارة .

قال لى صدقى سليمان انه عندما سمع ذلك اتجه الى القيادة العامه للقوات المسلحة .

لم يكن هناك تدريب على المعركة يقضى بابلاغ رئيس الوزراء فى أى مكان ، حتى فى العربة التى يتوفر لها جهاز تليفون .

وفى القيادة العامة للقوات المسلحة كان الموقف مضطربا .. أصيبت القيادات العليا بصدمة شديدة من الضربة المفاجئة التى ألحقت بقواتنا الجوية خسائر قاتلة .

يقول حسن ابراهيم انه عندما سمع نشرات الاذاعة وأصوات القنابل اتجه الى منزل رميله عبد اللطيف البغدادى ، ومن هناك قرب الظهر اتصل بجمال عبد الناصر الذى كان لايزال فى منزله ، وأبلغه استعدادهما للعمل فى أى مكان تفرضه المعركة ، فطلب منه جمال ان يتصل بالمشير .

وتوجه الثلاثة : البغدادى وحسن ابراهيم وكمال حسين الى القيادةالعامة حيث قابلوا المشير فى مكتبه ومعه شمس بدران والفريق اول على على عامر .

قال لى البغدادى انه لما استفسر عن الموقف من المشير قال له فى غيظانه (زفت وانهم خسروا كل الطائرات فى لحظة واحدة) .. ومع ذلك فقد قال للبغدادى ان هناك خطه للقتال بدون غطاء جوى .

وعندما حضر جمال عبد الناصر كان مطمئنا وهادىء الاعصاب حسب رواية البغدادى .. ولكنه عندما بدأ السؤال عن موقف قواتنا ، انكر المشير علمه بحقيقة الخسائر قائلا انه لايوجد بيان كامل بذلك .. ثم لما بدا قراءة مذكرة قدمها له شمس بدران عن سير الاحداث فوجىء بأن خان يونس قد سقطت وان الاتصال مقطوع برفح . .وطلب من عبد الحكيم عامر معرفة الموقف بالدقة من اجل اتخاذ موقف بالنسبة لقرار مجلس الامن الذى كان سينعقد فى نفس الليلة .

وقال البغدادى ان عبد الحكيم تظاهر بانهماكه فى الرد على التليفونات الخمسة التى كانت نضج بالرنين ويتبادلها هو وشمس بدران ، ولما قال له جمال عبد الناصر (فضى لى نفسك شويه ياعبد الحكيم) لم يرد عليه واستمر فى انشغاله بالتليفونات)

وفاض الامر بجمال عبد الناصر ، ولم يجد سبيلا سوى الخروج من القيادة العامة للقوات المسلحة تاركا المسئولية للقائد العام .

وارتبط هذا الموقف بما قاله لى الفريق اول محمد فوزى من ان صلة جمال عبد الناصر بالقوات المسلحة قد حددت بعد تقديم المشير استقالته عام ١٩٦٢ عقب تقديم عبد الناصر لمشروع قانون الى مجلس الرئاسة يحد من اختصاصاته ويجعل سلطة تعيين قادة الكتائب فى القوات المسلحة ومأمورى المراكز فى الشرطة من اختصاص المجلس وليس المشير منفردا .

منذ ذلك الوقت وعقب اجتماع ٦٠ من كبار الضباط فى مركز القيادة

العامة بكوبرى القبة واحتجاجهم على استقالة المشيرومطالبتهم ببقائه ،ورضوخ جمال عبد الناصر للامر الواقع لصلته الوثيقة بالمشير اولا ، وثقته بأنه لايفكر فى القيام بانقلاب مضاد ·

منذ ذلك الوقت تغيرت الامور فى قمة القوات المسلحة وصدر قرار يحدد اختصاصات القائد الاعلى (جمال عبدالناصر) فى امرين اثنين فقط هما ترقية الضباط الى رتبة الفريق والفريق اول وحضور البيانات العملية والمناورات التى يدعى اليها ، والتى يكون قد سبق اعداد بروفات لها ·

كان جمال عبدالناصر بعيدا فعلا عن رؤية القوات المسلحة ومعرفة دقائق الموقف فيها ، ومستوى التدريب للقادة والجنود ·

ولذا لم يكن خروجه من القيادة موقفا انفعاليا ، ولكنه كان نتيجة طبيعية لما استقرت عليه الامـــور ، وما ارتضاه من صمت على مايدور فى القـــوات المســلحة ·

قال صدقى سليمان ان جمال عبد الناصر بعد ان استمع الى الاخبار من المشير قال : (يلله بينا ·· خلينا نسيب المشير يتصرف)

وعند خروجه التفت الى عبد الحكيم وقال له : (طلع حاجة للبرايد)·

وكانت الاذاعة قد بدأت تعكس الجو السائد فى القيادة منذ الصباح··

ويقول الفريق اول فوزى ان شمس بدران وعلى شفيق كانا يصدران بيانات وتعليمات .. ليس للقيادات ولكن للاذاعة .

اذاعت فى العاشرة والنصف اننا اسقطنا ٢٣ طائرة للعدو .

وفى الحادية عشرة وعشر دقائق ارتفع رقم الطائرات التى اسقطناها الى ٤٢ طائرة .

وفى بيان الحادية عشرة وتسع وثلاثين دقيقة اعلن عن اشتباك ارضى وارتفع رقم طائرات العدو ليصبح ٤٤ طائرة ، وســقطت لنا طــائرتان فقط ونجا الطياران .

فى الحادية عشرة وثلاث وخمسين دقيقة اذيع أول بيان من القيادة العليا للقوات المسلحة ، يتحدث عن غزو اسرائيلى شامل بدأ فى التاسعة صـباحا ، وذكر ان الطائرات الاسرائيلية تدهاجمت مطارات سينا والقناة وغرب القاهرة، وقال البيان ان اسرائيل قد بدأت هجوما شاملا فى كل الميادين وان هذه الحقيقة قد اصبحت واضحة ·

وفى الواحدة وثلاث واربعين دقيقة اذيع بيان وصل به عدد الطـــائرات المسقطة الى ٧٠ طائرة ·

وفى الثامنة و١٧ دقيقة مساء اذيع بيان يحدد عدد الطائرات المسقطة بأنها وصلت ٨٦ طائرة

كانت المبالغة الشديدة هى المحور الرئيسى للبيانات ، التى حجبت الحقيقة عن الشعب بالتمويه والخداع ·

واذا كانت الحقيقة قد حجبت فى البداية عن القائد الاعلى للقوات المسلحة ·· فانه كان طبيعيا ان تحجب ايضا عن جماهير الشعب ·

ويمكن القاء المسئولية كاملة على القيادة العامة المنهارة ·· التى لم تواجه الامور بجدية ومسئولية وطنية بعد مؤتمر ٢ يونيـو الذى حـدد فيه جمـــال

عبد الناصر موعد الهجوم ٠٠ والتى خشيت مواجهة القائد الاعلى بما يحمل لها الخزى والعار ٠

عندما علم جمال عبد الناصر بحقيقة الموقف تماما ، كان الجيش المصرى قد فقد قواته الجوية كلها تقريبا للمرة الثانية خلال ١٢ عاما ، ولم تعد المعركة سهلة ٠٠ بل لم تعد ممكنة ٠

القيادات العسكرية غرقت فى دوامة الاوامر المتناقضة ، وفقدان الحزم ، وضعف شخصية القائد ٠

والقيادات السياسية غائبة لا تعرف لها دورا تلعبه ٠

وخطة العدوان مستمرة لاتتوقف

تحديد الموعد ٠٠٠ ٥ يونيو

كتب مراسل (واشنطن بوست) يقول :

(اتخذ القرار بالهجوم على الدول العربية فى وقت متأخر من الليل فى الاجتماع الذى عقده مجلس الوزراء الاسرائيلى يوم ٣ يونيو ، اى قبل ٣٦ساعه من الهجوم)

وتحديد الموعد كان واقعا تحت ضغط عدة عوامل :

١ ــ الاتفاق الذى تم بين عبد الناصر وأمريكا على اساس محاولة تفادى الازمة سياسيا عن طريق سفر زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية الى واشنطن يوم ٦ يونيو ، وكان عبد الناصر بالتأكيد مخلصا فى رغبته ، ولااريد ان أصور او اتهم جميع الاطراف فى الولايات المتحدة بأنها كانت متواطئة مع الحكومة الاسرائيلية فى تخدير مصر بتحديد موعد هذه الزيارة لخلق نوع من الاسترخاء النفسى عند القيادة المصرية ٠٠ فقد صرح دين راسك وزير خارجيه الولايات المتحدة بعد العدوان انه ربما قد ساعد فى الضغط على الزناد بابلاغ اسرائيل عن زيارة زكريا محيى الدين ، فى الوقت الذى كانت اسرائيل فيه غير مستعدة لاعطاء اى تسوية ديبلوماسية فرصة سلب خطتهم لنزع جمال عبد الناصر من موقعه ٠٠

ويقول ناتنج فى كتابه (ناصر) ان أخبار زيارة زكريا محيى الدين لواشنطن قد اثارت اكبر قلق فى تل ابيب التى خشيت أن تؤدى علاقه زكريا محيى الدين الطيبة مع واشنطن الى اتفاق فى وسط الطريق ينقذ جمال عبد الناصر من المصيدة ، ويضع الحكومة الاسرائيلية فى مأزق امام جماهيرها بعد ان صعدت الازمة الى حدودها القصوى مركزة على الخطر الماحق المؤكد من التهديدات الغربية ٠

ولذا حرصت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية على قطع الطريق للوصول الى حل للازمة بالبدء فى العدوان فى اقرب وقت ٠

٢ ــ كان توقيع اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر والاردن يوم ٣مايوهو المبرر الذى استندت اليه المؤسسة العسكرية الاسرائيلية لتنفيذ خطتها العدوانية ، فقد اثارت الرأى العام المحلى والعالمى ضد العرب وصورتهم فى صورة المتربصين لابادة اسرائيل ٠وكان ذلك حافزا على سرعة وصول موشى ديان الى منصبه ٠ (ليقود الشعب ضد الحصار الذى تفرضه الدول العربية المجاورة)

ولم يكن خافيا على اسرائيل ان الجيش الأردنى محدود القوة والتسليح لايملك الا طائرات بريطانية قديمه من طراز هنتر ، ولكن اسرائيل وجدت في توقيع الاتفاقية تحقيقا لحلم من احلامها فى الاستيلاء على الضفة الغربية ،حيث يعيش بقايا الشعب الفلسطينى فى المدن او المخيمات .

كما ان اسرائيل اسرعت فى تحديد موعد الهجوم بعد توقيع الاتفاقية نظرا لخشيتها من دخول الجيش العراقى المسلح تسليحا لابأس به بأسلحة سوفييتية ، قذائف مدافعها يمكن ان تصل الى قلب تل ابيب من الحدود الاردنية . وطائراتها تعبر اسرائيل الى البحر الابيض فى ٥ دقائق .

وكان هذا هو العامل الذى وضعه جمال عبد الناصر فى تقدير موقفه عند مناقشة تحديد موعد الهجوم الاسرائيلى مع القيادات العسكرية والسياسية فى المؤتمر الذى عقد يوم ٢ يونيو ١٩٦٧

استفاد الاسرائيليون من الحركة السياسية العربية الى الحد الاقصى ، وجعلوا منها شبحا يهدد أمن بلدهم ، وجعلوا يضخمون التصريحات العربية العدوانية التى صدرت من بعض البعيدين عن المسئولية الحقيقية ليجعلوا منها المبررالرئيسى للاسراع فى الهجوم .

٣ ـ ساعد المؤسسة العسكرية الاسرائيلية فى تحديد موعد الهجوم ثقتهم ويقينهم من ان جمال عبد الناصر لن يطلق الاولى كما صرح بذلك اسحق رابين رئيس اركان حرب الجيش الاسرائيلى لجريدة الموند فى فبراير ١٩٦٨ عندما قال انهم كانوا يعلمون ان عبد الناصر لايريد الحرب وان القوات التى دفع بها الى سيناء ـ فرقتان ـ لم تكن كافية .. ولذا توافرت لديهم حرية اختيار التوقيت دون ان يكونوا تحت ضغط احتمال قيام القوات العربيةبهجوم شامل مستمر .. اصبح الوقت ملكا لهم .

ولم يعد هناك من شرط لتحديد الموعد الا رغبة اسرائيل فى تفادى الوصول الى عمل دبلوماسى يؤدى الى تسوية سياسية للازمة .. الامر الذى بجهض خطة (الحمامه) .

القتال على ثلاث جبهات

منذ ان أجبرت اسرائيل على الانسحاب بعد العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وهى ترسم استراتيجيتها على أساس (الاعتماد على القوة الذاتية) حتى تتفادى أى تورط او تبعية لسياسة الدول الغربية، بعد ان ادت مشاركتها فى العدوان الثلاثى الى ان تصبح (دولة سيئة السمعة) .

كانت السياسه الجديدة تقتضى خلق وتكوين قوة عسكرية متطورة ، واعادة تشكيل القوات المسلحة على اسس جديدة .

تولى مسئولية تنفيذ السياسة الجديدة (حاييملاسكوت) رئيسالاركان الذى خلف موشى ديان عام ١٩٥٨ ، والذى وضعماأسماه (برنامج الردع) ، الذى بدأت اسرائيل في تنفيذه عن طريق الحصول على احدث الاسلحة وخاصة فى مجال القوات الجوية والصواريخ والمدفعية والمدرعات .

يقول كتاب (العسكرية الصهيونية) ان اسرائيل قد اعتنقت المبدأ الذى

يقضى (بأن الهجوم هو الشكل الرئيسي للاعمال الحربيه ، حتى يمكن حمايه الاهداف الحيويه ، والتغلب على - ضحالة - العمق الاستراتيجي ، وبالتالى دعم عناصر الامن القومى الاسرائيلى،وكان لابد ان تعتنق اسرائيل مبدا عسكريا محددا بالنسبة لشكل عملياتها ، ويدور هذا المبدأ حول ضرورة نقل العمليات الحربية الى ارض العدو منذ بدايتها) .

واهتم وايزمان الذى عين قائدا للقوات الجوية عام ١٩٥٨ ايضا خلفا لدان تلكوفسكى باختيار الطائرات المناسبه لتحقيق هذا الهدف ، وصرح عام ١٩٦٣ بقوله :

(فى حالة الحرب مع العرب فان افضل وسائل الدفاع هو تجنب العمليات فوق ارض اسرائيل ، والعمل على تهديد دمشق ، واحتلال الضفة الغربية والاندفاع نحو قناة السويس ، فلواكتفت اسرائيل بالدفاع عن تل أبيب فسيكون ذلك انتحارا جماعيا ، اذ ليس أمامها اى عمل استراتيجي برى . لذلك فان العمل الاستراتيجي يجب ان يكون هو العمق الجوى)

هكذا حدد وايزمان فى عام ١٩٦٣ الاستراتيجية الاساسية لعدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ .

كانت اسرائيل قد رسمت خطتها (الحمامة) على اساس الاعتمادالكامل على النفس ، مقدرة تعاطف الدول الغربية معها فى موقفها من قفل خليج العقبه راسمة سياستها الدعائية على اساس الظهور فى مظهر المدافع عن نفسه أمام خطر التدمير .

يقول تشرشل فى كتابه (حرب الايام الستة) :

(كانت قيادة الجيش الاسرائيلى العليا مقتنعة ان اكبر خطر يهددها هو مصر ، ونظرا لضيق حدود اسرائيل ، ولكثافة سكانها ، لم يكن الاسرائيليون يجهلون ضرورة نقل المعركة الى خارج ارضهم : يجب ان يخرجوا جميعا ويجابهوا العدو فى سيناء) .

احتلت التهديدات الاردنية والسورية المرتبة الثانية .

فى لحظة بدء الهجوم الجوى على مصر لم يكن يحمى سماء اسرائيل سوى ١٢ طائرة وانطلقت بقية الطائرات التى تكمل ٤٠٠ طائرة لتنفيذ الخطة فى موجات متتالية بلغت ١٧ موجة ، وانتهت من اداء واجبها فى ثلاث ساعات الاعشر دقائق ، سجل فيها الطيارون ارقاما قياسية فى سرعة اعادة تعبئة الطائرات بالوقود والذخيرة .

ومن بين ٣٤٠ طائرة مصرية صالحة للعمل دمرت على الارض ٣٠٠ طائرة .

ولم تقتصر الخسارة على الطائرات وحدها ، ولكنها لحقت بالطيارين ايضا الذين تدربوا فترات طويلة وقام بعضهم بعمليات بطولية رائعة .

وخلال التركيز على ضرب المطارات المصرية لم تتحرك القوات الجوية السورية والاردنيةبالسرعة والكثافة اللازمة لالحاق الضرر باسرائيل التى كانت سماؤها شبه مفتوحه لايدافع عنها الاعدد محدود من الطائرات .

حاولت بعض الطائرات السورية ضرب مصفاة البترول فى حيفا وقصف

مطار ماغادو بالقنابل ، ولكن الطائرات الاسرائيلية لحقت بها ودمرتها قرب دمشق ، بعد ان الحقت باسرائيل اضرارا جسيمة .

وبعد التدمير السريع للطائرات المصرية . استدارت القوات الجوية الاسرائيلية لتدمير الطائرات السورية . .

وقصف الطيران الاردنى مطارا اسرائيليا دمر فيه طائرة نقل ، ورد الاسرائيليون على هجوم الطيران الاردنى المحدود العدد ، فقصفوا مطار عمان والمفرق والحقوا بهما اضرارا فادحة .

وفى صباح ٦ يونيو قصف الطيران العراقى ناثانيا فرد الاسرائيليون بتدمير قاعدة هـ ٣ القريبة من الحدود الاردنية .

فى مسار ذلك اليوم كانت ٤١٦ طائرة حربية لاربع دول عربية قد دمرت وهى جميعا رابضة على ارض المطارات عدا ٢٤ طائرة اسقطت اثناء المعارك فى الجو .

وخسرت اسرائيل ٣٧ طائرة .

كان ضياع القوات الجوية مؤشرا لنتيجة المعركة .

وكان دليلا على ان خطة العدوان الاسرائيلى قد اختمرت وجهزت منذ وقت طويل اولا . وانها اعتمدت على القوة الذاتية ثانيا .

اصبحت القوات المسلحة المصرية فى سيناء عارية من الغطاء الجوى .. واصبحت سوريا والاردن مكشوفة السماء .

وبدأت القوات الجوية الاسرائيلية فى ممارسة دور جديد . هو الهجوم على القوات المسلحة فى خنادقها ، أو معسكراتها .. وبدأت القوات البرية هجومها بعد نصف ساعة من القيام بأول غارة .

كانت غزة اول هدف للجيوش البرية الاسرائيلية ، حوصرت المدينة بينما هاجمت المدرعات خان يونس ورفح والشيخ زويد فى معارك عنيفة ، أدت الى قتال مستمر فى الشوارع لمدة يومين .

وسقطت العريش ايضا بعد مقاومة باسلة .

وبدأ هجوم اسرائيلى فى منطقة ابو عجيلة .. ورغم فقدان المساعدة الجوية الا أن وحدات كثيرة حاربت ببسالة ، وقاومت فى عناد .

والسير وراء احداث المعارك لايعطى صورة صحيحة لقدرة القوات المسلحة القتالية ، ذلك انها كانت تتحرك بلا رأس تقريبا ، فقد أصيبت القيادة العامة بنوع من الاضطراب والفوضى . الذى ادى الى تشابك الاوامر ، وخلق جو من اليأس ، وسيطرة روح الهزيمة .

كانت صدمة المشير عامر بفقدان القوات الجوية اكبر من ان تستوعبها قدرته ، واكثر من ان يواجه الموقف بعدها فى ثبات وشجاعة .

ومع ذلك تركزت الامور كلها عنده .. ويوضح الفريق صلاح الحديدى اثر ذلك فيقول :

(وصلت الفوضى نتيجة اتباع هذا الاسلوب ان قرارا تاريخيا ضخما وهو قرار الانسحاب والجلاء عن سيناء بكافة القوات ، قد اتخذ دون الرجوع الى المستشارين والمحترفين ، بل ظلوا جاهلين به فترة من الوقت حتى احسوا برد فعله عن طريق المصادفة ، فحاولوا الاخذ بزمام الموقف دون جدوى) .

قال لى ضابط كبير مسئول فى هيئة العمليات انهم سمعوا ان قرارا بالانسحاب قد صدر دون ان يعلموا به وانهم كتبوا مذكرة للمشير بوجهة نظرهم ، ولكنه لم يطلع عليها الا بعد ساعات نتيجة لتعذر مقابلته وهو فى غرفة لاتبعد عنهم اكثر من امتار قليلة .

والمشير عامر لم يصدر قرار الانسحاب وحده دون الرجوع الى القائد الاعلى جمال عبد الناصر .. اتفق الاثنان على ذلك .

قال لى زكريا محيى الدين ان قرار الانسحاب كان صحيحا .. ولكن طريقة تنفيذه كانت خاطئة .. ويقول اعضاء مجلس القيادة البغدادى وكمال حسين وحسن ابراهيم (انهم نصحوا عامر يوم ٦ يونيو باشتباك مدرعاتنا مع مدرعات العدو لان الالتحام يحيد الطيران الاسرائيلى ... ولكن الوقت كان قد فات ..

وهنا لابد من الاشارة الى ان وجود اعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين فى مكتب عبد الحكيم عامر ليدلوا بملاحظات وتعليقات غير مدروسة كان يلقى عليه عبئا عصبيا يدفعه الى المبالغة فى تصرفات يحاول بها ان يظهر فى مظهر القائد العام الذى لم تقعده الهزيمة .. والواقع ان تواجدهم كان اضافة الى حالة الارتجال السائدة .

كان أمرا بديهيا وطبيعيا ان ينفذ الانسحاب خلال اجراءات القتال الطبيعية .. فالمعروف ان الانسحاب هو مرحلة من اعقد مراحل القتال تحتاج الى ثبات ودقة فى التنظيم .

ولكن الحالة النفسية التى سادت القيادة العامة ، وانفراد المشير باصدار القرار ، ادى الى (هرجلة) تنظيمية ، جعلت الامر بالانسحاب يصل الى بعض قادة التشكيلات المقربين من المشير قبل ان يصل الى القيادات المسئولة .

ويقول الفريق أول محمد فوزى :

وفى يوم ٦ يونيو استدعانى المشير بعد الظهر ، وقال لى : عاوز خطة عاجلة لانسحاب القوات غرب (القناة) وجلست مع الفريق انور القاضى واللواء تهامى وكتب الاخير ورقة بحضورنا بها خطوط عامة جدا عن امكانية واسلوب انسحاب القوات من سيناء الى غرب القناة ، تسحب القوات على ثلاث مراحل .. وهذا يستغرق ثلاثة ايام باربع ليال .

عدنا بعد عشرين دقيقة الى المشير الذى كان فى انتظارنا واقفا على المكتب ، وحاطط رجله فوق المقعد . واقف وساند دماغه على ايده وعلى كوعه . وقرا اللواء تهامى الرأى سريعا على المشير .

وهز المشير راسه بعدم الموافقة على الراى وقال :«الثلاثة ايام واربع ليالى يافوزى .. انا اصدرت امر الانسحاب خلاص » ..

وانصرف داخلا الى غرفة النوم التى كانت ملاصقة لكرسى المكتب متاثرا جدا .. يعنى دخلته الى الاودة ماكانتش عادية .. واحد متعب منهك ..منهار بيخلص من الموقف اللى هوه فيه . واستدار ودخل الاودة موطى لدرجة اننى افتكرت انه تعبان عاوز سرير .. يعنى واحد عاوز يرقد .

انهيار بالجملـــة ..

وبعد ذلك جاءت بلاغات من سيناء وطريق العريش عن اجراء انسحابات فردية ارتجالية . ثم علمت بتدخل كل القيادات واجهزة الامن ،شمس بدران على شفيق ، الشرطة العسكرية ، المخابرات الحربية .. كلهم تدخلوا فى تبليغ أوامر فردية بالانسحاب ــ حسب هواه وبأسلوبه . الى غرب القناة .

وحدث انهيار لجميع القادة والافراد الموجودين فى القيادة بعد انهيـــار المشـــير ..

ثم تمت زيارة الرئيس عبد الناصر الى المشير فى غرفة نومه ، واستغرقت الزيارة دقائق . وخرج الرئيس متجهما بدون توديع المشير كالعادة .

وحدث اول انسحاب من فرقة اللواء نصار .الفرقة الثالثة بدون ان يخطر قيادته . لا قائد الجيش ولا قائد الجبهـــة ولا التشـــكيلات المجـــاورة . بـــدأ الانسحاب ليلة ٦/٧ ارتجاليا ومنفردا تاركين معداتهم وأسلحتهم الثقيلة . وحاول قائد الجيش تنظيم الانسحاب باصدار اوامر منها تمركز الفرقه الرابعة المدرعة فى المضايق لتغطية الانسحاب حتي الساعة ١٢٠٠ يوم ٧ يونيو .

لقد فقدت السيطرة نهائيا على القوات المسلحة ، كما فقدت الاتصالات .. حدث انهيار ..

وعلم بعد ذلك ان تشكيلات تماسكت واستمرت متماسكة وبالذات فى أم قطف لغاية بدء الانسحاب . ويصح فى الكونتلا ايضا .

وفى يوم ٧ يونيو استدعانى المشير عند الفجر .

قال لى عن صعوبة الاتصـــــال التليفونى ، وطلب منى ان اذهب بنفسى ، واحاول الابقاء على القوات ، وبصفة خاصة الفرقة الرابعة المـــدرعه على خط المضايق ، بدلا من انسحابها غرب القناة .

محـاولة مســـتحيلة ..

اصطحبت معى اللواءمصطفى الجمل .والسكرتير العسكرى ، وتوجهنا الى معسكر الجلاء فى الاسماعيلية حيث وجدت قائد الجبهة الفريق اول مرتجى والفريق صلاح محسن واللواء احمد اسماعيل ولواءات اخرى كثيرة .. معظمهم أو كلهم . عرضت المحاولة على القادة جميعا ، فذكروا لى استحالة التنفيـــذ لفوات الوقت . وبحثت عن قائد الفرقة الرابعة المدرعة فلم اجده . وكنت قـــد علمت ان بعض عناصر الفرقة الادارية قد وصلت الى الهاكستب مساء يـــوم ٦ يونيو ، واقد أمرتها قبل مغادرتى القاهرة بالعودة الى الاسماعيلية .

فشلت مهمتى . وتم الاتصـال مع المشير بواسطة الفريق اول مرتجى الذى اقنعه باستحالة هذا الوضع . ثم اتصل بى المشير فى نفس المكالمة وامرنى بالعـــــودة ..

وعلمت قبل قيامى مباشرة انه تم اتصال تليفونى بين المشير وبين الرئيس عبد الناصر وقد طمانه المشير على امكانية احتلال المضايق بقوات من الفرقـة الرابعة المدرعة .

واسترسل الحديث بينهما فى اخذ رأى الرئيس .

وكان رد الرئيس عبد الناصر : اشمعنى جى تاخـد رأيى دلوقتى .
والرئيس عبد الناصر ، يشير فى هذا الرد الى عـــدم اخذ رأيه فى امر الانسحاب . لقد كنت اعرف ان اتصالا جرى بين الرئيس عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر فى شأن الانسحاب .. ولكن الحديث الذى تم فى الاتصـال سمعته من الرئيس عبد الناصر فيما بعد وهــو يشرح انهيـار المشـير عقب الضربة الجوية » .

واختلطت الامور الى الحد الذى جعل الانسحاب يتم الى الغرب دون تحديد خط دفاعي جديد . كان معروفا لجميع القادة ان خط ممرات متلا والجدى هو انسب الخطوط للمقاومة وعدم تحول الانسحاب الى حاله الذعر والفوضى .

ومايذكره الفريق الحديدى يعطى صورة واضحة للحالة التى كانت سائدة فى القيادة فهو يقول :

« كانت انباء الاشتباكات فى سيناء تصل الينا فى القاهرة مشوشة وغير كاملة .. و ربما كانت ايضا متناقضة وغير سليمه .. اذ لم يكن هناك اسلوب ثابت لنشر معلومات عن الموقف بطريقة منظمةعلى القيادات فى باقى الجبهات» .

ويقول ايضا :

(استشرى القلق والتوتر فى التشكيلات المرؤوسة كانعكاس طبيعى لما اعترى قيادتنا الكبرى من شطط وشلل فكرى) .

بدأت الوحدات والتشكيلات تنسحب وحدها دون تنسيق ، تعتمد كل وحدة على اوامر قائدها .. ووصل بعضها الى القاهرة مباشرة .. وقد اختارت مثلا احدى الوحدات الفرعية من سلاح المدرعات حديقة قصر الطاهرة معسكرا لها . بينما اتجهت وحدات اخرى الى معسكراتها القديمة .

تضاربت الآراء والاوامر .. وانسحبت الوحدات والتشكيلات فى ظروف شديدة القسـوة من الناحيتين المادية والنفســية .. ولاقى الجنــود عــذابا أثناء انسحابهم عبر سيناء فى شمس يونيو الحارقة .. وتعرض الجيش لمهانة حقيقة من العدو الذى تحقق له انتصار اضخم كثيرا مما كان يحلم به .

ولو ان القيادة العامة للقوات المسلحة كانت فى مستوى المعركه . ولـم تفقد سيطرتها .. لامكن للجنود ان يواصلوا القتال فى ظروف افضل ، رغـم عدم وجود غطاء جوى .. ولامكن لهم الانسحاب الى خطوط دفاعية لا تصل بالاسرائيليين الى الشاطىء الشرقى لقناة السويس ..وذلك حتى تتمكن القيادة السياسية من الوصول الى حل ينقذ الوضع من الانهيار .

ولكن ماحدث كان هزيمة نفسية مدمرة ، كما كان هزيمة عسكرية مخجلة

ومن المؤسف ان القوات المسلحة لم تكن تنقصها الاسلحة الحديثه القادرة على مواجهة الاسلحة الاسرائيلية .. ولم يكن الجنود فى حـــالة من التمزق والانهيار مثل بعض ضباط القيادة العامة .. بل كانوا متأهبين للقتال فعلا .

المشكلة كانت فى ضباط الرتب العليا الذين استكان معظمهم الى حيـاة بعيدة عن الروح العسكرية الصادقة .. وكانوا فى اعماقهم لا يتحمسون للثورة ولا يؤمنون بالاشتراكية ، ولذا فقدوا ـ الى حد كبــير ـ حسهم الـوطنى واستعدادهم لاداء واجبهم العسكرى .

كان الميثاق ينص على دخول رجال القوات المسلحه الى الاتحاد الاشتراكى والتفاعل مع الحياة السياسية للجماهير ٠٠ ولكنهم ظلوا بعيدا عن ذلك بدعوى التخوف من دخول الجيش فى السياسة ، الامر الذى ترك فراغـــا هائلا فى الوعي الوطنى والسياسي ، ولم يفسر للضباط او الجنود حقيقـــة دورهم فى حماية الوطن والثورة والتقدم الاجتماعى ٠

ولايجوز التهوين من اهمية الحافز والشعور الوطنى عند المقاتلين ٠٠ كما انه لايجوز التقليل من اثر الثغرة الاجتماعية الهائلة التى ظلت باقية بين ضباط الرتب العليا وبين صغار الضباط والجنود ، والتى لـم تنجـح الثورة الا فى التقليل منها بأمور ثانوية وشكلية سواء فى الناحية الفكرية او الاجتماعية.

خلال حكم الثورة تجددت نوعية صغار الضباط ٠ وامكن لابناء الطبقة العاملة والفلاحين ان يدخلوا الكلية الحربية ٠٠ ولكن عملية التجديد لم تصـل الى القيادات العسكرية العليا التى تحولت مع الوقت ورسوخ المصالح الى فئـة لاتهتم كثيرا بواقع المجتمع وتطوره ٠

ظلت عقلية ضباط الرتب العالية جامدة وغير مســـتنيرة من الناحيـة الاجتماعية أو السياسية ٠٠ ولم تصل مطلقا الى المستوى الذى وصلت اليـه القيادة السياسية للثورة ٠٠ كان جمال عبد الناصر اكثر استنارة ووعيـــا ٠٠ ولكنه لم يفلح في رفع مستوى القيادات العسكرية الى الحد المطلوب فى قيادة معركة تحرر وطنى ضد الامبريالية ٠

كان هذا سببا من اسباب الفشل والهزيمة ٠٠ ولكنه لم يكن الســـبب الوحيـــد ٠٠

أمريكا ٠٠ ووقف اطلاق النار

انتقلت آثار الهزيمة من ارض المعركة الى قاعات الامم المتحدة ومجلس الأمن ٠

الصورة الحقيقية للخسائر لم تكتمل امام جمال عبد الناصر الا مســاء ٥ يونيو بعد مغادرته القيادة بعد ظهر نفس اليوم ، وسؤاله لعبد الحكيم عامر عن حقيقة الموقف حتى يستعد لمواجهة مجلس الامن ، وتهرب المشير من الاجابة كما ذكر عبد اللطيف البغدادى ٠

كان حجم الخسارة كبيرا يصل الى حد الفاجعة ، وقيل لعبد الناصر انه لم يكن في وسع الاسرائيليين وحدهم تحقيق هذا الانتصار ، وأن الامريكيين لابد وقد ساعدوهم بطريقة مباشرة ٠

ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) ان جمال لم يكن مستعدا لقبول هذا القول على علاته ، وانه أراد تأكيـدا يثبت هـذه الاقوال ٠

وجاءت تقارير من القوات المسلحة تؤكد ان طائرات أمريكية قد حلقت فوق مصر ، وأن اتجاه الهجوم للغارات الجوية كان من الشمال وليـس من الشرق ٠٠ بما يعنى مشاركة الاسطول السادس ٠

وكان الفريق عبد المنعم رياض أحد الذين أبلغوا عبد الناصر باشتراك

طائرات أمريكية بريطانية فى العدوان على مصر وذلك خلال محادثة تليفونية بين القاهرة وعمان .

وتجاوبت هذه المعلومات مع فكرة جمال عبد الناصر التى تستبعدتماما قدرة القوات الاسرائيلية وحدها على تدمير القوات الجوية المصرية فى مدة لاتتجاوز ثلاث ساعات .. فأجرى اتصالا هاتفيا مع الملك حسين يوم ٦ يونيو سجلته مخابرات ياريف الاسرائيلية كما ورد فى كتاب جوليان بيزانسون (حرب اسرائيل الخاطفة) وفىالمكالمة اتفق الاثنان على توجيهالاتهام لأمريكا ، وقد اذاعت اسرائيل تسجيلات لهذا الشريط فى مؤتمر صحفىبعد يومين من التقاطه .

وأكد هذه الحقيقة فى نفس عبد الناصر مقابلة تمت بينه وبين السفير السوفيتى على غير موعد يوم ٧ يونيو يبلغه فيها ان كوسجين قد تلقى رسالة من جونسون على الخط الاحمر تقول ان طائرتين امريكيتين اضطرتا للمرور فوق المواقع المصرية لانقاذ الباخرة الامريكية (ليبرتى) التى هاجمها الاسرائيليون ، وقد اراد جونسون من كوسيجين ان يبلغ عبد الناصر ذلك ليكون دليلا على صدقه

كانت هذه هى المرة الثانية التى يستخدم فيها الخط الاحمر بين واشنطن وموسكو ..

المرة الأولى التى استخدم فيها الخط الاحمر خلال هذه الازمة كانت فى الثامنة من صباح ٥ يونيو بتوقيت واشنطن .. ولم يكن قد استخدم قبل ذلك منذ تركيبه فى ٣٠ اغسطس عام ١٩٦٣ الا فى تحية العام الجديد او فى رسائل الاختبار التى تتم كل ساعة .

الرسالة الاولى كانت من كوسيجين ، وقد أسرع نيكسون كما نشرت مجلة (تايم) الى الاجتماع مع وزير الدفاع روبرت ماكنامارا ووزير الخارجية دين راسك وردسوف الذين كانوا معه فى البيت الابيض لحظة تلقى الرسالة.

وكانت رسالة كوسيجين تقول ؛ ان الدولتين العظميين يجب ان تتفاديا الصراع والصدام فى هذه الازمة .. وان الاتحاد السوفيتى لايخطط للدخول فى مواجهة ولكنه سيفعل ذلك اذا تدخلت الولايات المتحدة .

وفورا اجاب جونسون ومرافقوه على الرسالة قائلا ان الولايات المتحدة لاتنوى التدخل فى المشكلة .

وحرصا من جونسون على الظهور بهذا فانه بادر بارسال الرسالة الثانية عبر الخط الاحمر ، والتى يطلب فيها من كوسيجين ابلاغ جمال عبد الناصر بدور الطائرتين الامريكيتين ، وكأنه بذلك يريد أن يطمئن الاتحاد السوفيتى على الموقف الامريكى ، ويخفى عنه حقيقة التواطؤ والتآمر المستتر .

اكدت هذه الرسالة الثانية اذن واقعة عبور طائرات امريكية مقاتلة فوق الاجواء المصرية .

ولم يكن جمال عبد الناصر فى حال يسمح له بقبول التبرير الامريكى ولذا فانه عندما بلغ الامر عندهمرحلة اليقين بادر بقطعالعلاقات الدبلوماسية مع امريكا لاول مرة فى تاريخ الثورة رغم تأزم العلاقات بين البلدين فى اكثر من مناسبة .

كان في ذلك تأكيد لحقيقة المشاركة الامريكية في العدوان . وتصعيد للموقف بما يرضى الجماهير التى قد نقبل الهزيمه من دوله كبرى ولانستطيع تصورها من دوله صغرى ٠٠ واطلقت الاذاعه أغنية عبد الحليم حافظ التى أذيعت عدة مرات وكانت تقول (ولا يهمك ياريس من الامريكان ياريس ٠ ٠ حواليك أجدع رجال)

وأذاعت دمشق تسجيلا مع طيار اسرائيلي اسقطته الطائرات السورية اعلن فيه ان ١٧ طائرة فولكان بريطانية قد انتقلت من قاعدة (اكروتيرى) البريطانية في قبرص الى اسرائيل قبل العدوان بعشرة أيام بهدف ضرب القواعد المصرية والسورية ٠

وقال الملازم الطيار الاسرائيلي انطائرات كانت تتجه من قبرص لتضرب اهدافا مصرية وسورية ثم تعود الى مواقعها .

وقامت في معظم العواصم العربيه مظاهرات ضد القنصليات البريطانية والامريكية ، واوقفت العراق ضخ البترول ، واغلقت سوريا ولبنان خط الانابيب ٠ وأوقفت كل من الجزائر والعربية السعودية وليبيا والبحرين وقطر والكويت شحن البترول الى الدول التى تساعد اسرائيل ٠

وكان رد الفعل الامريكي تصريحا لروبرت ماكلوسكى الناطق الرسمى للبيت الابيض قال فيه :

ـ ان هذه الاتهامات عارية تماما من الصحة ، وهى مختلقة من اساسها .

وفي مجلس العموم البريطاني وقف هارولد ويلسون رئيس الوزراء ووصف الاتهامات العربية بأنها كاذبة قائلا (كانت حاملة طائراتنا على بعد ألف ميل من منطقة القتال) ٠

لم يتحدث ويلسون عن حاملات الاسطول السادس ٠٠ ولم يتحدث أيضا عن الباخرة ليبرتى .

والباخرة ليبرتى لعبت دورا هاما في العدوان ، فهى تابعة للاسطول السادس الامريكي ومجهزة بأحدث آلات الالتقاط والتجسس الاليكترونية وكانت تقف خارج المياه الاقليمية المصرية مباشرة في مواجهة غزة ٠

ورسالة جونسون الى كوسيجين تقول ان الطائرات الامريكية قد حلقت فوق المواقع المصرية مضطرة وهى فى طريقها لانقاذ (ليبرتى) من الهجمات الاسرائيلية ٠

وقد ظلت علامة الاستفهام قائمة تلاحق الدور الذى قامت به هذه الباخرة ، وتحاول كشف الاسباب التى أدت الى مهاجمتها من جانب الطيران الاسرائيلى . . ولم ينكشف هذا السر تماما الا بعد سنوات ، تماما مثلما انكشفت خطة التآمر البريطاني الفرنسى الاسرائيلي للهجوم على مصر عام ١٩٥٦ بعد خمس سنوات من حملة السويس ، وذلك عندما نشرت مجلة (بنتهاوس) عام ١٩٧٦ كتابا للصحفى المعروف انتونى بيرسون ٠

واضطرار الطائرات الامريكية للتحليق فى الاجواء المصرية هو أمر غريب فى ذاته ، فحاملات طائرات الاسطول السادس كانت تراقب الوضع عن كثب وليبرتى كانت قريبه منها ايضا ، الامر الذى لايخلق مبررا مقنعا لعبور الطائرات الامريكية فى الاجواء المصرية ٠

ويقول رودلف ونستون تشرشل فى كتاب حرب الايام السته :
(يجب الا يغيب عن بالنا الدور الذي لعبته هده الحامله (ليبرتى) فقدمت لاسرائيل خدمات فى مجال الرصد مما كشف القناع عن وجه امريكا المتحيز ·· وشاركت المراكز البريطانية فى العمليه واوعزت الى محطاتها فى جبل ترودس فى قبرص بمراقبه الوضع بدقة متناهية)
ولكن الغموض ظل يحيط بهجوم زوارق الطوربيد والطائرات الاسرائيلية ضد الباخرة ·

وكما جاء فى الكتاب السوفييتي (اطلاق الحمامة) فان الحادث التراجيدى والمريب فى الوقت ذاته لم يحرك فضول الصحافة الامريكية التقليدى ، فالحكومة والمؤسسات الامريكية المختلفة لاتبخل فى العادة بالكلمات كلما كان الامر يتعرض للخسارة فى أرواح العسكريين والمدنيين الامريكيين ·· لكن هذا الحادث لم يثر الا الصمت المطبق ·· فالعواصف والزوابع لم تهب على الذين تسببوا فى هذه الخسارة الكبيرة ·

ظل الصمت مثيرا للدهشة والتساؤل الى أن مزق الكاتب الصحفى انتونى بيرسون الستار عن الاسرار التى ادت الى حادث السفينة ·

يقول بيرسون (ان الحكومتين الامريكيه والاسرائيليه قررتا فى عام ١٩٦٥ ان التخلص من عبد الناصر بانقلاب داخلى غير ممكن بسبب شعبيته وقوة مركزه ·· وأن الوسيلة الوحيدة للتخلص منه هي هزيمته فى حرب محدودة تفقده ثقة العرب واحترامهم ، وتمهد السبيل لتولى حكومه مواليه للغرب توقف المد الثورى الذى كان يهدد النظم الصديقة للغرب فى المنطقة· لذلك اتفق الطرفان على ان تقوم اسرائيل بشن حرب محدودة ضد مصر وجدها لاتشمل الاردن وسوريا ، واستدرجت أمريكا واسرائيل عبد الناصر الى المصيدة» ·

ساعد على بلورة هذا القرار في أمريكا مستشارو جونسون من اليهود المؤيدين لاسرائيل : ارثر جولدبرج فى الامم المتحدة . ووالت روستو مستشار الامن القومى · ويوجين روستو فى الخارجية ·
(ولكن اسرائيل امام النصر السريع كانت قد قررت عدم الالتزام باتفاقها مع امريكا وانتهاز فرصة الحرب لتوسيع رقعتها لتشمل الضفه الغربية والجولان وكل سيناء)

ويقول الكاتب ان اسرائيل كانت مطمئنة الى ان كل المعلومات التى تصل الى أمريكا حليفتها مصدرها المخابرات الاسرائيلية (موساد) وحدها وعندما وجدت سفينة التجسس (ليبرتى) فى منطقة العمليات قررت اغراقها لتنفرد وحدها بتنفيذ مخططها التوسعى ·

ويؤكد هذا انه رغم الاتفاق على مؤامرة واحدة الا ان المصالح الاسرائيلية لا تذوب وتخضع تماما للمصالح الامريكية . . ولذا حرصت امريكا على ارسال ليبرتى حتى ترصد أى تجاوز من جانب اسرائيل ·
أصبحت (ليبرتى) مصدر كشف لمحاوله اسرائيل الانفلات من خيوط المؤامرة المشتركة حيث كانت تسجل كل الاشارات ·· وكان على ظهرها كما جاء فى كتاب (اطلاق الحمامة) بحارة يتكلمون العربية والعبرية ·

ويقول الكاتب ان الهيكل الاساسى لنخطة وضعته لجنةامريكية اسرائيلية مشتركة ضمت من جانب اسرائيل موشي ديان وبيجال آلون وشمعون بيريز وعازرا وايزمان رئيس العمليات وموردخاى هود قائد الطيران ، وانتهت الى أن افضل الحلول هو قيام اسرائيل بشن حرب محدودة على مصر لاتتعداهاالى الاردن او سوريا ٠

ولما كشفت (ليبرتى) حقيقة الرسائل المتبادلة في مصر واسرائيل ، وأسلوب تزوير المحادثات بين مصر والاردن عن طريق جهاز أمريكىاليكترونى نادر ٠

قررت اسرائيل ضرب هذا الجاسوس الذى يفضح تامرها ٠٠ وكان أن انطلقت الطائرات وزوارق الطوربيد لمهاجمة ليبرتى التى تبين من فحصهابعد ذلك انها تعرضت الى ٨٢١ اصابة مباشرة من الصـــواريخ او الرشـاشات الثقيلة ، وانها نجت من الغرق بفضل مهارة قائدها بعد ان خسر طاقمها ٣٤ قتيلا ، ٧٥ جريحا ، وبيعت الباخرة بعد ذلك (خردة) بعد ان سلمت الىوزارة التجارة الامريكية ٠

وأسرعت اسرائيل بتقديم اعتذار رسمي عن الحادث ، وأسرعت امريكا أيضا بقبول الاعتذار ٠

وكان يمكن لهذا الحادث ان يغرق فى بحر من الاسرار حتى لاتنكشف المؤامرة المشتركة ، لولا اصرار أهل بعض القتلى من الضـبـاط والجنود عـلى الحصول على تعويضات كبيرة ٠

صرح متحدث رسمي باسم البنتاجون قائلا (يمكن تفهم امكانية وقوع الحادث نتيجة خطأ بشرى)

ولكن البحارة الذين رست بهم السفينة بعد الحادث فى مينـــاء تاليتا بمالطة أخذوا يتحدثون عن تجربتهم الرهيبة ٠٠ وقال جندى امريكىيهودى من بروكلين للصحفيين انه انتزع نجمة داود التى يضعها فى سلسلة عـــلى صدره وقذف بها الى البحر ٠

رفض أهل الضحايا المبلغ الذى قررته الحكومة وهو ٩٠٠٠ دولار ورفع والد احد الضحايا قضية امام محكمة العدل الدولية بلاهاى ضد الحـكومه الاسرائيلية مطالبا بمبلغ ٥٠ مليون دولار ٠ ٠ ولكن القضية لم تنظر بنـــاء على ضغط سياسى من الحكومة الامريكية كما يقول الكاتب الغربى ٠

واستطاع والد أحد الضحايا ان يواصل الضغط حتى وصلت قيمـة التعويض لابنه ربع مليون دولار ٠

ويتساءل الكاتب الذى تحدى نفى ديان بأن الهجوم كان متعمـدا فى مؤتمر صحفى اذيع بالتليفزيون ـ فى النهاية (هل كان أمام الحكومةالامريكية خيار آخر غير ان تتستر على جريمة اسرائيل بضرب ليبرنى حتى لاينفضــح دورها فى المؤامرة الكبرى؟)

وسواء صح مانشرته مجلة (بنتهاوس) او لم يصح ٠٠ فمما لاشك فيه ان قصة ليبرتي سوف تكشفها الايام كاملة بكل تفاصيلها ٠٠ ولكنهـــا فى كل الحالات تظهر بما لايقبل الجدل انه كان هناك تعاون وثيـق وتخطيـط مشترك بين المخابرات المركزية الامريكية والحكومة الاسرائيلية ٠

قطع العلاقات الدبلوماسية وتوجيه الاتهام لامريكا وبريطانيا بالمشاركة في العدوان لم يوقف القتال ٠٠ المأساة كانت تدور على أرض سيناء ٠

وفي يوم ٧ يونيو توفرت فرصة لوقف اطلاق النار ٠٠ وكانت القوات الاسرائيليه لم تصل بعد الى شاطئ القناة ، وان كانت قد احتلت في مساء ذلك اليوم جميع اجزاء الضفة الغربية ، وسقطت القدس وجنين ورام الله وبيت المقدس وبيت لحم وحبرون واريحا ٠

يقول الكاتب انتوني بيرسون ان يوجين روستو في وزارة الخارجية قد استدعى السفير الاسرائيلي في هذا اليوم وأبلغه طلب الحكومة الامريكية بوقف الهجوم ، حتى تظل الخطة الاسرائيلية في حجمها المتفق عليه ٠

عندما وجد الملك حسين انه لم يعد يملك سوى شرق الاردن طالب بوقف اطلاق النار ، واستجاب الاسرائيليون لذلك ٠

أما في الجبهة المصرية فقد صرح موشي ديان قائلا :

(لم تعد هناك أية عقبة تقف في طريقنا لكي نصل بقواتنا الى قناة السويس ولكن هذا ليس هدفنا ، لاننا لانسعى الى التورط في مشاكل دولية) ٠

كان الاتحاد السوفييتي قد اذاع مذكرة من موسكو موجهة الى اسرائيل يطالب فيها بوقف اطلاق النار (والا فان الاتحاد السوفييتي سوف يعيد النظر في موقفه تجاه اسرائيل ويتخذ قرارا يتعلق بالعلاقات الدبلوماسية مع هذه الدولة التي يتعارض نشاطها مع الدول المحبة للسلام)

كانت طلائع القوات الاسرائيلية قد وصلت الى مشارف القناة عند القنطرة ، ولكن موشي ديان اصدر اوامره اليها بأن تعود الى الوراء اربعين كيلومترا ٠

كانت حكومة اسرائيل حتى هذه اللحظة ـ فيما يبدو ـ تريد ان تبقى القناة التي أغلقتها مصر باغراق بعض المراكب فيها يوم ٦ يونيو خارج النزاع طالما هي قادرة على الوصول اليها في اى وقت تشاء ٠

وأعلنت حكومة اسرائيل يوم ٧ يونيو انها على استعداد لوقف اطلاق النار بشرط ان تقبل الاردن وسوريا والعراق ومصر ذلك ، وغادر ابا ايبان وزير الخارجية مدينة القدس ليعلن ذلك في الامم المتحدة .

المدهش ان الرفض جاء من جانب الحكومات العربية غير الاردن التي فقدت الضفة الغربية ٠

كان ممكنا حتى هذه اللحظة الاحتفاظ بجانب كبير من الارض ، وانقاذ أعداد هائلة من الجنود الهائمين على وجوههم في صحراء سيناء ، ومنع الهزيمة من ان تكون كاملة ومشينة لكل دول المواجهة ٠

رفضت مصر قرار مجلس الامن في وقت كانت فيه كل دول مجلس الأمن (قد قررت وقف اطلاق النار بغير شرط ولا موعد ولا حكم ولا ادانة وبغير اشارة الى معتدى او معتدى عليه) كما جاء في كتاب جوليان بيزانسون (حرب اسرائيل الخاطفة) ٠

وليس لهذا الموقف من تبرير سوى الامل في وصول امدادات سريعة تنقذ الموقف العسكري من الانهيار ، وتحفظ للقوات المسلحة المصرية قدرتها على الحركة من جديد ٠

ولكن الموقف كان اصعب واعقد من ان تنقذه اسلحة جديدة ، كطوق نجاة ‥ لان العيب في البداية لم يكن فى نقص الاسلحة ولكنه كان في نقص قدرات القيادة العليا ، وفي ضعف روح معظم ضباط الرتب الكبيرة ·

ضاعت فرصة قبول وقف اطلاق النار تحت ضغط رفض بعض الدول العربية لقبول الامر الواقع ، وصعوبة التسليم بالهزيمة القاسية ·

كان ألوف القتلى يتساقطون فوق صحراء سيناء من طلقات الرصاص أو العطش وضربة الشمس ‥ وكان الاحياء يتعرضون لمهانه الهزيمة من القوات الاسرائيلية التى صورت ذلك فى افلام سينمائية كانت ترسلها يوميا الى التليفزيون فى مختلف دول اوربا لتعرض على الجماهير التي بهرهاالنصر المفاجيء السريع،الذى سبقته دعاية مدروسة ضخمة تظهر اسرائيل فى مظهر الدوله الوديعه المعرضه لهجوم جيرانها العرب من اجل تدميرها والقاء اليهود فى البحر ·

والمندوب الامريكى جولد برج الذى أعلن في الامم المتحدة في اليوم الاول للحرب ان الولايات المتحدة لا تعرف من بدأ القتال ، عاد فغير رأيه وتبنى الرواية الاسرائيلية التى ظلت تزعم في تبجح أن مصر هى التى بدأت الهجوم ، وذلك كرد فعل للموقف المصرى من أمريكا الذى أثار عليها معظم الدول العربية فقطعت علاقاتها الدبلوماسية معها ، ولم تبق لامريكا علاقات الا مع المملكه العربية السعودية وتونس ولبنان والكويت فقط ·

ومع ذلك كانت حكومة الولايات المتحدة لاتريد لخطه التآمر مع الحكومة الاسرائيليه ان تنكشف تماما .. وكان الامر حتى هذه اللحظة يؤخذ بالقرينة ولا يؤخذ بالمعلومات التى ظهرت فيما بعد .

وأدت الفرصة الضائعه في قبول وقف اطلاق النار الى تردى الموقف العسكرى وانهيار جبهة القتال انهيارا كاملا ‥ ولم تفلح الخمسون طائرة الجزائرية التى وصلت وشارك بعضها فى القتال فى تغيير شيء من الواقع المؤسف ·

وانتشرت القوات الاسرائيلية المسلحة في كل سيناء ‥ واندفعت قوات موشى ديان حتى وصلت الى ضفة القناة فلم تعد هناك أوامر منه او من اسحق رابين رئيس الاركان تقضى بوقوف القوات في مواقع لاتدفعها الى التورط فى مشاكل دولية ـ وشن اكبر هجوم بالدبابات فجر يوم ٨ يونيو ·

كانت وقفة القوات الاسرائيلية تعني انتظار انهيار النظام فى مصر ، واختفاء جمال عبد الناصر ، والوصول الى موقف يفرض فيه الاسرائيليون شروطهم للصلح ·

عبر ديان عن ذلك بقوله :

لقد حققنا أهدافنا السياسية والأمن من هذه الحرب ، الا انه يتعين علينا التأكد من الطريقة التى نعرف بها مايجب ان نعمل ، حتى لاتتكرر الظروف التى أدت الى هذا النزاع) ·

ولكن الآمال الاسرائيلية لم تتحقق ‥ فقد بقى النظام المصرى قائما ، وعلى رأسه جمال عبد الناصر ‥ ولم يستجب المصريون للاذاعة الاسرائيلية التى حاولت اثارتهم ضد زعيمهم خلال الخمسة عشر عاما السابقة ·

قبلت مصر قرار وقف اطلاق النار تحت ضغط الكارثة ، وجنود اسرائيل قد وصلوا شاطىء القناة ، ولم يعد هناك من الاسلحة او القيادات، ما يمكن ان يمنعهم من الوصول الى القاهرة .

كان قبول وقف اطلاق النار صدمة شديدة للدبلوماسيين العرب فى هيئة الامم المتحدة ، الذين توقعوا هجوما مصريا مضادا ، وتأثروا بأخبار الدعايه التى لم تصور الموقف على حقيقته .

ابلغ محمد عوض القونى مندوب مصر الدائم فى هيئة الامم المتحدة سكرتيرها العام يوثانت بقبول مصر قرار وقف اطلاق النار فى الوقت الذى كان (فيدرنكو) المندوب السوفييتى يهم بالمطالبة بانزال عقوبات على اسرائيل .

وبعد قبول مصر وقف اطلاق النار . أعلنت سوريا فى الساعه الثالثة بعد منتصف ليله ٨/٩ يونيو وقف القتال .

وكانت القوات السوريه قد تقدمت يوم ٦ يونيو مسافة ٣ كيلو ثم [illegible] على أمل الاحتفاظ بالارض المكتسبة .

خلال ايام القتال لم تشترك القوات السورية فى معارك برية بعدفقدان قواتها الجوية

وعندما [illegible] مصر على وقف اطلاق النار . كانت سوريا يوم ٩يونيو هى الدولة العربية الوحيدة المجاورة لاسرائيل التى لاتزال محتفظة بجيشها.

كان قبول وقف اطلاق النار فرصة لانقاذ هذا الجيش .. فى وقت كانت القيادة السوريه فيه غير مرحبة كثيرا بالتقارب بين مصر التقدمية والاردن الملكية . ولم يكن الملك حسين حليفا مرضيا عنه فى دمشق كما كان الحال مع القاهرة .

ولكن التوقع السورى لم يتحقق لان ذلك كان يتعارض أساسا مع الخطة الاسرائيلية التى كانت تريد ان تمد ذراعيها على الارض العربية بأقصى مدى يمكن ان تصل اليه . وخاصه هضبة الجولان التى [illegible] فة تطل منها القوات المسلحة السورية على الارض الاسرائيلية .

كانت تحصينات الجولان أقوى من ان تخترق اذا قر[illegible] [illegible]ادة السورية المقاومة حتى الطلقة الاخيرة ــ فقد كانت المواقع شديدة ال[illegible]ين والخط الدفاعى منيع .

قال لى عبد الحميد السراج انه منذ زمن بعيد . وعلى عهد الوحدة كانت الدبابات التى هى فى ذاتها حصون متحركة . متحصنة فى خنادق تتيح لها الوقاية والحركة معا .

يقول جوليان بيزانسون فى كتاب (حرب اسرائيل الخاطفة) :

(فى فجر اليوم التاسع من يونيو كان القليلون جدا فى اسرائيل يرضون عن فكرة ان تنتهى الحرب . بغير ان يعودالامن الى الحدودالشمالية للبلاد)

ولذا فانه لم تكد تنقضي ساعة على قبول سوريا لوقف اطلاق النار حتى أعلن الناطق الرسمي بلسان جيش الدفاع الاسرائيلي فى السادسة والنصف من صباح ٩ يونيو ان السوريين قد استأنفوا عملية ضرب المزارع الجماعية بقنابلهم · وكأنهم يخلقون ذريعة لمواصلة القتال ·

وكان هذا التصريح مقدمة لهجوم اسرائيلي شامل بدأ فى الساعة السابعة صباح ٩ يونيو ·

وجاء في نفس المصدر السابق ان الامر بالهجوم كان قد تأجل مرتين ·· الاولى يوم ٧ يونيو حيث غطت السماء سحب كثيفة ·· ويوم ٨ يونيو حيث كان موشى ديان يود ان ينتهى من الجبهة المصرية حيث كان قد بدأ الهجوم الشامل بالمدرعات ·· وأى عمليات فى سوريا تعنى تأخير انهاء القتال فى الجنوب ، (وجعل الدول الكبرى تشعر بالامتعاض فتزيد من ضغطها على اسرائيل) ·

بدأ الهجوم الاسرائيلي وكان مفروضاً ان يتم على وجه السرعة ، قبل أن يفيق العالم الى ان الهجوم يشن بعد قبول وقف اطلاق النار .

كان القتال يدور على هضبة الجولان · الاسرائيليون يصعدون والسوريون يدافعون · وقاعة مجلس الامن تسمع الاتهامات المتبادلة بين الدولتين كلا منهما هى التى استأنفت القتال

وتوصل مجلس الامن الى قرار جديد بوقف اطلاق النار

ثم جاءت خطبة جمال عبد الناصر التى أعلن تنحيه فيها بمثابة الصدمة للقوات السورية ايضا ·· فتحولت لهجتها وبياناتها فورا من أن الاسرائيليين ينسحبون ، الى اذاعة أن القنيطرة (٣٠ ألف ساكن) ودمشق قد سقطت بينما هى مازالت في يد الجيوش السورية ·

كان هذا التغيير المفاجىء فى لهجة البيانات مثيرا للتساؤل · فليس طبيعيا أن تحطم الاذاعة السورية معنويات الشعب والقوات المسلحة السورية باذاعة أخبار انهزامية غير صادقة ·

قال لى ابراهيم ماخوس وزير خارجية سوريا فى ذلك الوقت أن هذه البيانات كانت تصدر عن وزارة الدفاع التى كان حافظ الاسد وزيرها · وترسل مباشرة الى الاذاعة ·

ويعلل البعض ذلك بأنه كان نوعا من تجسيم الخطر للاستنجاد بالسوفييت الذين استخدموا الخط الاحمر مع واشنطن للمرة الثالثه يوم ٩ يونيو محذرين من أن استمرار الهجوم الاسرائيلي سوف يؤدى الى كارثة وحيث قرر السوفييت التدخل العسكرى ·· وقد دفع هذا الانذار أمريكا الى تقريب الاسطول السادس ·

وبعد أن أعلنت الهزيمة وتقرر الانسحاب فى الاذاعة ·· انطفأت الروح المعنوية للمقاتلين السوريين الذين توافرت لهم مواقع جغرافيه أشد حصانه ومناعة من القوات المصرية والاردنية وبدأوا الانسحاب فعلا دون مبرر عسكرى قوى يدفعهم الى ذلك ، فقد كان الالتحام بين قواتهم المدافعة والقوات الاسرائيلية المهاجمة · مانعا فى حد ذاته من استخدام الطائرات الاسرائيلية ·

وفى يوم ١٠ يونيو سقطت القنيطره فى يد القوات الأسرائيلية ، واحتل الاسرائيليون الشرمه السوريه المنيعه التى كانت تطل على ارضهم .

وقال الجنرال رابين للجنود الاسرائيليين فى البيان اليومى الذى اصدره بعد وقف اطلاق النار :

(ان حرب أبناء النور ضد أولئك الذين حاولوا اغراقنا فى الظلام قد انتهت) .

وهكذا قلب الجنرال رابين الحقائق ، وجعل من المعتدين ابناء للنور . ولكن التاريخ لايكتبه المنتصرون فقط .. المهزومون أيضا لهم فى التاريخ سطور وتأثير

انتهت الحرب ، وغرق العرب فى الظلام .

واستطاعت دولة صغيرة يسكنها مليونان ونصف من السكان ان تهزم جيرانها العرب ، بعد أن تحولت الى أكبر ترسانة حديثة فى المنطقة .

ضاعفت اسرائيل مساحتها أربع مرات من الاراضى العربية . واحتوت مليونا ونصف المليون من المدنيين .. وضمت الى حدودها آبارا من البترول تكفى استهلاكها والتصدير ايضا .

سقط اكثر من ٢٥٠٠٠ جندى عربى قتيل و٥٩٢٠ أسيرا .. بينما سقط ٦٧٩ جنديا اسرائيليا قتلى وأصيب منهم ٢٥٦٣ جريحا .. وبلغ عدد الاسرى الاسرائيليين ١٨ ، أسر منهم ٩ فى مصر .

وفى مقابل ١٣٠ دبابة دمرت لاسرائيل .. فقدنا ١١٠٠ دبابة منها ٣٠٠ فى حالة صالحة للعمل ، وفقدنا ١٥٠٠٠ عربة نقل .

الهزيمة بشعة ، والخسائر جسيمة .

ولكن الهدف الرئيسى .. من العدوان لم يتحقق .. لم تستطع خطة (الحمامة) رغم روعة انتصارها أن تسقط النظام التقدمى فى مصر أو سوريا ولم تؤثر أيضا فى النظام الملكى بالاردن .

نجحت الخطة عسكريا .. ولكنها لم تحقق بعد أهدافها سياسيا .

خسر العرب معركة .. ولكنهم لم يرفعوا الاعلام البيضاء . .. لم يستسلموا .

الباب الثالث

رفض الهزيمة

(ناصر .. ناصر .. لا رئيس الا ناصر)

(مكتوب على سلاحنا .. عبدالناصر كفاحنا)

مظاهرات الشعب المصرى
يوم ٩ يونيو ١٩٦٧

الفصل الاول

رفض الهزيمة

لا صلح مع اسرائيل
ولا اعتراف باسرائيل
ولا مفاوضة مع اسرائيل

قرارات مؤتمر القمة العربى
بالخرطوم اغسطس ١٩٦٧ .

على قدر ماكانت الهزيمة العسكرية صدمة مريرة وقاسية ، على قدر ما عبرت الجماهير عن رفضها لهذه الهزيمة التى لم تشارك فى صنعها .

كانت مفاجأة شديدة لمعظم الناس الذين طالعوا العناوين الرئيسية لصحف الصباح يوم ٩ يونيو تعلن عليهم قبول وقف اطلاق النار ، وهم الذين عاشوا قبل ذلك بأيام فى حلم الانتصار ، وخدرتهم الدعاية المكثفة عن قدرة قواتنا المسلحة ، ثم تابعوا البيانات الحربية التى لا تحمل شبهة الهزيمة .

وتعلقت اعين الناس بشاشة التليفزيون ، والتصقت اذانهم بأجهزة الراديو ، وهم ينتظرون كلمة جمال عبد الناصر ·

كان الناس حيارى يتساءلون عما حدث ، ويناقشون الامر فى لهفة وجزع · وينظرون الى الغد فى قلق

وظهر جمال عبد الناصر على شاشة التليفزيون ·

كانت الامور عنده قد وصلت الى حد لم يتوقعه ·· فهو فى حركته الى المصيدة لم يتوقع الحرب ، وعندما خرجت الامور من يديه وأصبحت الحرب أمرا محتوما لم يتوقع هذه الهزيمة السريعة المخجلة ·· كان يتصور انالقوات المسلحة قادرة على الدفاع ولو تلقت الضربة الاولى ، ولم يتوقع لقيادتها هذا الانهيار ·

أما الآن وقد ضاع كل شيء ، فقد اعتبر نفسه مسئولا عما حدث ،وقرر ان يتنحى عن سلطاته ، وان يضع نفسه تحت تصرف الجماهير ·

يقول محمد حسنين هيكل اقرب الصحفيين اليه ان عبد الناصراتصل به يوم الخميس ٨ يونيو وابلغه بقرار التنحى ، وكان رأيه ان يتنحى لشمس بدران وزير الحربية ، حتى يجنب البلد مشكلة الصدام بين القوى السياسية والعسكرية ·

كتب هيكل خطاب التنحى وترك محل الاسم فارغا لم يكتب شمس بدران ·· وأوضح لجمال عبد الناصر ــ حسب قوله ــ عدم اقتناعه بالتنحى لشمس بدران · وبعد مناقشة استقر الرأى على زكريا محيى الدين علىأساس انه أقدم اعضاء مجلس القيادة الباقية ، وليس على أساس انه قريب منالغرب كما لاحقته الاشاعات ·

كان غريبا ان يفكر جمال عبد الناصر فى ان يخلفه شمس بدران،وليس هناك من تبرير لذلك الا اعتقاده فى هذه اللحظة أنشمس بدران هوالشخص الوحيد القادر على قيادة القوات المسلحة لانه زرع ابناء دفعته فى معظمالمراكز القيادية الحساسة ·· ولكن هذا التفكير على اية حال كان بعيدا تماما عن سلامة تقدير الموقف لصالح مصر ومواجهة الكارثة التى حلت بها ·

ظهر جمال عبد الناصر على شاشة التليفزيون كما لم يظهر من قبل · الحزن العميق فى عينيه ·· والنبرة الهادئة تعطى لكلماته عمقا وثقلا ··

قال جمال عبد الناصر :

اقول لكم بصدق ــ ورغم اية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفى فى الازمة ــ فاننى على استعداد لتحمل المسئولية كلها ، ولقد اتخذت قرارا اريدكم جميعا أن تساعدونى عليه .. لقد قررت أن أتنحى تماما ونهائيا عن اى منصب رسمى وأى دور سياسى وان اعود الى صفوف الجماهير أؤدىواجبى معها كأى مواطن آخر ·· ان قوى الاستعمار تتصور ان جمال عبد الناصر هو عدوها ·· واريد ان يكون واضحا أمامهم انها الامة العربية كلها وليس جمال عبد الناصر) ·

ويقول محمد حسنين هيكل انه كتب فى الخطاب (اننى مستعد لتحمل نصيبى فى المسئولية) ولكن جمال عبد الناصر عدل العبارة بخط يده لتصبح (اننى مستعد لان اتحمل المسئولية كلها)

انتهى جمال عبد الناصر من خطابه الذى بدأ فى الثامنة الا الثلث .. واستغرق ٢٠ دقيقة ، ولكنه فجر فى مصر والعالم الخارجى انعكاسات هائلة ·

كان قرار التنحى رغم انهكان نتيجة طبيعية لانهيار القواتالمسلحةوتصدع النظام معها ، مفاجئا تماما للجماهير ، التى فقدت فى هذه اللحظة التعيسة والحرجة من حياتها ، الزعيم الذى ارتبطت به منذ تحمل المسئولية ، والذى

عاشت معه اياما مجيدة كللها انتصارات وطنية ، ومكاسب اجتماعية .

ومثل الغريق يكاد يفقد طوق النجاة ، خرجت الجماهير والخطبة لم تكتمل بعد الى الشوارع .. متجهة الى دار جمال عبد الناصر .. تصرخ طالبة منه أن يبقى في موقعه .

وليس صحيحا ما يحاول بعض الادعياء القول به من ان المظاهرات التى اجتاحت شوارع القاهرة كانت مدبرة من جانب الاتحاد الاشتراكى ، فهو شرف لا أعتقد انه يمكن اسباغه فى سهولة على هذا التنظيم ، الذى هو أعجز من القدرة على تحريك الجماهير بهذه الصورة الحاشدة .

لم تخرج المظاهرات فى القاهرة وحدها .. ولم تخرج فى المدن فقط . ولم تقتصر على الجمهورية العربية المتحدة . ولكن المظاهرات قد عمت معظم مصر وبلاد الامة العربية .. وفى هذا جواب على اصحاب هذا الادعاء .

كانت حركة الجماهير فى هذه الليلة على امتداد الوطن العربى تعبيرا عن احساسها بخطر يهدد ثورتها جعلها تندفع فى صورة قد تبدو عاطفية وتلقائية ولكنها فى الحقيقة كانت ذات مضمون أعمق من ذلك .. كانت التاريخ فى لحظة وارادة الشعب فى موقف .. تشبثت الجماهير بالزعيم الذى لحقته الهزيمة .. ولم يكن الناس قد اكتشفوا بعد بشاعة الخسارة .

وكان عبد الحكيم عامر ينتظر ان يشير جمال عبد الناصر الى استقالته معه ، ولما لم يسمع ذلك اتصل تليفونيا بمحمد احمد السكرتير الخاص لجمال عبد الناصر ، وطلب منه ان يدخل ورقة الى عبد الناصر وهو يذيع البيان يبلغه فيها ان المشير سوف يذهب الى الاذاعة لاعلان استقالته . وقد اشار عبد الناصر بعدم الذهاب ، وقد اختفت صورة عبد الناصر عن شاشة التليفزيون فى هذه اللحظات القليلة .

وتصادف ان كنت مع زميلى وصديقى صلاح حافظ نائب رئيس تحرير روز اليوسف فى ذلك الوقت نجوب القاهرة بحثا عن مسئول نعرف منه حقيقة الموقف ، ومررنا على وزارة الارشاد طلبا لمقابلة محمد فايق الذى كان قد اتجه ومعه كل الوزراء والمسئولين الى منزل عبد الناصر .. ووجدنا على خشبة وكيل وزارة الارشاد عند الباب الخارجى لمدخل الوزير منتظرا حضور المشير عامر . ثم حضر اليه بعض ضباط الجيش وأبلغوه أن المشير لن يحضر ولن يسمح له باذاعة استقالته بنفسه .

وعندما تبين للمشير انه قد يمنع من اذاعة استقالته أرسلها الى وكالة الانباء ، فاذاعتها مع استقالة شمس بدران ايضا .

بعد دقائق من اذاعة بيان التنحى كانت الشوارع قد امتلأت بعشرات الالوف الذين هرعوا الى دار عبدالناصر بمنشية البكرى . وظلت القاهرة ساهرة طوال الليل تنتظر اشراق الصباح . والليل مظلم والانوار مطفئة والجو رهيب .. وطلقات المدفعية المضادة للطائرات هى الصوت الوحيد الذى يعلو على صيحات الناس وهتافاتهم ومناقشاتهم .

كان ممكنا ان تحترق القاهرة فى هذه الليلة التى خلت فيها من المسئولين الذين توجهوا جميعا الى بيت عبد الناصر ، الذى قبع فى غرفة نومه يسمع حشود الناس ، وهو يتناول حبة منومة تنقذه من الجهد وتوتر الاعصاب .

كانت الاوامر قد صدرت لوحدات المدفعية المضادة باطلاق بعض الطلقات

اشـــعارا للناس بخطر مايمكن ان يقدمـــوا عليه من اعمـــال مرتجلة غـير محسوبة ٠

ولكن عشرات الالوف تصرفوا بحكمة ووعى ومسئولية ٠٠ الهتافات تقـــول (ناصر ناصر ٠٠ لا رئيس الا ناصر) ــ (ارفض أرفض يازكـــريا ، عبد الناصر مايه المية) ــ (سجل سجل ياسادات احنا اخترنا جمال بالذات)ــ (مكتوب على قلوبنا ، عبد الناصر محبوبنا) ــ (وحياة السد لأقول الجد ٠ ٠ بعد عبد الناصر مافي حد) ــ (ياامريكا لمى فلوسك عبدالناصر جاي يدوسك) (مكتوب على سلاحنا ٠٠ عبد الناصر كفاحنا) ٠٠ (ماتقوليش ماتقوليش ٠٠ عبد الناصر غيره مفيش) ٠

زكريا محيى الدين فوجيء تماما بتنازل جمال عبد الناصر له ، وصمم على الرفض وأصر على اذاعة بيـــان بذلك ٠٠ وكان بعض الافراد قد حاولوا الاعتداء على محمد فايق وزير الارشاد وهو يدخل بيت عبد الناصر اعتقادا منهم بأنه زكريا محيى الدين ٠

لم يتفرق الناس طـوال الليل ، وأصبح واضـحا ومؤكدا ان الشعب يرفض تنحى عبد الناصر ، وأنه لابد من جديد فى الموقف ٠

اجتمع مجلس الوزراء في ساعة متأخرةمن الليل ، وأصدر بيانابالاجماع يطالب فيه بأن يبقى جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية

وأذاعت الاذاعة بعد ذلك بيانا من جمال عبدالناصر الى المواطنين يناشدهم فيه ان يحافظوا على الهدوء وان يعود كل منهم الى اداء واجبه ٠

ولكن الناس فى الاقاليم كانوا قد بدأوا يتجهون الى القاهرة ايضا ٠

واجتمع مجلس الامة فى الصـباح واتخذ قرارا ببقـاء عبد الناصر فى موقعه رئيسـا للجمهورية ٠٠ وفى الواحدة الا الثلث يوم ١٠ يونيو كان الناس قد احاطوا بالمجلس من كل جانب عندما افتتح انور السادات رئيس المجلس الجلسة قائلا : ان جمال عبد الناصر لايستطيع الوصول من داره الى مجلس الامة بسبب الزحام الشديد ثم قرا انور السادات نص الكلمة التى أبلغهـــا الرئيس بالتليفون الى اعضاء المجلس ويقول فيها :

انا لااستطيع الا أن امتثل لارادة الشعب ، وسوف أهبه كل قواى حتى النفس الاخير ، وسوف ابقى فى منصبى حتى تتم تصفية اثار العدوان ولابد أن نستخلص الدروس مما حدث) ٠

هدأت أنفاس الشعب ، وبدأت جموعه تنصرف بعد ليلة حافلة بالقلق والحزن والتوتر ٠

وبقى جمال عبد الناصر في موقعه ٠٠ لم تستطع الهزيمة على فداحتها أن تقتلعه من مكانه او تهدم نظامه ٠٠ وهكذا لم تحقق الحكومة الاسرائيليـة هدفها تحقيقا كاملا ، فقد نجحت عســكريا ، ولكن أعـــلام العرب البيضـــاء لم ترتفع استسلاما ٠

طويت صفحة الهزيمة شديدة السواد ، لتفتح صفحة جديدة فى حياة الشعب يجابه فيها المستقبل ، ويعبر نقطة تحول تاريخية فى ازمة الشرق الاوسط. وما كان للشعب ان يستكين للامور كما كان الحال قبل ٥ يونيو ، فقد

افاقت الناس من صدمة الهزيمة . وما عادوا يركنون الى الصمت (طالما عبد الناصر موجود) .

وكانت هذه هي بداية رفض الهزيمة

التغيير

ارتفع شعار التغيير منذ اللحظة الاولى .

وكانت القوات المسلحة قد اصبحت بلا قيادة .. وعندما استجاب جمال عبد الناصر لارادة الشعب واسترد تنحيه يوم ١٠ يونيو ، ذهب عدد من كبار الضباط في نفس اليوم الى المشير عبد الحكيم عامر يطلبون منه العودة الى منصبه . وبعد نقاش طويل وعدهم بذلك ، فطلب اليه الضباط ان يتوجه الى مكتبه في صباح اليوم التالي .. ولما وافقهم على ذلك قاموا بتوزيع الشربات كما يقول احد الذين حضروا هذا اللقاء .

ولكن المشير لم يذهب الى مكتبه في اليوم التالى ، وأصر هو وشمس بدران على البقاء بعيدا عن السلطة لانه حسب تعبيره (البلد خربت ولا يمكن حتتحل الأزمة) .

ويقول شمس بدران أنه حاول اقناع المشير بالذهاب الى قريته (اسطال)بمحافظة المنيا.تجنبا لجو المجاملات ونفاق الضباط الذين احاطوا به.

ولكن المشير لم يطق البقاء هناك طويلا .

يوم ١١ يونيو لم تكن فى القوات المسلحة فرقة واحدة كاملة التنظيم ولم يكن هناك تشكيلات متماسكة .. وكان الاسرائيليون على بعد ١١٠ كيلو من القاهرة .. ومدرعات الحرس الجمهورى كانت قد اتجهت الى منطقة القنال .

وبادر جمال عبد الناصر وقد عاد له نفوذه الكامل على القوات المسلحة من جديد يجرى تغييرات جذرية فى القيادات العليا .

وسجل يوم ١١ يونيو ١٩٦٧ بداية مرحله جديدة .

وأعلنت اذاعة القاهرة فى نشرة الثانية والنصف يوم ١١ يونيو تعيين الفريق اول محمد فوزى قائدا عاما للقوات المسلحة . ومدكور ابو العز قائدا للقوات الجوية واحالة الفريق اول سليمان عزت قائد القوات البحرية ومحمد صدقى محمود قائد القوات الجوية وزملائهما من نفس الرتبة احمد حليم امام وهلال عبد الله هلال وعبد المحسن مرتجى ، وجمال عفيفى وانور القاضى . واللواءات عبد الرحمن فهمى وعثمان نصار وحمزة البسيونى واسماعيل لبيب الى المعاش .

(يلاحظ ان الجيش قد خلا بذلك من جميع الضباط الذين حصلوا على رتبة فريق اول وان الاصدقاء المقربين للمشير قد ابعدوا ومعهم اللواء ذو السمعة الفاسية السيئة حمزة البسيونى الذى اقترن اسمه بالتعذيب عندما كان مديرا للسجن الحربى .

كان هذا التغيير يعتبر حدثا هاما فى القوات المسلحه ، ولكنه وحده لم يكن كافيا .. فقد كان كبار الضباط يشكلون فئة متماسكة بعيدة عن روح

وآمال ثورة يوليو .. ولكنه كان بمثابة البداية ، حيث ان هؤلاء القادة قد استقروا فى مراكزهم رغم أخطائهم التى احتسبت على بعضهم أثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ .

ولم يقف التغيير عند حدود القوات المسلحة ، فقد ركز جمال عبدالناصر كل السلطات فى يده .. أصبح أمينا عاما للاتحاد الاشتراكى بدلا من على صبرى .. واصبح رئيسا للوزراء فى نفس اليوم ١٨ يونيو ١٩٦٧ .

الوزارة الجديدة التى رأسها عبد الناصر كان فيها ١٨ وزيرا من الذين كانوا ضباطا فى القوات المسلحة ، عشرة مدنيين ، وهذا يعنى زيادة نسبة الضباط فى الوزارة عن وزارة صدقى سليمان التى سبقتها والتى كانت تضم ١٥ ضابطا ، ١٧ مدنيا من بينهم ٣ نواب وزراء .

مازال جمال عبد الناصر يعتمد على زملائه ضباط القوات المسلحة السابقين .. ولم يعد هناك نواب لرئيس الجمهورية .. اصبح زكريا محيى الدين نائبا لرئيس الوزراء ،وحسين الشافعى نائبا للرئيس ووزيرا للاوقاف والشئون الاجتماعية ، وعلى صبرى نائبا للرئيس ووزيرا للادارة المحلية ، وصدقى سليمان وزيرا للصناعة والكهرباء والسد العالى .

وعين بعد ذلك عبد المحسن ابو النور أمينا مساعدا للاتحاد الاشتراكى

وفى ٢٢ يوليو عين أمين هويدى وزيرا للحربية واقتصر عبد الوهاب البشرى على الانتاج الحربى .. وكان قد عهد الى أمين هويدى بالاشراف أيضا على ادارة المخابرات العامة بعد احالة صلاح نصر الى المعاش .

لم يكن هذا التغيير كافيا عند الجماهير التى أدركت مع الوقت وتكشف الحقائق . ان الانهيار لم يكن كامنا فى القوات المسلحه وحدها ، ولكنه كان موجودا فى بقية الاجهزة والمؤسسات بدرجات مختلفة . وان بقاء الوجوه القديمة وتغيير مواقعها مثل قطع الشطرنج لا يعد فى ذاته تغييرا مقبولا عند الجماهير .

كانت الجماهير تتعطش الى تغيير تنمو فيه الروح الديموقراطية ،وتنطلق طاقات الجماهير ، وتشارك فيه الطبقة العاملة والفلاحون مشاركة حقيقية فى السلطة .

كانت الجماهير تتعطش الى تغيير حقيقى يمكنها من مواجهة كارثة الهزيمة والتغلب على آثارها .

ولكن التغييرات التى حدثت فى الاسابيع الاولى بعد عودة عبد الناصر لم تكن كافيه لاشباع رغبات الجماهير .

ولم يكن التغيير يعنى مزيدا من تركيز السلطة فى يده فى وقت تضخمت فيه المسئوليات . وأصبحت هناك هموم شديدة قاسية يتحملها الزعيم الذى أصر الناس على بقائه فى قمة السلطة .

وكان ممكنا ان تختفى فى هذه الفترة أضخم الاسماء من موقع المسئولية دون ان يثور تساؤل او يهتز انسان .

وكانت الفرصة متاحة لبعث الحياة فى الاتحاد الاشتراكى وفى طليعة الاشتراكيين . وقد حدث فعلا أن انضمت بعض الشخصيات الى لجنة القاهرة للاتحاد الاشتراكى التى كان امينها العام عبد المجيد فريد .. انضم اليها احمد

بهاء الدين وفتحى غانم ويوسف السباعى وكاتب هذه السطور وعدد آخرمن الشخصيات المعروفة مثل سيد يوسف وزير التعليم السابق وسمير حلمى وزير الصناعة السابق وغيرهم ٠

أدت هذه الاضافة الى بعث نوع من الحيوية فى اللجنة ٠ ٠ ولكن ذلك لم يصل الى القاعدة .. كما ان تعيين عبد المحسن ابو النور خلفا لعلى صبرى فى منصب أمين مساعد كان مثيرا للدهشة والتساؤل .

عبد المحسن ابو النور لم يعمل بالسياسة من قبل ولم يكن مرشحا لذلك طوال خدمته التى استمرت فى القوات المسلحة حتى اصبح يتولى منصبا رئيسيا فى الجيش الثانى بدمشق على عهد الوحدة ، وبعد الانفصال عين فى أول وزارة شكلت فى ١٨ اكتوبر ١٩٦١ وزيرا للاصلاح الزراعى واصلاح الاراضى ، وبقى فى قطاع الزراعة نائبا لرئيس الوزراء فى وزارات على صبرى وزكريا محيى الدين وصدقى سليمان حتى عدوان يونيو ١٩٦٧ ٠

صدر قرار خاص فى ٥ أغسطس ١٩٦٧ ليصبح عبد المحسن وزيرا للدولة الى جانب كونه امينا مساعدا ٠٠ وكان هذا التعيين فى رأى الجميع مؤشرا للرغبة فى بقاء الاتحاد الاشتراكى على حاله من الجمود ٠٠ فلم تكن لعبدالمحسن مزايا تؤهله لتولى هذا المنصب شديد الحساسية والمسئولية سوى انه ليست له (شلة) كما قيل فى ذلك الوقت ٠

ويبدو ان موضوع (الشلة) كان يؤرق عبد الناصر كثيرا منذ بدأت خلافاته مع المشير وشلته فى القوات المسلحة ، فاراد اشخاصا ليس لهم أصدقاء ، وليس عندهم طموح خاص لتكوين (شلة) .

والواقع ان الحياة السياسية فى مركز السلطة كانت تتأثر كثيرا لعدة عوامل شخصية فى الدرجة الاولى ومنها :

١ ــ ابناء الدفعة اى الذين دخلوا الكلية الحربية فى عام واحد وتخرجوا فيها معا وهؤلاء كانت تربطهم صداقة من نوع خاص وعلاقة اجتماعية وطيدة تستمر الى ما بعد التخرج ٠

٢ ــ الشلة وهم مجموعة الاصدقاء الذين تلتقى بهم الظروف لاقامة علاقات اجتماعية حول هوايات خاصة فى أوقات الفراغ ومنها على سبيل المثال لعب القمار او تدخين الحشيش او الجرى وراء النساء .

٣ ــ علاقات النسب وهى تظهر غالبا كثمرة للتواجد فى عمل واحد يفرض علاقات اجتماعية تؤدى الى المصاهرة وبالتالى الى التماسك وتبادل المصالح ٠

كان ضمور امل التغيير الى الحد الذى يعين فيه عبد المحسن ابو النور مسئولا رئيسيا فى الاتحاد الاشتراكى ، صدمة لكل الذين التهبت صدورهم بمأساة الهزيمة ، وما عادوا يطيقون الصمت .

أما أمانة طليعة الاشتراكيين التى كان مفروضا انها تمثل القلب فى الجهاز السياسى فانها توقفت عن الاجتماعات مطلقا ، وكانها أصيبت بسكتة قلبية ٠

كان التوقف عن الاجتماعات مؤشرا اكيدا بعدم الرغبة فى بعث النشاط فى (طليعة الاشتراكيين) التى كانت هى الامل فى أن تتحول الى حزب اشتراكى

حقيقى فى يوم من الايام ·

وهكذا ضاعت فرصة التغيير ·· بل لعلها كانت موجودة ولم يقدم عليها جمال عبد الناصر لان ذلك فى مضمونه كان يعنى التخلص من معظم الجهاز الذى أقامته الثورة على امتداد سنوات حكمها ·· ويعنى ايضا اجبار عبدالناصر على جتياز الطريق الصعب فى اقامة تنظيم سياسى على اسس حزبية يتوافر له كادر قيادى متمرس بدلا من الاستمرار فى الطريق الاسهل ·· طريق الاعتماد على المعرفة والعلاقات الشخصية فى تحديد الاسماء التى تتولى مراكز المسئولية ·

كان عبد الناصر قد اصبح مرتبطا بهذا الجهاز الذى خلقه خلال سنوات حكمه ، والذى ضم افرادا من المخلصين ، وأفرادا من الانتهازيين والمنحرفين .

ولم تكن عيوب الاشخاص وانحرافاتهم خافية على جمال عبد الناصر ، ولكنه كان يحتفظ بهم فى مراكزهم طالما انهم يظهرون الولاء لشخصه والخضوع لارادته ·· ولعل معرفته بالعيوب والانحرافات واشعار اصحابها بذلك كان يدفعهم الى مزيد من اظهار الولاء ، والضعف فى مواجهته ، خشية افتضاح أمرهم ·

ولم يكن هذا فى طبيعته اسلوبا سليما لاختيار المعاونين . فليس مفروضا ان يكون مقياس الوطنية ، هو درجة الولاء لشخص الزعيم وذوبان الارادة والرأى الخاص اثناء التعامل معه ·

ولكن ١٤ عاما من انفراد جمال عبد الناصر بالسلطة ، وتعاون هذا الفريق من الافراد معه ، قد جعله مستكينا وراضيا بهذا الاسلوب من أساليب الحكم ··

ولذا كانت المطالبة بتغيير جذرى ، ليس من تنقلات الافراد فقط ، وانما فى طبيعة تكوين النظام وقيادته بما يسمح بخلق نوع من التفاعل الديمقراطى الحى فى قمة السلطة ، وبين الجماهير ·· كانت المطالبة بذلك اكثر مما يمكن لجمال عبد الناصر ان يقوم به : وخاصة ان الهزيمة قد اطلقت اعداء النظام واعداء التقدم والاشتراكية من جحورهم ، وبداوا حملة نقد وتشهير استغلوا فيها ماكانت تظهره الايام من فساد فى قيادة القوات المسلحة ، وما كان يلمسه الناس من بعض الفساد فى قطاعات أخرى ·

موجة النقد والتشهير التى شنتها الطبقات المتربصة . لاشك انها كانت عاملا من اهم العوامل التى ادخلها جمال عبد الناصر فى تقديره للموقف ·· فهو يدرك اكثر من غيره مدى ماتعرض له النظام من شرخ ، وقسوة مايواجهه من مستقبل فى مصر ·· ويدرك ايضا انه قد اصيب بجرح نافذ يؤثر على صورته أمام الجماهير .

خشى عبد الناصر ان يقدم على تغيير مجهول النتائج ·· وآثر ان يمضى بأسلوبه القديم معتمدا على رجاله السابقين . عندما واجه الجماهير لاول مرة بعد الهزيمة يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٧ اثناء انعقاد المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكى بقاعة احتفالات جامعة القاهرة . قال لهم فى صراحة : (اننى مسئول عن كل شىء) .

ولكن التصفيق احاط بكلماته . واظهر الامور فى ثوبها القديم ·· وكان

شيئا لم يحدث ٠

كانت خطب جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة هي العامل الوحيدالذى يهدىء غليان الجماهير ٠٠ ويجيب على بعض تساؤلاتها ٠٠ ويجدد فى نفسها الأمـل ٠

كانت الامبريالية الامريكية والصهيونية التوسعية في حيرة من أمرهذا الشعب الذى استوعب الهزيمة القاسية واحتفظ بالمسئول الاول عنها قائدا وزعيما فى المرحلة القادمة ولذا فانهم حاولوا تمزيق الجبهة الداخليـــة مستندين الى بعض عناصر الطبقات الذابلة المتربصة ومعتمدين على الفراغ السياسى الذى لا يشغله تنظيم سياسى قادر على تعبئة الجماهير وحشدها .

قال جمال عبد الناصر لشعراوى جمعة بعد خطبة فى مجلس الامة :

ـ اياك الخطبة دى تهدى الناس ولو شهرين

كان هناك سباق بين جمال عبد الناصر فى محاولته لاعادة الاستقرار والهدوء فى المجتمع .. وبين عوامل الاثارة والغليان المتجددة .

وقد حرص جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة على ألا يشـعر الناس بضائقة اقتصادية ، فاهتم بالمواد التموينية ، وامتلأت المجمعات الاستهلاكية بمعظم مايحتاج اليه الناس بأسعار فى متناول اصحاب الدخول البسيطة ٠ وقد اسهمت الدول الاشتراكية فى ذلك بتقديم معونات كثيرة هدية من شعوبها الى الشعب المصرى فى محنته .

كان التغيير عند عبد الناصر (قضية حائرة) تماما مثل (النغمةالصحيحة) التى يجب ان تمضى فيها الاذاعة واجهزة الاعلام ٠

الناس تعيش فى اعتقاد انه يمكن رد الهزيمة فى اقرب وقت ممكن ٠٠ وأن كل تضحية فى سبيل هذا الهدف تهون ٠

ولكن مصر أصبحت بلا قوات مسلحة تقريبـــا ٠٠ الطيران ضـــاع والجيش تمزقت وحداته ٠٠ ومع ذلك فشعور الثأر يتأجج فى صدور الناس يقبلون الاظلام فى الشوارع وعندما تضاء بعض الأنوار يعتقد البعض أن فى هذا نوعا من التهاون او التفريط .. الاذاعة تذيع الاناشيد والاغنيـات الوطنية وعندما تذاع اغنية عاطفية يقول البعض بأن هذا دليل على أن روح الثأر قد خمدت وان هناك اتجاها للاستكانة وقبول الوضع الراهن .

لم تصدر الحكومة منذ الثورة قرارات ترفع فيها أجور بعض الخدمات مثل المواصلات والتليفونات والبرقيات وغيرها وتفرض ضرائب جــــديدة ويقابلها الناس بهدوء ٠٠٠ بل وترحيب مثلمـــا حدث فى القرارات التى أصدرتها الحكومة فى شهر يوليو ١٩٦٧ ٠

كان الشعب مستعدا للمساهمة بكل ما يملـك من اجـل اسـترداد كرامته واسترجاع ارضه ، وتغيير اسلوب النظام .

ولكن التغيير لم يتحقق فورا ٠٠٠ ولن يتحقق أيضـــا بلمسـة سـحرية ٠

البذرة وضـعت فى صـــدور الناس مع الهزيمة ٠٠٠ وترددت فى اقوالهم .. واصبحت قضية النظام .

واذا كان عبد الناصر لم يحدث فى المجتمع التغييرات المنشودة ٠٠ فانه بدأ فى مواجهة الموقف بعد الهزيمة المشينة بصلابة واضحه ، واصرار علـى تحقيق ثقة الجماهير به ٠

وكانت خطوة البداية فى رفض الهزيمة ٠٠٠ هى اعادة بناء القوات المسلحة ٠

اعادة بنـاء القوات المسلحة :

كان القادة السوفييت بريجنيف وبودجورنى وكوسيجين قد أرسلوا خطابا الى جمال عبد الناصر يوم ١٠ يونيو ١٩٦٧ أعلن عنه أمام المبعوثين فى حديثه معهم يوم ١٦ يونيو ١٩٧٠ عندماقال انهم (طلبوا فيه أن نصمد ولا نستسلم وانهم مستعدون لتعويضنا ــ مجانا ــ عن جميع الاسلحة التى فقدناها فى حرب يونيو) ٠

كان هذا الخطاب هو بداية مساندة السوفييت بعد الهزيمة لجمال عبد الناصر ونظامه التقدمى ٠٠٠ وكان وعدهم بالتعويض المجانى عن جميع الاسلحة التى فقدتها القوات المسلحة رغم ضخامتها هو نقطة الانطلاق لاعادة بناء القوات المسلحة بعد أن تمزقت وتشتت تشكيلاتها ٠

قال لى الفريق أول محمد أحمد صادق الذى كان مديرا للمخابرات الحربية فى ذلك الوقت ان الأسلحة السوفييتية بدأت تتدفق بعد أيام من الهزيمة ٠

وسمعت أنور السادات يتحدث فى مجلس الامة مع طلبة كلية الهندسة اثناء فترة اعتصامهم فى فبراير ١٩٦٨ فيقول ان الاتحاد السوفييتى قد أقام جسرا جويا سريعا لتعويض القوات المسلحة المصرية فور الهزيمة بحيث كانت تهبط طائرة سوفييتية كل دقيقتين ٠

ويقول أمين هويدى وزير الحربية بعد الهزيمة فى كتابه (أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧) :

(كانت مئات الطائرات قد بدات فى الوصول على فترات متعاقبة من الاتحاد السوفييتى ٠٠٠ أحيانا تأتى فى قوافل جوية فى سباق مع الزمن فى الأيام الاولى بعد النكسة ، وأحيانا أخرى فى قوافل بحرية بعد ذلك ٠٠٠ وبجهد محموم بدىء فى مضاعفة عدد الطيارين لمواجهة الزيادة فى عدد الطائرات ٠٠٠ فالبعض يدربون فى الاتحاد السوفييتى ، والبعض الآخر يدربون هنا فى القاهرة) ٠

ووصل بودجورنى رئيس اتحاد الجمهوريات السوفييتية الى القاهرة يوم ٢١ يونيو بعد عشرة أيام فقط من رضـوخ جمال عبد الناصر لارادة الشعب والعدول عن التنحى ٠٠ حضر بودجورنى ومعه زاخاروف رئيس أركان حرب الجيوش السوفييتية ، وعاد بودجورنى بعد انتهاء زيارته وبقى زخاروف فى مصر لمدة تزيد عن الشهر لتقديم كل عون ممكن فى المراحل الشاقةلاعادة تكوين وتنظيم القوات المسلحة ٠

وكانت هذه الفترة فعلا من أقسى الفترات على نفسية الزعيم الذى اخطأت حساباته ، وخسر قواته المسلحة .

يقول انطونى ناتنج فى كتابه (ناصر) ان جمال عبد الناصر قد اعترف له بأن الاسابيع التى تلت النكسة كانت نمثل له كابوسا مستمرا . فقد كانت الخسائر الشديدة فى الاسلحة والمعدات والرجال تجعل القاهرة مدينة مفتوحة وانه لو قرر الاسرائيليون الهجوم عليها فانه لم تكن هناك قوات مسلحة قادرة على صدهم .

قال لى الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى السودانى انه وجد جمال عبد الناصر على غير عادته شاردا مهموما لا يكاد يتبين طريق المستقبل ، وانه حاول جاهدا خلال جلسته معه ان يشعره بثقة الجماهير به ، وأن يؤكد له ان خسارة المعركة الحربية رغم جسامتها لا تعنى النهاية للنضال ولا خاتمة النظام .

وقال لى محسن ابراهيم المسئول فى حركة القوميين العرب ان عبد الناصر فى هذه الفترة كان يبدو أكثر مرونة واستجابة للمناقشة... وانه كان حريصا على تلمس الطريق للخروج من الازمة .

وكان الاثنان قد قابلا جمال عبد الناصر ضمن مقابلاته لعدد من القادة والمناضلين العرب .

وفى الفترة التى بدأ فيها اعادة تكوين القوات المسلحة فكر جمال عبد الناصر فى احياء المقاومة الشعبية التى كانت مسئوليتها قد أوكلت الى زكريا محيى الدين يوم ٢٧ مايو ١٩٦٧ الذى سبق له ان باشر هذه المهمة أثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، ولكنه فى هذه المرة لم يكد يدرس اسلوب تكوين المقاومة الشعبية ويبدأ فى تحديد الخطوط العريضة لتنظيمها حتى كانت المعركة قد بدأت وانتهت .

اختار جمال عبد الناصر زميله السابق فى مجلس قيادة الثورة كمال الدين حسين الذى استقال عام ١٩٦٤ ليكون قائدا للمقاومة الشعبية.. وكانت له بها خبرة سابقة أثناء توليه مسئوليتها أثناء العدوان الثلاثى ١٩٥٦ فى مدينة الاسماعيلية .

ويقول كمال الدين حسين ان جمال عبد الناصر قد استدعاه وقال له ان الاسرائيليين يمكن ان يدخلوا القاهرة خلال اسبوع وطلب منه تولى مسئولية المقاومة ... فاستمهله للتفكير ... ولكنه طلب منه الجواب فى نفس اليوم .

وبعد تشاور كمال الدين حسين مع زملائه المستقيلين جمال سالم وعبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم اتفق الجميع على ان يذهب اليه كمال حسين فى الموعد المحدد . وان يدخل معه فى مناقشه عن اعطاء الحريات للشعب مع الأمن والاستقرار دون أن يبلغه بالموافقة أو الرفض .

وذهب كمال حسين لمقابلة جمال عبد الناصر حيث ناقش معه تقريرا سبق أن كتبه كمال بعد الهزيمة من ١٥ صفحة ويقول فيه ان مفتاح الموقف فى يد أمريكا وليس فى يد الاتحاد السوفييتى وانه يجب ان نحسن موقفنا

معها وذلك بالنسبة للسياسة الخارجية ... وبالنسبة للسياسة العربية فيجب أن ننسى الماضى ونمد أيدينا لدول البترول دول الخليج والسعودية وايران ... نلم شمل العرب كلهم حتى يستخدموا سلاح البترول فى الضغط على امريكا ، كما قلت له ان مصر فى حاجة الى ابنائها المقاتلين فى اليمن ، وانه يجب ان ننسحب من اليمن .

ويقول كمال الدين حسين انه واصل مناقشته مع عبد الناصر حول الامن والحرية والديمقراطية من وجهة نظره ، وانتهى الامر الى عدم الاتفاق .

وصدر فى نفس اليوم قرار بتعيين عبد المحسن أبو النور قائدا للمقاومة الشعبية .

كان التجاء جمال عبد الناصر الى كمال الدين حسين فى هذه المرحلة دليلا على أنه كان يعبر فترة ضعف نفسى يدفعه للاستعانة فى مركز حساس من مراكز العمل الجماهيرى الى زميل سابق له ظهرت اتجاهاته المعادية للاشتراكية التى انتهجتها الثورة ، وظهرت معارضته للواجبات والالتزامات الثورية التى تفرضها القومية العربية على ثورة يوليو .

كان ضيق الحلقة التى اعتمد عليها عبد الناصر فى فترة حكمه هى السبب الذى يحد من حريته فى الاختيار ... وربما تصور فى هذه الفترة المضطربة أن عودة كمال الدين حسين الى الاضواء وهو المعروف بصلاته السابقة مع جماعة الاخوان المسلمين ، والمشهور باتجاهاته الدينية المحافظة أمر قد يرضى الطبقات والفئات المتربصة بالثورة والتى بدأت تنشط فى توجيه سهامها المسمومة منتهزة فرصة الهزيمة وما تكشف عنها من أخطاء وانحرافات .

لعبة التوازن مازالت مستمرة تفرض نفسها .

ورؤية كمال الدين حسين للموقف حسب ما ورد على لسانه فى التقرير الذى رفعه بعد الهزيمة والذى أشرت اليه كما ورد فى كتاب (الصامتون يتكلمون) تدل على رفض مطلق لكل الاتجاهات التقدمية ، ورغبة شديدة للتعاون مع الامبريالية الامريكية التى تحتضن الصهيونية التوسعية ، والتى تخضع لها الدول البترولية التى ينادى أيضا بتحسين العلاقات معها .

أما تعيين عبد المحسن أبو النور قائدا للمقاومة الشعبية أيضا الى جانب عمله أمينا مساعدا للاتحاد الاشتراكى فهو اثبات بأن فرصة الاختيار كانت ضيقة جدا ... وانه لم تكن هناك نية جادة حقيقية لخلق مقاومة شعبية تنبع من ارادة الجماهير وتعبر عن اصرارها على التحرير .

ولكن ما حدث فى المقاومة الشعبية يختلف عما حدث فى القوات المسلحة ، فقد كان العمل يسير بجدية شديدة فى اعادة التسليح والتدريب والتنظيم .

انفصلت قيادة الدفاع الجوى عن قيادة القوات الجوية .

ويقول امين هويدى فى كتابه :

(تم تعويض كافة خسائرنا التى حدثت فى يونيو ١٩٦٧ من الاتحـــــاد السوفييتى من رادارات الى مدفعية الى صـــواريخ كما تم اســـتكمال النقص فى بعض انواع المدافع عن طريق الشراء من اســـواق الســلاح العالمية ، واخذت اسلحة من نوع جديد لم تستخدمه قواتنا من قبل تصــل من الاتحاد السوفييتى ، فعلاوة على الصواريخ سام ٢ ، سام ٣ التى كانت مستخدمة قبل النكسة وصلت صواريخ سام ٦ . سام ٧ مما كان ســـببا فى تدعيم القدرة القتالية لدفاعنا الجوى ، هـــذا عـــلاوة على الوحدات الاليكترونية التى تعمل فى المجالين الدفاعى والهجومى) .

ويؤكد جمـــــال عبد الناصر ذلك للمبعوثين فى حديثه معهم يــوم ١٦ مايو ١٩٧٠ فيقول :

(فيه حاجات ماكناش نعرفها ادوهالنا ، والحقيقة بدون معونة الاتحاد السوفييتى كنا حنكون كلبة تحت رحمة اسرائيل . لان طبعا كان من السهل عليهم ان يعبروا الى الضفة الغربية من القناة ويتقدموا للقاهرة اما الآن فهذا امر مستحيل عليهم .

وقال جمال عبد الناصر ايضا انهم قد عملوا لنا نوعين من طائرات الميج معـــدلين حسب طلبنـــا ... النوع الأول عام ١٩٦٨ والـــثانى تم عام ١٩٦٩

باشر جمال عبد الناصر عملية اعادة بناء القوات المسلحة بنفســـه ، وعاد الى تركيز اهتمامه عليها كما كان يفعل فى ســـنوات الثورة الأولى ... واعتمد اساسا فى عمله على الفـــريق أول محمد فوزى والفـــريق عبد المنعم رياض الذى عين رئيسا لاركان الحرب وفريق من الضـــباط خريجى الاكاديمية العسكرية السوفييتية فى فرونز .

خلق فوزى فى الجيش روحا من الجدية والانضـــباط والاهتمـــام بالتدريب وصدق التعاون والاستفادة من الخبراء السوفييت . بعد أن كان محظورا عليهم فى عهد ما قبل الهزيمة ان يعبروا القناة الى سيناء . فلم يكن هناك خبير سوفييتى واحد فى سيناء أثناء القتال والانسحاب .

موقف الســـوفييت :

اذا كان المثل العربى يقول (الصديق يعرف وقت الشدة) فقد عرف العرب السوفييت وقت الشـــــدة فوجودهم اصـــدقاء يقفون الى جانبهم بلا شبهة تردد .

يقول الفريق صـــلاح الدين الحديدى فى كتابه (شـــــاهد على حـــرب ١٩٦٧) :

(ان الاتحاد السوفييتى قام بلاشـــك بتقديم اكبر عون لنا منذ بدء علاقاتنا به وشـــمل هذا العون كافة النواحى السياسية والاقتصـــادية والعسكرية ولا استطيع ان اتخيل كم يكون موقفنا صعبا لو لم تكن هـــذه العلاقة موجودة ووثيقة ولاسيما بعد تدمير معظم اسلحتنا وقواتنا الجوية

فى يونيو ١٩٦٧) .

ولكن التعاون مع السوفييت لم يقتصر على تقديم السلاح فقط ... ولكنه امتد الى تقديم الخبراء والمستشارين بأعداد وفيرة بناء على طلب جمال عبد الناصر والحاحه بعد الهزيمة .

كان جمال عبد الناصر قد وجد أن خروجه من كارثة الهزيمة لن يكون الا بمزيد من الارتباط والتعاون مع الاتحاد السوفيتى .

طلب من بودجورنى وزخاروف اثنـــاء زيارتهمـا لمصر الخبـراء والمستشارين الى جانب السلاح ، ويقول ناتنج انه طلب وجودهم فى كل لواء او كتيبة لو امكن ذلك .

قال لى حسنين هيكل انه عندما طلب جمال عبد الناصر من السوفييت تولى مسئولية الدفاع الجوى أبلغه بودجورنى ان ذلك لا يتم الا ضمن اجراءات دستورية ومعاهدة .

واقترح جمال عبد الناصر على بودجورنى عقد اتفاقيه دفاع مشـــترك بين مصر والاتحاد السوفيتى اذا كان الامر كذلك ، كما صرح بذلك للشهيد المناضل عبد الخالق محجوب ، ولكن رد الاتحاد السوفييتى كان سـلبيا بالنسبة لعقد هذه الاتفاقية نظـرا لحساباتهم الخاصة فيما يتعلق بقضية الرفاق العالمى والتعايش السلمى التى كانوا يناضلون من أجل تحقيقها مع الولايات المتحدة ضمانا لاستقرار الســلام العالمى من جهة ... ولطبيعة العلاقات بين الدول الاشتراكية ودول منطقة التحرر الوطنى التى لم تكن تسمح حتى هذا الوقت بقيام هذا النوع من الاتفاقيات .

ولكن رفض عقد الاتفـاقية لم يثبط همة عبد الناصر فى طلب المزيد من الاسلحة السوفيتية المتقدمة ومعها الخبراء والمستشارون .

ويقول ناتنج ان السوفييت قد رسموا حدود مساعداتهم فيما يقدمون من اسلحة أو مساعدات تموينية أو اتفاقيات اقتصادية ... لان كوسيجين قد صدم اثناء زيارته لجونسون بالشعور العميق المؤيد لاسرائيل فى أمريكا عامة . وفى جهاز حكم جونسون خاصة ، الامر الذى بعث الحذر والخوف فى نفسه من احتمال تعرض الاتحاد السوفييتى لمواجهة مع الولايات المتحدة اذا ما وافق الاتحاد السوفييتى على الارتباطات والاتفاقيات التى تطالب بهـا مصر ... ومع ذلك يقول ناتنج ان حذر كوسيجين لم يحل دون امداد مصر بما طلبته من أسلحة وخبراء ومستشارين ... جعلت دفاعات مصر تستكمل بعد خمسة أشهر من الهزيمة .

وقد كلف جمال عبد الناصر الزعيم الجزائرى هوارى بومدين بالسفر الى الاتحاد السوفييتى ، وكان قد أقام فى مصر بعد الهزيمة مدة تزيد عن أسبوعين .

سافر هوارى بومدين الى موسكو يوم ١٧ يوليو ١٩٦٧ مع الرئيس العراقى عبد الرحمن عارف ، ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) انهما عندما قابلا بريجينيف قال لهما :

أؤكد لكما اننى امضيت هنا فى موسكو عدة ليال بلا نوم عندما كانت

نرد الينا اخبار عن احتمال عبور اسرائيل للقناة . وكان واضحا ان هـــذا ليس امرا سهلا عليهم لمساعدتنا للعرب وللرأى العام العالمى . ولكن كـان منصورا احتمال قيامهم بهجوم خاطف نحو القاهره . وهو امر يجلب العالـم الى حافة الهاويه .

ويقول هيكل ايضا ان بريجنيف قد قدم للرئيسين بيانا بما ارسـلـه الاتحاد السوفيتى الى مصر خلال اسبوعين وهو ما حملته ١٥ سفينة تبلغ حمولتها ٨٤ الف طن من المعدات الحربية الى جانب ١٥٠٠ خبير .

وقد بقى الماريشال زخاروف فى مصر بعد حضـــوره مع بودجورنى وكان يخفى وجوده فى مصر بلبسه ملابس مدنية ، كما ان الرقابة كانت تمنع نشر الصور التى يظهر فيها .. وكان زخاروف صريحا فى قوله ان الجيش المصرى ليس محتاجا الى السلاح بقدر ما هو محتاج الى التدريب .

قال لى الفريق اول محمد فوزى ان جمال عبد الناصر قد اسـتبقى زخاروف فى مصر حتى بداية شهر نوفمبر .. ثم يسافر الى موسكو الا اياما قليلة لزيارة اسرته والتشاور مع الزعماء السوفيت .. وعندما انهى مهمته التى كلف بها ذهب الى جمال عبد الناصر ومعه ثلاثة جنرالات من الخبراء والمستشارين السوفيت وقال له ان مصر تستطيع الان ان تدافع عن نفسها ضد اى هجوم اسرائيلى مفاجىء .

ولم يقتصر موقف الاتحاد السوفيتى على امدادنا بالســلاح ، ولكنه اتخذ مع كافة الدول الاشتراكية عدا رومانيا موقفا مبدئيا بقطع العــلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل وتضامنت يوغوسلافيا ايضا فى اتخاذ هـــذا القرار .

وكان عدد كبير من القادة المســئولين فى هذه الدول الاشتراكية قد توافدوا على مصر لتقديم المعونات والمساعدات الاقتصادية التى تخفف من أثر صدمة الهزيمة .

ومع ذلك فقد حاولت بعض العناصر الرجعية تخريب العـــلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى فى هذه المرحـــلة الحرجة ، حتى تحرم مصر من اصدقائها الاوفياء . وتسقط فريسة فى يد الصهيونية التوســـعية وراعيتها الامبريالية الامريكية .

اطلق البعض شائعات بان سبب الهزيمة هو تخلى الاتحاد السوفيتى عن مساعدة مصر . وذلك قفزا فوق كل الحقائق . ومحاولة لايجاد مشجب تعلق عليه الكارثة . فى محاولة استعمارية صهيونية لتجريد النظام من كل مقومات الدفاع عنه .

ونشرت جريدة الاخبار مقالين يحملان هذه الشـــبهة . واذاعت لندن مضمون هــذين المقالين فى مقدمة نشرة اخبارها بالعربية .. وكان منظرا مثيرا للدهشة ان ترسل وزارة الداخلية بعض جنودها لحراسة الســفارة السوفيتية فى الدقى فى الوقت الذى كانت فيه الطائرات السوفيتية تشـكل

جسرا جويا يحمل الاسلحة والذخيرة والمساعدات الطبية والتموينية ·
ولكن سرعان ما مضت هذه المحاولة الاستعمارية اسرع مما تمضى سحابة الصيف ·· زبدات تتكشف الحقائق . وفضحت خطة العناصر المعادية للثورة من فلول الاقطاع والبرجوازية الكبيرة ·

وليس هناك رد على هذه المحاولات ابلغ من ذلك الذى قاله جمال عبد الناصر تعقيبا على ارتفاع ميزانية القوات المسلحة من ١٧٠ مليون جنيه الى ٥٥٠ مليون جنيه

(ده طبعا خارج منه موضوع السلاح · احنا ما بندفعش السلاح اللى احنا بناخده . ولكن جميع الاسلحة اللى بنستوردها من الاتحاد السوفيتى بناء على اتفاقات . والدفع فيها مؤجل حتى بالنسبة للدفع اللى كان مقرر علينا للاتحاد السوفيتى طلبنا منهم تأجيله) ·

قال لى امين هويدى وزير الحربية السابق ان مصر طوال عهد جمال عبد الناصر لم تدفع ثمنا للسلاح الذى حصلت عليه من الاتحاد السوفيتى ، وخسائر عدوان ١٩٥٦ استعوضت بلا ثمن . واقساط السلاح بعد ذلك كانت تؤجل وبوجه للناحية الاقتصاديه . وخسائرنا الهائلة عام ١٩٦٧ لم يتقاض الاتحاد السوفيتى شيئا من ثمنها . وبدأ فى امدادنا بالسلاح دون دفع تقديرا منه لظروفنا الاقتصادية بعد النكسة ·

هكذا كان موقف السوفيت معنا ··

قبل المعركة ·· نصح بعدم التورط ··

وبعد الهزيمة ·· امداد بالسلاح والمعونات بلا تردد ·· وقطع للعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية مع اسرائيل ·· ثم تاييد مطلق بلا حدود للحق العربى فى المجالات الدولية ·

ومع ذلك فلا يمكن القول بان هناك تطابقا وتشابها كاملا فى الموقف العربى والسوفيتى بالنسبة لازمة الشرق الاوسط ·· فلا شك ان للاتحاد السوفيتى باعتباره احدى الدولتين العظميين حسابات خاصة تتعلق بالسلام العالمى واثره على الحضارة والبشرية وضرورة تفادى المجابهة فى حرب مع الولايات المتحدة ·· كما ان موقفه الاستراتيجى الواضح منذ البداية لم يكن يستهدف تدمير اسرائيل او ازالتها من الوجود . وانما كان يقف مع حق العرب فى تحرير ارضهم ومساعدة شعب فلسطين وتامين كافة دول المنطقة ·

كما ان زعماء المنطقة لهم رؤية خاصة للمشكلة تدفعهم الى ضرورة حلها فى سرعة قد يكون فيها نوع من الاندفاع غير المحسوب . والذى قد يكرر كارثة الهزيمة ·

هذا الى جانب اختلاف النظم الاجتماعية ·· فالنظام فى مصر لم يكن شيوعيا . بل ان بعض قوانينه تحرم الشيوعية وتنظيمات الشيوعيين ··

والشيوعيون انفسهم كانوا فى المعتقلات لم يكتمل خروجهم منها الا قبل العدوان بثلاث سنوات فقط . هى المدة الوحيدة التى خلت فيها السجون والمعتقلات من المعتنقين المبادىء الشيوعية منذ قامت حركة

الجيش فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ٠

ولذا فان نوعية العلاقة بين اسرائيل والولايات المتحدة كانت تختلف عن نوعية العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتى ٠

اسرائيل والولايات المتحدة تطبقان النظام الراسمالى ٠ وحكومة اسرائيل تعتمد فى وجود الدولة وضمان مستقبلها على العلاقة الوثيقة التى تربط بينها وبين الدول الامبريالية والتى تدرجت من بريطانيا ، فرنسا حتى استقرت فى احضان الولايات المتحدة التى تملك اكبر ترسانة حربية ٠ والتى يتوفر فيها نفوذ سياسى صهيونى قادر على التأثير فى اجهزة الحكم المختلفة هناك ٠

اما العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتى فانها تختلف من حيث طبيعتها ٠٠ فالنظام المصرى يشق طريقه فى محاولة للخروج من قيود الاستعمار الجديد الى طريق غير رأسمالى يمكن ان يصل به مع الوقت الى نظام اشتراكى ٠٠ والعلاقة التى تربطه مع الاتحاد السوفيتى هى علاقة التعاون المبدئية التى تربط بين شعوب الدول الاشتراكية وشعوب دول منطقة التحرر الوطنى فى نضالها من اجل التحرر والاستقلال الوطنى ٠٠ فليس بين النظامين تشابه كامل فى النظرة الاجتماعية ٠ ولا تربطهما علاقة عضوية مثل العلاقة القائمة بين اسرائيل والولايات المتحدة ٠

كان موقف السوفيت هو السند الاول لجمال عبد الناصر فى التشبث برفض الهزيمة تعبيرا عن ارادة الشعب ٠

أزمة المشير ٠٠

كان العمل يمضى جادا وسريعا فى اعادة بناء القوات المسلحة ٠٠ تغيرت معظم القيادات العليا التى كانت السبب المباشر فى الهزيمة ٠٠ واظهر السوفييت تعاونا مذهلا فى سرعة الامداد بالاسلحة والمعدات مع تقديم الخبرة والمشورة ٠

واعطى جمال عبد الناصر لهذه العملية اسبقية أولى ، وجعل لها افضلية على كل شىء ٠٠ ولكن بعض المتاعب كانت تفرخ داخل صفوف القوات المسلحة ٠

ابتعد عامر عن مركز القائد العام بعد ١٤ عاما الا ٩ ايام بالتحديد ٠٠ رقى من رتبة صاغ الى لواء وعين قائدا عاما للقوات المسلحة مع اعلان النظام الجمهورى فى مصر يوم ١٨ يونيو ١٩٥٣ وخرج من مكتبه ليقدم استقالته يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ ٠

ولم يكن خروج المشير عامر من منصبه أمرا سهلا ، فقد احاط نفسه خلال مدة قيادته بمجموعة من ضباط الرتب العليا الذين ارتبطوا به شخصيا واستفادوا من علاقتهم به ٠٠ هذا الى جانب اتجاهاته المعروفة يغدق على كل من يلجأ اليه ، ويساعد كل من يقدر على مساعدته من أموال الدولة ، حتى اصبح شخصية محبوبة بين الضباط ٠

ولذا كان ابتعاده عن منصبه يشكل صـــدمة عاطفية لعدد كبير من الضباط الذين لم يحسنوا فى لحظتها تقدير الاخطاء التى وقع فيها ، او عمق المأساة التى دفع الوطن اليها ·· اما لانهم كانوا مشاركين فيما حدث ·· واما لان رؤيتهم للامور لم تكن ثاقبة ·

وكان خروج شمس بدران من القوات المســـلحة فى نفس اليوم مع المشير عامر يضيف مشكلة اخرى ، فقد كانت له سلطته الخاصه فى الجيش النابعة من مسئوليته عن الامن ، وتعيينه لمعظم ابناء دفعته فى مراكز قيادية حساسة ·

عندما سمع ضباط الرتب العليا خبر تنحى جمال عبد الناصر والمشير عامر طالبوا بعودة الاثنين ·· وعندما ســـمعوا خبر عودة ناصر طالبوا بعودة المشير ·

كان عبد الحكيم عامر قد خرج من القيادة العامة متوجها الى منزله فى ثكنات الحلمية الجديدة ، وسمع خطاب تنحى عبد الناصر فى سيارته ·· وتجمهر الضباط فى الطابق الاول بينما صعد المشير الى غرفة نومه يحيط به بعض اقاربه واصدقائه المقربين مثل صلاح نصر وشمس بدران ·

وكان منزل عبد الناصر ايضا قد امتلأت حديقته وطابقه الاول بعدد كبير من المسئولين والضباط ومنهم زكريا محيى الدين وانور الســـادات وحسين الشافعى وعلى صبرى وغيرهم ·

وقال زكريا محيى الدين لجمال عبد الناصر :

ـــ انت من حقك ان تتنحى ، ولكن ليس من حقك ان تعين رئيســـا للجمهورية بدلا عنك ·· وانا لن اقبل هذا التعيين ·

وصعد جمال عبد الناصر ايضا الى الطابق الثانى حيث اتصـــل به عبد الرحمن عارف وهوارى بومدين اللذان فوجئا بخبر التنحى ·

وفى اليوم التالى ١٠ يونيو كان جمال عبد الناصر قد عاد رئيســـا للجمهورية وغادر المشير عامر منزله الرسمى فى ثكنات الحلميـــة ·· ولم يذهب الى منزله الاخر المطل على النيل فى شارع الطحاوية بالجيزة ، فقد كان كبار الضباط قد تدفقوا عليه يطلبون عودة عامر مع عبد الناصر ·

ذهب المشير عامر الى منزل فى شارع احمد حشمت كان معدا لزواج ابنة احد ضباط مخابرات القوات الجوية ، وذلك حتى يبتعد عن تجمعات الضباط واحراجهم له ·

ساد الهرج والمرج من الضباط فى منزل عبد الحكيم عامر فى الجيزة وكانهم فى شبه مظاهرة ، ولم ينصرفوا الا بعد ان خرج لهم الفريق صـدقى محمود الذى كلفه المشير وقال لهم ان المشير سيتوجه فى اليوم التالى الى مكتبه فى القيادة العامة للقوات المسلحة ·

وفى صباح اليوم التالى ١١ يونيو توجه عدد من كبار الضـــباط الى مبنى القيادة العامة مطالبين ايضا بعودة المشير طالما عاد الرئيس ·

وزاد الموقف حرجا عندما خرجت سرية حراســـة المشير فى ثكنات الحلمية فى عرباتها بقيادة الرائد احمد ابو نار ، وتحركت الى مبنى القيادة

العامة للقوات المسلحة هاتفة (ناصر ٠٠ عامر) ٠
وعندما بلغ الامر جمال عبد الناصر غضب لذلك كثيرا ، وكلف صلاح نصر مدير المخابرات بالتحقيق فى هذا الموضوع ٠٠ وكلفه ايضا بان يركز اهتماماته على الامن الداخلى الى جانب المباحث العامة ٠

ومع ذلك فقد حرص جمال عبد الناصر على ابلاغ عبد الحكيم عامر حيث كان يقيم فى شقة شارع احمد حشمت بالزمالك نبأ تعيين محمد فوزى قائدا عاما ٠٠ وبدا المشير مرتاحا لهذا التعيين لانه رفع عن كاهله مسئولية كان يريد التخلص منها ، ولو انه علق على ذلك ـ حسب رواية صلاح نصر ـ بقوله : (اختيار غير موفق) ٠
قرر المشير ان يبتعد عن القاهرة بعد تعيين الفريق محمد فوزى قائدا عاما للقوات المسلحة ، فسافر مع شمس بدران الى قريته (اسطال) بمحافظة المنيا ، فى مساء ١١ يونيو ، وعندما علم جمال عبد الناصر بذلك طلب منه العودة حتى لا تحدث بلبلة فى صفوف الجيش ، واستجاب عامر لذلك وعاد الى القاهرة ٠
وكانت هناك لجنة قد تشكلت لاعادة النظر فى موقف كبار الضباط برئاسة جمال عبد الناصر وعضوية زكريا محيى الدين ومحمد فوزى القائد العام ومدكور ابو العز قائد القوات الجوية واللواء ابو ذكرى قائد القوات البحرية وصلاح نصر مدير المخابرات العامة ، وكاتم اسرار حربية ٠

واستقر راى هذه اللجنة على اخراج عدد من القادة وما ان علم المشير عامر بذلك حتى اعتبر القرارات نوعا من التصفية ، وقرر العودة مرة اخرى الى قريته (اسطال) .
وبعد أيام عاد شمس بدران الى القاهرة ، واتصل بجمال عبد الناصر مدعيا ان المباحث العامة تراقبه وقال له غاضبا كما قال صلاح نصر (انا لست خائنا حتى اعامل هذه المعاملة غير الكريمة ٠٠ اننى لو اردت ان اعمل انقلابا لعملته وانا فى بيتى) .
غضب جمال عبد الناصر من هذه المحادثة التى تحمل روح التحدى فى وقت لم تكن فيه تنظيمات الجيش قد استقرت على اسس جديدة سليمة ، وكلف صلاح نصر بتهدئة شمس بدران تفاديا لما يمكن ان يسفر عنه الموقف فى هذا الوقت الحرج ٠
وعاد المشير ايضا الى القاهرة ، وتلمس جمال عبد الناصر خطرا فى هذا التجمع ، وخاصة ان مجموعه من الضباط العاملين او الذين احيلوا للتقاعد بدأوا يترددون على منزل المشير ٠

وكلف جمال عبد الناصر صلاح نصر بأن يعرض على المشير عامر اما ان يكون نائبا أول لرئيس الجمهورية ، واما أن يغادر القاهرة الى قريته ويبقى بها فى هذه الظروف ٠
رفض عامر العرض قائلا انه لا يود ان يكون تشريفاتى برئاسة الجمهورية ٠٠ وانه لا يقبل ان يكون فى هذا المنصب بينما تتم تصفية الضباط الذين عملوا معه ، ووثق بهم ووثقوا به ٠٠ وفضل العودة الى قريته ٠

كانت الاحوال قد توترت بين صديقى العمر ورفيقى الكفاح ·· ومع ذلك ظل جمال عبد الناصر حريصا على هذه العلاقة بعرضه منصب نائب رئيس الجمهورية على القائد الذى خسر المعركة بطريقة مهينة ·· وكان هذا دليلا على عدم الاطمئنان النسبى الى الموقف فى القوات المسلحة ·

كان مفروضا ان يحاسب عبد الحكيم عامر على الموقف العسكرى عام ١٩٥٦ ولكنه لم يحاسب ·· ولم يوافق على خروج بعض معاونيه مثل الفريق صدقى محمود الذى دمرت قواته الجوية على الارض ·

وكان مفروضا أن يحاسب على موقفه فى سوريا الذى ادى الى مأساة الانفصال التى قادها بعض اعضاء مكتبه اثناء وجوده فى دمشق ·· ولكنه لم يحاسب ·

وكان مفروضا ان تقبل استقالته اثناء ازمة مجلس الرئاسة عام ١٩٦٢ عندما قدم عبد الناصر مشروعا بتحديد اختصاصاته ·· ولكن الاستقالة لم تقبل وظل المشير محتفظا بكل صلاحياته بل وزادت مسئولياته مع الوقت ·

وليس هناك من سبب يعتبر تبريرا لهذا الموقف من جانب جمال عبد الناصر الا حرصه على علاقة الصداقة الوثيقة مع عامر ·· وثقته فى ان وجوده فى قيادة القوات المسلحة يضمن عدم حدوث تحركات مضادة داخل الجيش لحب الضباط للمشير ، ولاعتقاده بان المشير لا يمكن ان يفكر فى الانقضاض عليه ·

ولكن احتمال حدوث حركة مضادة من جانب ضباط الرتب العليا المرتبطين بالمشير لم يغب ابدا عن ذهن جمال عبد الناصر ، وخاصة بعد توتر الموقف بينه وبين عامر وبدران ·

ولذا عرض على المشير منصب نائب اول رئيس الجمهورية ، وكرر العرض بوساطة صلاح نصر الذى سافر الى المنيا فى طائره حربية خاصة ، وقابل عامر فى قريته اسطال ·· ولكن المشير رفض فى المرتين ·· ورفض عرضا اخر بالسفر الى يوغوسلافيا ·

وبدات العلاقة بين الصديقين تدخل مرحلة الازمة الشديدة عندما عاد عبد الحكيم عامر الى منزله فى الجيزة ، وتكالب عليه الضباط الذين احيلوا الى التقاعد ، واقام بعضهم عنده اقامة شبه دائمة ·

وتصادف ان كانت هناك عربة للمخابرات تراقب جاسوسا اجنبيا يسكن قريبا من منزل المشير ، ولمحها بعض الضباط المقيمين عنده فاعتقلوا طاقمها وادخلوه الى المنزل ، واتصل عامر بصلاح نصر غاضبا ومتسائلا ، وقد قال لى صلاح نصر ان هذه كانت حساسية مفرطة من عامر فى هذه الظروف ، وانه توجه اليه فورا مع رئيس هيئة الامن القومى لتوضيح الحقيقة له ، وقال ايضا انه لو طلب منه مراقبة المشير فى ذلك الوقت لقدم استقالته ·

ولم يركن عبد الحكيم عامر فى منزله الى الهدوء ، ولكنه بدا نشاطا مثيرا ؛ اذ طبع استقالته التى كتبها عام ١٩٦٢ وطالب فيها بتكوين حزبين وحرية ليبرالية وبدأ توزيعها على نطاق واسع فأرسلها الى اعضاء مجلس

الامة ورؤساء المؤسسات والصحف .
كما اتصل عامر بالسفير السوفيتى والقى تبعة الهزيمة على الاتحاد السوفيتى ، وكان ينوى طبع خطاب له يوزعه فى الخارج ، ولكن بعض اصدقائه نصحوه بالعدول عن ذلك فى اللحظة الاخيرة ، لما يمكن ان يثيره هذا الخطاب من متاعب فى وقت يعيد فيه السوفيت بناء القوات المسلحة .
كان الضباط المحيطون بعامر يشعلون صدره بالغضب ، ويثيرون الفتنة بينه وبين عبد الناصر ويجسمون له الصغائر .
ويبدو ان عبد الحكيم كان قد تأثر بهم الى حد بعيد .. فلم تنجح محاولات التوفيق التى قام بها جمال سالم ومحمد حسنين هيكل وصلاح نصر وغيرهم .
وحدث أن اصدر قائد المخابرات الحربية اللواء محمد احمد صادق قرارا باعتقال الصاغ جلال هريدى قائد قوات الصاعقة ، الذى كان يقيم منذ النكسة فى منزل المشير بصفة دائمة .. ونصبوا له كمينا بالقرب من منزل المشير ، وعندما حاولوا اعتقاله خارج المنزل صرخ مستنجدا بزملائه فى الداخل فهرعوا اليه ومعهم المشير يحملون اسلحة وقنابل يدوية .. ولكن عربة المخابرات اسرعت بالفرار تلاحقها طلقات الرصاص .
اصبح الموقف غريبا وشاذا .. منزل المشير يتحول الى حصن مستقل داخل القاهرة ، لا يجرؤ احد على اقتحامه ولا تطبق عليه قوانين الدولة .

وعندما صدرت الاوامر بسحب الحرس الخاص للمشير ، اسرع باحضار حرس مدنى خاص من قريته .. ولكن الامور سويت وعاد اليه حرسه الرسمى .
كانت محاولات التخريب بين الرجلين مستمرة ، ولم يكن احد منهما يفكر فى لقاء الاخر لتسوية الخلاف .
وظل الحال كذلك الى ان اصيب صلاح نصر يوم ٣ يوليو بذبحة صدرية الزمته الفراش بمكتبه لمدة ستة اسابيع . كان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر يسألان عليه خلالها .. وفى احدى هذه المرات ذهب عامر وعباس رضوان الى منزل عبد الناصر حيث تناولا معه طعام العشاء ، وبدا كما لو ان الامور قد تحسنت .

ولكن عملية اعادة بناء القوات المسلحة كانت تتم وسط موجة نقد شعبية للضباط الذين القيت عليهم تبعة الهزيمة ، والذين احاطت بهم النكات وكلمات النقد .. وقد ترك ذلك أثرا فى نفس المشير عامر الذى اعتبر نفسه راعيا للقوات المسلحة .. كما انه كان من الضرورى مساءلة الذين تسببوا فى الهزيمة ..
وكانت البداية قرارا باعتقال ومحاكمة كبار ضباط القوات الجوية .. الفريق صدقى محمود والفريق جمال عفيفى واللواء اسماعيل لبيب بتهمة الاهمال الجسيم .
واعتبر عامر هذا القرار طعنة له ومقدمة لتصفية بقية اعوانه .
وتأزمت الامور الى الحد الاقصى .. ولم يعد امام جمال عبد الناصر من خيار .. الا الخضوع لهذا (الجيب العسكرى) السابق الذى يحاول

فرض ارادته من خارج السلطة ·· او مواجهة صـــديق عمره بالحقيقة ، واتخاذ موقف بعيد عن العاطفة ·

وخلال ذلك كانت قد وصلت الى اللواء محمد احمد صـــادق مدير المخابرات الحربية معلومات عن نشاط تامرى تقوم به المجموعة المحيطـــة بالمشير ·· ورفع صادق المعلومات ـ كما قال لى ـ الى عبد الناصر وهو في حرج شديد ·

ولم يعد هناك من سبيل الا اتخاذ موقف وصدور قرار ·

واســـتدعى جمال عبد الناصر عبد الحكيم عامر الى منزله يوم ٢٥ اغسطس لمواجهة زملائه المتبقين فى السلطة من اعضاء مجلس قيـادة الثورة ·· زكريا محيى الدين وانور السادات وحسين الشافعى ·· وعقدت جلسة امتدت عدة ساعات تصارح الاثنان فيها بكل ما فى الصـــدور ·· وكانت كما ارادها جمال عبد الناصر (محاكمة سياسية) ·

ولكن عبد الناصر كان قد اتخذ قراره قبل الجلسة بتحديد اقامة المشير فى منزله بالجيزة واعتقال الضباط المقيمين هناك ·· ولم يكن عند المشير شبهة شك فى السبب الذى من أجله استدعاه عبد الناصر ·· بل انه كـــان يتوقع حلا للمشاكل ، فقد صارح صلاح نصر الذى صرح له الاطباء بمغادرة الفراش بمكتبه يوم ٢٣ اغسطس بعد نوم استمر ٦ اسابيع ·· صارحه بان هناك احتمـــالا بأن يذهب الى مؤتمر الخرطوم مع جمـــال عبد الناصر يوم ٢٨ اغسطس ·

ولكنه ما ان دخل المشير عامر منزل جمال عبد الناصر حتى اعتقـل سكرتيره العسكرى محمد طنطاوى ، وتوجهت قوات الى منزله بقيادة الفريق محمد فوزى واللواء ســـليمان مظهر فاعتقلت المقيمين فيه وفى مقدمتهم شمس بدران ، وهم الذين كانوا ينتظرون عودة المشير ومعه اخبار ســـارة بالصلح والوفاق ، وقد اسهم عباس رضوان فى اقناعهم بالتسـليم بهدوء بعد محادثة له مع عبد الناصر ·

أما فى بيت عبد الناصر بعد أن انتهت الجلسة واعلن عبد الناصر قراره بتحديد اقامة عامر ، صعد الى الدور العلوى وذهب عامر الى الحمام حيث خرج صائحا وهو يلقى بكوب ماء من يده بأنه قد أنتحر ·

قال لى أمين هريدى انهم سرعوا الى عبد الناصر لابلاغه كلمات المشير ، ولكنه لم ينزل معهم وقال انه اجبن من ان يفعل ذلك ··

قال لى الفريق محمد فوزى انهم قد استولوا من منزل المشـير على حمولة ثلاث عربات لورى أســـلحة وانهم أخرجوا منه سريتين من جنـــود الجيش كانتا مكلفتين بحراسته وانتـــقلتا معـــه من الحلميـــة ·· واخرجـــوا أيضا ٣٠٠ من أبناء بلدة المشير ·

ويقول أيضا ان المشير لم يغادر منزل عبد الناصر الا بعد أن اتصل الفريق أول محمد فوزى بســامى شرف وأبلغه ان كل شىء قد انتهى وأن القوات المســلحة قد ســيطرت على المنزل ، وكانت الســـاعة الرابعة صباحا تقريبـا ·

وخرج عبد الحكيم عامر معتقلا الى منزله وأوصله الى هناك زكريا محيى الدين وحسين الشافعى ، أما أنور السادات الذى بقى حزينا وصامتا

طوال جلسة المحاكمة السياسية فانه لم يذهب معهم فى العربة ٠
دخل عامر معتقلا الى منزله الذى اصبح خاليا الا من اسرته ، ولا تربطه بالعالم الخارجى اية صلة فقد قطعت عنه حرارة التليفون واحيط منزله بحرس جديد ، واعلنت بعد ذلك استقالة صلاح نصر مدير المخابرات يوم ٢٧ اغسطس ٠
وبذلك انتهت صفحة فى حياة القوات المسلحة ٠٠ اصبح يتولى قيادتها العامة ضباط جدد لم يكونوا من الضباط الاحرار اصلا فقد ذهبت المجموعة القليلة التى بقيت منهم حول المشير الى السجن انتظارا للمحاكمة ٠٠ لم يعد هناك احد من ضباط ثورة يوليو فى قيادة القوات المسلحة الا القائد الاعلى جمال عبد الناصر والفريق محمد فوزى القائد العام ٠
ورغم قسوة القرار على نفس عبد الناصر الا انه وجد نفسه مجبرا على اصداره امام المعلومات التى توفرت لديه من احتمالات عمل طائش تقوم به مجموعة المشير ٠
واسفرت التحقيقات عن اعتقال عدد من كبار المسئولين الى جانب شمس بدران ، فاعتقل بعد ذلك بأيام عباس رضوان وصلاح نصر يوم ١٣ سبتمبر وعدد من كبار ضباط القوات المسلحة المحالين الى التقاعد ٠
وكان الموقف فى نفس الوقت شديد القسوة على نفسية المشير عامر وهو الذى احتفظ بالولاء كاملا لجمال عبد الناصر خلال مدة قيادته للجيش والتى امتدت ١٤ عاما ، ولم يفكر لحظة واحدة فى القيام بانقلاب عسكرى مطلقا ، واكتفى بنشر سلطاته فى الاجهزة الادارية والتنفيذية ٠٠ وهو الان قد اصبح مجردا من كل شىء السلطة والاصدقاء ٠٠ يواجه مستقبلا غامضا ٠
ولم يتحمل المشير عامر هذا الموقف الذى لم يهيىء نفسه له مطلقا ٠٠٠ فقبل أيام كان يرفض منصب نائب رئيس الجمهورية ، ويرفض السفر معززا مكرما الى يوغسلافيا ٠٠٠ وهو الآن محدد الاقامة فى منزله ، واصدقاؤه فى السجن ٠
وقرر المشير عامر الهروب من هذا الموقف بالانتحار ٠
قال لى الفريق محمد سعيد الماحى الذى أصبح كبيرا للياوران بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ انه كان قائدا لحرس منزل المشير ، وانه كان يحاول ما وسعه الجهد أن يقدم له كل الاحترام .. ولكن المشير قرر الانتحار عندما علم بأنه سوف ينقل من منزله الى منزل آخر بالهرم ٠

وأسرع الماحى يبلغ الفريق عبد المنعم رياض وأسرع الاثنان فى محاولة لاخراج السم الذى ابتلعه المشير ، ثم حملاه الى مستشفى القوات المسلحة حيث اجريت له عملية غسل معدة نقل بعدها الى المنزل الجديد الذى تقرر تحديد اقامته فيه بالمريوطية ٠
ومرة أخرى لم يستطع المشير أن يتحمل الموقف فى صبر ٠٠٠ فقرر الانتحار مرة أخرى ، ونجح فى هذه المرة مساء ١٣ سبتمبر ١٩٦٧ بعد مائة يوم من العدوان ٠
وانتهت حياة الانسان الذى ملك قلوب الضباط حبا له ، والذى

عاش حياة لا تتناسب كثيرا مع ضراوة المعارك التى كانت تدور فى اليمن ، أو فوق أرض سيناء ٠

كان عبد الحكيم عامر أول قائد مصرى فى التاريخ الحديث ينتحر بعد الهزيمة ٠٠٠ ولكنه لم ينتحر نتيجة لمهانة الهزيمة وقسوتها ٠٠٠ ولا أسفا وندما على دماء ٢٠ر٠٠٠ فقدوا حياتهم فوق رمال سيناء بعد عذاب بدنى شديد ... ولا خجلا من عار سوف يلاحق قدراته القيادية الى اخر التاريخ ٠

لم ينتحر كقائد عسكرى مهزوم ٠٠٠ وانما انتحر بعد أن سلبت منه السلطة وضاعت منه الحرية ، وواجه الموقف وحده بعيدا عن الأضواء ونفاق الاصدقاء ٠

ولم تؤثر أزمة المشير فى اتجاه رفض الهزيمة ٠٠٠ فقد كانت سدا لا يعوق التقدم ... وكانت محاكمة زملائه لتصفية آثاره .

ولم يكن خروج عضو سابق لمجلس الثورة من جهاز السلطة يمثل اكثر من سقوط بعض الفروع من شجرة ثابتة ٠٠٠ كان جهاز الحكم قبل الهزيمة متماسكا ومستقرا رغم ما كان يواجهه من أزمات اقتصادية وسياسية ٠

ولم تكن استقالة كمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم تمثل أكثر من موقف احتجاج فردى لا يجد له صدى عميقا بين الجماهير لانه يواجه اعلاما مركزيا موجها ٠٠٠ ولم تتجاوز حدود التأييد لبعضهم أكثر من همسات لا تعلو الى موقف صريح ٠٠٠ واختار كل منهم طريقه الجديد فى الحياة بلا ضغط ولا عنت ... ولم تصل العلاقات بينهم وبين جمال عبد الناصر الى حد القطيعة النهائية ٠٠٠ فقد تواجدوا فى القيادة العامة فى أيام القتال رغم ابتعادهم النهائى عن السلطة ٠٠٠ وقام كل منهم بالتعبير المكتوب عن رأيه فى خطاب أو مذكرة رفعها الى جمال عبد الناصر ٠

ولم يصحب خروج أى فرد منهم ، ولا من سبقهم فى الاستقالة اتخاذ موقف معاد لهم اذا استثنينا سجن يوسف صديق وتحديد اقامته فى عام ١٩٥٤ ... فلم يخرج احد منهم مصحوبا بتهمة التآمر او العمل ضد النظام ... ولم يكن احد منهم يعمل فى منصب عسكرى حتى يمثل خطرا يستحق المطاردة ٠

ولذا كان تحديد اقامة المشير عبد الحكيم عامر هو أول عمل عنيف يتخذ ضد عضو سابق فى مجلس الثورة ، اذا استثنينا ايضا فترة تحديد اقامة كمال الدين حسين لمدة أسابيع عام ١٩٦٥ فى فيللا بالهرم

كانت أزمة المشير عامر هى أعنف أزمة تعرضت لها الثورة منذ أزمة مارس ١٩٥٤ ، وكانت قاسية على نفس جمال عبد الناصر قسوة الهزيمة نفسها ، فقد حدث الصدام الصريح بينه وبين أقرب رجال الثورة اليه ، فى وقت كان كل شىء فيه فى شبه ضياع .

كانت حركة الاعتقالات التى شملت المشير ووزير الحربية ووزير

الداخلية السابق ومدير المخابرات وعددا من كبار ضباط القوات المسلحة ذات تأثير كبير فى المجتمع ، فقد حدث شرخ عميق فى جدار النظام كشف عن وجود أخطاء وانحرافات ، اندفع الناس الى مهاجمتها ونقدها ... وكانت المحاكمات أمام المحكمة الخاصة التى شكلت برئاسة حسين الشافعى فى يناير ١٩٦٨ مجالا لاثارة كثير من القضايا .

كانت الفكرة الأساسية لمحاولة المشير عامر الانقلابية تقوم على أساس ظهور المشير عامر فى مدرسة الصاعقة ليلة ٢٧ أغسطس أى بعد يوم واحد فقط من تحديد اقامة المشير واعتقال الضباط المتعاونين معه ، ثم تحركه من مدرسة الصاعقة الى مركز قيادة الفصاصين فى حراسة قوة مدرسة الصاعقة « ٤٠٠ فرد » .

كان المدبرون للعملية قد قرروا اشاعة ان عبد الناصر قد اعاد عامر للقوات المسلحة ، وبدا يسهل على المشير السيطرة على مركز القيادة الشرقية وتولى قيادة الجبهة العاملة تحت أوامرها ، وهى فى ذلك الوقت كانت تعتبر القوة الاساسية للجيش .

ومن هناك كان مفروضا أن يبدأ التفاوض بين عامر وعبد الناصر على أساس اعادة المشير قائدا أعلى للقوات المسلحة والافراج عن الذين استدعت ظروف الهزيمة التحقيق معهم .

أسهم فى اعداد الخطة حسب ما أظهره التحقيق شمس بدران وعباس رضوان ثم الضباط جلال هريدى قائد الصاعقة السابق ووكيله مقدم أحمد عبد الله واللواء عثمان نصار الذى ترك فرقته أثناء عمليات سيناء وعاد الى القاهرة حيث بقى فى حماية المشير ثم المقدم حسين مختار من قوات الصاعقة والعقيد طيار محمد تحسين زكى .

ولم يكن هذا التدبير موجها للاطاحة بعبد الناصر ولكنه كان موجها للضغط عليه للرضوخ ، أو تحرك المشير الى القاهرة على رأس قوة مدرعة للقيام بعملية انقلاب كاملة .

والغريب أن عامر قد أعطى لهذه العملية اسما كوديا هو (نصر) نفس الاسم الذى أطلقه الضباط الاحرار على حركتهم ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

وقد كشفت هذه العملية عن رغبة بعض الضباط فى الوصول الى السلطة فوق مأساة الشعب ، ودون تقدير سليم لجسامة الهزيمة وبشاعة الموقف .

كذلك أظهر التحقيق عدة حقائق مثيرة :

تبين مثلا ان عباس رضوان كان قد اخفى فى بلدته الحرانية بالهرم حقيبة مليئة بالنقود ... وهو حادث قد يبدو بسيطا ولكنه فى مضمونه كبير اذ يكشف اعتداء بعض رجال الثورة على أموال الدولة واستباحتهم لها ، ويكشف أيضا اتساع هذه الظاهرة بعد أن كانت خافية على الناس نتيجة للقيود التى كان يفرضها النظام على وسائل النشر ، والخوف الذى كان يبذره بالنفوس من الخوض بالحديث فى مثل هذه الامور .

وتبين كذلك حقيقة الدور الذى لعبته احدى الممثلات (برلنتى

عبد الحميد) فى حياة المشير حتى أصبحت زوجته وأما لابنه ، وهى انتى كانت على علاقة سابقة بجهاز المخابرات ، الامر الذى جعل حسين الشافعى يقــول لى أن دورها كانت تحيط به علامات استفهام خطيرة تمتــد الى خارج الحدود ٠

وتبين أيضا بشاعة الوجه القــذر لادارة المخابرات ، وهو وجه قــد يكون طبيعيا فى كافة أجهزة المخابرات فى العالم ، ولكن الجديد ان النظام نفسه هو الذى كشف عن هذا الجانب البشع ، وأعلن عن سقوط ما أسماه (دولة المخابرات) الامر الذى اثار حفيظة بعض الناس ضــد فترة من فترات النظام ٠

ولو أن هذه المحاكمة لم تسنقط ، أساليب دولة المخابرات عمليــا ، فقد تعرض بعض الضباط المعتقلين لانواع من الضبــغط والتعذيب هى فى مضمونها امتداد لاسلوب بعض أجهزة الامن ٠

وتبين أخيرا نوعا من أنواع الاستهتار الفظيع خــلال فترة القتال ، وهروب بعض كبار القادة المرتبطين شخصيا بالمشير والذين تلقوا التعليمات منه شخصيا ٠

حفلت هذه المحاكمات بصــور متعددة الجوانب لاخطــاء وانحرافات كانت كامنة فى النظام ٠٠٠ يصعب القول بأن جمال عبد الناصر كان على جهل بها ، ولكنه كان يصمت عليها ، ربما لاعتباره بأنهــا فرز طبيعى لاى نظام ، أو لانها تضع المخطئين تحت قبضته فيصبحون أكثر طواعية ٠

وقد أبرزت هذه المحاكمات جانبا سياسيا هاما ، اذ اظهرت أن بعض هؤلاء القادة المنهزمين قد تصوروا أن الحكومة الامريكية يمكن ان تلقى اليهم عجلة الانقاذ التى تنقذ حياتهم وشرفهم ، وتحول هزيمتهم الى نصر ٠٠ وانهم يمكن أن يجدوا بعد الهزيمة مبررا ينهى العلاقه مع الاتحاد السوفييتى الذى أصبح عندهم مشجبا تعلق عليه خطيئتهم ٠

وكان المشير عبد الحكيم عامر قد استقبل الســفير السوفييتى فى القيادة العامة للقوات المسلحة قبل استقالته من مناصبه العسكرية والمدنية ولم اتعرف على ما دار فى هذه المقابلة الا أن الفريق الحديدى يتصور فى كتابه (شاهد على عدوان ٦٧) انه كان فيها نوع من العتاب ٠

وقد صرح شمس بدران خلال محاكمته السرية بأنهم قد فكروا فى حل المشكلة عن طريق الاتجاه الى أمريكا ٠

ويمكن القول بأنه قد تجمع حول المشير عامر فى هذه الفترة بعض الذين لم تصــل عندهم الطهــارة الوطنية الى حد التفرقة بين الاطمــاع الشخصية والكارثة القومية ٠٠٠ الذين حاولوا استعادة السلطة عن طريق التآمر بالقوة دون اعتبار للضحايا (عشرين ألفا) الذين سقطوا نتيجة أسلوبهم المستهتر فى القيادة ٠

ويمكن القول أيضا بأن الثورة قد فصدت بعض دمهــا الفاســد ، الذى تسبب فى الهزيمة ولم يجد مع ذلك فيها رادعا يبعده عن السلطة ، او حقيقة تجسم له خطر الامبريالية الامريكية والصهيونية التوسعية .

كتبت فى روز اليوسف خلال هذه الفترة قائلا :

(الثورة التى لا تحاكم ابناءها ولا تكشف صراحة عن اخطائها ، تكتب كلمة (النهـــايه) فى مصـــــيرها . . . ولكن الثورة التى تتحمل فى شـــجاعة مسئولية كشف انحرافات واخطاء أبنائها انما تكتب كلمة (البداية) فى انطلاقة جديدة تؤكد استمرارها .

كانت ازمة المشير ومحاكمة الضباط رفضا للهزيمة . . . ورفضـــا للدعوة التى ثارت بين المتسببين الرئيسيين فى الهـــزيمة من محـــاولة للارتداد نحو أمريكا فيما يشبه الاستسلام وقبول الامر الواقع .

اطاحت محاكمة مجموعة المشـــير باحتمال نجاح محاولة انقـــلاب عســـكرى ، وبوضع نهـــاية لاتجاه استسلامى كان يثور فى صـــدور المجموعة المنهزمة .

وكانت المحاكمة ادانة لهذا الاتجاه الاستسلامى الـــذى أوقع مصر فى الهزيمة . وفكر فى الخلاص منها عن طريق انقلاب يمهد الطـريق لعودة النفوذ الامريكى للمنطقة .

وكانت فى مضـــمونها اصرارا عـــلى رفض الهـــزيمة واســـتمرار النضـــال .

مؤتمر الخرطوم

لم يكن رفض الهزيمه مصريا فقط . . ولكنه كان عربيـــا .

كانت الهزيمة عارا لحق بالعرب جميعـــا دون استثناء . . ولكن ردود الفعل وتأثير الصدمة كان متباينا بين دولة واخرى . . ولاشـــك أن جمـــال عبد الناصر كان اكثر الزعمـــاء تأثرا بما حـــدث ، واكثر الجميع شـــعورا بالمسئولية فى مواجهة المستقبل .

ورغم الجدية التى واجه بها النظام المصرى الموقف ، وبدء عملية اعادة بناء القوات المسلحة ، فان الامور كانت قد تشابكت بحيث لم يعد من الممكـــن ان يكون هناك حل مصرى او حل سورى او حل اردنى للمشكلة .

لم يعد هناك من سبيل سوى (حل عربى)للمشكلة . . واجتمع وزراء الخارجية العرب فى الكويت يوم ١٧ يونيو ولكن اجتماعهم انفض بلا قـــرارات ليلحقوا اجتماع الامم المتحدة .

وكان بومدين قد أمضى فى القاهرة بعد الهزيمه عدة ايام سافر قبلها الى موسكو حيث قابل الزعماء السوفييت وشعر أنهم مجروحون من هزيمة العرب حيث سلمت معظم اســـلحتهم الى اسرائيل بلا قتـــال ، وسقط حلفاؤهم فى حفرة الهزيمة بلا مقاومة .

وفى يوم ١٢ يوليو اجتمع فى القاهرة هوارى بومدين وعبدالرحمن عارف واسماعيل الازهرى ثم انضم اليهم نور الدين الاتاسى فى اليوم التالى وأرسل محمد احمد محجوب رئيس وزراء الســـودان الذى كان يشارك فى اجتماعات الامم المتحدة التى تحاول الوصـــول الى قرار . . ارســـل برقية يطلب فيها امتداد مؤتمر القمة المحدودلحين عودته .

وصل محجوب الى القاهرة يوم ١٦ يوليو وعرض على الزعماء العرب فكرته فى ضرورة عقد مؤتمر قمة عربى حيث يمكن للدول العربية ان تحشد جهودها وامكانياتها السياسيةو العسكرية والاقتصادية فيعمل موحد مشترك.

ورغبة من الزعماء العرب فى معرفة مدى مايمكن ان يقدمه السوفييت تقرر ارسال هوارى بومدين وعبد الرحمن عارف الى موسكو وسافر الاثنان بغرض شرح الموقف العربى للزعماء السوفييت وتقديم الشكر لهم على مساعداتهم ثم معرفة المدى الذى يمكن للسوفييت والدول الاشتراكية تقديمه للنضال العربى من مساعدات فى التسليح والخبراء والمتطوعين .

سافر بومدين وعارف يوم ١٧ يوليو وعادا فى مساء اليوم التالى ، ويقول محمد احمد محجوب فى كتابه (محاكمة الديمقراطية) ان بومدين قدم لهم تقريرا ملخصه ان المؤتمر الثانى لزعماء الدول الاشتراكية الذى عقد فى بودابست قد اتخذ قرارا بتأييد مبدأ الحل السلمى للصراع . والعمل من اجل التعايش السلمى بين الدول والسلام العالمى .

ولذاكان الاتحاد السوفييتى حريصا على صدور قرار من الامم المتحدة فى دورتها الطارئه .

كما كرر الاتحاد السوفييتى للرئيس بومدين وعده بامداد الدول العربية بالاسلحة تعويضا عن خسائرها .. ويقول محجوب ان زيارة الاتحاد السوفييتى قد تركت عند الرئيسين العربيين انطباعا بأن للسوفييت تحفظات على امكانية العمل العسكرى ، ولو ان هذا الموضوع لم تكن له عندهم اهمية عاجلة لانهم كانوا يعتقدون انه لايمكن استئناف القتال قبل سنتين او ثلاث سنوات .

ويقول محمد احمد محجوب ان هذه الزيارة قد أكدت التصور بأن الحل العسكرى فى الوقت الحاضر كان بعيدا عن الموضوع وان الحل الدبلوماسى كان مستحيلا فى حدود مادار فى الامم المتحدة ، وانه لم يتبق من طريق مفتوح الا الحل السلمى الذىقد يقود فى النهاية الى صدامعسكرى أو سلام عادل .

وأثمر مؤتمر القمة المحدود قرارا بالدعوة لمؤتمر قمة عربى ، ويقول ناتنج ان الملك حسين ايضا كان قد بادر بالدعوة لهذا المؤتمر .

وقع الاختيار على الخرطوم لتكون مقرا لانعقاد مؤتمر القمة لانها كانت متبولة من قادة جميع الانظمة العربية .. وقد اجتمع فيها وزراء الخارجية فى اول أغسطس وصدرت عنهم توصيات تطالب بتنقية الجو العربى ،ووضع مسئولية العدوان وتحرير الارض على عاتق كل العرب ، مع اعتبار المشكلة الفلسطينية قضية رئيسية ودعوة وزراء البترول والمالية العرب للاجتماع فى بغداد يوم ١٥ اغسطس ؛ وعدم ضخ البترول لامريكا وانجلترا فى حدود قرارات مؤتمر البترول العربى ، والعمل على تصفية كافة القواعد الاجنبية فى الدول العربية بأسرع وقت ممكن .

• وقد اجتمع وزراء المالية والاقتصاد والبترول العرب من ١٣ دولة ومشيخة ضمت قطر والبحرين وأبوظبى وقدموا قائمة منالاسلحة الاقتصادية التى يمكن استخدامها فى حدود استراتيجية عربية شاملة .

وكان الرأى العام العربى فى ذلك الوقت قد اجتاحته موجة المطالبة بوقف ضخ البترول للدول الامبريالية .

وقد اتخذ الوزراء العرب فى مؤتمرهم ببغداد توصيات تقضى بوقف الضخ مع مراعاة الاحوال والظروف الاقتصادية لدول البترول . وتقدير ردود الفعل السياسية والاقتصادية التى قد تنجم عن ذلك فى العالم كله ٠٠وكان هذا دليلا على الحذر وعدم الاتفاق الكامل .

وأصدر المؤتمر توصيات أخرى بسحب الارصدة العربية من منطقة الدولار والاسترلينى ، وتخفيض الاستثمارات العربية فى هاتين المنطقتين حتى لاتتسرب الاموال العربية الى هذه الاسواق ٠٠ ونقل احتياطى الذهب العربى من انجلترا وامريكا الى بلاد اخرى . وتوجيه الاستثمارات الحكومية العربية الى الاسواق العربية ماامكن ٠٠ وتكوين احتياطى نقدى مركزى من العملة الصعبة للدول العربية .

درست هذه التوصيات بوساطة وزراء الخارجية العرب فى الخرطوم يوم ٢٦ اغسطس ، ورفعت الى الملوك والرؤساء الذين اجتمعوا يوم ٢٩اغسطس.

سافر جمال عبد الناصر الى الخرطوم بعد ان كان قد حدد اقامة المشير عبد الحكيم عامر ووضع الضباط المتآمرين فى السجون للتحقيق .

وكانت هذه هى المرة الاولى التى يلتقى فيها عبد الناصر خارج مصر مع جماهير الامة العربية ، وهو يحمل على كتفيه مسئولية الهزيمة والتحرير معا ٠٠ كما انها كانت المرة الاولى التى يلتقى فيها مع الملك فيصل وهو جريح بعد الهزيمة .

كان موقفا صعبا امام عبد الناصر ٠٠ وكان مؤتمر القمة يواجه أخطر مشاكل تعرضت لها الامة العربية .

ولكن استقبال جمال عبد الناصر كان مظهرا رائعا من مظاهر الوفاء والتقدير السياسى السليم عند شعب السودان ، فقد احتشدت له الجماهير من المطار الى فندق السودان حيث نزل الرؤساء والملوك ٠٠ ولعب الحزب الشيوعى السودانى وقائده الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب دورارئيسيا فى هذا الاستقبال الرائع .

قال لى الشهيد عبد الخالق محجوب ، وكنت قد ذهبت الى الخرطوم لحضور المؤتمر عندما كنت رئيسا لتحرير روزاليوسف ٠٠ قال ان الحزب الشيوعى قد قرر ان يكون استقبال عبد الناصر ، استفتاء ثانيا على بقائه فى موقعه قائدا من ابرز قادة التحرير الوطنى ، وان بعض كادر الحزب كان مسلحا ومستعدا لحمايته من اية مؤامرات .

عندما وصل جمال عبد الناصر الى المطار كان فى استقباله اسماعيل الازهرى رئيس الدولة ومحمد احمد محجوب رئيس الوزراء ٠٠ وكان مفروضا أن تصل طائرة الملك فيصل بعد نصف ساعة وحاول الزعيمان السودانيان تعطيل عبد الناصر فى المطار ليلتقى مع فيصل ٠٠ حتى يصبح الاستقبال الشعبى من نصيب الملك والرئيس معا .

ولكن موكب جمال عبد الناصر تحرك وفى رفقته محمد احمد محجوب، والتهبت مشاعر الجماهير ، وانتعشت نفسية جمال عبد الناصر ، وعادت

الابتسامة الى شفتيه وهو يلوح لعشرات الالوف الذين احتشدوا في الشوارع والشرفات وفوق الاسطح .

وما كاد موكب جمال عبد الناصر يمر حتى كانت الجماهير تنفض وتخلو الشوارع لينفرد وحده بالاستقبال الرائع .. وعندما تبعه فيصل مع الازهرى لم يكن هناك الا جماهير قليلة متناثرة .

انعقد المؤتمر في قاعة البرلمان السوداني ، والجماهير تتوقع قرارات وقف ضخ البترول .. وموقف الدول العربية تجاه الازمة غير موحد .سوريا قاطعت المؤتمر ومع ذلك بقي وزير الخارجية ابراهيم ماخوس يتابع جلسات المؤتمر من السفارة السورية او شرفة الجراند أوتيل .. والعراق والجزائر ومنظمة التحرير التي يمثلها احمد الشقيرى تنتقد موقف مصر وتعارضها لتبولها وقف اطلاق النار .. وتطالب بسحب الارصدة العربية ومقدارها ٤٠٠٠ مليون جنيه من البنوك البريطانية مع اصرارهم على وقف الضخ .

وكانت حرب اليمن تفرض نفسها على المؤتمر ايضا فلم يكن القتال قد توقف بعد ، وكان هناك ٧٠٫٠٠٠ جندى مصرى مازالوا يحتلون مواقعهم هناك .

حضر من الرؤساء والملوك العرب .. جمال عبد الناصر والملك حسين والملك فيصل واسماعيل الازهرى وعبد الرحمن عارف وعبدالله السلال والامير صباح السالم الصباح وشارل حلو .

وحضر الامير حسن الرضا مندوبا عن ملك ليبيا ادريس ، والباهى الادغم وزير خارجية تونس ممثلا لبورقيبه . وعبد العزيز بوتفليقة وزير خارجية الجزائر ممثلا لهوارى بومدين ، والدكتور محمد بن هيمه رئيس وزراء المغرب ممثلا للملك الحسن .

جميع رؤساء وملوك المغرب العربى تخلفوا عن الحضور . بينما حضر جميع رؤساء وملوك المشرق العربى عدا نور الدين الاتاسى لمقاطعة سوريا للمؤتمر بناء على قرار من دمشق ، كما صارح الاتاسى محمد احمد محجوب بذلك عند زيارته لدمشق فى جولته التمهيدية لعقد المؤتمر والتى أقنع فيها الملك فيصل بضرورة الحضور .

لعب محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان دورا ديبلوماسيا ناجحا مهد به الطريق لعقد المؤتمر ، وعاد من الولايات المتحدة يحمل افكارا جديدة بعيدة عن الاجراءات التى قد تكسب تأييدا شعبيا . ولكنها تتسبب فى ردود فعل غير محسوبة الى جانب ماقد تحدثه من تمزق فى الصف العربى .

ولذا تغاضى المؤتمر عن فكرة وقف ضخ البترول وسحب الارصدة من البنوك الامريكية والبريطانية ، حرصا على تأييد الدول البترولية وعدم وضعها فى مأزق اقتصادى وسياسى لا تتحمله انظمتها ، حيث تبين ان الدول العربية كانت تملك فى ذلك الوقت احتياطيا كافيا من البترول لمدة أكثر من ٣ شهور . وان الارصدة العربية لم تكن تشكل نسبة كبيرة من الدخل القومى لانجلترا

واتجه المؤتمر وجهة جديدة عندما اعتبر البترول رصيدا للاحتياجات العربية لتعويض خسائر العدوان ، والاستعداد لمعارك التحرير حيث قال زعماء الدول البترولية أنكم تطلبون منا العون بالمال ، ويطلب البعض منكم اغلاق مصدر هذه الاموال .

حدث تراجع عن وقف ضخ البترول بعد ان كان مؤتمر وزراء المال والاقتصاد والبترول العرب قد اوصي بامكانية استخدام وقف ضخ البترول كسلاح فى المعركة ، ولكن مؤتمر القمة رأى بعد دراسة الامر مليا — كما نشرت الاهرام — انه يمكن أن يستخدم كسلاح ايجابى باعتبار البترول طاقة عربية يمكن ان توجه لدعم اقتصاد الدول العربية التى تأثرت مباشرة بالعدوان ولتمكينها من الصمود فى المعركة .

وبعد مناقشات محدودة تم الاتفاق على ماتدفعه الدول البترولية لمصر والأردن من تعويضات .. وكان جمال عبد الناصر قد قدر خسائر مصر من اغلاق قناة السويس ووقف السياحة بما يوازى ١١٠ ملايين جنيه . وقدر الملك حسين احتياجات الاردن بمبلغ ٤٠ مليونا .

واستقر الرأى بموافقة الملك فيصل على دفع السعوديه ٥٠ مليون جنيه سنويا والكويت ٥٥ مليون جنيه وليبيا ٣٥ مليون جنيه ، توزع على آساس ٩٥ مليونا لمصر و ٤٠ مليونا للاردن .

وانتقل المؤتمر لمناقشة القضايا السياسية ، واستقر الرأى بناء على اقتراح عبد الناصر بأن يعطى الملك حسين حرية الاتصال لحل مشكلة الاردن .. وتدخل احمد الشقيرى متحدثا عن مستقبل غزة والضفه الغربية ، ولكن الموقف لم يكن يحتمل اثارة خلاف حول أرض سقطت تحت احتلال العدو .

واتفق المؤتمر على قرارات تعتبر من ناحية الشكل والمضمون رفضا للهزيمة فهى تنص على ..

لا صلح مع اسرائيل ..
ولا اعتراف باسرائيل .
ولا مفاوضة مع اسرائيل .
والاصرار على اعادة حقوق شعب فلسطين فى أرضه ..

صرح لى محمود رياض وزير الخارجية فى ذلك الوقت بأنه يعتبر أن هذا المؤتمر الرابع للقمة كان انجح مؤتمر قمة عربى ، يصدر قرارات ايجابية محددة .

ولكن قرارات مؤتمر الخرطوم لم تتحول الى قيود تقيد حركة الدول العربية فى سعيها لتحرير الارض بوسائل سياسية مصحوبة باستعدادات عسكرية .

قرار مجلس الامن

كان مؤتمر الخرطوم قد انعقد بعد دعوة الاتحاد السوفييتى لدورة طارئة للامم المتحدة ، بعد ان تبين استحالة صدور قرار من مجلس الامن

بادانة اسرائيل وفرض الانسحاب الى حدود ٤ يونيو .

حضر الدورة الطارئة اليكسى كوسيجين رئيس وزراء الاتحادالسوفيتي كما حضرها من حكام العرب الملك حسين ونور الدين الاتاسى .

وقد التقى حسين والاتاسى يوم ٢ يوليو فى مقر السفير الجزائرى لدى الامم المتحدة بحضور محمد احمد محجوب رئيس وزراء السودان الذى اعد للاجتماع بمبادرته الخاصة ، وعبد العزيز بوتفليقة وزير خارجية الجزائر وابراهيم ماخوس وزير خارجية سوريا

كان هذا اول اجتماع يعقد بين الحاكمين بعد اتهامات متبادلة استمرت حتى يوم العدوان الاسرائيلى .

وكان أبا ايبان قد أعلن رفض اسرائيل أمام مجلس الامن الحديث فى موضوع الانسحاب مالم تعترف الدول العربية بها وتقر مبدأ الصلح معها .

ولم يكن الموقف فى مجلس الامن مثلما كان عام ١٩٥٦ فقد وقفت أمريكا بوضوح وصراحة خلف الموقف الاسرائيلى ولم يكن هناك أى انقسام فى صفوف الدول الغربية نحو تأييد اسرائيل سوى فرنسا لان ديجول اتخذ موقف الادانة للبادىء بالعدوان ، وأسبانيا لعلاقاتها التقليدية مع الدول العربية ، وعدم وجود تمثيل ديبلوماسى بينها وبين اسرائيل .

ولذا فانه عندما قدم اليكسى كوسيجين مشروع قراره الذى يدين العدوان الاسرائيلى ويطالب بالانسحاب الفورى لقواتها ، اسرعت حكومة الولايات المتحدة بتقديم مشروع قرار آخر يقضى بحل المشكلة عن طريق المفاوضات المباشرة بين العرب واسرائيل بمساعدة وسيط مقبول من الطرفين، بعد اعترافهم بها وبحقها فى الوجود داخل حدود معترف بها مع السماح لبواخرها بالمرور فى قناة السويس ومضيق العقبة .

ولم يحصل أى من القرار السوفييتى او الامريكى على ثلثى الاصوات المطلوبة لاقراره .. ومحاولة للخروج من الازمة تقدمت دول عدم الانحياز بمشروع قرار يقضى بانسحاب القوات الاسرائيلية مع اعطاء مجلس الامن حق بحث بجذور المشكلة السياسية والقانونية والانسانية بناء على مواثيق الامم المتحدة مع عدم اعتبار ذلك شرطا مسبقا يحول دون الانسحاب .

وفى مواجهة مشروع دول عدم الانحياز قدمت دول أمريكا اللاتينية الخاضعة للنفوذ الامريكى مشروعا مغلف العبارات يقضى بالانسحاب المشروط بانهاء الاعمال العدوانية والعمل من أجل التعايش السلمى وعلاقات الجوار الودية .

وكما لم ينجح المشروع السوفيتى او الامريكى ، لم ينجح ايضا مشروع دول عدم الانحياز ، او مشروع دول أمريكا اللاتينية فى الحصول على ثلثى الاصوات .

ولم يصدر عن الامم المتحدة سوى قرارات مرعية بضرورة معاملة مساجين وأسرى الحرب معاملة انسانية وبعدم شرعية اجراءات اسرائيل وتدابيرها فى المناداة بالقدس مدينة اسرائيلية موحدة .

ولم تنهج الدول الافريقية المتحدثة بالفرنسية نهج فرنسا فى تاييدالعرب ،

كما أن الدول الافريقية الاخرى تنوعت مواقفها تبعا لدرجة ولائها للولايات المتحدة . أما الدول الاسلامية مثل تركيا وأفغانستان وباكستان واندونيسيا وايران فقد وقفت مع العرب لاعتبارهم المشكلة الفلسطينية من الاشاكل الاسلامية .

وعندما لم تصل الامم المتحدة الى قرار ، أعادت القضية مرة أخرى الى مجلس الامن .

كاد الموقف يتجمد .. وقرارات مؤتمر الخرطوم التى صدرت بعد ذلك ألقت التزاما وقيدا جديدا على الدول العربية

ومع ذلك فقد وصلت الامور فى شهر نوفمبر بعد اتصالات مركزة ومتعددة بين مندوبى الدول فى مجلس الامن والدول العربيه الى مشروع قرار أعده مندوب بريطانيا فى المجلس لورد كارادون .

صدر القرار ٢٤٢ يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ لينهى مرحلة طويلة من المناقشات امتدت ما يقرب من ستة شهور .

حاول محمود رياض وزير الخارجية ان يكون القرار اكثر تحديدا فيما يتعلق بالحدود ، ولكن المندوب الامريكى (أرثر جولدبرج) كان صريحا فى رفضه اضافة أى كلمات تلغى حق اسرائيل فى تغيير الحدود بما يتناسب مع أمنها وقال أن حكومة اسرائيل قد وافقت على صيغة القرار على ما هى عليه ، وأن جونسون يعد بان تكون التعديلات فى أضيق الحدود .

وافقت مصر والاردن على قرار مجلس الامن ٢٤٢ وسط معارضة ورفض من جانب سوريا والعراق والجزائر والسودان .

واختار يوثانت سكرتير الامم المتحدة جونار يارنج سفير السويد فى موسكو مندوبا له للتفاوض مع مصر والاردن واسرائيل للوصول الى تسوية مقبولة من كافة الاطراف .

وخلال الفترة التى دارت فيها مناقشات الامم المتحدة لم يكن الموقف متجمدا على شاطىء القناة .

كان السوفييت قد اسهموا بقدر كبير فى اعادة تنظيم القوات المسلحة وقام الفريق أول محمد فوزى ومجموعة القيادات الجديدة بمجهود رائع فى تماسك الجيش ووحدته ، وخاصة بعد التغلب على المشاكل الداخلية بعد تحديد اقامة المشير عامر والمتعاونين معه .

كانت المدفعية قد بدأت تتبادل القذائف على شاطىء القناة .. واغرقت قوارب الطوربيد المصرية المدرعة الاسرائيلية ايلات فى مياه البحر الابيض المتوسط يوم ٢٥ أكتوبر ٦٧ وانتقم الاسرائيليون بضرب معامل التكرير ومصانع السويس .

ورغم وجود جونار يارنج فى المنطقة متخذا من قبرص مركز رئاسة له .. ورغم حركته المستمرة بين العواصم الثلاث .. فانه لم يوفق فى الوصول الى تسوية مقبولة .. ولم يوفق فى منع الاسرائيليين من الاعتراض على محاولة مصر انقاذ البواخر الخمس عشرة المحتجزة فى قناة السويس بعد غلقها كما حدث عام ١٩٥٦ .. كما لم يوفق فى منع بعض المصادمات التى

وقعت بين القوات الاردنية والاسرائيلية التى بدأت تنفذ خطة اقامة مستعمرات ناحال فى الضفة الغربية ، وتحويل القدس الى مدينة اسرائيلية .

وبدأت جهود يارنج تتضاءل وتنحسر امام رفض الحكومة الاسرائيلية الاجابة على أسئلته والتمسك بمفاوضات مباشرة مع العرب ، واعلانهم التشبث بمعظم الارض المحتلة ضمانا للحدود الآمنة .

وبعد صدور قرار مجلس الامن لم يتوقف القتال أيضا .. فقد بدأت المرحلة التى أطلق عليها جمال عبد الناصر اسم (مرحلة الصمود) ثم أعقبتها (مرحلة الردع) أى الاشتباك المتصل مع القوات الاسرائيلية عبر القناة .

كانت مصر قد قبلت قرار مجلس الامن ولكنها لم تتوقف مطلقا عن الاشتباك المسلح .. بينما كانت الدول التى رفضت القرار بعيدة عمليا عن ميدان المعركة .

لم يكن قبول قرار مجلس الامن استسلاما ولا تنازلا عن تحرير الارض . ولكنه كان محورا من محاور التقدم فى مجال الحل السلمى . .. وكان مضمون الاشتباك المسلح مع قبول القرار هو رفض للهزيمة بكل المقاييس .

رفض الطلبة

كسرت الهزيمة حاجز الخوف عند الناس . وشعر المواطنون امام جسامة الموقف . ان الصمت عار .

وانطلقت موجات النقد تكشف العيوب المستترة فى أجهزة الحكم . وتلقى الضوء على الانحرافات هنا وهناك .

والتمس جمال عبد الناصر العذر للناس .. قال لشعراوى جمعة بعد خطبته امام مجلس الامة عند افتتاح دورته الجديدة (ارجو ان تهدى هذه الخطبة نفوس الناس ولو شهرا واحدا) .

كان الناس ينتظرون خطب جمال عبد الناصر فهو الوحيد الذى يتوفر له رصيد فى قلوبهم .. ورغم انه لم يحقق التغيير الذى طالبوا به الا انهم لم يفقدوا الأمل فيه أبدا .

وكان الشباب هو أكثر الفئات غليانا بحكم طبيعته ورفضه للهزيمة وحرصه على تحرير الارض واقامة مجتمع جديد .

ولم تكن مصر قد شهدت مظاهرات للطلبة منذ عام ١٩٥٤ أثناء أزمة مارس وخلال المطالبة بالحياة الديموقراطية .. فقد تصدت لها الشرطة العسكرية واعتقل بعض الطلبة . وصفيت حركتهم .

وتقرر عزل الطلبة عن الحركة السياسية ، ووضع كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم فى ذلك الوقت خطته التى تقضى بان تكون الدراسة فى الجامعة خلال العام الواحد على فترتين وامتحانين .. كما فصل عددا من اساتذة الجامعة التقدميين المستنيرين مثل الدكاترة لويس عوض وسعد عصفور

وعبدالمنعم حرفوش وفوزى منصور وعبدالمنعم الشرقاوى وأمين بدر ومحمود أمين العالم ، ونقل بعض الاساتذة من الاسكندريه الى القاهرة مثل الدكاترة اسماعيل غانم واسماعيل صبرى عبد الله ٠

وأصدر كمال الدين حسين قرارا يقضى بأن يكون نصف أعضاء اتحاد الطلبة من هيئة التدريس والنصف الاخر من الطلبة وتقيدهم جميعا تشريعات ولوائح تجعل من الاتحادات تنظيمات صورية تابعة لمكاتب الطلاب التى أنشئت فى هيئة التحرير ثم الاتحاد القومى ٠

ولاشك ان الانتصارات الوطنية لثورة يوليو قد أثرت على موقف الطلبة ودفعت بهم الى تأييدها والركون الى الهدوء لسنوات طويلة .

ومع ذلك ظل تشكيل الاتحادات الطلابية بالتعيين حتى عام ١٩٥٩ الذى صدر فيه قرار بقانون فى اول ابريل بفصل عدد من أساتذة الجامعة مثل الدكتور فؤاد مرسي والدكتور عبد العظيم أنيس ، وذلك بعد اعتقال الشيوعيين ٠٠ وبعد ذلك ظهرت لائحه جديدة تبيح حق الانتخاب وتقصر نشاط الاتحادات على الاعمال الترفيهية مع حجب أى نشاط سياسى أو ثقافى ٠

وفى عام ١٩٦٣ بدأ تشكيل منظمة الشباب تحت اشراف زكريا محيى الدين الذى بدأ باعداد معسكرات فى حلوان ومرسى مطروح كان يساعده فيها الدكتور محمد الخفيف وغيره من المثقفين ٠

وظهر تناقض بين المنظمة التى وضعت تحت اشراف امين عام الاتحاد الاشتراكى على صبرى ، بعد أن عين الدكتور حسين كمال بهاء الدين أمينا عاما لها بعد أن كان معنا عضوا فى أمانة طليعة الاشتراكيين .

ظهر تناقض بين نشاط المنظمة ونشاط الاتحادات التى كانت تحاول ان تنهج نهجا خاصا بها ، واذكر خلال هذه الفترة ان عددا من الاتحادات كان يدعو كمال رفعت أمين الدعوة والفكر لعقد ندوات فى وقت كان الخلاف فيه واضحا بينه وبين على صبرى .

وقد أصدر على صبرى قرارا بفض المؤتمر السادس لاتحاد طلاب الجمهورية الذى عقد خلال عام ١٩٦٥ ٠٠ ومنذ ذلك الوقت لم يتم اى انتخاب لاتحاد طلبة الجمهورية ٠

ويذكر ان بعض الطلبة المنتمين للمنظمة قد اذاعوا تسجيلات مسيئة ضد طالب مرشح اسمه أحمد سامى عليوة ، فتجمع الطلبة حوله وأصروا على انتخابه كنوع من أنواع الرفض لأسلوب التدخل ٠٠ وكان هذا سببا من أسباب فرض الهيئة التى شكلت لادارة المؤتمر السادس واعتبارها لجنة تنفيذية لاتحاد طلاب الجمهورية .

توقفت انتخابات الاتحادات عند حدود الجامعات فقط ، ولم يجر انتخاب لاتحاد طلبة الجمهورية حتى عام ١٩٦٨ .

لم تغير الهزيمة العسكرية من موقف الثورة ازاء الطلبة ٠٠٠ ظلت محاولات التدخل والحصار مستمرة ٠٠ ولم يعد ذلك أمرا مقبولا من الشباب الذى مزقت الهزيمة نفسيته وآماله وطموحه ٠

وانتشرت في مصر لاول مرة ظاهرة هجرة الشباب الى الخارج ٠٠دفع اليأس بعضهم الى مغادرة الوطن .. ودفع الجمود عن التغيير بعضهم الآخر .

وكان جمال عبد الناصر مدركا لمشاعر الشباب راغبا في تقديم كل ما يعيد الاستقرار والامل الى نفوسهم .

عين احمد كامل امينا عاما لمنظمة الشباب ، بعد ان اثبت نجاحا جماهيريا أثناء عمله محافظا لاسيوط .. وهو من الضباط الاحرار التقدميين الذين لم تلوثهم الاطماع المادية او التطلعات الذاتية .

ويقول أحمد كامل ان جمال عبد الناصر قد أطلق حريته في عمل كل مايعتقد انه لمصلحة الشباب ، وشجعه على توطيد العلاقات مع منظمات الشباب في الدول الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفيتي للاستفادة من خبرات تعبئة الشباب هناك .

ولم يتردد جمال عبد الناصر في الموافقة على كل مايوطد هذه العلاقة ولكن على صبرى اعترض على ارسال بعثات من الشباب للتدريب والعمل هناك ، بناء على الاتفاقية التى وقعها احمد كامل وبافلوف سكرتير عام الكومسومول .

لم يقبل احمد كامل هدا الاعتراض وطلب رفع الامر الى جمال عبد الناصر الذى رجح راى احمد كامل .

كانت منظمة الشباب قد بدأت تأخذ اتجاها جديدا اكثر تقدمية وديموقراطية من الفترة التى قادها فيها دكتور حسين كامل بهاء الدين تحت اشراف على صبرى ، رغم عدم الانتقاص من اهمية هذه الفترة التى جذبت الشباب الى ميدان السياسة واثارت اهتماماتهم بعد غيبة طويلة عن هذا الميدان .

ولم يكن على صبرى –على حد تعبير احمد كامل– متحمسا لهذا الاتجاه أو مشجعا له

وقبل ان تبدأ منظمة الشباب في الوصول الى القاعدة الطلابية في الجامعات بأسلوب ديموقراطى سليم ٠٠ سبقتها الاحداث .

كانت المنظمة من جهة وجماهير الطلبة من جهة أخرى في سباق مع الزمن .. المنظمة تحاول استيعاب كافة الشباب ، والاحداث تفجر هذه الطاقة في اتجاه غير محسوب .

وحدث اكبر تحرك طلابى فى ٢٠ فبراير ١٩٦٨ أثناء محاكمات حسين الشافعى للمشتركين فى مؤامرة الحادى عشر امتدادا لتحرك عمال حلوان احتجاجا على الاحكام التى صدرت ضد قادة القوات الجوية ، واعتبرها الناس أحكاما بسيطة لاتتناسب مع بشاعة الجريمة وضخامة المسئولية .

واقترنت مظاهرات الطلبة ايضا بمحاكمات مؤامرة المشير .

اجتمع الطلبة فى مؤتمر عقد فى كلية الآداب بمدرج ٧٨ وضم ممثلين عن مختلف الكليات لوضع وثيقة طلابية تعبر عن رأى الطلاب بالنسبة لاوضاع مابعد الهزيمة أو (النكسة) على حد التعبير الذى انتشر فى ذلك الوقت .

طالب الطلاب بالديمقراطية وضرورة التغيير الشامل ومحاسبة الذين اطلقوا الرصاص على عمال حلوان الذين استمروا فى تظاهرهم ، والافراج عن المعتقلين منهم .. وانتخبوا من بينهم لجنة تمثلهم وتعبر عن ارادتهم .

تم اعتقال بعض اعضاء اللجنة عقب مقابلة ساخنة مع الدكتور لبيب شقير وزير التعليم العالى فى قاعة اجتماعات جامعه القاهرة ، حيث رفض الطلاب تسليم مطالبهم على اعتبار انهم كلفوا من المؤتمر بتسليم الوثيقة لجمال عبد الناصر شخصيا .

أذكر ان ابنى علاء كان عضوا منتخبا فى هذه اللجنة ، وعندما علمت ان مطلبهم الرئيسى هو مقابلة جمال عبد الناصر ، اتصلت بسامى شرف وكان فى ذلك الوقت مازال زميلا لى فى امانة طليعة الاشتراكيين ، وطلبت منه ان يحمل رأى الطلاب الى عبد الناصر ، راجيا ان يتيح لهم فرصة مقابلته ..

اتصل بى سامى شرف بعد ذلك طالبا منى مقابلته فى مكتب على صبرى فى مبنى الاتحاد الاشتراكى حيث كان موجودا مع على صبرى وشعراوى جمعة .. وكانت الساعة تشير الى الثامنة مساء .

كان شعراوى يؤكد انه لم يصدر أمرا باطلاق الرصاص ، وكان على صبرى هادئا صامتا لا أعرف ما يدور فى صدره ، بينما كان سامى شرف صاخبا يوزع الاتهامات (كالعادة) على الاخوان المسلمين والشيوعيين .

ناقشت الامر مع على صبرى وأوضحت له أهمية تحركه السريع الى مقابلة اللجنة التى تمثل الطلبة تفاديا لما يمكن ان يحدث من صدام . . . ولكنه لم يكن مستعدا للذهاب الى الجامعة ، فهو بطبيعته الخاصة رجل غير جماهيرى ، يصعب عليه مواجهة الرأى المعارض .

وذهلت من هذا الموقف السلبى ، وعجبت من هذا الاسلوب الذى لايحسن تقدير الموقف .. ولم أتردد فى اعلان خلافى معه فى وجهة نظره.

وصارحت شعراوى جمعة بعد خروج على صبرى بأن الامور لا يجوز أن تؤخذ بمثل هذه البساطة ، وأن التوزيع التقليدى للاتهامات على الشيوعيين والاخوان لايمكن ان يكون تعبيرا ناضجا عن حقيقة موقف شباب متحمس فى مواجهة هزيمة مرة ، وجمود عن التغيير ، واطلاق رصاص على العمال.

ولكن شعراوى لم يكن يملك فرض رأيه على الآخرين .

وذهب الدكتور لبيب شقير لمقابلة الطلبة فى محاولة لاقناعهم ، ولكن محاولته لم تنجح وأصر الطلبة على موقفهم .

وفى صباح اليوم التالى استمرت المظاهرات الطلابية والعمالية وخرج الطلبة من الجامعة متدفقين الى الشوارع وهتافاتهم تطالب بالتغيير والديموقراطية ومحاسبة المسئولين .. وفى آخر اليوم هتف البعض لأول مرة هتافات معادية .

وقد تجاوبت بعض الهيئات مع الطلبة وأصدر مجلس نقابة الصحفيين الذى كان يرأسه فى ذلك الوقت احمد بهاء الدين بيانا فيه تأييد للطلبة مع الحرص والتعقل .

واستقبل أنور السادات رئيس مجلس الامة بعض اعضاء لجنة الطلبة الذين احتشدوا مع المظاهرات حول المجلس ٠٠ ولكن المظاهرات لم تتوقف، واتجه بعضها الى الاهرام ٠٠ الهتافات معادية ولكن الحرص على النظام والأمن شديد ٠

وفي المساء تمت حملة اعتقالات واسعة شملت عددا من أعضاء اللجنة والنهب الطلبة وتضاعفت المظاهرات ٠٠ واعتصم طلبة هندسة القاهرة فى كليتهم ٠

ومرة أخرى التقى انور السادات مع الطلبة فى قاعة مجلس الشيوخ وحضر اللقاء شعراوى جمعة وأمين هويدى ومحمد فايق من الوزراء ٠ودارت مناقشة حرة طويلة . اوضح فيها أنور السادات حقيقة ماتم من اجراءات لاعادة بناء القوات المسلحة . والاستعداد لتحرير الارض المحتلة .

ثم الافراج عن الطلبه المعتقلين بعد هذا اللقاء . وأغلقت الجامعةأبوابها وانفضت المظاهرات مؤقتا ، بعد ان هزت كثيرا من استقرار النظام ، وأعادت للحياة الدور السياسى للطلبه بعد غياب امتد مايقرب من ١٤ عاما .

وكان طبيعيا ان يحاول جمال عبد الناصر استرداد مظهر قوته بعد هذه الاحداث ٠٠ فقرر ان يذهب الى حلوان ٠ ٠ المنطقة التى انطلقت منها المظاهرات ليلقى خطابا على عمال المنطقة .. وقد سبق ذهابه اليهم توزيع الارباح ومحاولات سياسية لتصفية الموقف واجتذاب العاملين .

ولم تكن هذه الخطبة هى نهاية للموقف الذى فجرته مظاهرات الطلبة ، ولكنها كانت بداية مرحلة جديدة ، أجبرت عليها قيادة الثورة بعد ان واجهت رفض الطلبة للهزيمة ، ونفاد صبرهم .

الفصل الثاني

المقاومة

ما أخذ بالقوة ·· لا يسترد بغير القوة)

جمال عبد الناصر

استقر الوضع في مصر على رفض الهزيمة ·· وركز جمال عبدالناصر كل طاقته وجهده على بناء القوات المسلحة واستعادة قدرتها القتالية .

ولكن المقاومة لم تعد مصرية فقط ·· اصبحت عربية ·· فعدوان يونيو ١٩٦٧ اتجه الى مصر وسوريا والاردن ، واقتطع من كل منها ارضا سقطت تحت الاحتلال ·· واختلف الموقف بذلك عن عدوان ١٩٥٦ الذى ركز ضربته على مصر ·

ونتج عن الهزيمة خلق رابطة نضالية مشتركة بين شعوب الامة العربية وجذبت قضية فلسطين ثلاث دول عربية جديدة اصبحت ارضها محتلة ايضا .. كما جذبت بطريق غير مباشر بقية الدول العربية التى لحقتها اهانة الهزيمة التى لم تفرق بين عربى من البدو او الحضر .. من المشرق او المغرب ·

وقد اختلفت طبيعة الارض التى فقدتها كل دولة عربيــة .. فالاردن ضاعت ضفته الغربية وانحسرت رقعته ليصبح (شرق الاردن) كمــا كان أثناء الانتداب البريطانى على فلسطين .. ومع سقوط الضفه الغربيةانتقل مئات الالاف الى شرق النهر . وواصلوا الحياة فى مخيمات اللاجئين ... وسوريا فقدت هضبة الجولان الحاكمة التى أحسن تحصينها الى درجةكان يصعب تصور احتلالها ، الامر الذى جعل سقوطها المفاجىء موضع دهشــة العسكريين وظل أمرا تلاحقه علامات الاستفهام .. أما مصر فقد فقدتسيناء ومساحتها ثمن أراضى مصر تقريبا يسكنها عدد محدود وبها بلاد صغيرة قليلة مثل العريش ورفح والطور وغيرها .. ومعروف لدى العسكريين ان ممرات متلا والجدى هى أنسب مواقع تحتلها القوات المصرية للدفاع عن القنــاة ، ولكن فوضى الانسحاب جعلت سيناء تسقط ويصل الجنود الاسرائيليونالى مياه القناة .

وهكذا فرضت الظروف ان تقترن مقاومة شعب فلسطين بمقاومـة الشـعوب العـربية الاخرى .. وأن تصــبح المقاومة عربية وليست فلسطينية فقط .

وأرض فلسطين لم تعرف الهدوء منذ قامت فيها اسرائيل .. بلوقبل أن تقوم .. كانت هناك حركة وطنية فلسطينية شديدة النشاط ..وكانت هناك ستة أحزاب هى الحزب العربى ، وحزب الدفاع ، وحزب الاستقلال. والكتلة الوطنية ، ومؤتمر الشباب ، وحزب الاصلاح ..ولكنها جميعاانتهت بعد اعلان الهدنة وقيام اسرائيل وتشكيل حكومة عموم فلسطين التىرأسها أحمد (باشا) حلمى والتى سرعان ماعصف بها الزمن .

وكان هناك حزب شيوعى فلسطينى تشكل عام ١٩١٩ وضم اليهود الى جانب العرب وظل سكرتيره يهوديا حتى عام ١٩٢٩ عندما اصبح لهأول سكرتير عربى هو نجاتى صدقى ثم رضوان الحلو .

وقد فرضت حركة ١٩٣٦ نفسها على الحزب الشيوعى .. فـكان اليهود ضد حركة وطنية عربية يقودها المفتى المرتبط بالنازية ، بينما جـارب بعض العرب فى صفوف هذه الحركة .. وقد أدى هذا الموقف الى مايشبه الشلل للحزب ، الى أن شكل اميل توما واميل حبيب ناديا تقدميا فى حيفا ، ودعيا الى قيام اتحاد نقابات وجمعيات العمال العرب .

وبعد أن حل الكومنترن فى منتصف مايو ١٩٤٣ تشكلت عصبة التحرر الوطنى فى منتصف سبتمبر ١٩٤٣ لتصبح تنظيما شيوعيا عربيا ، بينمـا بقى الحزب الشيوعى الفلسطينى قاصرا على اليهود .

ولكن هذا التنظيم العربى مالبث ان انقسم تحت ضغط ظروف قيام اسرائيل الى ثلاثة تنظيمات .. الحزب الشيوعى الاردنى الذى أعلن فى مايو ١٩٥١ وكان فؤاد نصار هو سكرتيره العام وضم حلقات شيوعية من شرق الاردن واعضاء العصبة فى الضفة الغربية .. والعصبة فى قطـــاع غزة وكان مقر لجنتها المركزية فى نابلس وقد حوكم أمام مجلس عسكرى رأسهالصاغ لطفى واكد مندوبا للعصبة عام ١٩٤٩ وحكم عليه بالسجن ٦ سنوات ــ عــلى جنايات كان يمكن ان يصل الحكم فيها الى الاعدام ، وبراءة ٤٩ متهما ..

واخيرا الحزب الشيوعى الاسرائيلى الذى ضم العرب واليهـود داخـل اسرائيل .

بقيت هذه التنظيمات الثلاثة منبعثة من الحـزب الشيوعى الاصـلى تناضل سياسيا فى المناطق التى اصبحت تتبع ثلاث دول مختلفة ضدالنفوذ الامبريالى والمشاريع المشبوهة التى حاولوا فرضها على المنطقة فى محـاولة للتعاون مع العناصر الوطنية التى كانت تنهج حتى ذلك الوقت خطا معـاديا للشيوعية .

وقد وضعت أمام الانظمة العربية ثلاثة مشاريع لامتصاص اللاجئين: اولها مشروع تعمير شمال غرب سيناء ، والثانى مشروع الجزيرة فى سوريا ولبنان ، والثالث هو مشروع جونسـون لامتصاص اللاجئين فى الضـفة الغربيـة .

خاض الفلسطينيون المعركة ضد هذه المشاريع ، ونشطت الهجمات الاسرائيلية للضغط على اللاجئين لقبولها .

ولم تتوقف عمليات التسلل الى الارض المحتلة .. بدأت بمحـاولة الحصول على ما تركه اللاجئون من اموال واثاث ثم تطورت لتصبح هجمـات منظمة مسلحة .

وكان يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٥ فيصلا بين عهدين .. وهو تاريخ غارة غزة الشهيرة التى جعلت جمال عبد الناصر يتخذ ثلاثة قرارات هامة هى :

١ ــ ابلاغ الولايات المتحدة تأجيل مشروع تعمير شمال غرب سيناء الى مابعد بناء السد العالى .

٢ ــ صفقة الاسـلحة التشيكية حتى لاتقع مصر تحت رحمةالامبريالية والصهيونية التوسعية .

٣ ــ تشكيل وحدات فدائية فلسطينية .

وقد قام الشهيدان البكباشى صلاح مصـطفى فى عمان ، والبكبـاشى مصطفى حافظ فى غزة بتشكيل وحدات فدائية من المسـاجين الذين حكم عليهم لتسللهم داخل فلسطين ، وقد أثرت هذه الهجمات على اسرائيل الى الحد الذى جعلها تدبر عمليتها الانتقامية الاجرامية بنسـف الضـابطين عن طريق عبوة ارسلت لهما فى طرد عن طريق البريد .

وطبقا لاحصائيات وزارة الخارجية الاسرائيلية التى وردت فى كتـاب (الحركة الوطنية الفلسطينية) لأحمد صادق سعد وعبد القادر يس يتبين انه كان هناك ٧٨٥٠ حادث تسلل منذ الهدنة حتى عدوان ١٩٥٦ ، قام بها أشخاص قدموا من الاردن ، ٣٠٠٠ من الحدود المصرية وغزة ، ثم حوالى ٦٠٠ من سوريا ، ٢٠٠ من لبنان

ولكن العمل الفدائى توقف من جانب مصر مع عدوان ١٩٥٦وماتم‌عليه الاتفاق من تواجد قوات الطوارىء الدولية على حدود مصر وقطاع غزة .. وقد ساد الهدوء على الحدود رغم ان قوات الامم المتحدة قد قتلت نحو ١٠٠ شخص كان بعضهم يتسلل بغرض السرقة .

ولكن‌هذا الهدوء لم ينعكس‌سباتا ونوما على الحركة الوطنيةالفلسطينية فقد كانت نماذج حركات التحرر الوطنى تشكل أمامها مشاعل مضيئة .

فقد بدأ الكفاح المسلح فى فيتنام يهــــزم الوجود الفرنسى وبدأت ثورة الجزائر المجيدة تجذب انظار العالم بعد استعمار دام ١٣٠ عاما .

ولكن وجود قوات الطوارىء الدولية ، وانشغال جمال عبد الناصر بقضية الوحدة مع سوريا ، والمعركة مع ثورة ١٤ يوليو العراقية والتى جعلت عبد الكريم قاسم يحتضن الحاج أمين الحسينى ويرفع معه شعار (عدنا) بينما القاهرة ترفع شعار (عائدون) ، واخيرا الانفصال والانحسار فى المد العربى المتصاعد .

كل هذا دفع جمال عبد الناصر الى مصارحة اعضاء المجلس التشريعى لغزة حسب ماورد فى اهرام ٢٧ يونيو ١٩٦٢ بأنه ليست عنده خطة لتحرير فلسطين .

وقد سجلت اذاعة عمان هذه العبارة واستخدمتها كثيرا فى الهجوم على مصر .. وعلى جمال عبد الناصر .

وكان الملك سعود قد قال للعمال الفلسطينيين فى الظهران (عليكم أن تسلكوا سلوك الجزائر)

وقطعا لم يكن الملك سعود ليقول مثل هذا القول لولا ثقته من انه لن يتحول فى ارض السعودية الى واقع عملى .. وان نظام الحكم هناك لايمكن أن يسمح بصوت طلقات الرصاص للتدريب او الاستعداد .

خلقت هذه الحالة شعورا عند الفلسطينيين بأنه يجب عليهم أن يعتمدوا على انفسهم ، وأن يشقوا وسط كل هذه الظروف المعقدة والتناقضات الحادة بين الانظمة طريقا خاصا بهم ، لايعتمد على النضال السياسى وحده .

وبدأت تظهر تنظيمات فلسطينية متعددة .. بلغ عددها فى الكويت عام ١٩٦٣ حوالى ٣١ تنظيما .. وقد اختارت الكويت حيث توافرت ديموقراطية نسبية وثراء ملحوظ للفلسطينيين

وكانت جذور هذه التنظيمات تمتد الى تنظيمات سياسيه قائمة فعلا فى الساحة العربية .. الثورة المصرية ، حزب البعث ، والاخوان المسلمين . والقوميين العرب ، وبعض التنظيمات الارهابية .

جاء فى كتاب (دليل حركة المقاومة الفلسطينية ـ غازى خورشيد) الذى اصدره مركز الابحاث لمنظمة تحرير فلسطين ان حركة التحرير الوطنى الفلسطينى (فتح) اختصارا لاسمها ، قد تكونت فى نهاية الخمسينيات بالكويت بعد هدوء الحدود فى اعقاب العدوان الثلاثى ، وانها أصدرت اول نشرة سرية باسم (فلسطيننا) فى اوائل ١٩٥٩ .

وكان معظم رواد هذه الحركة من المنتمين او العاطفين على جماعة الاخوان المسلمين ، عدا فاروق القدومى الذى كان منتميا لحزب البعث ، ولو أن الوقائع التاريخية تثبت اتصالهم بالصين الشعبية عن طريق كمال عدوان وحصولهم على تأييدها .

وظل هذا التنظيم يعبىء نفسه حتى انطلقت شرارته الاولى ـ فى اول يناير ١٩٦٥ عندما صدر البلاغ العسكرى الاول لقوات (العاصفة) معلنا بدء الكفاح المسلح وانطلاق الثورة الفلسطينية (لتصفية الكيان الصهيونى المتمثل فى دولة اسرائيل .

وبقيت (فتح) تعمل بشكل سرى محدود ، تخاطب مؤتمرات القمة بمذكرات رفعت الى المؤتمر الثالث فى ٧ سبتمبر ١٩٦٥ ، ومؤتمر القمة الرابع فى ١٤ مارس ١٩٦٦ ، وذلك بعد ان شكلت منظمة التحرير الفلسطينية بناء على قرار المؤتمر الفلسطينى الاول الذى عقد بالقدس فى ٢٨ مايو ١٩٦٤ والتى كان أحمد الشقيرى اول رئيس لها ٠

أما الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فقد انبعثت من حركة القوميين العرب الذين قلدوا فى البداية حركة مصر الفتاة والقمصان الخضراء فأسسوا (كتائب الفداء) ٠٠ التى قامت على حس عربى فضمت فىصفوفها مناضلين من سوريا ولبنان وفلسطين والعراق ومصر ٠٠ وقامت ايضا على اساس انه (لا مفر من القيام باعمال عنف ضد الانهزاميين والمتعاونين مع الصفوة الحاكمة من جهة ثانية)وذلك بعد اقتناعهم بأنهم يشكلون (مجموعة ضاغطة) مهمتها (التأثير على الصفوة الحاكمة عن طريق ارهابها اذا اقتضى الامر لترفض أى صلح مع اسرائيل كخطوة اولى والتهيؤ لتصفيتها فى جولة أخرى) وذلك كما ورد فى كتاب (حركة القوميين العرب ـ باسل الكبيسى) الذى صدر عن دار الطليعة ببيروت ٠

وكان جورج حبش الفلسطينى هو العنصر الشديد الفعالية ، الذى انضم الى (جيش الانقاذ) الفلسطينى غير النظامى ٠ والذى ارتبط مع هانى الهندى السورى الاصل البغدادى المولد ، ليشكلا مجموعه بيروت ٠

والغريب ان هذه المجموعة قد ارتبطت بالارهابى المصرى حسين توفيق الذى اغتال أمين عثمان ثم هرب الى سوريا بعد ان حوكم مع مجموعة من الشباب المصرى ضمت أنور السادات وسعد كامل والسفير محمد كامل ابراهيم وغيرهم ٠

لجأت هذه المجموعة الى الارهاب فهاجمت معبدا لليهود فى دمشق فى ٦ أغسطس ١٩٤٩ وقتلت ١٢ وجرحت ٢٧ شخصا ، ووضعت القنابل فى مدرسة (الاليانس) ببيروت ، وهاجمت مقر وكالة الغوث التابعة للامم المتحدة فى دمشق ٠

وقد حاولت (الكتائب) ان تصبح جناحا عسكريا للبعث ، ولكن لم يحدث اتفاق بين التنظيمين اللذين قام احدهما على فكرة العنف ، وقام الآخر على فكرة التبشير بالقومية والوحدة العربية ٠

وقد تعرضت هذه المجموعة الى ملاحقة الشرطة بعد اعترافات حسين توفيق الذى اعتقل بعد محاولة الاغتيال الفاشلة لأديب الشيشكلى ٠

ومع ذلك فقد حاولت هذه المجموعة الاتصال مع الشيوعيين والدخول معهم فى جبهة (اذ كانوا قد اعجبوا بالدور القيادى الذى لعبه الشيوعيون العراقيون فى الانتفاضة الوطنية التى أجبرت صالح جبر على الاستقالة وأدت الى الغاء معاهدة بورتسموث ، كما انهم تأثروا بالنجاح الكبير الذى حققه الشيوعيون فى الصين بحيث اعتبروا الشيوعيين العرب قوة ثورية يجب ألا تستبعد من ساحة النضال الوطنى ، وعلى هذا الاساس دخل القوميون العرب فى مباحثات مع الشيوعيين بهدف التوصل الى صيغة

للتعاون ، ولكن المباحثات سرعان ماانهارت بسبب موقف الشيوعيين من القضية الفلسطينية ، فقد تمسك الطلبة الشيوعيون بالخط الرسمي للاحزاب الشيوعية الخاص بتأييد قرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة ، وبحكم الموقف المتصلب للقوميين العرب ازاء هذه القضية لم يجدوا اية نقط التقاء بينهم وبين الشيوعيين) وذلك حسب ماورد في مقابلة صحفية مع الدكتور جورج حبش في ٢٤ يونيو ١٩٧٠ نشرت في كتاب (حركة القوميين العرب) ٠

وتمكنت حركة القوميين العرب من تشكيل منظمة طليعية عام ١٩٥٢ تسمى (هيئة مقاومة الصلح مع اسرائيل) عارضت مع الحركة الوطنية الفلسطينية مشروعات الاستيطان ، وأصدرت مجلة أسبوعية اسمها (الثأر) لعبت دورا مؤثرا في صفوف اللاجئين الفلسطينيين ٠

ولم تقترب الحركة من الثورة المصرية الا بعد عام ١٩٥٤ عندما ظهر الدور الوطني لثورة يوليو في حربها ضد الاحتلال البريطاني لمصر ومقاومة حلف بغداد والأحلاف العسكرية ، وعندما أصدر جمال عبد الناصر قرارا بقبول الطلبة القوميين العرب المفصولين من الجامعة الامريكية في الجامعات المصرية ٠

واتجهت حركة القوميين العرب نحو التأييد المطلق للثورة المصرية ، وصدرت مجلة (الرأى) معبرة عنهم ، كما فتح (صوت العرب) أبوابه لهم وأوصل صوتهم الى جماهيرهم في الاردن والارض المحتلة ، وأسهموا بذلك مع غيرهم من القوى الوطنية الفلسطينية في بعث روح النضال ضد المشاريع الاستعمارية ، كما قام عبد الحميد السراج في سوريا بتدريب أعضاء الحركة للنضال ضد الحكم الهاشمي في الاردن ٠

وعندما قامت الوحدة نظر القوميون العرب الى الجمهورية العربية المتحدة على انها (نواة لدولة عربية قومية أوسع قادرة على خلق حياة أفضل للاجيال القادمة) ونقلت القيادة القومية للحركة مقر عملها الى دمشق في أوائل ١٩٥٨ ٠

وعندما ظهر التناقض بين ثورة يوليو المصرية ، وثورة يوليو العراقية ووجه القوميون العرب نشاطهم نحو القوات المسلحة العراقية وكسبت عددا من الضباط ، (أخذ الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل بعوثي القيادة القومية (للحركة) ويناقش معهم مختلف أبعاد النضال القومي ٠

وقد لعبت نشرتهم السرية (الوحدة) التي ساعد هاني الهندي في اصدارها دورا في الهجوم على الحزب الشيوعي العراقي ٠

وقد صدر العدد الاول من مجلة (الحرية) الناطقة باسم حركة القوميين العرب في يناير ١٩٦٠ موضحة موقفها كما يلي ٠٠

(نحن راغبون فكريا في خوض معركة مع كافة القوى المعادية لحركتنا ٠٠ سواء كانت شرقية أم غربية ٠٠ يمينية أو يسارية) ٠

وهكذا لعبت حركة القوميين العرب دورا في التركيز على قضية الوحدة العربية ، والصراع ضد الشيوعيين المحليين والقوى الرجعية في الوطن العربي ٠

وعندما صدرت قوانين يوليو الاشتراكية أيدها القوميون العرب ٠٠ وعندما دعا جمال عبد الناصر فى الذكرى الحادية عشرة لثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٦٣ الى اقامة (حركة قومية موحدة تندمج فيها كافة الحركات القومية فى الوطن العربى) أرسلت الحركة وفدا الى مصر قابل جمال عبد الناصر الذى أيد فكرة اقامة تحالف لهذه القوى ٠

وظلت العلاقة بين الحركة وعبد الناصر الى ان نشب خلاف بين مصر ممثلة في بعض ضباط المخابرات المصريين الذين تولوا مسئولية الاتصال مع الحركه الثورية في اليمن وبين (الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن) التى تقودها (الحركة) ٠

ووصل الخلاف الى الحد الذى دفع الحركة الى دعوة (اليسار الناصرى) الى تأكيد (استقلاله) الفكرى والسياسى والتنظيمى ٠ والى اعتقال بعض قادة الجبهة القومية فى القاهرة ٠

البعث ٠٠ والقضية الفلسطينية

وقد لعب حزب البعث العربى الاشتراكى دورا رئيسيا فى تعبئة الامة العربية للنضال من أجل تحرير فلسطين التى تعتبر قضية محورية فى عقيدة الحزب ولذا فلها عليه تاثير داخلى حاسم ٠

وكان كبار قادة البعث مثل ميشيل عفلق وأكرم الحورانى وصلاح البيطار قد تطوعوا عام ١٩٤٨ فى حرب فلسطين ٠٠ كما تاضلوا داخل سوريا لتوجيه مسار سياستها نحو دعم الوحدة العربية لتصبح قوة مؤثرة فى مواجهة اسرائيل ٠٠ حتي انتهى الامر الى قيام دولة الوحدة الاولى (الجمهورية العربية المتحدة) فى فبراير ١٩٥٨ (انظر الجزء الثالث عبد الناصر والعرب) ٠

كان حزب البعث خلال هذه الفترة قد تحمس لموقف ثورة يوليوعندما عقد عبد الناصر صفقة الاسلحة ، وكسر احتكار السلاح الغربى ٠٠ ووقف موقف المساندة الايجابية الفعالة عندما حدث العدوان الثلاثى على مصر ، وفتح فى حمص معسكرات لتدريب الشباب ، كما قام فرع الحزب فى غزة بنشاط سياسى اثناء فترة احتلال القوات الاسرائيلية لها ٠

واذا كانت العلاقة قد تعثرت بين ثورة يوليو وحزب البعث فانموقف ميشيل عفلق كان ثابتا وواضحا ٠٠ لم يهاجم وجود قوات الطوارىءالدولية على الحدود المصرية كما فعل اكرم الحورانى ، ولم يؤيد الحركة الانفصالية فى ايامها الأولى كما فعل الحورانى والبيطار ٠٠ وانما ثبت على موقفه المبدئى المدافع عن فكرة وقضية الوحدة العربية ٠

وفى عام ١٩٦٠ أنشىء مكتب فلسطين القومى تابعا لحزب البعث ٠ ٠ وكان ضمنه تنظيم للكفاح المسلح ٠

وخلال أعوام ١٩٦٣و١٩٦٤ انشغل الحزب الحاكم فى سوريا والعراق بمشاكل الدولة الداخلية وخلافاتهم مع ثورة يوليو مما احدث نوعا من الاحباط وخيبة الامل كما يقول الدكتور عبد الوهاب الكيالى الذى كان أمينا

لهذا المكتب الذى قاده خالد يشرطى الذى كان عضوا فى القيادة القومية عام ١٩٦٣ .

ثم اتصل الفلسطينيون من البعث بأعضاء فتح بعد تكوينها ، وسقط حلال كعوش عضو الحزب شهيدا فى العمليات الفدائيه عام ١٩٦٥ ، وكانت جريدة (الاحرار) البعثية في لبنان قد نشرت البيان رقم ١ للعاصفة فيأول يناير ١٩٦٥ ، وفتحت صفحاتها دفاعا عنهم .

كما كانت جريدة البعث في العراق تنشر بيانات العاصفة التى كان يسلمها فتحى عرفات شقيق ياسر عرفات الى طارق عزيز المسئول عن تحريرها ووزير الاعلام الحالى فى العراق .

ويذكر ان عددا من قادة فتح كانوا اعضاء فى البعث مثل ابو اللطف (فاروق قدومى) ومحمد أبو ميزر ومحسن أبو ميزر وخالد يشرطى . ومع ذلك فقد اعتقل ياسر عرفات فى سوريا بوساطة أحمد سويدانى رئيس المخابرات فى عهد امين الحافظ والذى تعاون بعد ذلك مع قادة الانقلاب العسكرى فى ٢٣ فبراير ١٩٦٦ .

كان الحكم فى سوريا والعراق بعد هذا الانقلاب يطارد البعث وقيادته القومية .

وعندما حدث عدوان ١٩٦٧ كان ميشيل عفلق فى البرازيل ومن هناك ارسل برقية تضامن الى جمال عبد الناصر .

وعندما قامت ثورة ١٧ يوليو فى العراق نشط البعث فى جمع التبرعات لمنظمة فتح الى أن أعلن عن تشكيل (جبهة التحرير العربية) فى أول يناير ١٩٦٩ ، حيث قامت بدورها فى النضال المسلح وتولى أمانتها العامة زيد حيدر ثم دكتور عبد الوهاب الكيالى وأخيرا عبد الرحيم أحمد .

المقاومة .. بعد العدوان

هذه النبذة التاريخية المختصرة تعرض الجذور التاريخية للحركات الرئيسية لنضال الشعب الفلسطينى قبل عدوان ١٩٦٧ .

ولم تكن هذه هى القوات الوحيدة فى الساحة .. كانت هناك قوات وتنظيمات أخرى صغيرة تبذل جهدها للعمل وسط صفوف الشعب الفلسطينى الذى تناثر عدد كبير منه فى مختلف الدول العربية ، واستقر عدد منه فى اعمال مربحة ومجزية وخاصة فى المهجر او فى الدول البترولية .

وفتح عدوان ١٩٦٧ صفحة جديدة فى تاريخ النضال الفلسطينى .

وجدت حركة (فتح) التى اختارت طريق الكفاح المسلح منذ مطلع عام ١٩٦٥ فرصة فريدة لاثبات وجودها والحصول على اعتراف الانظمة العربية المهزومة بها .

وكانت (فتح) قد حاولت الاتصال بالسلطات المصرية عام ١٩٦٦ ولكن العمل العربى كما سبق ان ذكرت كان فى يد ضباط المخابرات المصريين ، الذين كانوا مقتنعين بأن ارتباط بعض قادة فتح بالاخوان المسلمين ، هو فى ذاته أمر يجب أن يبعدهم عن ثورة يوليو .. وخاصة

بعد ثبوت وجود الاخوان فى تنظيم سرى عام ١٩٦٥ ومحاكمة بعض قادتهم والحكم على عدد منهم بالاعدام ،

ومع ذلك فقد كتبت فى روز اليوسف فى عدد ٢٣ اكتوبر ١٩٦٧ بعد لقاء مع عدد من قادة التنظيمات الفلسطينيه تحقيقا تحت عنوان (دقت ساعة حرب جديدة لاتكسبها اسرائيل ولا بالقنبلة الذرية) تحدثت فيه عن الحركة الفدائية وتاثيرها التاريخي فى فلسطين ، وأشرت الى أن نقط انطلاق الفدائيين لن تكون فى الخارج بعد أن أصبح العرب الفلسطينيون يشكلون أكثر من نصف تعداد سكان الارض التى تسيطر عليها اسرائيل ، ولما كان يغلبني الاعتقاد وقتئذ بان العمل الفدائى سوف يكون من داخل الارض المحتلة ، فقد قلت ان العمل الفدائى يخرج بذلك من حساسية الدول المجاورة وتتوفر له بذلك شرعية ثورية .

وكانت وكالة الانباء الفرنسية قد نشرت برقية من داخل اسرائيل فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٧ تقول فيها ..

(اذا كان رجل الشارع فى اسرائيل قد ارتاح بعض الشيء بعد (حرب الايام الستة) من حزيران الماضى التى أبعدت الحدود الاسرائيلية عن المواقع الحيوية لاعمال العنف العربية فانه يبدو عليه اليوم الاستياء المشوب بالقلق بعد الغارات التى يشنها الفدائيون العرب التى تهدد بأن تصبح أكثر قسوة وخطورة) .

تزايد الدور السياسى لحركات المقاومة الفلسطينية وبرز دورها فى الساحة العربية ، وبدأت تبحث عن طريق للاعتراف الدولى بها .

وكان طبيعيا ان يكون اول تفكير لهم فى الدولة الكبرى الصدقة الاتحاد السوفييتى الذى لم تكن تربطه بهم حتى ذلك الوقت صلة ما .

وفى هذه الفترة تعرف (صلاح خلف) أبو اياد ومعه عدد من رفاقه على بريماكوف مراسل البرافدا فى القاهرة فى ذلك الوقت ، ونائب معهد العلاقات الدولية بموسكو الآن فى جلسة كانت فى منزلى ، ودار خلالها حديث عميق حول دور حركة المقاومة الفلسطينية ، ولعله كان احدى البدايات فى طريق اتصالات متعددة وطويلة امتد حتى أتيحت لهؤلاء القادة فرصة مقابلة عبد الناصر عن طريق محمد حسنين هيكل بعد نشر ما كتبت وقبول مصر لقرار مجلس الأمن .

وحتى هذه اللحظة كانت المخابرات المصرية تثير الشكوك حولهم فحذرت هيكل من احتمال دخول ياسر عرفات وصلاح خلف وفاروق القدومى على عبد الناصر وهم يحملون اسلحتهم .

ويكتب محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ما دار فى هذا اللقاء مشيرا الى قول جمال عبد الناصر بأنه كان من ضمن المشاكل عدم وجود عنصر فلسطينى فى النضال ، وانه سيكون سعيدا اذا استطاعت فتح التعبير عن ارادة المقاومة عند الشعب الفلسطينى ، وانه لايجد سببا واحدا يحول دون تعاونهم معا رغم ان مصر قد قبلت قرار مجلس الامن لانه يعتقد ان للفلسطينيين كامل الحق فى عدم قبول القرار والاعلان عن ذلك لانه لم يصدر من أجلهم ولا يحمل توقيعهم .

وبعد هذه الاتصالات بدأت فتح وحركات المقاومة الاخرى تأخذ مجالا في العمل السياسى والظهور الاعلامى ٠

وجد عبد الناصر فى فتح حليفا جديدا ليعوضه عن القوميين العرب٠ وفرضت عليه الظروف ان يقبل ماكان يرفضه فى الماضى ٠

وكانت حركة القوميين العرب قد عقدت بعد الهزيمة عدة مؤتمرات لبحث وتحليل الاسباب التى أدت الى هزيمة الجيوش العربية ٠ ٠ وكانت حصيلة هذه المؤتمرات الطلاق الكامل مع الناصرية التى ادينت باعتبارها (حركة برجوازية صغيرة محكوم عليها بالفشل) ، كما دعت هذه المؤتمرات الى استبدال الناصرية (ببداية جديدة) من شأنها أن تغير حركة القوميين العرب من منظمة شبه برجوازية الى حزب لينينى ماركسى ٠

ونشرت مجلة (الحرية) تقول ان كل الانظمة العربية قد سقطت ٠

وانبثقت عن حركة القوميين العرب (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) التى يقول كتاب (دليل حركة المقاومة الفلسطينية) انها تشكلت من اتفاق ثلاث منظمات هى منظمة ابطال العودة ، وجبهة التحرير الفلسطينية التى كونها الضابط الفلسطينى فى الجيش السورى أحمد جبريل ، ومنظمة شباب الثأر التى تعرف أيضا باسم الجبهة القومية لتحرير فلسطين ، وهو التنظيم الفلسطينى لحركة القوميين العرب ٠

وقد تطورت العلاقات بين فتح وثورة يوليو الى الحد الذى جعل جمال عبد الناصر يصحب معه ياسر عرفات الى موسكو اثناء زيارته لها فى يوليو ١٩٦٨ بجواز سفر مصرى تحت اسم (محسن أمين) ، بعد ان كان قد سهل له مهمة الحصول على الاسلحة والتدريب فى مصر ، الامر الذى اثار قلق الملك حسين وخاصة عندما ضبطت الاسلحة المرسلة الىالفدائيين فى طائرتين قادمتين من القاهرة ٠

وقد ارسل الملك حسين رئيس وزرائه بهجت التلهونى للاحتجاج على ذلك اكثر من مرة ٠

ولم يتوان الفدائيون عن أداء دورهم النضالى بعد تنظيم وحدات عسكرية تابعة لمختلف التنظيمات القائمة فى الساحة والتى كانت (فتح) تشكل ثقلها الرئيسى ٠

وقد أدى تصاعد العمليات الفدائية الى اكتشاف اساليب جديدة فى القتال ، وظهرت الحاجة الى استخدام أسلحة اكثر تطورا مثل صواريخ ستريللا السوفيتية ٠

ولذلك أسهم جمال عبد الناصر فى ايجاد جسر مباشر بين القادة السوفييت وقادة فتح ، فقدم عرفات الى بريجنيف وكوسيجين وبودجورنى ٠

ودارت المباحثات بين ياسر عرفات وكيريل مازاروف المسئول السياسى عن الصلة بحركات التحرر الوطنى وبعض العسكريين ٠٠ وبدأت منذذلك التاريخ علاقة سياسية مباشرة بين الفلسطينيين والاتحاد السوفيتى،أسهمت الى حد كبير فى امدادهم بالسلاح ، ودعم موقفهم فى مجال السياسة الدولية٠

أصبح الكفاح المسلح شعارا ترفعه كافة التنظيمات الفلسطينية وبدا

تشكيل الوحدات الفدائية ٠٠ وانتقلت المعركة الى داخل الارض المحتلة ٠٠ وبدأت بعض التنظيمات الصغيرة في الانضمام الى فتح ، مثل جبهة التحرير الوطنى الفلسطينى ، ومنظمة طلائع الفداء لتحرير فلسطين ، وجبهة ثوار فلسطين ، وقوات الجهاد المقدس ٠

ومع ذلك لم تتحد كافة المنظمات الفلسطينية ، ولم ينجح مؤتمر المنظمات الفدائية الذى عقد بالقاهرة فى الفترة من ١٧ الى ٢٠ يناير ١٩٦٩ فى دمج هذه التنظيمات فى وحدة متماسكة فقد قاطعته الجبهة الشعبية ٠

والتعدد فى التنظيمات الفدائية يعتبر ظاهرة طبيعية ، تعكس واقع الشعب الفلسطينى خلال السنوات العشرين التى عاشها بعد قيام اسرائيل٠ وتشتت فيها فى مختلف الدول العربية ٠٠ الامر الذى جعل عددا من التنظيمات يرتبط بانظمة معينة تنفق عليها وتحدد مسارها وسياستها ٠

وارتدت ظاهرة التنافس والتناقض بين الانظمة العربية الى الساحة الفلسطينية ، حيث يريد كل نظام أن يطوع العمل الفدائى ليتناسق مع سياسته ٠

ويظهر كتاب (دليل حركة المقاومة الفلسطينية) انه كان هناك ١١ تنظيما هم :

فتح ـ قوات التحرير الشعبية التابعة لمنظمة تحرير فلسطين ـ طلائع حرب التحرير الشعبية (قوات الصاعقة) ـ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ـ جبهة التحرير العربية ـ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (القيادة العامة) ـ جبهة النضال الشعبى الفلسطينى ـ الهيئة العاملة لتحرير فلسطين ـ منظمة فلسطين العربية ـ المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين ٠

ولدت معظم هذه التنظيمات فى فترة المد لحركة الكفاح المسلح ،وفى موجة اندفاع ابناء الامة العربية وخاصة ابناء فلسطين الى العمل الفدائى٠٠ والبعض منها كان نتيجة لحركات انقسامية فى صفوف الجبهة الشعبية ٠

ورغم هذا فقد حدث تزاوج قومى فى صفوف هذه التنظيمات ٠٠فوقف فى خندق واحد المصرى والفلسطينى والعراقى والسورى والجزائرى ٠٠ وغيرهم من مختلف الدول ٠

لم يحدث هذا التزاوج فى تحركات تقليدية للقوات المسلحة للانظمة المختلفة ٠٠ وانما حدث بروح تطوعية وارادة شعبية ٠

واستلفت اهتمام الرأى العام العالمى ، حركات العمل الفدائى التى بدأت تؤرق اسرائيل ، وتظهر المقاومة الفلسطينية كعنصر ايجابى مؤثر فى الموقف العسكرى والسياسى بالمنطقة ٠

أصبحت شعارات الفدائيين وصورهم ترتفع فوق المظاهرات فى دول أوربا الغربية ٠٠ وتعمق اهتمام الدول الاشتراكية بجدية حركة التحرر الوطنى الفلسطينية ، فاعترفت بها وبحقوق شعب فلسطين ، ثم أيدت فكرة اقامة دولة فلسطينية ، وأخيرا أدانت الصهيونية كفكرة عنصرية ٠

وقد أخذت الحركات الفدائية أساليب مختلفة فى عملها ٠٠ البعض

حارب داخل اسرائيل ٠٠ والبعض اكتفى بمناوشات الحدود ٠٠ والبعض اتجه الى خطف الطائرات فكانت العملية الاولى التى قامت بها الجبهةالشعبية يوم ١٥ يوليو ١٩٦٨ عندما خطفت طائرة (بوينج ٧٠٧) تابعة لشركة العال الاسرائيلية اثناء اقلاعها من مطار روما وقادتها الى مطار الجزائر ٠

وقد اختارت فتح منهجا سياسيا يصر على (تجنب المعارك السياسية والفكرية مع القوى الاخرى مهما كان السبب ، لان هذه المعارك ستؤثر على سرعة نموها) ٠٠ وحرصت على تجنب الصدام مع الانظمة التى تعيش فوق أرضـها ٠

أما بعض التنظيمات الاخـرى فقد اتجهت الى الماركسـية اللينينية لتجد فيها ذخيرة فكرية ، ومرشد نضال ٠٠ وبدأ الصراع الطبقى يصـبح محورا من المحاور الرئيسية التى يتبلور حولها تفكير واستراتيجية هـذه التنظيمـات ٠

طلائع حرب التحرير الشعبية (الصاعقة) الفـرع الفلسطينى لحكم سوريا تؤمن بالاشتراكية العلمية وترى ان (الصراع الطبقى فى وطننـا لم يتبلور نتيجة انقسام حاد فى المجتمع ٠٠ وانمـا برز نتيجة عجز طبقات مهترئة اقطاعية وبرجوازية عن قيادة وحماية تراث الوطن العربى من الغزو الاستعمارى)

والجبهة الشعبية اعتنقت الماركسية اللينينية كما ذكرنا ٠٠ ولـكنها أدانت الاحزاب الشيوعية العربية ووصمتها بالفشـل ، اذ كانت ترى فى نفسها البديل لتلك الاحزاب ٠

ولكن سرعان ماحدثت الانقسامات فى الجبهة عندما انشق احمدجبريل ليشكل القيادة العامة فى اكتوبر ١٩٦٨ ، وفى فبراير ١٩٦٩ انشق الجناح اليسارى من الجبهة ليشكل (الجبهة الشعبية الديموقراطية) ٠

ولاشك أن انجذاب التنظيمات الفلسطينيه الى الماركسيه اللينينية خلال فترة مابعد العدوان قد شكل تغيرا جذريا فى اتجاه الحركات السياسية فى الشرق الأوسط ، وفرض على الانظمة العربية تقليل حساسيتها التقليدية من الافكار والاحزاب الشيوعية ٠ ٠ كما جذب أنظـار الطبقات العاملة فى الوطن العربى الى ضوء جديد ٠

ولكن عدم نجاح هذه التنظيمات فى التعاون مع الاحـزاب الشيوعية القائمة أظهر نقاط ضعف فى تعبيرها السليم عن الواقع الطبقى للعمـال والفلاحين ٠ وفى اهمال الدور التاريخى لهذه الاحزاب ، مع محـاولة طموح للقفز فوق الواقع ٠

على أية حال كان جديدا ان تظهر تنظيمات تقول مثل ماقالت الجبهة الشعبية الديموقراطية من أن (النضال ضد الامبريالية هو اساسا نضال طبقى ، فالامبريالية تحكم سيطرتها وهيمنتها على المنطقه العربيه خـلال تحالفها مع الاقليات العربية الحاكمة فى الانظمة الرجعية) ٠

أما الحزب الشيوعى الاردنى فقد ظل هادئا امام موجات الاندفاع الى العمل الفدائى حتى مارس ١٩٦٩ عندما اصدر بيانا دعا فيه الى (حماية

المقاومة المسلحة الناشئة وتنميتها وتنظيمها وتوحيدها) ·· كما أشار الى أن (جميع الظروف آخذة فى النضوج لاقامة جبهة شعبية ثورية تكون مؤهلة لقيادة الجماهير الشعبية فى الاراضى المحتلة بشكل واع) · · كما طالب بتنسيق العمل بين قطاعى المقاومة فى الاراضى المحتلة والضفة الشرقية) ·

وأخيرا ظهرت قوات الانصار التى صدر بيانها الاول فى مارس ١٩٧٠ فكانت منظمة فدائية جديدة أسهم فى تكوينها الاحزاب الشيوعية فى كل من الاردن والعراق وسوريا ولبنان ·· وجاء فى بيانها الأول (انها - لا تبغى منافسة أو معارضة اية منظمات مقاتلة ضد العدو - بل - ستكون رافدا من روافد المقاومة يصب فى نهرها العارم ·

وتماوجت فى الوطن العربى عدة أفكار سياسيه ·· فبرزت الفكرة القائلة بأن النظرية تنبع من فوهة البندقية ·· وعارض ذلك من يعتبرون أن فى ذلك محاولة للتقليل من أهمية ودور النضال السياسى وهو فى مضمونه استهانة بالجماهير ·

وقد شهدت السنوات التى أعقبت الهزيمة اتساع نفوذ المنظمات الفدائية وخاصة فتح التى انتخب زعيمها ياسر عرفات رئيسا لمنظمة تحرير فلسطين أثناء اجتماع المجلس الوطنى الفلسطينى بدلا من يحيى حمودة ، وانتقلت بذلك الاغلبية فى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الى أيدى ممثلى النشاط الفدائى ·

المقاومة داخل الارض المحتلة

لم تقتصر المقاومة العربية الفلسطينية على حدود الارض المحتلة وانما امتدت أيضا داخل الاراضى الاسرائيلية ·· قام بها العرب الذين بقوا تحت الحكم الاسرائيلى ·

لم تتجه المقاومة داخل الارض المحتلة الى الكفاح المسلح فى البداية ، فقد كانت قبضة القوات الاسرائيلية بعد الانتصار وبداية الاحتلال شديدة العنف تطارد السلاح كالكلاب المسعورة ·

وقد برزت الشخصية الفلسطينية وظهرت بوضوح وقوة ·· واتجهت الجماهير الى التحرك السياسى الذى نشطت فيه الجبهة الشعبية والحزب الشيوعى الاردنى والحزب الشيوعى الفلسطينى بقطاع غزة ·

وحاولت الحكومة الاسرائيلية فى مواجهة ظهور الشخصية الفلسطينية العمل بأسلوبها السابق على عدوان ١٩٦٧ ، وهو الاعتماد على شريحة محدودة من بعض الاثرياء والعملاء ·· لتمييع الشخصية الفلسطينية وتفريغ شحنة نضالها ·

وكانت بعض الاحزاب العربية قد تضامنت مع الماباى وحكومة ليفى اشكول عقب استقالة بن جوريون ·· وأيد بعضها قرار الكنيست باقامة علاقات ديبلوماسية مع ألمانيا الغربية ·· كما أيدوا الاجراءات الشكلية التى أخذتها الحكومة الاسرائيلية بنقل اختصاص الحكم العسكرى الى الادارة المدنية ومساواة العمال العرب بالعمال اليهود فى الهستدروت ·

وبعد الانصار اتبعت السلطات الاسرائيلية سياسة مزدوجة ٠٠القمع والارهاب ونحويل الارض المحتلة الى شبه مستعمرات من جهــه والنعاون السياسى مع بعض الاثرياءوخلق مايشبه السوقالعربية الاسرائيليةالمشتركة حيث تتسرب البضائع الاسرائيلية الى الاردن والدول العربية ٠

صرح ابا ايبان فى ٢٧ سبتمبر ١٩٦٧ فى مؤتمر صحفى بأن اسرائيل ترغب فى تكوين (مجتمع اقتصادى مشترك) مع لبنان والاردن ٠ واستجاب بعض الاعيان لذلك فشكلوا لجانا قومية وقطرية لاجـــراء مفاوضــــات مع الحكومة الاسرائيلية باركتها الحركات الصهيونية مثل هاعولام هازيه والمابام وماكى ٠

وفى نوفمبر ١٩٦٨ صدرت أول جريدة عربية (القدس) ٠

ولكن الفلسطينيين لم ينجرفوا فى هذا التيار السهل ٠٠ كانت هناك مجموعات أشد صلابة وتشبثا بالافكار الوطنية والقومية ٠

فى اكتوبر ١٩٦٧ تشكلت فى الضفة الغربية جبهة واسعة باسم : (جبهة المقاومة الشعبية) ٠ ضمت الحزب الشيوعى الاردنى والقوميين العرب وحزب البعث وجبهة تحرير فلسطين ٠٠ وقد استبعد الاخوان المســـــلمون والعناصر الموالية لامريكا ٠ كما جاء فى كتاب (الحركة الوطنية الفلسطينية أحمد صادق سعد وعبد القادر يس) ٠٠ وكانت هذه الجبهة تعارض اقامــة دولة فلسطينية تحت كنف الاحتلال الاسرائيلى ٠

ثم أعيد تشكيل (جبهة المقاومة الشعبية) فى منتصف عـــام ١٩٦٩ حيث نسقت العمل مع (الجبهة الوطنية المتحدة بقطاع غزة) ، وقـــد لعبت الاحزاب القومية والتقدمية دورا بارزا فى توجيه الجماهير ٠

وقد تحولت المقاومة الى شكل ايجابى ، فأغلقت كافة المحلات وتوقفت المواصلات فى اضراب عام خلال اغسطس ١٩٦٧ فى مدينة القدس ٠ وفى أول سبتمبر أصدر المدرسون فى الضفة الغربية بيان احتجاج على تزييف الحكومة الاسرائيلية للمناهج الدراسية ودعوا الى مقاطعة الدراسة ٠٠وقامت مظاهرة عمالية من العاطلين فى رفح خلال ديسمبر تطالب بالخبز فاطلــق عليها الجنود الاسرائيليون النار ، وسقط شهيد ٠

وتوالت الاضرابات والمظاهرات والاحتجاجات فى كل مناسبة وطنية أو قومية ٠٠ ووصل الامر الى حد قيام احتكاكات بين البوليس والمتظاهرين فى مدن عديدة مثل نابلس ورام الله وجنين (انظر الحركة الوطنية الفلسطينية صفحة ١٣٣)

ولجأت السلطات الاسرائيلية الى ابعاد العناصر الوطنية من الضــفة الغربية الى الضفة الشرقية ٠

وقد سجلت المحاكم العسكرية انها نظرت فى شهرين اثنين من عام ١٩٦٧ ما يقرب من ٦٥٠ قضية اهانة للبوليس والجيش الاسرائيلى ، كمـــا قدم لمحكمة غزة العسكرية ما يقرب من ٢٠٠ فدائى ٠

وقد صرح الجنرال دايان فى أول يناير ١٩٧٠ امام الكنيست ان ٩٩٩ عملا تخريبيا قد وقع خلال ٨ شهور من عام ١٩٦٩ قتل فيها ٤٠ فدائيا ٠

٢٣ جنديا اسرائيليا ، وجرح ٥٥٨ فردا ، وقد ردت السلطات الاسرائيلية بقتل ٥٠ عربيا وجرح ٥١٦ ٠

وكان هذا دليلا على أن المقاومـــة لم تقتصر على تحركات جماهـــيرية سياسية فقط ، ولكنها تجاوزت ذلك الى العمليات العسكرية التى تبنتهـــا التنظيمات الفلسطينية خارج الارض المحتلة والتى كان يتسرب أعضاؤها الى الداخل سرا ٠

وقد انفجـــرت بعض القنابل في دور الســـينما والمحلات العامة ، وأماكن التجمع داخل اسرائيل الامر الذى خلق نوعا من الذعر لاشك فيه بين المستوطنين الصهيونيين
هذا ماكان من المواطنين العرب الفلسطينيين ٠

المقاومة داخل اسرائيل

أما ماحدث داخل اسرائيل نفسها منذ اللحظة الاولى للعـــــدوان فكان يتخذ وجهة اخرى واسلوبا مختلفا ٠
كان الشيوعيون الاسرائيليون قد حذروا قبل العدوان من اشاعـــة الهستيريا العسكرية ، وأكدوا ان الحرب مهما كانت نتيجتها لن تحل أى قضية معلقة ولن تؤدى الا الى زيادة الجفاء والعداء بين اليهود والعرب ٠

وفى ٥ يونيو ١٩٦٧ كان النائبان الشيوعيان مايرفيلنر سكرتيرحزب راكاح وتوفيق طوبى عضو المكتب السياسى للحزب هما الوحيـدان من بين اعضاء الكنيست اللذان صوتا ضد اعتماد قروض عسكرية او فرض ضرائب جديدة ٠٠ كذلك حاول النائبان تجميع توقيعات النصاب القانونى لفتح باب مناقشة الحكومة فى أمر العدوان ولكنهما لم ينجحا فى ذلك لتكتل الجميـــع خلف العدوان ٠

وقال ماير فيلنر فى الكنيست (لم يكن فى استطاعة أى عدو ان يلحق باسرائيل أضرارا كتلك التى الحقتها الحكـــومه الاسرائيليه) وطالب بوقف العمليات العسكرية التى بدأتها اسرائيل فورا وبســحب القـوات الى خط الهـدنة ٠

وأضاف فيلنر (ان هذه الحرب ليسـت فى صالح شعب اسرائيـــل وليست فى صالح الشعوب العربية وانما هى فقط تخدم المصالح الامبريالية الامريكية والبريطانية وتسعى لحماية هذه المصالح بسفك دماء الشعوب).
وثار النواب ضد فيلنر وحاولوا انزاله من منبر الكنيست فصاح فيهم توفيق طوبى كما ورد فى كتاب (اطلاق الحمامة) لبيليايف وبريماكوف ٠ وكوليسنيتشنكو (انكم لن تستطيعوا كتم صوت الشيوعيين فهو صوت الحق، صوت الشرفاء من العرب واليهود ، صوت السلام ٠ ولابد يوما ان يعلو هذا الصوت على نعيقكم)

وقد قامت السلطات الاسرائيلية باعتقال عدد كبير من الشيوعيين ٠

ومن بينهم أسرة تحرير جريدة (الاتحاد) العربية لسان حال الحزب الشيوعى ومع ذلك استمرت الجريدة فى الصدور هى وجريدة الحزب العبرية (زوخادريخ) .. واحتج الشيوعيون على وضع المناطق التي يسكنها عرب الارض المحتلة تحت الحكم العسكرى .

كان الشيوعيون الاسرائيليون وحدهم هم الذين يأخذون هذا الموقف الواعى الشجاع فى ظروف شديدة القسوة . وكان صوتهم الذى يبدو نشازا فى غمرة الابتهاج الذى غمر اسرائيل وانتقل منها الى الدول الغربيـــة هو الصوت الوحيد المتعقل الذى يدرك ان نصرا فى معركة لايمكن ان يفـرض سلاما على المنطقة .

وكان النائبان الشيوعيان ماير فيلنر ســـكرتير الحزب الشيــوعى الاسرائيلى (راكاح) وتوفيق طوبى عضو المكتب السياسى للحزب هما النائبان الوحيدان اللذان صوتا ضد قرارين أصدرهما الكنيست اولهما يقضي بتوحيد القدس واخضاعها لادارة محلية واحدة ، متحديا فى ذلك قرارات الجمعيــة العامة للامم المتحدة . وثانيهما يقضي بالموافقة على قرار بنك اسرائيل الــذى أعلن فيه ان الليرة الاسرائيلية هى العملة الوحيدة التى يصرح بتداولها فى الجزء العربى من القدس .

كان الموقف الذى اتخذه النائبان الشيوعيان يتسم بالشجاعة والحرص على الموقف المبدئى فى مواجهة خطة صهيونية توسعية للاستيلاء على الارض العربية ، فبعد صدور قرارات الكنيست عقد رئيس الوزراء ليفى اشكول مؤتمرا صحفيا فى القطاع العربى من القدس واعلن ان العسكريين الاسرائيليين ليس فى نيتهم التخلى عن الارض العربية المحتلة .

وقد واصل الحزب الشيوعى الاسرائيلى (راكاح) موقفه الصلب ضد صهيونية الحكومة الاسرائيلية فى بسالة ملحوظة وحكمة ثورية .. وقاوم اعضاؤه قرارات حظر التجول بين المدن التى فرضت على اعضائه .

وظلت جريدة الاتحاد منبرا معبرا عن رأى الحزب وجماهيره .. تؤدى دورا أساسيا فى توعية الشعب العربى الفلسطينى ، وتماسكه وصلابته ، .. وتجتذب الى صفوف الحزب مزيدا من الانصار ، الامر الذى لوحظ تماما فى انتخابات البلدية ثم الكنيست .

وبعد أن كان العرب ينظرون الى الذين بقوا فى اسرائيل نظرة المتهـــادن والمتهـــاون فى وطنيته ، تحولت هذه النظرة الى تقدير واعزاز .. وأصبح الشعراء العرب فى اسرائيل نماذج للصمود والمقاومة .. وردد الناس أشعار سميح القاسم وتوفيق زياد ومحمود درويش وغيرهم بعـــد أن فتحت الصـحف العربية صفحاتها لهم واحتفت بانتاجهم .

لم يلجأ العرب الفلسطينيون داخل اسرائيل الى المقاومة المســـلحة المباشرة كما فعل زملاؤهم خارج الارض المحتلة او داخلها ، مكتفين بفرصتهم

المتاحة لمعارضة سياسة الحكومة الاسرائيلية بوسائل سياسية سواء داخل الكنيست او فى المجالات الشعبية ٠

وكانت الحكومة الاسرائيلية تتربص للعرب محاولة تصيد أى أخطاء لهم فى هذا السبيل لتضاعف القيود الفظيعة التى كانت تفرضها عليهم فى الانتقال من مدينة الى أخرى وفى سلب الحقوق التى كان مفروضا ان يحصلوا عليها باعتبارهم مواطنين اسرائيليين ٠٠ فقد كانت هناك تفرقة عنصرية واضحة ضد السكان العرب أولا ثم ضد اليهود الشرقيين ثانيا ٠

وقد لعب الحزب الشيوعى الاسرائيلى (راكاح) دورا بارزا وهاما فى ضبط ميزان المقاومة ، فتشبث بالمواقف المبدئية وناضل فى سبيلها بكل الجرأة والصراحة مع حرص على عدم الانزلاق الى مواقف غير ناضجة لاتسمح بها الظروف ولا التعبئة الشعبية المتاحة ٠

المقاومة فى مصر

لم تكن ثورة يوليو بعيدة عن المقاومة الشعبية ٠٠ كانت تلجأ لها فى أوقات الشدة ٠٠ ولكن بأسلوبها الخاص ٠

عندما انتهت حركة الكفاح المسلح فى القناة التى بدأت عام ١٩٥١ فى عهد الوفد مع حريق القاهرة ، قامت حركة الجيش بعدها بستة شهور ٠٠ ووجدت فى الكفاح المسلح طريقا رئيسيا للضغط خلال المفاوضات مع قوات الاحتلال البريطانية لاجبارها على الجلاء ٠

ورغم أن محكمة الثورة التى تشكلت من عبد اللطيف البغدادى رئيسا وعضوية أنور السادات وحسن ابراهيم قد وجهت الاتهام الى فؤاد سراج الدين سكرتير الوفد بأنه قد خاض معركة الكفاح المسلح دون استعداد ٠٠ الا أن هذا الاتهام لم يجد صدى عند الجماهير سوى الدهشة والاستغراب ٠٠ فقد كان الكفاح المسلح ورعاية الوفد له وساما من ألمع الاوسمة التى تزين تاريخ الوفد ٠

ولم تتخل حركة الجيش عن الكفاح المسلح ٠٠ ولكنها سلبته من أيدى القيادات الشعبية للاحزاب والتنظيمات المختلفة ، ووضعته بين أيدى ضباط المخابرات الحربية والعامة الذين ربما كانوا أقدر على التدريب العسكرى من غيرهم ، الا أن قدرتهم على تحريك الجماهير كانت محدودة ٠٠ ورؤيتهم للكفاح المسلح كانت تختلف عن رؤية الاحزاب الشعبية ٠

ومع ذلك أثمر الكفاح المسلح فى منطقة القناة ضغوطا كانت تزيد وتخف تبعا لموقف البريطانيين على مائدة المفاوضات ٠

ولم تكن تجربة الكفاح المسلح فى القناة خلال سنوات ١٩٥٣،١٩٥٤ هى التجربة الوحيدة التى خاضتها ثورة يوليو ٠٠ كانت هناك تجربة المقاومة الشعبية ضد العدوان الثلاثى ١٩٥٦ (أنظر الفصل الرابع من الباب الاول ــ الجزء الثانى) ٠

تغير أسلوب حركة الجيش نوعا ما ٠

صحيح انها اعتمدت على رجالها من ضباط الجيش والمخابرات ٠ ٠٠ ولكن هؤلاء لجأوا بدورهم الى القوات الشعبية وفى مقدمتهم الشيوعيون واليساريون ٠٠ وحدث نوع من التوافق والتنسيق ونكران الذات ٠ وسجلت المقاومة الشعبية أعمالا بطولية بارزة ضد قوات الاحتلال البريطاني والفرنسى فى بورسعيد وبورفؤاد ٠

ولكنه ما ان تمجلاء قوات العدوان حتى بادرت الحكومة بسحب الاسلحة من الشعب بأسلوب هادىء قام به عبد اللطيف البغدادى كما أوضحت فى الجزء الثانى ٠٠ وانفرط نسيج العلاقة النضالية التى ربطت بين حركة الجيش وبين القوى الشعبية ٠

خلال أعوام الكفاح المسلح ضد قوات الاحتلال البريطانى فى القناة ٠ وخلال فترة المقاومة الشعبية ضد المعتدين عام ١٩٥٦ ٠٠ كانت هناك فرصة التحرك فى حرب الانصار والعصابات ضد العدو ، فقد كان يحتل مناطق آهلة بالسكان ٠

ولكن عدوان ١٩٦٧ خلق ظروفا مختلفة ، فقد تغيرت نوعية العدو ، فأصبح الاسرائيليون بدلا من البريطانيين ٠٠ واستقرت بهم الحال فى سيناء شرق القناة حيث الصحراء شاسعة تكاد تكون خالية من العمران ، وليس بها الا عدد محدود من المدن (العريش ورفح) القليلة السكان ٠

أصبحت المقاومة الشعبية أشد صعوبة من ذى قبل فقد خلقت قناة السويس مانعا بيننا وبين العدو ، وضاعت فرصة التسلل عبر حدود قطاع غزة الى أرض اسرائيل ٠

وكان رفع شعار المقاومة الشعبية بعد الهزيمة الفادحة التى منيت بها القوات المسلحة يبدو نغمة نشازا فقد خسر الجيش سلاحه ، ولم تعد هناك أسلحة كافية لتسليح الشعب ٠

وقد استبدت الحيرة بجمال عبد الناصر فى ذلك الوقت فالجماهير تتصور اننا لابد أن نرد الضربة للعدو خلال شهور ، ولذا فعلينا ان نحتفظ بالاعلام والاناشيد فى الاذاعة ٠٠ وقد قال فى احدى خطبه انه بحثا عن النغمة الصحيحة سأل بعض زملائه فى الوزارة فقالوا له ان لندن كانت تذيع الاغانى العادية وقت ضربها بالقنابل أثناء الحرب العالمية الثانية ٠

كانت (النغمة الصحيحة) مفقودة فعلا فى مواجهة الهزيمة الفادحة ٠

ولكن ذلك لم يحل مطلقا دون التركيز على سرعة بناء القوات المسلحة، واقحامها فى معارك تعيد لها الثقة ، مثل اغراق المركب الاسرائيلى ايلات بصواريخ الطوربيد فى اكتوبر ١٩٦٧ وكما سيأتى تفصيلا فيما بعد ٠

وجاء رد الاسرائيليين عنيفا اذ ضربوا معمل تكرير البترول فى السويس حتى تحطم تماما ، واتجه الرأى الى تهجير السكان من مدن القناة حماية لهم من التعرض للمدفعية والطائرات الاسرائيلية ٠

وأخذت الايام تمضى والقوات المسلحة تستعيد تنظيمها وقوتها ٠٠ ولكن جماهير الشعب لاتشعر بشعور المعركة الا من بعض المظاهر التى تحيط بها ٠

ولم يلعب الاتحاد الاشتراكي دورا ملموسا في تعبئة الجماهير للمعارك، فقد كانت هناك خشية دائمة من حركة الجماهير حتى لاتخرج عن اطار حسابات خاصة تبعدها عن طواعية النظام ·

الخشية من الحركة الشعبية والتفاعل الحى معها رغم اعتماد جمال عبد الناصر عليها كان يشكل معادلة صعبة أمام النظام ·

وعندما زادت الضغوط حول قضية اشراك الجماهير فى المعركة ونقلهم من مقاعد المتفرجين الى مشاركين فعليين أعلن جمال عبد الناصر فى ٢٣ يوليو ١٩٦٩ عن تشكيل (لجان المواطنين من أجل المعركة) ·

ولم تكن حقيقة الاتحاد الاشتراكي خافية على جمال عبد الناصر فقد قال في اجتماع خاص عقده مع الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى فى نهاية ديسمبر ١٩٦٤ مانصه (الملاحظ اليوم ان هناك انعزالا بين القيادة والناس ، والذى أريد ان أقوله هو أن تنظيم الاتحاد الاشتراكي حتى الآن هو تنظيم على الورق رغم مؤتمرات الوحدات الاساسية ·· تنظيم ٦ مليون شخص عملية مستحيلة ونحن يهمنا ان ننظم القيادات والكادرات ·· اننا فعلا نطبق الاشتراكية من دون اشتراكيين وأنا لا أستطيع أن أقول اننا نطبق الاشتراكية ونريد أن نوحد الاشتراكيين بعد ذلك).

كان جمال عبد الناصر يمهد بذلك لتكوين وظهور طليعة الاشتراكيين التى شكلت فعلا كما اوضحت فى الجزء الثانى ·

وكان مفروضا ان يكون السند الرئيسى والاساس الحقيقى للمقاومة الشعبية هو هذا التنظيم الطليعى ·

واسجل حديثا لجمال عبد الناصر أيضا مع أمانة الاتحاد الاشتراكى قال فيه :

(اننا نستطيع أن نعقد مؤتمرا سواء كان فى شادر او فى الجامعة او فى الشارع ، ولكن طالما انه لاتوجد الكادرات الثورية فان الناس ستحضر ثم تنصرف ولا شىء آخر).

(من الممثل الثورى للاتحاد الاشتراكى فى العزيزية مثلا ؟ (بلدة سيد مرعى)

ويجيب سيد مرعى قائلا (سيد مرعى) فيضحك الحاضرون ·

ويستكمل عبد الناصر الصورة قائلا (انت تقيم فى القاهرة ولكن من هو الممثل الثورى للفلاحين ؟

ثم يسأل فى تحد (أين هم الناس الذين يدافعون عن الاشتراكية على أساس انهم أصحاب المصلحة الحقيقية فى الاشتراكية ؟ قد تقول لى انهم كل أهل البلد ولكن أين القيادات التى يمكن أن تتقدم وتقود هؤلاء الناس)

هكذا كان الامر راضحا عند جمال عبد الناصر منذ البداية · وطبيعة الاتحاد الاشتراكى لم تتغير بصورة جذرية ·

ولكنه عندما واجه الامر بعد يونيو ١٩٦٧ اتخذ طريقا مغايرا واختار تشكيلا جديدا هو (المواطنون من أجل المعركه) ·

كان مفروضا فى هذا التنظيم الجديد ان يحقق نوعا من الايجابية فى تعبئة الجماهير وحشدها للمعركة. ٠٠ ولكن بوادرها كانت تدل على خلاف ذلك ، فقد عين حافظ بدوى مسئولا عنها ، وهو رجل بعيد عن هذا الميدان تماما ٠٠ فليست له قدرات عسكرية ٠ وموقعه السياسى لم يتجاوز حدود محافظة كفر الشيخ التى كان مسئولا عن الاتحاد الاشتراكى بها حتى أصبح وزيرا للشئون الاجتماعية ٠

ولذا جاء هذا التعيين دليلا على رغبة عبد الناصر فى اقامة تنظيم شكلى جديد لايموج بالحيوية ولا يحشد طاقة الشعب الحقيقية ٠

ولم تكن لهذا التنظيم فعالية حقيقيه ٠ بل انه شكل ازدواجية تنظيمية غير مطلوبة ، كما انه لم يقم بدور (المليشيا الشعبية) كما قام بها (الحرس الوطنى) التابع لحزب البعث فى العراق مثلا خلال فترة زمنية معينة عام ١٩٦٣) ٠

كان اعطاء السلاح للجماهير أمرا غير وارد فى تفكير جمال عبدالناصر أو قادة النظام فى مصر لانهم كانوا يعتمدون على قدراتهم وسلطتهم الادارية فقط ، ولم يلجأوا لتسليح الشعب الا تحت ضغط ظروف العدوان ومقاومة الاحتلال كما حدث عام ١٩٥٦ ٠

ولكن الموقف بعد الهزيمة كان مختلفا ٠٠ فالعدو كما ذكرنا بعيد عن رؤية الجماهير ، ومحاربته تتم عن طريق وحدات القوات المسلحة الفدائية٠ وتسليح الشعب يشكل خطرا على النظام فى وقت اهتزت فيه الثقة بالقيادة ولايستطع التنظيم السياسى ان يكون مقنعا او محل احترام الجماهير ٠

ولذا استقبل الناس (لجان المواطنين من أجل المعركة) بسلبية واضحة وسخرية غير مستترة ٠ فقد كان حافظ بدوى الذى عين بها مسئولا شخصية غير مقنعة لأحد بأنه قادر على حشد وتعبئة الجماهير ، فلم يعرف له ماض سياسى ، ولم يشتهر بموقف نضالى ، وليست له ثقافة عسكرية تتيح له امكانية حمل عبء هذه المسئولية التاريخية ٠٠ ولذا انفرط عقد (لجان المواطنين من أجل المعركة) قبل اكتماله ، وأصبحت تنظيما اضافيا هامشيا لا قيمة له ولا تأثير ٠

ولاشك ان جمال عبد الناصر يعتبر مسئولا مسئولية تاريخية عن عدم البحث الجاد فى تكوين المقاومة الشعبية ، اذ ركز جهده فقط فى اعادة بناء القوات المسلحة ، بينما يشكل الاثنان أساسا موحدا للنضال من أجل التحرر

وكذلك فان اختيار جمال عبدالناصر لحافظ بدوى رئيسا لهذا التنظيم الجديد يعتبر فى ذاته خطأ بالغا ٠ لانه لا يضع الشخصية المناسبة فى المكان المناسب ، واما انه يعطى ايحاء صريحا بأن هذا التكوين كان لعبة من ضمن الالعاب التى يمكن ان تمتص بعض طاقة الناس أو غضبهم ٠

ولكن (لجان المواطنين من أجل المعركة) لم تحقق شيئا من ذلك ولم تقدم شيئا نافعا ٠٠ وظلت المقاومة الشعبية كلمة وشعارا بعيدا عن التحقيق ٠

الفصل الثالث

العرب ... وظلام الهزيمة

(تقدم او ٠٠ مت)

شعب الجزائر فى مظاهرات
٩ يونيــو ســنة ١٩٦٧

لم نفرض الهزيمة نفسـها على العرب ، ولم نرضخ الجماهير للنتيجة ، ولم تترنح من الصدمة المذهلة ٠

تشابه الموقف تقريبا فى الـدول التى احتلت أرضها أو الدول التى لم تتأثر مباشرة من العدوان ، بدرجات متفاوتة ٠

وعلى قدر ما انحدت المشاعر تأييدا لمصر وجمال عبد الناصر يوم ٥ يونيو على قدر ماكان قبول وقف اطلاق النـار طعنة لبعض هذه المشـاعر لانه كان يعنى عندهم الاستكانة لمذلة الهزيمة ، واطفاء لجذوة القتال التى اشـتعلت فى الصدور ٠

أشد مظاهر هذا الرفض كانت فى الجزائر حيث يعيش الشعب الذى حارب الاستعمار الفرنسى سبع سنين ، والذى لم يتخيل مطلقا ان حربا يمكن ان تنتهى فى ستة ايام أو ان جيشا يمكن ان يوقف اطلاق النار والعدو يحتل ارضه .

ولايمكن التشكيك لحظة واحدة فى تقدير شعب الجزائر وحبه لجمال عبد الناصر ودوره الايجابى فى مساندة الثورة الجزائرية .. وعندماوصلت أنباء العدوان كان هوارى بومدين قد ألقى خطابا قبلها بأيام قال انه فى حالة وقوع الحرب فانه ليس امام العرب من خيار الا (النصر أو الاستشهاد) . وتجمع الناس حول أجهزة الاذاعه يستمعون .. ومؤشراتهم تتجه الى القاهرة وصوت العرب .. وعندما تواترت أنباء الانتصارات الاسرائيلية فى وكالات الانباء ومحطات الاذاعة الاجنبية ، طلبت اذاعة الجزائر من المستمعين ألا يستمعوا أو يصدقوا ماتذيعه هذه المحطات ، لانها تشكك فى سير المعركة .

وظل الجزائريون يرتبطون بخيط الامل فى استمرار المعركة وانتصار العرب الى ان أعلن قرار وقف اطلاق النار ، فانفجرت عواطف الجماهير تلقائيا وبدفقت المظاهرات تهتف بسقوط جمال عبد الناصر .

ارتفعت رؤية الشعب فوق تقدير الشخص والزعيم .

وعندما أعلنت اذاعة القاهرة عن خطاب جمال عبد الناصر يوم ٩ يونيو أخذت الاذاعة الجزائرية اجراء لم تفعله من قبل وهو اذاعة الخطاب مباشرة على الهواء فى نفس الوقت .

ولم يكد يعلن جمال عبد الناصر اصراره على التنحى حتى خرج الناس الى الشوارع غير مصدقين قائلين لعبد الناصر Marche - ou - creve أى (تقدم أو مت) .

وظل مجلس الوزراء الجزائرى فى حالة انعقاد دائم .. ونقل وزير الاعلام الجزائرى مقره الى مبنى الاذاعة والتليفزيون .

وكان جمال عبد الناصر قد اتصل بهوارى بومدين بعد تدمير القوات الجوية شارحا له الموقف وطالبا منه ارسال طائرات جزائرية .

ويقول هوارى بومدين انه طلب من جمال عبد الناصر عدم التوقف عن القتال حتى عندما ابلغه انه ليس هناك قوات مسلحة قادرة على صد الهجوم عن القاهرة . وانه ليس هناك دفاع جوى قادر على حمايه المنشآت الحيوية .

كان هوارى بومدين يؤمن بضرورة استمرار المعركة ونقلها الى ساحة الشعب ، لان ذلك كان يعنى فى النهاية انتصارا شعبيا مؤكدا مهما بعد الوقت او زادت التضحيات .

ومع ذلك لم يتردد بومدين لحظة فى الوقوف الى جانب مصر وجمال عبد الناصر فقد طلب منه أن يرسل طيارين مصريين لقيادة الطائرات من الجزائر الى مصر .

ويقول بومدين ان الجزائر قد ارسلت كل ماكانت تملكه من طائرات .

ولكن نقمة الشارع الجزائرى على موقف جمال عبد النـاصر كان تزداد شدة وعنفا ٠٠ وظهرت الطبيعة الجزائرية الجادة عندما حاول بعض الجزائريين الاعتداء على عدد من المصريين كانوا يسبحون على الشاطىء فى الايام الاولى التى أعقبت الهزيمة ٠٠ وغضب طيار جزائرى من احـــد الطيارين المصريين الذين حضروا لقيادة الطائرات عندما تساءل عما اذا كانت هناك فرصـة لمشاهدة العاصمة الجزائرية فى وقت كان الناس فيه جميعا يحتاجــون الى دقيقة واحدة ٠

وكان جمال عبد الناصر قد ارسل خطابا الى الملوك والرؤساء العرب يوم ٨ يونيو يوضح فيه افكاره فى هذه اللحظات الدقيقه ويقترح زيارة هوارى بومدين الى موسكو والملك حسين الى واشنطن ٠

وقد استدعى بومدين السفير السوفيتى وأبلغه بخبر رحلته فى اليوم التالى ٠٠ ولم تفلح محاولات السفير فى تأجيل الزيارة حتى يستعد الزعماء السوفييت لاستقبال الزعيم الجزائرى ٠

وصل بومدين الى موسكو يوم ١١ يونيو ودارت بينه وبين الزعمـاء السوفييت مناقشات هامة ، حاولوا أن يوضحوا له فيها انهم قاموا بدورهم فى مساندة مصر بأسلحة كافية لم تستخدم ، وأن تدخلهم المباشر فى هذا الوقت يعرض العالم لخطر حرب عالمية ثالثة ، وانهم لن يترددوا فيمساعدة مصر لاعادة بناء قواتها المسلحة ٠٠ ولم يعد بومدين مقتنعا تماما بآراءالقادة السوفييت فقد كان يريد مساعدة فوريه ومباشرة ٠٠ وقد أمضى بعد ذلــك عدة أيام فى القاهرة ٠

وكان جمال عبد الناصر قد تلقى فىنفس اليوم الذى وصل فيهبومدين الى موسكو ــ ١١ يونيو ــ رسالة وقعها بريجنيف وكوســجين وبودجورنى تقــول :

أيها الصديق ٠٠

اننا ندرك خطر الموقف الذى نشأ فى بلادك نتيجة العدوان الاسرائيلى ومؤامرات القوى الامبريالية واننا نريدفى هذه اللحظة ، هذهاللحظةالعسيرة هذه اللحظة المسئولة ان نعرب عن اعتقادنا الجازم بأنه يجب عليك الاتترك بلادك او قيادتك ٠

الصديق العزيز عبد الناصر :

انك تتمتع بسمعة كبيرة فى العالم العربى ٠٠ ان شعوب العالـــم العربى تحبك وتثق فيك وتسندك ، وان أصدقاءك فى جميـع انحاء العـالم يعتمدون عليك ، ويعتقدون أن استمرارك فى موقعك هو وحده الذى يمكنك من العمل والنضال لاستعادة مافقد وحماية الانتصـارات الكبرى للثـورة العربية وقيادتها الى النصر النهائى ٠

ان العالم العربى والقوى التقدمية فى العالم لن تفهم ولن تقبلتخليك عن موقعك الآن ، ولقد عقدنا اجتماعا فى موســكو أمس لزعماء الاحـزاب والحكومات الشيوعية من جميع الدول الاوربية الاشتراكية ، ونحن فىسبيل

اصدار اعلان نقدم اليك فيه كل التأييد ، كما قررنا بذل جهود مشتركةلحل جميع المشاكل التي تواجهك اقتصادية أو عسكرية ونحن على استعداد لمناقشة كل شيء معك ·

مع عميق احترامنا

بريجنيف ـ كوسجين ـ بودجورني

رفع هذا الخطاب معنوية جمال عبد الناصر وشد من عزيمته بعدموقف الشعوب على امتداد الوطن العربى التى طالبته بعدم التنحى ·

وفى مقابل هذا الموقف السوفييتي المساند ، كان موقف جونسون مع الملك حسين في غير صالح العرب اذ قال له فى الوقت الذى كانت فيه كل الدلائل تشير الى تورط أجهزة الولايات المتحدة فى التخطيط للعدوان (لماذا كنتم على هذا القدر من الغباء الذى جعلكم تتورطون ؟) ·

وعموما فقد ظهر التباين واضحا فى الموقفين السوفييتى والامريكى· وبقى بومدين فى القاهرة عدة ايام الى جانب عبد الناصر ·· بينما عادالملك حسين الى عمان ·

وهكذا لم يكن موقف الجزائر اندفاعا عاطفيا لمحاولة احراج مصر وقيادتها ·· ولكنه كان تعبيرا عن غضبه حقيقية لجرح اصاب القومية العربية التى جعلت الثورة الجزائرية منها محورا رئيسيا للنضال ·

ومرة أخرى ذهب هوارى بومدين الى موسكو مع عبد الرحمن عارف رئيس جمهورية العراق يوم ١٧ يوليو ١٩٦٧ عقب زيارة بودجورنى لمصر التى عرض فيها جمال عبد الناصر اقتراح توقيع اتفاقية دفاع مشترك بين الدولتين ، وتحميل السوفيت مسئولية الدفاع الجوى عن مصر ·

كان جمال عبد الناصر فى ذلك الوقت يستهدف تقريب الاتحاد السوفييتى من المشكلة واشعارهم بأن هزيمة مصر هى هزيمة لهم · وكان الاتحاد السوفييتي يدخل فى حساباته سياسة الانفراج الدولى التى كان يتبناها ، فتردد فى قبول العرض المصرى حتى لاتلتهب المنطقة بأكثر مما يحتمله السلام العالمى ·

وكان عبد الناصر خلال زيارة بودجورنى قد وافق على تقديم تسهيلات بحرية للاسطول السوفييتي فى البحر الابيض ، ولكنه رفض ان تكون لهم قاعدة خاصة مغلقة ·

وسافر بومدين وعارف لمطالبة السوفييت بمزيد من المساعدةللعرب ·· وقال لهم بريجنيف انه قد أمضى فى موسكو عدة ليال بلا نوم نتيجة للتحذيرات التى كانوا يتلقونها من أن اسرائيل تدبر عبورا لقناة السويس · وهو أمر قد يكون مستبعدا لوقوف السوفييت مع العرب ولان ذلك يعتبر تحديا للرأى العام العالمى ، ومع ذلك فان ذلك ـ فى رأى بريجنيف ـ كان يمكن ان يحدث ويتم اندفاع سريع نحو القاهرة الامر الذى يقرب العالم من شفا الهاوية ·

وذكر بريجنيف لبومدين وعارف المساعدات التى قدمها الاتحاد

السوفييتي لمصر فقال انه خلال اسبوعين أرسلنا حمولة ١٥ سفينة من المواد الحربية زنتها ٨٤ ألف طن علاوة على ارسال ١٥٠٠ خبير ٠

وعاد الزعيمان العربيان الى مصر بعد شرح وجهة نظرهما للزعماء السوفييت ٠

ولكن هواري بومدين لم يشأ المشاركة في أي موقف يسوى المشكلة بغير طريق الحرب والقتال ٠

ولم تكد تمضي شهور حتى أعلن هواري بومدين يوم ١٥ ديسمبر ١٩٦٧ عن فشل محاولة انقلابية في الجزائر وتقديم المسئولين عنها للمحاكمة بعد عزل طاهر الزبيري رئيس الاركان وتولى بومدين قيادة القوات المسلحة ليبقى زعيما عربيا مناضلا من أجل التحرر والاشتراكية والوحدة العربية ٠

ولم يذهب هواري بومدين الى مؤتمر الخرطوم ـ أغسطس ١٩٦٧ ـ أناب عنه عبد العزيز بوتفليقة ولم يقبل قرار مجلس الامن ، وقرر سحب القوات الجزائرية التي كانت ترابط في مصر لانها اصبحت بلادور ٠

ولاشك ان الامة العربية على امتداد الوطن كانت قد تأثرت الى حد بعيد بدعايات وتصريحات المطالبين بتدمير اسرائيل ، والذين رسخت في عقولهم هذه المطالبة حتى أصبحت حقيقة يصعب تغييرها ٠٠ ولذا كان قبول قرار مجلس الامن ايضا في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ صدمة ثانية بعد قبول قرار وقف اطلاق النار ٠

ولكن هذا لايعني ان القرار الذى اتخذه جمال عبد الناصر بوقف اطلاق النار أو قبول قرار مجلس الامن كان نابعا من موقف ضعف وتخاذل ، أو انه كان تعبيرا عن روح انهزامية ٠٠ ذلك القول يحمل الامور فوق ماتحتمل ٠٠ فالحقيقة ان مجابهة الامر الواقع كانت تفرض ذلك ٠٠ فلو لم يتخذ قرار وقف اطلاق النيران لاستمر جموح العدوان في وقت كانت مصر قد فقدت فيه بسبب قيادتها العسكرية المهترئة معظم قواتها المسلحة ٠٠كما أن جميع دول العالم غربا وشرقا ماكانت لتقف بجانب مصر لو كان هدفها عدوانيا ويقصد تدمير اسرائيل ٠٠ ان الدول الصديقة وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي كانت تتخذ موقفا استراتيجيا واضحا لدى مصر وهو أنها تقف هنا للدفاع عن أرضنا ضد عدوان الامبريالية والصهيونية التوسعيه ، ،ولكنها لاتخطو هنا خطوة واحدة ضد الوجود الاسرائيلي ٠

وقد لايتسق هذا الموقف مع عواطف العرب ٠٠ ولكنه كان الاختيار الاستراتيجي للسوفيت منذ عام ١٩٤٧ بعد دراستهم لامور المنطقة ٠

ولذا فان نشوز جمال عبد الناصر أو رفضه لقرار مجلس الامن الذى نص على احترام وجود دول المنطقة كان يعرضه لعزلة عالميه قد يشترك فيها الاصدقاء أيضا ٠

واذا كان جمال عبد الناصر قد استند على باقي رصيده من الثقة الشعبية في قبول قرار مجلس الامن ، وقبلت الاردن ايضا القرار حيث يستقر النظام على أسس لاتسمح له باتخاذ موقف الرفض ٠ فان أنظمة عربية كثيرة رفضت القرار ٠٠ سوريا من دول المواجهة ثم العراق والسودان والجزائر ٠

رفضت العراق قرار مجلس الامن رغم ضعف نظام عبد الرحمن عارف الذى كان على علاقة طيبة بالنظام فى مصر ، ورغم ان العدوان الاسرائيلى لم يمس العراق مباشرة ·

كانت العراق فى حالة غليان ضد الهزيمة ·

وكان حزب البعث فى العراق قد بدأ يلعب دورا سياسيا ضاغطا ضد الحكومة ·· وبقول التقرير السياسى للمؤتمر القطرى الثامن للحزب ـ فبراير ١٩٧٤ ـ مايلى :

(فى الواقع كان حزب البعث العربى الاشتراكى فى وضع خاص واستثنائى جدا ، فقد كان للحزب ثقل مادى ومعنوى كبير فى حياة البلاد السياسية برغم كل الحساسيات تجاهه وبرغم مواقف العداء ومحاولات العــزل التى كانت تتخذها أوساط سياسية عديدة ضده ، ولانه كان الحزب الوحيد فى القطــر العراقى الذى سبق له ان تسلم السلطه السياسية عن طريق الثورة المسلحة فان كثيرين كانوا ينظرون اليه على انه القوة السياسيه الوحيدة فى البــلاد القادرة فعلا على تكرار هذه العمليه ؟ ·

أسهم الحزب بدور رئيسى فى خروج مظاهرات الاحتجاج مع بداية العدوان أمام السفارتين الامريكية والبريطانية فى بغداد ·· وقاد هذه المظاهرات الزعيم احمد حسن البكر الذى رفع شعارات (مساندة المقاومه الفلسطينية) ·

وكانت القوات العراقية قد اتجهت قبل العدوان الى الاردن كما ذكرنا وقد ودعها عبد الرحمن عارف بخطبة كانت محل التندر والسخرية لانهـا طالبت الجنود بأن يحسنوا التصرف عندما يجتاحون أرض اسرائيل ·· وقد وصلت هذه القوات بعد الهزيمة واستقرت هناك بأعداد وصلت الى مايزيـد عن ٥٠٫٠٠٠ جندى ·

وشكلت فى بغداد حكومة جديدة برئاسة الفريق طاهـر يحيى بـدلا من الوزارة التى كان يراسها عبد الرحمن عارف ·· وكانت الحكومة العراقية قد أوقفت تصدير البترول الى الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية ، كذلك حظرت استيراد السلع من هذه الدول ، ومنعت طائراتها من الهبـوط فى العراق ، كما قطع العراق علاقاته الديبلوماسية بالولايات المتحدة وبريطانيا وكانت مقطوعة اصلا مع المانيا الغربية . كما اغلق كافة المراكز الثقافية التابعة للدول الاستعمارية المذكورة ·

ومع ذلك فان حزب البعث بدأ يخطط للاستيلاء على السلطة متخذا من رفض الهزيمة حافزا شديدا على ذلك وكان النظام ضعيفا والتنظيمات السياسية مشرذمة وغير متحدة ·

ولم يكن للبعث فى العراق فى ذلك الوقت صلة بالنظام الحاكم فى سوريا اذ أنه اتخذ موقف الرفض المبدئى للانقلاب السورى الذى أطاح بامين الحافظ فى ٢١ فبراير ١٩٦٦ رغم احتفاظه بلافتة بعثية اذا اعتبر ذلك خروجا علـى تقاليد الحزب ·

وبرزت الحاجة الى التحالف مع قيادة الحرس الجمهوري لنجاح الحركة العسكرية من الجهة الفنية ، وتم ذلك عن طريق التفاهم مع قائد تلك القوات ابراهيم الداود (رغم تشخيص الحزب الدقيق لاتجاهاته السياسية وأطماعه الشخصية) على حد تعبير التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن – فبراير ١٩٧٤) ٠

وقد ورط ابراهيم الداود قيادة الحزب بابلاغه عبد الرزاق النايف أخبار الحركة العسكرية قبل وقوعها ٠٠ الامر الذى وضع القيادة القطرية للحزب أثناء اجتماعها صباح يوم ١٦ يوليو ١٩٦٨ في دار احمد حسن البكر في وضع حرج عندما وصلتهم رسالة من النايف يبدى فيها استعداده للمشاركة في الثورة ٠

قبلت القيادة القطرية الوضع حتى لاينفضح أمر الثورة ، وارتضت تعيين عبد الرزاق النايف رئيسا للوزراء ، مما سبب صدمه مفاجئة لبعض أنصار الحزب الذين لم يعرفوا حقيقة مادار في الكواليس ٠

ومنذ اللحظة الاولى لقبول هذا الوضع الجديد الذى عرض خط الحركة الثورية للتشويه بدأ التفكير في ضرورة تصفية النايف والداود معا ٠

وفى الثالثة من صباح ١٧ يوليو انقض اعضاء حزب البعث المكلفون بتنفيذ الانتفاضة المسلحة على كتيبةدبابات الحرس الجمهورىوحاصروا القصر الجمهورى وكان فى طليعتهم صدام حسين ، واتصلوا بعبد الرحمن عارف طالبين منه التسليم على ان تحفظ له حياته ويسافر الى خارج العراق بسلام وقد تردد عارف فى البداية ولكنه عندما لمس ان الهجوم على القصر قد بدأ باطلاق النيران وانه محاصر ، تراجع وقبل عرض التسليم ، فسافر الى خارج العراق فى الصباح ٠

وكان تحريك اللواء العاشر المدرع نحو بغدادبندا هاما من بنود الخطة وقد حاول عبد الرزاق النايف بعد تنازل عارف منع اللواء من التحركولكن البعثيين فى اللواء رفضوا ذلك وأكملوا خطتهم حيث اتخذوا لهم موقعا فى منطقة (أبو غريب) ٠

ولم يدم الوضع إكثر من ١٣ يوما بعد الحركة الثورية اذ نفذت عملية تصفية النايف وابراهيم الداود صباح ٣٠ تموز عندما كان الداود فىالاردن لتفقد القوات العراقية هناك ، وقد اعتقل النايف داخل القصر الجمهورىرغم حساسية الوضع لوجود عدد من المؤيدين له فى قوات الحرس الجمهورى .وفى داخل مبنى القصر الجمهورى ، حيث مقر أمين سر القيادة القطريه احمد حسن البكر ٠

وفى الساعة السادسة من مساء ٣٠ يوليو صدر بيان فى الاذاعة ينهى الوضع المعلق مابين ١٧ ،٣٠ يوليو والذى اعتبره حزب البعث (من أكثر الاوقات دقة وحرجا فى حياة الحزب ، ومن أشدها خطرا على وجوده.ومستقبله وعلى الحركة الوطنية فى القطر ٠٠ بل وعلى حركة الثورة العربية ايضا) ٠

وكانت الانتفاضة الثورية فى ١٧ يوليو تأكيدا لموقف رفض الهزيمة من جانب العراق ٠

جاء فى البيان الاول للثورة هذه الكلمات :

كانت ثوره ١٧ يوليو ١٩٦٨ هى اول ثورة تحدث فى الوطن العربى بعد الهزيمة ٠٠ وقد عاد بها حزب البعث الى السلطة بعد اقصائه عن الحكم عقب احداث نوفمبر ١٩٦٣ ، والتى كانت سببا رئيسيا فى هدم العلاقه بين جمال عبد الناصر وبين حزب البعث ، وهى العلاقة التى بدأت تسوء فى عهد الوحدة وخاصة بعد استقالة اكرم الحورانى وصلاح البيطار ٠ والتى لم تنجح محادثات الوحدة الثلاثيه عام ١٩٦٣ فى تصفيتها من الخلافات ٠

وكانت محاولة جاسم علوان ومحمد الجراح الانقلابية فى سوريا (يوليو ١٩٦٣) مبعث شك فى اسلوب جمال عبد الناصر من جانب حزب البعث ٠ وقد أعقب وصول امين الحافظ الى الحكم فى سوريا بعد طرد لؤى الاتاسى عده مقالات عنيفة كتبها محمد حسنين هيكل ضد البعث فى صحيفة الاهرام وكان يرد عليها طارق عزيز وزير الاعلام فيما بعد فى صحيفة البعث صباح كل خميس ٠

ويذكر ان محاولة قد تمت لتصفية الجو بين مصر والعراق أثناء اشتراك البعث فى الحكم على عهد عبد السلام عارف ، وتقرر سفر وفد يرأسه عبد السلام عارف ومعه طاهر يحيى ، وذلك خلال سبتمبر ١٩٦٣ ٠

ويدلل طارق عزيز على صدق رغبة البعث فى تصفية الجو بان السيد احمد حسن البكر رفض نشر مقال كتبه ردا على هيكل قبل أيام من سفر هذا الوفد ، وقد قال لكريم شنتاف المسئول السياسى عن الجريدة انه سوف ييأس اذا نشر هذا المقال لانه سيحطم محاولة تصفية الجو ٠٠ وفعلا سحب المقال من المطبعة فى اللحظة الاخيرة ٠

قال لى طارق عزيز ان الاجتماعات كانت تتم بين الوفدين مكتملين ولكنه لاحظ عقب حفل عشاء فى سراى القبة ان عبد الناصر قد اختلى بعارف لمدة طويلة فى الحديقة الكبيرة ٠٠ وأثناء العودة طلب عارف من طارق عزيز أن يكتب برقية بمناسبة مغادرة الاجواء المصرية ، فكتبها طارق وذكر فيها شعار (وحدة ـ حرية ـ اشتراكية) وفوجىء بعبد السلام عارف يقول له اننى لست حزبيا ولا داعى لكتابة هذا الشعار ومع ذلك فقد تراجع ووافق على ارسال البرقية كما هى ٠

وبدأت المرارة الشديدة تستقر فى نفوس البعثيين فى العراق عندما تابعوا اذاعة صوت العرب وهى تهاجمهم اثناء احداث نوفمبر ١٩٦٣ ، ثم فى رفض عبد الناصر التقارب من الحزب فى سوريا بعد ذلك رغم مقالات صلاح البيطار التى نشرها عام ١٩٦٤ فى محاولة لرأب الصدع ، رغم انها عرضته لهجمات عدد من زملائه فى الحزب ٠

وقد أثارت محاولة البعث تسلم السلطة فى نوفمبر عام ١٩٦٤ معارضة شديدة وهجوما من جانب مصر ، وقام عبد السلام عارف باعتقال عدة آلاف ٠

ويذكر أن احمد حسن البكر قد اعتقل في هذه الفترة وأفرج عنه في أوائل عام ١٩٦٥ ، وأن صـدام حسين نائب أمين سر القيادة القطرية قد اعتقل بعد ان فرغت ذخيرته التي وجهها الى الهاجمين عليه : وظل معتقلا الى أن هرب من السجن عام ١٩٦٦ .. وقد انتخب البكر وصدام عضوين في القيادة القومية أثناء وجودهما في السجن .

ولم يكن معقولا من قادة البعث ان يقتربوا خلال هذه الفترة من جمال عبد الناصر وأجهزة الاعلام في القاهرة تأخذ منهم موقف العداء .

وأخيرا كان احتفاء عبد الناصر بمجموعة (الاتاسي ـ زعين ـ جديد) التي وثبت الى الحكم في ٢٣ فبراير ١٩٦٦ في سوريا أمرا يتعارض مع اتجاه البعث في العراق الذي اتخذ موقف الرفض المبدئي منها كما ذكرنا .

وعندما نجحت ثورة ١٧ يوليو ١٩٦٨ أخذ جمال عبـد الناصر منهـا موقف التحفظ ، ولكن الاهرام نشرت يوم ٣١ يوليـو أخبارا مساطرة مع النايف والداود اللذين أبعدا عن الحكم واستقر بهما المقام بعـ[illegible] في السـعودية .

كانت المرارة قد ترسبت في قلوب البعثيين .. وكان عبد الناصر مازال محتفظا برأيه الذي أعلنه أثناء المحادثات الثلاثية في حزب البعث .

ولاشك ان موقف جمال عبد الناصر من رفض فـكرة الاحـزاب كان خاطئا بدليل تراجعه عنه أثناء هذه المحادثات عندما قال (ان حل الاحزاب السورية على اختلاف مشاربها سار بسرعة شديدة (وماكانش صح) ..وقال أيضا (احنا في ١٩٥٨ كان لازم اتبعنا أسلوب آخر وهو حل الاحزاب التي لاتتفق في الهدف ، ثم جمع الاحزاب الاخرى القومية التي تجمعها وحدة الهدف تكون هي الطلائع الثورية في جبهة قومية تسير على هدف واحد) .

ولكن جمال عبد الناصر مع ذلك لم يأخذ خطوة ايجابية لعبور هذه الهوة التي فصلت بينه وبين فكرة وجود الاحزاب عموما ، وقبول حزب البعث أو الاحزاب الشيوعية خصوصا .

وظلت هذه الخطيئة ملازمة له لم يحاول التخلص منها بصورة جادة حتى داخل مصر .

لم يحاول قادة ثورة ١٧ تموز الاقتراب من جمال عبد النـاصر ، ولـم يحاول هو من جانبه ان يزيل الحساسيات رغم كآبة جو الهزيمة .

عندما عقد مؤتمر قمة دول المواجهة ذهب الفريق صالح مهدي عماش ، ولم يحدث بينه وبين عبد الناصر أي تقارب رغم السنوات التي امضـاها في مصر .

وعندما قامت الحركة العسكرية الليبية في الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ توجه وفد عراقي برئاسة صدام حسين الى هناك وفي طـريق عـودته مر بالقاهرة ، وهو الذي عاش فيها سنوات بعد اشتراكه في محاولة الاعتـداء على عبد الكريم قاسم وهربه الى سوريا ثم مصر حيث بقي بها الى أن قامت ثورة ٨ فبراير ـ ١٤ رمضان فعاد الى بغداد من القاهرة .

ولم يلتق جمال عبد الناصر بصدام حسين فى ذلك الوقت وضاعت فرصة لقاء رجلين كان يمكن لهما ان يتفقا على موقف سليم جديد .

وعندما عقد مؤتمر الرباط ذهب حردان التكريتى ممثلا للعراق وضاعت فرصة لقاء بين قادة الثورة المصرية وقادة الثورة العراقية .

السـودان :

كانت الخرطوم هى العاصمة التى ارتضى جميع الملوك والرؤساء أن تكون مقرا لاجتماع مؤتمر القمه بعد الهزيمة .. وقد لعب اسماعيل الازهرى ومحمد أحمد محجوب دورا رئيسيا فى عقد هذا المؤتمر سبق أن أشرنا اليه .

وكانت السودان من الدول التى رفضت الهزيمة وقرار مجلس الامن أيضا ..

ولكن الموقف السياسى فى السودان لم يكن هادئا ، رغم أن الحكم كان مشاركة بين الاحزاب التى أحرزت الاغلبية فى انتخابات ابريل ١٩٦٥ والتى قاطعها الجنوبيون وحزب الشعب الديمقراطى والتى اسفرت عن حصول حزب الامة على ٧٥ مقعدا من ١٧٣ والوطنى الاتحادى على ٥٣ مقعدا والحزب الشيوعى على ثمانية مقاعد ..كما أسفرت انتخابات الخريجين على حصول الحزب الشيوعى على ١٣ مقعدا من ١٥ .

وكانت الحكومة قد افتعلت حادث تهجم على الدين الاسلامى من طالب كان منتسبا للحزب الشيوعى فى الماضى وأصدرت قرارا بحل الحزب الشيوعى وفصل جميع أعضائه من الجمعية التأسيسية .

رفع الحزب الشيوعى ذلك القرار الجائر الى المحكمة العليا التى أصدرت حكمها برئاسة بابكر عوض الله بعدم شرعية تعديل الدستور الذى تم بموجبه حل الحزب الشيوعى وطرد اعضائه من الجمعيه التأسيسيه .. ولكن وزير الداخلية والجمعية التأسيسية رفضا الاستجابه الى قرار المحكمه ، الامر الذى دفع بابكر عوض الله الى الاستقالة من منصبه فى مايو ١٩٦٧ احتجاجا على عدم تنفيذ قرار المحكمة .

ولم يكن هذا هو التناقض الوحيد الذى يفرضه نظام الحكم فى السودان .

ظهر تناقض فى صفوف حزب الامه بين الهادى المهدى ومعه محمد أحمد محجوب من جهة وبين ابن شقيقه الصادق المهدى من جهة أخرى ، أدى الى انقسام الحزب الى كتلتين متنافستين .

وظهر تناقض ثالث حول الدستور الذى تشبثت بعض القوى الرجعية بأن يكون دستورا اسلاميا .

وانتهى الامر ايضا الى عودة حزب الشعب الديموقراطى الى الاندماج فى الحزب الوطنى الاتحادى حيث تكون حزب جديد باسم حزب الاتحاد الديموقراطى .. وكانت هذه هى نهاية ارتباط حزب الشعب الديموقراطى بالتجمع الاشتراكى الديموقراطى الذى كان يضم القوى والاحزاب التقدمية واليسارية .

واصبحت الحالة السياسية فى السودان تعبر عن احزاب تقليدية عاجزة عن اقناع الجماهير .. وجماهير متطلعة الى التغيير .

تجمع لكل القوى التقليدية فى موقع السلطة .. وتجمع لكل قوى التقدم والاشتراكية فى موقع المعارضة .

وحلت الجمعية التأسيسية فى أواخر عام ١٩٦٧ لتنعقد من جديد فى فبراير ١٩٦٨ بعد انتخابات جديدة دشنت سلطه الاحزاب التقليديه التى حاولت الاتحاد لمقاومة الاتجاهات التقدمية التى انتشرت وسط الطبقه العاملة والمثقفين والمزارعين .

ولكن تحالف الاحزاب التقليدية عجز عن اقناع الجماهير المتطلعة الى التغيير ، وخاصة ان تدهورا سريعا حدث فى الاقتصاد السودانى . فقد قفزت المصروفات العامة من ٥٨٫٥ مليون جنيه عام ١٩٦٣ الى ١٠٧ مليون جنيه أى بزيادة ٤٨٫٥ مليون جنيه بينما لم تزد ايرادات الميزانية بعد فرض سلسلة من الضرائب المباشرة وغير المباشرة الا بمقدار ٣٧٫٥ مليون جنيه ، وارتفعت ديون القطاع العام للمصارف من ٣٫٩ مليون جنيه عام ١٩٦٥ الى ٤٦ مليون جنيه عام ١٩٦٩ .. وواجهت الميزانية عجزا سنويا يتراوح بين ٦ ملايين ٩ مليون جنيه كل عام ، ونتيجة لذلك انخفضت الارصدة الاجنبية انخفاضا كبيرا متصلا ، فتدهورت العملات القابلة للتحويل من ٦١ مليون جنيه عام ١٩٦١ الى ١٦٫٣ مليون جنيه عام ١٩٦٩ (انظر كتاب ــ مصر والسودان كفاح مشترك ــ لكاتب هذه السطور) .

ووصل الامر الى حد تأخير صرف مرتبات الموظفين بضعة أيام كل شهر .. وارتفعت الاسعار ووصل سخط الجماهير غايته .

وكان التنظيم التقدمى الرئيسى ــ الحزب الشيوعى السودانى ــ يمارس دوره النضالى فى تعبئة الشعب متعاونا مع الاتحادات الديموقراطية المالية والمهنية والفئوية .

وكان الحزب الشيوعى قد لعب دورا رئيسيا فى انتصار ثورة ٢١ اكتوبر ١٩٦٤ التى اجهضها موقف الاحزاب التقليدية .. وقد اوضحت ذلك فى الجزء الثالث (عبد الناصر والعرب ــ الباب الخامس) .

وكانت هناك صلة بين الحزب وبين الضباط السودانيين الاحرار ، وقد وضح ذلك فى جريدة الاحرار التى أصدرها الضباط الاحرار بدلا من صوت القوات المسلحة اذ جاء فى عدد ٤ يناير ١٩٦٥ بعد انتصار ثورة اكتوبر مايلى :

(نحن ندرك اليوم كما يدرك العمال والمزارعون والمثقفون بأن طريق الرأسمالية الذى سرنا فيه بعد الاستقلال والذى أدى الى انقلاب ١٧ نوفمبر لترسيخه انما هو طريق شقاء لا حدود له بالنسبة للشعب وهو لايقود الى التقدم بل الى التخلف والتبعية التامة للاستعمار ولفقدان الاستقلال نفسه) .

(نحن ندرك ذلك ونتلفت حولنا فنرى بلادا عانت من الاستعمار مثلنا بل أشد ولكنها شقت طريقها ونجحت فى حماية استقلالها ذلك لانها رفضت الطريق الراسمالى واتخذت الاشتراكية هدفا لها).

وخلال فترة حكم الاحزاب التقليدية حاولوا ضرب القوى الوطنية فى الجيش عن طريق مؤامرة مفتعلة اختاروا لها (ملازم ثان) اسمه خالد الكد يمت بصلة قرابة الى الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى وان لم تربطهما معا اية صلة سياسية او تنظيمية ٠

واعتقل خالد الكد والضباط جعفر نميرى والشهيد هاشم العطـــا والرشيد نور الدين ورشيد أبو شامة ومن المدنيين الشـــــهيد المناضـــل عبد الخالق محجوب وغيره ٠٠ ثم تبين ان التدبير كان ساذجا ، وعجز التحقيق عن توجيه الاتهام لاى معتقل فافرج عنهم جميعا ٠

ولكن صدرت الاوامر بنقل بعض الضــباط ، جعفر نميرى الى غـرب السودان ، وفاروق عثمان حمد الله الى جوبا ٠

وهكذا كان الموقف داخل القوات المسلحة السودانية معبرا عن وجود روح ثورية ٠ وتنظيمات عسكرية ضد النظام القائم ٠

ولم تكن التنظيمات العسكرية مستقلة عن الاحزاب والقوى السياسية كما كانت حال الضباط الاحرار فى مصر قبل ثورة يوليو ، ولـكنها كانت ممتدة الجذور الى تنظيمات مختلفة ٠٠ الانصار وحزب الامة من جهة ٠ ٠ والحزب الشيوعى من جهة أخرى ٠٠ واتصالات فردية مع بعض شخصيات طائفية فى الاحزاب التقليدية ٠

بدأت صلة بين الضباط الاحرار وبابكر عـوض‌الله عقب ثورة ١٩٦٤ عندما شكلت لجنة من القضاة لتطهير الجيش ٠٠ وكان الحزب الشيوعى‌على علم بهذه الصلة ٠٠ بل ومنظما لها ٠

كما بدأ حزب الامة فى تكوين ميليشيا عسكرية

وأخذت الامور تندفع الى صدام حتمى ٠

ثم حدثت هزيمة ١٩٦٧ التى استقبلها الشعب الســودانى بوجوم شديد فقد كانت أبعد ماتكون عن تصور الناس هناك ٠

وكانت شوارع الخرطوم ليلة تنحى جمال عبد الناصر قد امتــلأت بالمتظاهرين الذين خرجوا يطالبون الرجل بأن يبقى فى موقعه ٠

وقد اختزن الشعب السودانى عواطفه ليفرغها أمام القائد الجريح‌الذى حضر الى مؤتمر الخرطوم فى اغسطس ١٩٦٧ ، فأعد له استقبالا لم تعرفه الخرطوم من قبل أسهم الحزب الشيوعى السودانى فى اعداده بكل طاقته وقدراته ، فجاء تعبـيرا أصيلا من الجماهـير الســـودانية نحو ثورة يوليو وزعيمهـــا ٠٠

لم يكن متصورا أن تستقبل عاصمة السودان قائدا مصريا مهزوما بهذا القدر من التمجيـــد ٠ وكأنها ترى فيه بطلا منتصرا ٠ عليها ان تكلل جبينه بالغار ٠٠ ولكنها كانت رؤية الشعب السودانى لما يمكن أن يحدث للوطن‌العربى لو انهارت ثورة يوليو واختفى جمال عبد الناصر من ساحه العمل السياسى ٠

وانتهى مؤتمر الخرطوم وعادت الحياة السياسية تجتذب جهد‌الاحزاب والقوى السياسية المختلفة ، وعاد الصدام ليصبح حتميا مرة اخرى ٠

وفى الساعة الثانية من صباح ٢٥ مايــــو ١٩٦٩ كانت حركة الجيش السوداني قد انتصرت واستولت على الحكم ، أثناء وجود عدد من كبار ضباط الجيش فى زيارة للاتحاد السوفييتى ٠

وأعلن فى الصباح تشكيل مجلس قيادة الثورة برئاسة العقيد جعفر نميرى وعضوية بابكر عوض‌الله والمقدم بابكر النور واللــواء فاروق عثمان حمدالله (سكرتير الضباط الاحرار) وهاشم العطا (الملحق العسكرى فى بون وقتئذ) وخالد حسن عباس ومأمون عوض أبوزيد وأبو القاســم ابراهــيم ٠ وأبو القاسم هاشم وزين العابدين محمد احمد عبد القادر ٠

وأعلن أيضا تشكيل وزارة جديدة برئاسة بابكر عوض‌الله ٠

وهزت هذه الانباء أرجاء الوطن العربى٠ وكان لها صدى عالمى كبير٠ فقد كانت الحركة الثانية فى الوطن العربى بعد هزيمة ١٩٦٧ ٠

وعندما أعلنت اسماء أعضاء مجلس قيـــادة الثورة وأعضاء مجلس الوزراء تبين أن لى صلات شخصية وسياسية مع عدد منهم ٠٠ الرائد الشهيد هاشم العطا الذى كثيرا مازارنى فى القاهرة وفى مكتبى بروزاليوسف موفدا من الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب للتعرف على طبيعة تكوين الضباط الاحرار فى مصر والاسلوب الذى قامت به حركة الجيش عام ١٩٥٢ ٠المحامى فاروق أبوعيسى وزير الدولة للرئاسة وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الذى لعب دورا رئيسيا فى ثورة اكتوبر ١٩٦٤ ٠٠ بابكر عوض‌الله كبــير القضاه الذى تعرفت به أثناء موقفه المساند للشعب خلال ثورة اكتوبر ٠ ٠ محجوب عثمان وزير الارشاد وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى والذى حضر موفدا من الحزب لمقابلة جمال عبد الناصر والذى قابلته معه كما جاء فى الجزء الثالث (عبد الناصر والعرب) ٠٠ أمين الشبلى وزير العدل الذى كان نقيبا للمحامين ورئيسا للحــزب الاشتراكي والذى قام بدور بارز فى ثورة اكتوبر ، وشارك فى ندوة الاشتراكيين العرب بالجزائر ٠مرتضى أحمد ابراهيم وزير الصناعة وشقيق المناضلة فاطمة احمد ابراهيم عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى ، وزوجــة الشهيد المناضل الشفيع احمــد الشيخ عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى ٠

أبلغت جمال عبد الناصر هذه الحقيقة خلال شعراوى جمعة ، واتصل بى سامى شرف بعد ساعة واحدة طالبا منى مقابلة جمال عبــد الناصر فى السادسة من مساء نفس اليوم ٢٦ مايو ١٩٦٩ ٠

وعندما ذهبت الى مكتب سامى شرف فوجئت بوجود أحمد فؤاد رئيس مجلس ادارة بنك مصر والزميل السابق فى قسم الجيش بحدتو عندما كان بعد لايزال قاضيا الذى شاء جمال عبد الناصر ان يكون حاضرا ٠

كان جمال عبد الناصر مشرق الوجه مهتما أشد الاهتمام بما حدث فى السودان ٠

ولم تكن علاقة جمال عبد الناصر سيئة بأية حال مع نظام الازهــرى ومحجوب ٠٠ ولكن حركة الجيش السودانى حملت اليه عبــير روح ثورية

وتقدمية نابعة من القوات المسلحة التي كان يؤمن بدورها الرئيسي فيحركة المجتمع السياسية .

وبعد أن تعرف جمال عبد الناصر مني على طبيعة العلاقة التي تربطني بأسماء القيادات الجديدة في السودان ، طلب مني ومن أحمد فؤاد السفر فورا الى السودان في مهمة سرية مندوبين عنه لمقابلة قائد مجلس الثورة ونائبه وابلاغهما ان مصر تضع كل امكانياتها في خدمة الحركة .

وأذكر انه قال لي مبتسما في مرارة :

(تصور .. كانوا بيطلقوا علينا نكت .. اننا نؤيد ثورة السفينة بونتي(اسم فيلم سينمائي) . والآن تجبرنا الظروف على تأييد ثورة السودان بطريقة سرية)

كانت القيود التي فرضتها الهزيمة ، وارتباطات مؤتمر الخرطومالذي يحمل الدعم لمصر من السعوديةوليبيا والكويت وجميعها دول ترتبطبعلاقات وثيقة مع نظام الحكم السابق في السودان حيث كانت تشكل الحكوماتتحت عباءة الطائفية .. أقول كانت هذه القيود حائلا يحول بين عبد الناصر وبين التأييد العلني الثوري لحركة الجيش في السودان .

وأذكر انه قال وهو يودعنا بعد حديث استمر مايقرب من ساعتين وتأخر فيه عن اجتماع لمجلس الوزراء كان منعقدا في سراي القبة .

ـ قل لهم انني على استعداد لوقف الحرب في القناة وارسال أيقوات لدعم الحركة .

وكانت الحرب وقتها تتصاعد على شاطيء القناة وتصل الى حد عبور كتائب كاملة الى سيناء .

كانت حركة الجيش السوداني أول ضوء يشرق لصالح مصر بعد الهزيمة . فقد ظهر تأييدها لمصر منذ البيان الاول .

وصلت الخرطوم يوم ٢٧ مايو ، وقمت مع الزميل احمد فؤاد فور وصولنا بمقابلة جعفر نميري وبابكر عوضالله فيمقر قيادة القوات المسلحة، وقد طلب الاثنان انضمام الرائد مأمون عوض ابوزيد اليهما باعتباره قد عين مسئولا عن أمن الثورة .

واستقبل الوفد السوداني رسالة جمال عبد الناصر بترحيب شديد واعتبرها بابكر عوضالله تثبيتا للحركة وأمرا منتظرا من جمال عبدالناصر الذي عرف بمساندته لحركات التحرر الوطني .

وفي الصباح ذهبنا الى منزل الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب في منزله المتواضع بأمدرمان وعقدنا معه جلسة مناقشة طويلة حول الوضع الجديد في السودان .

تبين لنا أن حركة القوات المسلحة قد تمت بوساطة سريتينمنالمظلات وقوة من المدرعات لايتجاوز عددها ٤٠٠ صفضابط وعسكري. كانوا في مناورات خارج الخرطوم حسب مشروع سابق .

تمت العملية بهدوء . ولم تطلق سوى طلقة رصاص واحدة في الهواء في مكتب بريد الخرطوم اثناء قطع المواصلات .

قام بالحركة الضباط الاحرار ٠٠ وسبق قيامها مناقشات سياسية طويلة حول ماذا كان من الافضل تأجيل الانقضاض على النظام حتى تستكمل اجراءات تشكيل (الجبهة الديمقراطية) التى كانت قد تمت محاولات جادة لتشكيلها من الشيوعيين والاشتراكيين وسائر المنظمات والاتحادات العمالية والمهنية ٠

وكان البيان الاول لحركة ٢٥ مايو هو بيان مكتوب ومعد لهذه الجبهة الديمقراطية التى كان مفروضا أن تشكل تنظيمها فى نوفمبر ١٩٦٩ ٠

كان رأى الحزب الشيوعى ألا تنفرد القوات المسلحة بعمل يأخذ الصفة الانقلابية وان يتأجل ذلك حتى ينبعث الامر من صفوف الجبهة باعتبار القوات المسلحة فصيلة من فصائل القوى والمنظمات الشعبية ٠

التقى ممثلو الضباط الاحرار غير المنتمين للحزب الشيوعى مع قادة هذا الحزب أكثر من مرة ، لمناقشة هذا الامر ، وقد جرى التصويت ثلاث مرات فى اللجنة القيادية للضباط الاحرار ٠٠ وفى كل مرة كان يفوز قرار التروى وتأجيل القيام بالانقلاب ٠

ولكن بقية الضباط الاحرار قرروا القيام بالحركة العسكرية التى نجحت فى تبديل السلطة واعتقال اسماعيل الازهرى وعدد من كبار السياسيين فى النظام المنهار ٠

وعندما أعلن تشكيل مجلس قيادة الثورة أضيف اليه أسماء الضباط اليساريين رغم موقفهم المعارض من ناحية المبدأ ٠٠ وظهر اسم الشهيد هاشم العطا عضوا بالمجلس رغم انه لم يكن موجودا فى السودان وانما كان يعمل ملحقا عسكريا فى ألمانيا الغربيه ٠

وكان هذا موقفا طبيعيا من رفاق السلاح الذين تزاملوا فى النضال قبل وبعد ثورة ٢١ اكتوبر ٠

وعندما اعلن تشكيل الوزارة فوجىء الحزب الشيوعى باختيار عدد من قادته أعضاء فى الوزارة (محجوب عثمان ــ فاروق ابوعيسى ــ جوزيف جرنج) دون الرجوع الى قيادة الحزب ٠٠ وقد أدى هذا الى عقد اجتماع عاجل للجنة المركزية أقرت فيه اشتراك الوزراء الثلاثة منعا لحدوث تناقض واضح فى الايام الأولى للحركة ٠٠ وتسبب ذلك فى تأخير حلف اليمين القانونية حتى الساعة السادسة مساء ٠

وكان هذا دليلا على وجود تنافر فى وجهات النظر ٠٠ الحزب الشيوعى لايؤيد الانقلاب العسكرى بصورة مطلقه ، ويفضل انبعاث الحركه السياسية من صفوف الجماهير وتنظيماتها السياسية والديموقراطيه ، وهى التى كان يهدف الى جمع شملها فى (الجبهة الديموقراطيه) ٠٠ بينما الضباط الذين قاموا بالحركة كانوا يعتبرون انهم أنقذوا البلاد من الحكم الرجعى الفاسد فى ضربة واحدة ٠ وانهم أصبحوا بذلك أصحاب حق وشرعيه فى اختيار الذين يتعاونون معهم دون استئذان قياداتهم والا كان فى ذلك اعتراف بشرعية الحزب الشيوعى وحده فى وقت ألغيت فيه الاحزاب جميعا ٠

قال لى الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب فى منزله بأم درمان صباح

اليوم الثاني لوصولنا للخرطوم ان الحزب الشيوعي لايأخد موقفا مضادا من حركه الجيش ٠٠ ولكنه يريد ان يضع (خطة تميين) واضحة بين أسلوبه الديموقراطي وأسلوبهم العسكري ٠

وقال لي جعفر نميري في احدى المقابلات (البعض يحاول تصوير ثورتنا بانها انقلاب ، وهدا غير صحيح لاننا لانقوم بحركتنا محصورين في اطار الجيش وحده ولكننا ننفتح تماما على شعبنا الذكي الاصيل ، ونضع اهدافنا في خدمة الذين عانوا طويلا من الظلم والاستغلال ٠

ومع ذلك فقد خرجت جماهير الحزب الشيوعي تحت قيادة الاتحاد العام لنقابات العمال بمظاهرة كبيرة يوم ١ يونيو ١٩٦٩ بمناسبه مرور سبعة أيام على الثورة ، وكان ذلك بداية محاوله اقامة جسر من التفاهم بين الحزب الشيوعي وبين العسكريين ٠

وكانت تعليمات جمال عبد الناصر تقضي بألا نتصل خلال زيارتنا بأحد من المسئولين المصريين هناك ، وان نعود بعد تبليغ رسالته لجعفر نميري وبابكر عوض الله ٠٠ ولكن الرغبة في استجلاء كل معالم الصورة والتعرف على حقيقة أبعادها دفعتنا الى البقاء ليلتين في السودان ٠

وعندما عدنا استقبلنا جمال عبد الناصر فورا في استراحة القناطر وكان أول سؤال له هو عن استقرار الوضع ثم اسباب تأخيرنا هناك ٠

وبعد جلسة امتدت ساعتين طلب منا ان نداوم الاتصال به في كل مايتعلق بالسودان ٠٠ وكنا قد رتبنا طريقة اتصال سرية بين القيادة العسكريه الجديدة وبيننا بعيدا عن الاتصالات التقليديه في محاوله لتسهيل وصول الحقائق الى جمال عبد الناصر لسرعه اصدار القرارات اللازمة ٠

أذكر اننا قد اتفقنا مع جعفر نميري على أن يذكر مندوب القيادة ادا حضر لمصر انه قادم من قبل (شركة التوكيلات التجاريه) ٠ ٠ ولكن هذا الاسلوب لم يستمر طويلا ، فقد أعلن جمال عبد الناصر تأييده لحركة ٢٥ مايو وحضر الى مصر وفد برئاسه بابكر عوض الله ٠

وخلال الاسابيع الاولى لحركة ٢٥ مايو اتخذت عدة قرارات اكسبت وجهها شكلا تقدميا وبدأت بتغيير اسم الدولة الى (جمهورية السودان الديموقراطية) ٠

اعترفت بجمهورية ألمانيا الديموقراطية سابقة بذلك كل الدول العربية بما فيها مصر ٠٠ وكانت حكومة الاحزاب التقليدية قد قطعت علاقاتها مع ألمانيا الاتحادية عندما قطعت الدول العربية علاقتها بها لامدادها اسرائيل بالمعونات والسلاح ، ولكنها استبقت السفير في منصب القنصل العام في بون وكأنما تريد ان تثبت لهم أن شيئا ما لم يحدث ٠

كما اعلنت الحكم الذاتي لجنوب السودان ٠

وقد توطدت العلاقات كثيرا بين النظام الجديد في السودان وبين عبد الناصر وانسجمت سياسة الدولتين حول مشكله الشرق الاوسط ، وحول رفض الهزيمة ٠

قال جعفر نميري ان جمال عبد الناصر قال له (ثورة السودان أعطتني

قوة وعزيمة ومنحتني أملا وثقة) .

وجد جمال عبد الناصر فى ثورة السودان عمقا استراتيجيا لمصر .. ووجدت ثورة السودان فى جمال عبد الناصر سندا لها .

وكانت العلاقة بين القاهرة والخرطوم فى هذه الفترة شديدة الارتباط اكثر منها بين القاهرة واية عاصمة عربية أخرى .

وانتعشت فى ذهن عبد الناصر أفكار الوحدة العربية مرة أخرى .

أذكر انى وجهت اليه استفسارا فى احدى المقابلات بعد زيارة السودان عن رأيه فى موضوع الوحدة اذا رغب الاشقاء فى السودان ذلك .. وتهلل وجه جمال عبد الناصر وهو يقول :

ـ الوحدة الطبيعية الاولى لمصر هى مع السودان امتدادا لوادى النيل ونحن على استعداد لاى خطوات فى هذا السبيل .

وقد تعاونت السودان مع مصر تعاونا وثيقا فى مقاومة العدوان ،وخاصة فى المجال العسكرى حيث استقرت بعض أسراب الطائرات هناك بعيدا عن مدى العدوان الاسرائيلى ، وانتقل طلبة الكلية الحربية الى الخرطوم .

وظلت الامور تمضى الى الافضل فى العلاقة بين الدولتين وبين الشعبين الى أن قامت الحركة العسكرية فى ليبيا فى أول سبتمبر ١٩٦٩ ، فبدأت علاقة ثلاثية انتهت الى التوقيع على ماعرف باسم (ميثاق طرابلس) فى ديسمبر من نفس العام .

ليبيا

لم تكد حركة ٢٥ مايو تنتصر فى السودان ، حتى قامت فى ليبيا حركة عسكرية أخرى فى أول سبتمبر ١٩٦٩ .

وقد تشابهت مع الحركة السودانية فى انها انبعثت من صفوف الجيش وان الذين قاموا بها لم يكونوا على ارتباط بمصر .

وكانت ليبيا على عهد الملك السنوسى دولة مغلقه تسيطر عليها قوات الاحتلال الامريكية فى قاعدة هويلس بطرابلس ، والقوات البريطانية فى قاعدة العضم .. وكان أبعد مايكون عن خاطر التوريين وفى هذا الوقت بالذات أن يحدث شيء ما فى ليبيا .

وكانت القواعد الامريكية فى ليبيا قد وضعت فى حالة التاهب القصوى أثناء العدوان الاسرائيلى على مصر .

ولذا فانه عندما وصلت انباء الانقلاب الاولى اثناء وجود الملك ادريس فى زيارة لاوربا أعتقد الكثيرون أنه نوع من انقلابات المخابرات المركزية الامريكية أو القوى الامبريالية الاخرى التى تريد المحافظة على مضمون النظام بينما تغير مظهره من ناحية الشكل بعد أن يكون قد تورط فى انحرافات تجعل مسيرته صعبة والثقة به منعدمة .

وصلت أخبار الانقلاب لجمال عبد الناصر أثناء عقد مؤتمر قمة للمواجهة حضره هوارى بومدين وجعفر نميرى وممثلون لسوريا والعراق وبالتحديد أثناء القاء الملك حسين لكلمته امام المؤتمر .. وسقوط ملك عن عرشه أمر لا يرضى

ملكا آخر ٠٠ ولم يعد بعد سقوط الملك ادريس فى ليبيا سوى ملك عربى واحد في افريقيا هو الملك الحسن ملك المغرب ٠٠ بل لم يعد فى قارةافريقيا كلها ملك سواه اذا استثنينا الامبراطور بوكاسا الذى نصب نفسه فى العام الماضى امبراطورا على جمهورية افريقيا الوسطى (٣ ملايين نسمه) ٠

حرص جمال عبد الناصر ان يبعث رسالة تحية الى الملك ادريس فقد كانت صلته به طيبة ٠٠ وكان حسن ابراهيم عضو مجلس قيادة الثورة السابق هو المسئول عن العلاقات مع ليبيا والملك السنوسى حتى استقلالعام ١٩٦٦ ، ويذكر أن الملك ادريس قد أرسل الى عبد الناصر مبلغعشرين مليون جنيه لحاجة عاجلة لشراء أسلحة بعد العدوان ، وقد أعطاها الملك مرحبا دون أن يشترط شيئا سوى الحصول على بعض الأشياء من الازهر كان آسلافه قد وضعوها هناك ٠

والأسرة الادريسية من أصل جزائرى ولكنها ممتدة فى صحراء مصر الغربية ٠٠ وابن عم الملك ابراهيم السنوسى يعيش فى مرسى مطروح ٠٠

وكان الملك ادريس قد وافق على تقديم دعم لمصر مقداره ٣٠ مليونجنيه كل عام عندما شارك ولى عهده الامير حسن الرضا فى مؤتمر الخرطوم ٠

وهكذا كانت العلاقات ودية بين جمال عبد الناصر والملك ادريس ولم يحدث طوال عهد ثورة يوليو خلافسياسى مثلما حدث بين مصر ومعظم دول المشرق وخاصة الدول ذات الانظمة الملكية الرجعية ٠

ولكن الانقلاب الجديد فى ليبيا يثير الاهتمام لانه أخفى أسماء قادته وأعلن شعاره (حرية ــ اشتراكية ــ وحدة) وهو نفس الشعار الذى تبنته ثورة يوليو والذى يختلف شعار حزب البعث العربى الاشتراكى فى ترتيب الكلمات (وحدة ــ حرية ــ اشتراكية) ٠

وكان فى ذلك اظهار لاتجاه الانقلاب دونالتعرف علىحقيقته ٠٠ الىأن أرسل قادةالانقلاب مندوباعنهم (آدم حواس) الىالقنصلية المصريةفىبنغازى طالبين حضور مندوب من مصر واقترحوا اسم محمد حسنين هيكل ٠

ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ان جمال عبد الناصر قد أبلغه ان الناس فى بنغازى يطلبون مقابلته وانه من الافضل أن يسافر فى نفس الليلة ٠٠ وان طائرة خاصة قد أعدت له وصحبه فيها ضابط اتصال من هيئة اركان حرب الفريق محمد فوزى وزير الحربية وقائد القوات المسلحة ٠ وضابط اتصال من المخابرات وسافروا فى نفس الليلة ٠

واستقبل هيكل فى مطار بنغازى الرائد مصطفى الخروبى المسئول عن المنطقة وعضو مجلس الثورة وعانقه وهو يبكى قائلا : (انى لا أصدق عينى) ٠

وفى قنصلية مصر تحدث الخروبى وأسفر عن هوية الانقلاب قائلا انهم جميعا من المؤمنين بجمال عبد الناصر ٠٠ وفى الثانية صباحا وصل معمر القذافى الذى أدهش هيكل بصغر سنه أولا وباعلان رغبته ورغبة زملائه فى الوحدة مع مصر فورا حتى تشكل لها عمقا استراتيجيا ٠

حمل القذافى محمد حسنين هيكل رسالة الى عبد الناصر تتضمن انهم

قاموا بالثورة من أجله ، وانه يمكن أن يأخذ من ليبيا كل مايريد لضمـه الى قدرات الامه العربية من أجل المعركة .

عاد هيكل الى القاهرة بعد أن التقط عدة صور للقذافى وزملائه بوساطة مصور خاص صحبه معه واعدا بعدم نشر هذه الصور وانها سوف تقدم لجمال عبد الناصر وحده .

ويظهر هيكل فى كتابه حرص عبد الناصر على معرفة كل دقائق المقابلات والتفاصيل التى أتيحت لهيكل خلال زيارته التي استمرت ١٨ ساعة فقط .

وقد اتصل عبدالناصر في الليلة الاولى للثورة بكل من محمود رياض وزير الخارجية ، وأمين هويدى مدير المخابرات العامة يستطلع رأيهما فى الاعتراف الفورى بالحركة العسكرية الليبية .. ولكن الاثنين طلبا منه الانتظار الى الصباح حتى يتوافر مزيد من المعلومات .

وفى الحاديه عشرة صباحا اتصل جمال عبد الناصر بسامى شرف وطلب منه ابلاغ الاذاعة اعتراف مصر بالتورة الليبية ، وتصادف وجود أمين هويدى فى مكتب سامي شرف ، وعندما علم بذلك طلب الاتصـال به ، قائلا انه بادر بالاعتراف لان ليبيا بالنسبة الى مصر ليست متل كوريا على بعد الاف الاميال ولكن تربطنا بها حدود مشتركة وقومية واحدة ، ولذا رأيت المبادرة بالاعتراف بهـا ..

وطلب عبد الناصر من هويدى ان يبلغ سامى شرف ليضيف فى بلاغ الاعتراف استعداد مصر للمساعدة .

وهكذا كانت مصر أول دولة تعترف بالثورة الليبية .

وقد اخذ مجلس الثورة قرارا بقطع العلاقات مع ألمانيا الإتحادية التى كانت تأخذ قدرا كبيرا من البترول الليبى عندما عرف انهم يساعدون الاتراك فى احتمال اعادة الملك السنوسى الى بلاده حيث وقع الانقلاب وهو يمضي أجازته فى تركيا .

وتصرف جمال عبد الناصر بجرأة ومبادرة لاتعرف التردد .

وقال لى الفريق محمد فوزى ان جمال عبد الناصر قد اتصل به وأبلغه أن يهدىء حرب الاستنزاف على القناة ، وأن يرسل لواء مـدرعا ومدرعتين وبعض الغواصات الى مرسى مطروح لوقف أى محاولة لضرب الحركة العسكرية الليبية واعادة الملك ادريس الى عرشه .. وقد صدرت الاوامر بذلك فى نفس الليلـة .

وكانت حرب الاستنزاف قد بدأت يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٩ وكانت تتصاعد يوما بعد يوم .

وهكذا كان جمال عبد الناصر يعطى أسبقية لدعم الثورات العربية عـلى استمرار وتصعيد حرب الاستنزاف .. فقد كان استقرار هاتين الحـركتين عاملا رئيسيا فى حشد طاقات الامة العربية ، وفى توفير عمق اسـتراتيجى هائل لمصر .

وقد أرادت اسرائيل ان تعطى ردا على الثورة الليبيه فأرسلت قوات من الفدائيين في غارة مفاجئة على منطقة الزعفرانة على شاطىء البحر الاحمر يوم ٩ سبتمبر أى بعد تسعة ايام فقط من قيام الثورة الليبية .

وصلت اخبار هــذه الغارة الى جمال عبــد الناصر والفريق فوزى عن طريق الاذاعات ووكالات الانباء الاجنبية قبل أن تصل عن طريق القيادات المصرية ٠

وكان جمال عبد الناصر وقتها يحضر مناورة على طريق مصر ــ السويس ٠٠ فعاد فورا الى القاهرة ٠

كان قيام الثورة الليبية حدثا هائلا وغير متوقع ٠

وفى ثلاثة شهور عبر الشعب العربى فى السودان وفى ليبيا عن رفضه للهزيمة ، باسقاط الانظمة الحاكمة وقيام أنظمة جديدة أشد ارتباطا وتعاونا مع ثورة يوليو المصرية ٠

ويذكر ان الملك عبد العزيز ال سعود قال لابنائه انه يوصــيهم بأسرة المهدى في السودان وأسرة السنوسى فى ليبيا ٠ وسقطت الاسرتان بضربة عسكرية مفاجئة ٠

اليمن :

عندما حلت الهزيمة بالقوات المسلحة المصرية فيسيناء كان لها ٧٠٠٠٠ر٧٠ جندى فى اليمن يدافعون مع شعبها عن ثورة ٢٦ سبتمبر التى اطاحت بحكم الامامه الرجعى المتعفن ٠

ولم يكن ممكنا لهذه القوات ان تبقى هناك فى اليمن ، وعملية اعادة بناء القوات المسلحة تتحرك بصورة ايجابيه فعالة فى مصر ٠

وكان مؤتمر القمة العربى بالخرطوم (أغسطس ١٩٦٧)هو الفرصــــة المناسبة لطرح هذه القضية التى استنزفت كثيرا من الاموال والدماء ٠٠ وتم الاتفاق الذى اقره عبد الناصر وفيصل وحدهما واذاعه محمد احمد محجــــوب رئيس وزراء الســـودان على ان تبــدأ مصر فى ســــحب قواتها ، وأن تكف السعودية عن تأييد فلول النظام اليمنى المنهار ٠

ونص الاتفاق أيضا على أن توقف الدولتان كل انواع العــون العســكرى لليمن ، بينما تتفق الدولتان على استمرار التعاون الاقتصادى لليمن حتى يبنى نفســـه ٠

أعادت السعودية ترخيص العمل لبنك مصر والقاهرة بينما افرجــــت مصر عن أموال السعوديين وصدر قرار جمهورى برفع الحراسه عن ٨٣ اسرة سعوديه وشركتين ٠

ولم يتعرض الاتفاق لوضع اليمن وترك لليمنيين حق اختيار مستقبلهم ٠ كما اقر تشكيل لجنة ثلاثية من العراق والســـودان والمغرب لمتابعة تنفيــذ الاتفــاق ٠

أعلن السلال فى حديث صحفى بالخــرطوم (انه يوافق على أى حــل للمشكلة يحفظ للشعب اليمنى مكاسبه وانتصاراته) هذا رغم عدم اشتراكه في التحضير للاتفــاق ، الامر الذى أنبت فى نفسه بلاشــــك بذور المعارضة لتنفيذه ٠

وغادر السلال الخرطوم الى القاهرة بعد مؤتمر القمه حيث عقد اجتماعا يوم

٣ سبتمبر ١٩٦٧ مع جمال عبد الناصر بحضور انور السادات وعبدالله جزيلان رجع بعده الى صنعاء .

وسحبت مصر ٢٠،٠٠٠ جندى خلال أسابيع من مؤتمر الخرطوم رغم معارضة السلال لذلك ، وكان الفريق أول محمد فوزى قد أمضى ٤ أيام فى صنعاء لاول مرة كقائد عام للقوات المسلحه .

ولم يكن ذلك الامر مرضيا للسلال كما ذكرنا .

كتب الدكتور محمد علي الشهارى فى كتابه (عبد الناصر وثورة اليمن) وهو واحد من أعضاء الوفد اليمنى بمؤتمر الخرطوم وكان مديرا لمكتب السلال موضحا هذه الصورة بقوله :

(أصدر الرئيس السلال وقتها بالفعل بيانا خاصا بذلك فى الخرطوم في نفس الوقت الذى اكد للرئيس جمال عبد الناصر بأنه لايعترض على سحب الجيش المصرى من اليمن ولكنه رجا الرئيس المصرى أن يترك فى اليمن بعض الاسلحة الضرورية اللازمة لكفالة الاستمرار في الدفاع عن الجمهورية ، وهو ما وعد الرئيس عبد الناصر بتلبيته) .

ومسايرة لهذا الاتجاه رفض السلال مقابلة اللجنة الثلاثية الوزارية المشكلة من محمد احمد محجوب رئيس وزراء السودان ووزير خارجيته ، واسماعيل خير الله وزير خارجية العراق ، وحمدى سوده وزير خارجية المغرب والتى سافرت الى صنعاء يوم ٣ اكتوبر فى محاوله للتوفيق بين الاطراف المعنية .

تعلل السلال فى رفضه بأن زعماء القبائل يريدون مقابلة اللجنة ، ولكن قادة الجيش يرفضون ذلك .. وهو حائر بين الاثنين .

واجتاحت المظاهرات صنعاء وأطلقت الشرطه النار . وتساقط عدد من القتلى ، وارتبكت الامور ، وعادت اللجنة الى القاهرة بعد ٢٤ ساعة فقط حيث سافرت بعد ذلك الى جدة لمقابلة اليمنيين من الطرف الآخر ، ولكنها رفضت مقابلة البدر .

تحت ضغط الرفض الشعبى وتحاشيا لرد الفعل العنيف لسقوط القتلى تمت محاكمة العقيد عبد القادر الخاطرى-نائب وزير الداخليه ومدير الامن العام ورئيس قوى الامن المركزى بتهمة اطلاق النار على المتظاهرين مماأدى الى مصرع ٥ اشخاص وحكم عليه بالاعدام .

ولكن رد الفعل لم يقف عند هذا الحد فقط ، ورفض السلال لمقابلة اللجنة لم ينته عند حد عودتها من صنعاء بعد ٢٤ ساعة فقط .

لم يكد يمضى شهر واحد ، حتى انتهز اليمنيون فرصة سفر السلال الى القاهرة وبغداد ثم موسكو حيث كان ابنه سفيرا لليمن فى الاتحاد السوفييتى . انتهز اليمنيون هذه الفرصه وقاموا بانقلاب يوم ٥ نوفمبر آثناء وجود السلال فى بغداد بعد مغادرته القاهرة .

شكل الانقلاب مجلسا جمهوريا برئاسة عبد الرحمن الايريانى ، أعلن التزامه بمبادىء ثورة ٢٦ سبتمبر ، وأعلن ايضا (ان حركة الجيش اليمنى

تمد يدها الى كل الدول العربية وعلى رأسها الجمهورية العربية المتحدة ، ولا يمكن أن ننسى تضحياتها من أجل الثورة اليمنية) .

أول برقية خرجت من صنعاء كانت الى جمال عبد الناصر وقال فيها الايرياني هذه العبارة :

(بعد صبر طويل على عبث السلال الذى كان آخره أحداث الثالث من أكتوبر (المظاهرات ضد لجنة التوفيق) والتى ذهب ضحيتها اخوان أعزاء وجللت وجه اليمن بالخزى والعار قرر الشعب اليمنى بكل فئاته خلع السلال من رئاسة الجمهورية وتجريده من مناصبه الرسمية ورتبه العسكرية) .

وتضمن رد عبد الناصر هذه الفقرة :

(التكريم الحقيقى لكل مابذل من الجهود والتضحيات هو المحافظة على سلامة الثورة وفتح الطريق أمام مسيرتها) .

وتشكلت وزارة جديدة برياسه محسن العينى ، البعثى الميول ، التقدمى الوجه ، ضمت ١٤ وزيرا .

أرسل المجلس الجمهورى الجديد برقية تهنئة حارة الى نيكولاى بودجورنى رئيس مجلس السوفييت الاعلى بمناسبة العيد الخمسين للثورة الاشتراكية .

واستقبل محسن العينى ممثلى العراق وسوريا والجزائر .

لم تتوقف الحرب الاهلية رغم ذلك ، ولم تستمر وزارة محسن العينى طويلا رغم مقابلته لأعضاء اللجنة الثلاثية .

وكانت اليمن الديموقراطية قد حصلت على استقلالها وارتفع علمها على مبنى الجامعة العربية فى القاهرة يوم ١٢ ديسمبر ١٩٦٧ ، وبعد ثلاثة ايام فقط عاد حسن العمرى رئيسا للوزارة وهو الذى كان السلال قد عزله عقب عودته من مصر التى أجبره عبد الناصر على البقاء فيها لمدة تسعه شهور اعتبارا من أواخر عام ١٩٦٥ لاعطاء العمرى الفرصة لاقرار النظام فى اليمن .

عندما عاد السلال عزل العمرى واعتقل عددا كبيرا من الضباط والمسئولين بتهمة التعاون مع النظام السعودى .

والآن .. عاد العمرى رئيسا للوزراء .

وسحب جمال عبد الناصر ٣٠٫٠٠٠ جندى آخرين بعد اعلان استقلال جنوب اليمن وجلاء القوات البريطانية .

ولم يتبق فى اليمن سوى ٢٠٫٠٠٠ جندى مصرى فقط .

وقال جمال عبد الناصر بعد سقوط السلال فى خطابه بمناسبة افتتاح الدورة الخامسة لمجلس الامة فى ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧ مايأتى :

فى الخرطوم استطعنا الاتفاق مع الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية ان نتفق على موضوع اليمن ، وكان هدفنا فى ذلك ان نحقق المبادىء ولم يعننا الاشخاص) .

وقال أيضا :

(توجد اليوم جمهورية فى صنعاء بدون قوات مصرية فى صنعاء .. كما تم جلاء الاستعمار البريطانى من الجنوب المحتل ومن عدن ، والوطنيون سيتولون الحكم هناك لاول مرة) .

اضطر جمال عبد الناصر لسحب القوات المصرية أمام قسوة الهزيمة في سيناء بعد ان كان قد اعلن انه سيتركها هناك عشرين سنة لو اقتضى الامر حتى يقوى عود الثورة اليمنية وتتحرر المنطقة من الاستعمار والرجعية ·

القوات المسلحة المصرية لم تخرج من اليمن الا بعد أن أحرز اليمن الجنوبي استقلاله وتحررت أرضه من قوات الاحتلال البريطانية ·· ولكنها خرجت قبل الوصول الى صيغة اتفاق نهائية ·· ولذا ظلت الحرب الاهلية مستمرة رغم محاولات السلام ·

ويقول انطوني ناتنج في كتابه (ناصر) ان السعوديين قد قرروا في نهاية عام ١٩٦٨ عدم امداد جيش الامام بالاسلحة في محاولة لاعادة السلام ·

وقد حدثت في السعودية محاولة انقلابية في صفوف القوات المسلحة تسربت انباؤها في يونية ١٩٦٩ بعد أن تم اعدام القائمين بها في صمت وكان بعضهم من الطيارين · ويروى محمد حسنين هيكل في كتابه (الطريق الى رمضان) الحديث الذي دار بين الملك فيصل وجمال عبد الناصر في القاهرة قبل سفرهما الى مؤتمر الرباط في ديسمبر ١٩٦٩ ، والذي قال فيه فيصل ان بعض المتآمرين كانوا على صلة ببعض المسئولين المصريين وخاصة سامي شرف سكرتير الرئيس للمعلومات ، وماقاله عبد الناصر من استعداده لارسال أي شخص مصري قريب منه أو بعيد عنه لمحاكمته في السعودية اذا كانت له صلة بمثل هذه المؤامرات مؤكدا له انماكان يتم قبل هزيمة ١٩٦٧ قد انتهى وانه قد أصدر أوامر مشددة بوقف كل محاولات ضد النظام السعودي بعد مؤتمر الخرطوم ·

وفي هذا الاجتماع الثنائي الذي سبق مؤتمر الرباط طلب جمال عبدالناصر من الملك فيصل زيادة المعونة المالية لمصر ولكنه اعتذر عن ذلك لسوء أحوال المملكة السعودية المالية ولندرة احتياطيها من العملات الصعبة الامر الذي قد يدفعهم الى الاستدانة من صندوق النقد الدولي · ووقف مساعداتهم للدول الصديقة ·

وأرجع الملك فيصل ذلك الى تخريب انابيب (التابلاين) التي قام بها أفراد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة جورج حبش ·

ويذكر ناتنج في كتابه أيضا ان الهدوء والسلام لم يستقرا في اليمن الا في مايو ١٩٧٠ ·

مؤتمر الرباط :

كان وقع الاحداث بعد مؤتمر القمة العربي في الخرطوم سريعا ·· وكانت التغيرات المتلاحقة تفرض نفسها بالحاح للقاء جديد بين الرؤساء والملوك العرب

ولم تتوقف الحركة السياسية عند حدود قرارات الخرطوم التي تقضي بأنه (لاصلح ولا اعتراف ولا مفاوضة) مع اسرائيل · فان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ صدر في نوفمبر ١٩٦٧ وقبلته مصر والاردن من دول المواجهة بينما

رفضته سوريا ومعها عدد من الدول العربية مثل العراق واليمن الديموقراطية والجزائر ٠

وأدى هذا الى حدوث نوع من البرود في العلاقات بين مصر وهذه الدول التي أخذت توجه النقد للنظام المصري ونرى في حركته جنوحا الى التهاون في وقت لم تتوقف فيه عملية بناء القوات المسلحه ولم يتوقف القتال ٠

هذا بينما حدث نوع من الهدوء بين مصر وبين الدول التي قرر مؤتمر الخرطوم ان تقدم لها دعما ماليا (السعودية والكويت وليبيا) وتوقفت الحملات الاعلامية ٠٠ بل وتوقفت المؤامرات السرية ضد أنظمة الحكم في بعضها كما صارح عبد الناصر الملك فيصل أثناء دعوته لزيارة القاهرة ٠

لم يكن هذا التغيير دليلا على تراجع في موقف مصر الوطني والتحرري ٠٠ ولكنه كان دليلا على أن قرارات عبد الناصر لم تعد تلهب مشاعر الوطنيين في الامة العربية كما كان الحال قبل عدوان يونيو ١٩٦٧ ٠

ومع ذلك فان المقاومة الفلسطينية وجدت في عبدالناصر حليفا وصديقا وسهل لهم سبيل الاعتراف بهم كقوة ثورية تحارب من اجل قضية عادلة، تستحق أن تحصل على السلاح ، وتجد في أرض مصر مجالا وساحة للتدريب ٠ وكانت التناقضات قد بدأت تظهر بين النظام الاردني وبين المقاومة الفلسطينية ٠

وبعد مؤتمر الخرطوم سحب عبد الناصر قواته من اليمن ، قبل الوصول الى تسوية نهائية ٠

ولمعت في حياة العرب السياسية أضواء هامة رغم ظلام الهزيمة ٠

تحررت اليمن الديموقراطية من جنود الاحتلال البريطاني وحصلت على استقلالها الوطني ٠

قامت ثورة ١٧ يوليو ١٩٦٨ التقدمية في العراق ٠

قام الجيش السوداني بحركته في ٢٥ مايو ١٩٦٩ ٠

ثم قام الجيش الليبي بحركته في أول سبتمبر من نفس العام ٠

ووجد عبد الناصر في زعماء الحركات السودانية والليبية حلفاء جددا له ٠

ولم تتوقف الاحداث عند حدود الوطن العربي ٠٠ بل تجاوزتها الى علاقة مصر مع دول عدم الانحياز ٠

مات نهرو أحد الثلاثة الذين أرسوا دعامة عدم الانحياز ٠٠ ودهش تيتو لان عبد الناصر لم يتجاوب معه في موقف المعارضة العلنية الصارخة ضد دخول القوات السوفييتية الى تشيكوسلوفاكيا ، غير مقدر للظروف التي فرضت على عبد الناصر هذا الاختيار ، في وقت كان يحصل فيه على كل مايريد من تأييد سياسي وعسكري ومعنوي من الاتحاد السوفييتي ٠

ويبدو أن تيتو لم يقتنع كامل الاقتناع برأي عبد الناصر عند مناقشتهما لهذه القضية أثناء زيارة تيتو لمصر في أواخر عام ١٩٦٨ ٠

كانت ظروف عبد الناصر تفرض عليه ان يضع تحرير الارض المصرية هدفا استراتيجيا رئيسيا ، يرسم سياسته تبعا له ، ويعتبر كل ماعدا ذلك فرعيات لايجوز له أن يمضي وراءها حتى لاتتعثر خطواته ٠

كان الموقف العربى يعرض لقاء جديدا .

وعندما دعا الملك الحسن الى عقد مؤتمر للقمة في الرباط وافق جمال عبد الناصر .

وعقد المؤتمر في ديسمبر ١٩٦٩ .. المؤتمر الخامس للقمة العربية .

وظهرت فيه وجوه جديدة .. صدام حسين نائب رئيس مجلس الثورة العراقى بدلا من عبد الرحمن عارف .. ياسر عرفات بدلا من احمدالشقيرى. جعفر نميرى بدلا من اسماعيل الازهرى ومحمد احمد محجوب .. معمرالقذافى بدلا من الملك السنوسى .

ولم يسفر المؤتمر عن قرارات ايجابية خطيرة . . فقد كان ساحة لانفعالات معمر القذافي الذى روى محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) رفضه لرؤية الجنرال أوفقير الذى دبر مقتل الشهيد العربى المناضل مهدى بن بركة . واعتراضه على كشف أسرار تقرير الفريق أول محمد فوزى قائد عام القوات المسلحة المصرية أمام الملوك والرؤساء خشية تسربه الى العدو خلال بعض الحاضرين .

ويقول هيكل ان الملك الحسن قد كتب ورقة صغيرة الى جمال عبدالناصر يبلغه فيها ان القذافى قد اعد طائرته للسفر وانه ينوى مغادرة المغرب قبل انتهاء المؤتمر ويرجوه فيها ان يتدخل مستخدما تأثيره لمنعه من ذلك تجنبا لفشل المؤتمر .

ونجح عبد الناصر فى اقناع القذافى بالبقاء .

وتوقف عبد الناصر فى طرابلس خلال رحلة العودة حيث استقبل استقبالا شعبيا حافلا لم تشهدة ليبيا فى تاريخها . وبعد احتفالات استمرت أربع ساعات خطب عبد الناصر خطبة استغرقت ساعه كامله . الامر الذى أزعج أطباءه المعالجين . ودفع بريجنيف الى ارسال رسالة عاجلة له تحمل رأى طبيبه الخبير الدكتور شازوف الذى حضر خصيصا لعلاجه من موسكو وفيها يقول ان هذا الجهد يتناقض تماما مع تعليمات الاطباء، ويعرض صحة عبدالناصر للخطر .

لم يتوقف عبد الناصر وحده .. كان معه جعفر نميرى ايضا ، حيث وقع الزعماء الثلاثة ماعرف باسم (ميثاق طرابلس) .

قال لى فاروق ابوعيسى وزير خارجية السودان فى ذلك الوقت ان عبد الناصر قد ثار ضد مقترحات اللجنة التحضيرية التى كانت قد اتخذت خطوات فى سبيل اقرار وحدة فعلية متجاوزة الظروف الواقعية فى الدول الثلاث ، مؤكدا ان الوحدة لابد وأن تبنى على اساس سليم تنفعل به الجماهير ولايحدث فى نفوسها أى نوع من الحساسية .

كان (ميثاق طرابلس) خطوة هامة فى سبيل خلق عمق استراتيجى هائل لمصر فى الغرب والجنوب .

وكانت وفرة الاموال عند النظام الليبى الجديد معروضة بسخاء من القذافى لشراء اسلحة حديثة من اجل المعركة .. طائرات فانتوم من أمريكا

وميراج من فرنسا .. وقد شجع عبد الناصر معمر القذافى على ذلك وطلب منه أن يحاول الحصول على ما يريد وما يستطيع ولكن ليس لحساب مصر .

كان عبد الناصر على حذر شديد من محاولة الوقيعة بين مصر وليبيا عن طريق اظهار مصر بمظهر الدولة المحتاجة اقتصاديا الى أموال ليبيا الطائلة .

كانت مصر تدفع نفقات كل قواتها التى ترسلها الى ليبيا .

قال لى أمين هويدى وزير الدولة فى ذلك الوقت ان مصر كانت تدين ليبيا بمبلغ ٦ مليون جنيه قيمة ما صرفته هناك .

وخطب عبد الناصر قائلا :

(هناك دعايات كثيرة ضدنا ، دعايه على اساس اننا شعب جعان واننا عايزين نستولى على ليبيا ونأكل خيراتها .. والحقيقة ان هذه دعاية يمكن ان تؤثر على الناس وخصوصا ان بعض الناس هناك كانوا مرتبطين بالنظام القديم ولكن القيادة فى ليبيا الاخ معمر القذافى من أصفى الناس اللى الواحد شافهم فى حياته)

وبدأت ليبيا تفتح أبوابها للعاملين المصريين ، وانهارت الحدود المصطنعة بين الشعبين .

كان فى ليبيا على عهد الملك السنوسى ٣٠٠ طبيب من الصين الوطنية ، لأن أطباءنا كانوا ممنوعين من السفر الى هناك .

ولم يتحرك (ميثاق طرابلس) خطوة الى الامام نحو الاتحاد بين الدول الثلاث ، فقد ظهر فى السودان اتجاه حذر من ليبيا نتيجة لتصريحات معمر القذافى المعادية للاشتراكية العلمية وللسوفييت . وللغموض الذى احاط بتصريحاته .

الباب الرابع

عودة المعركة

(ان الغارات الاسرائيلية في مطلع عام ١٩٧٠ كانت تستهدف اسقاط نظام حكم جمال عبد الناصر ، تماما كما حدث في غارة غزة في ٢٨ فبراير سنه ١٩٥٥ ، وحرب السويس ١٩٥٦ ، وحرب الايام الستة ١٩٦٧) .

الكاتب والاستاذ الامريكى دكمجيان فى كتاب (مصر تحت حكم ناصر)

الفصل الاول

المعركة . . . في الخطوط الامامية

اذا كان العدو لايملك أن يخسر معركة ..
فنحن لم نعد نملك أن نخسر معـــركة .

جمال عبد الناصر

رغم قسوة الهزيمة ، لم يسقط النظام ، ولم تكتب الكلمة الاخـيرة فى ثورة يوليو .

عندما تدفق الشعب ينادى ببقاء عبد الناصر ورفض تنحيه . كان ذلك ايذانا بأن مخطط الامبريالية الامريكية والصهيونية التوسعية لم يحقق أهـم اهدافه ، وكان بداية لمسئولية جديدة مرهقة حملها مبكرا الرجل الذى كان قد أشرف على العام الخمسين من عمره .

ولم يكن الامر عند جمال عبد الناصر يقتصر فقط على عملية اعادة بناء وتنظيم القوات المسلحة . بل انه كان يعتبر ان عودة الحياة الى مصر لاتكون الا بالقتال ، وعودة المعركة .

ولذا كان شيئا مثيرا أن يتجه القائد الاعلى للقوات المسلحه وهو مازال بعد فى مرحلة اكتمال التنظيم ، الى القتال ، رغم انه كان فى موقف ضعف غير محتاج الى تأكيد .

بعد أن انسحبت فلول القوات المسلحة من سيناء .. بدأت المعركة من جديد بعد فترة لم تتجاوز عدة أشهر .

يقول أمين هويدى وزير الحربية بعد الهزيمة فى كتاب (أضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف) :

(ولم يعد هناك وقت لاستقرار سيطرة الآلام والاحزان ٠٠ فالمصيبة وقعت وعلى مصر أن تتخطاها وتعبرها ٠٠ وكان لابد من تجديد العطاء حتى لاتستمر سماؤنا مكشوفة مباحة ٠٠ وكانت مئات الطائرات قد بدأت في الوصول على فترات متعاقبة من الاتحاد السوفييتي ٠٠ أحيانا تأتي في قوافل جوية في سباق مع الزمن في الايام الاولى من النكسة ، وأحيانا أخرى في قوافل بحرية بعد ذلك ٠٠ وبجهد محموم بدىء في مضاعفة عدد الطيارين لمواجهة الزيادة في عدد الطائرات ٠٠ فالبعض يدربون في الاتحاد السوفييتي والبعض الآخر يدربون هنا في القاهرة ٠٠ وكان كثير من الطيارين -حتى وهم في دورات التدريب يكلفون بواجبات العمليات ، وقد حدث ذلك في ظروف كثيرة ومتعددة ٠٠ وأنشئت عشرات المطارات وأراضي النزول في أنحاء متفرقة من الجمهورية فتكلفت مئات الملايين من الجنيهات والاف الساعات من العرق والجهد) ٠

والأرقام تشير الى أنه كان متوافرا لمصر مئات الطائرات ضربت على الارض بينما لم يتوافر أكثر من ٦٥ طيارا مدربا وصالحا للقتال ، وذلك حسب رواية مسئول عن القوات الجوية قبل الهزيمه ٠

ولذا تغير أسلوب التدريب واعداد المدربين ليلحق ذلك بعدد الطائرات

وفصل الدفاع الجوى عن قيادة القوات الجوية ليصبح سلاحا مستقلا له قيادته المستقلة ٠

ويقول أمين هويدي في كتابه أيضا :

وتم تعويض كافة خسائرنا التى حدثت في يونيو ١٩٦٧ من الاتحاد السوفيتي من رادارات الى مدفعية الى صواريخ كما تم استكمال النقص في بعض انواع المدافع عن طريق الشراء من أسواق السلاح العالمية ٠٠ وأخذت أسلحة من نوع جديد لم تستخدمه قواتنا من قبل تصل من الاتحاد السوفيتي فعلاوة على الصواريخ سام٢ وسام٣ التى كانت مستخدمة قبل النكسة وصلت صواريخ سام ٦ ، وسام ٧ مما كان سببا في تدعيم القدرة القتالية)

كانت عملية اعادة التنظيم تمتد لتشمل القوات الجوية والدفاع الجوى والقوات البحرية والقوات البرية في حدود القوات المسلحة ، وتمتد أيضا لتشمل مسرح العمليات المنتظرة ٠

وهنا لابد من الاشارة الى أن قرار انشاء قوات الدفاع الجوى كقوة رابعة للقوت المسلحة هو قرار أملته ظروف المعركة وهزيمة يونيو وسيادة العدو الجوية الساحقة عقب العدوان ٠

وتشكلت هذه القوة القتالية الجديدة في يونيو ١٩٦٩ ٠ لتكون درعا دفاعيا عن مصر متميزة بدورها وواجباتها عن القوات الجويه المهاجمة ٠ وتم تعيين اللواء محمد علي فهمي أول قائد لها ٠

وقد صحب تكوين هذه القوات واجب استراتيجي آخر ٠

فقد فكت المصانع ومعدات هيئة قناة السويس التى كانت موجودة في منطقة القناة ونقلت الى أماكن في داخل الجمهوريه ، وقد وفر ذلك معدات هائلة وملايين من الجنيهات٠ وتحاشت أخطار الحرائق٠٠ ولم يقتصر ذلك على منطقة

القناة فقط ٠٠ بل أخلى ميناء الاسكندريه أيضا من أكداس الخشب والمــــواد التموينية بعد ان أصبح هو الميناء الوحيد الذى تعتمد عليه مصر تقريبا ٠

والحقيقة ان مشاعر الناس بعد الهزيمة قد اكتسبت جدية ملحوظة ٠ واعتقد الكثيرون اننا في سبيل أخذ الثأر واستردادالارض المحتلة خلالفترة زمنية محدودة ٠

وقد جارت الحكومة هذا الشعور فتركتالقاهرة والاسكندرية ومدن القنال فى اظلام شبه تام ، واغرقت برامج الاذاعة والتليفزيون بالاغانى والأناشيد والاحاديث الوطنية ٠

وكان أمرا مثيرا للاهتمام وباعثا على الحيويه مانشرته الصحف من أنبـاء القتال عن معركة (راس العش) التى تصدت فيها بقايا قواتنا المسلحة لطابور من طوابير العدو حاول الوصول الى بور فؤاد بعد أيام من العدوان ٠

وتعتبر معركة رأس العش رغم العدد المحدود من القوات التى اشتركت فيها نقطة تحول حربية وتاريخية هامة ٠٠ اذ تحول القتال من انسحاب غير منتظم ٠٠ الى دفاع صلب لا مجال فيه للتردد أو الانسحاب ٠

تغيرت القيادة ، وأحدثت الهزيمة القاسية صدمة بعثت اليقظة فىالعقول والارادة فى النفوس ٠

وحارب الجندى المصرى بشجاعة وبسالة قوات العدو التى سحقته قبل ذلك بأيام فقط ، فأثبت انه محــارب من طراز فريد يملك كل القـــدرات والمقومات ، ولا ينقصه الا القيادة الوطنية السليمة ٠

تطوير الجندى المصرى

وقد فرضت الهزيمة على قيادة القوات المسلحة ضرورة تطوير نوعيةالجندى المصرى فاستقر الرأى على استبقاء المجندين من خريجى الجامعات فى القوات المسلحه بعد انهاء مدة خدمتهم الاجبـــاريه وهى سنه واحدة وامتدت خـــدمة الكثيرين منهم الى أكثر من خمس سنوات ٠

وفتحت الكلية الحربية أبوابهالنوعية جديدة من الطلبة الذينتخرجوا فى الجيش ضباطا وهم من أبناء العمال والفلاحين ٠

وهكذا اقتربت الفوارق الاجتماعية بين الضباط والجنود خطوة واضحة بعد أن كانت الهوة الاجتماعية بينهم قبل الهزيمة ساحقة ٠

ولم يتغير الفارق الاجتماعى الحاد قبل العدوان بين الضباط ، وخاصـة الكبار الذين كانوا يعيشون حياة يتمتعون فيها بامتيازات كبيرة قـد لاتكون مقررة رسميا ولكنها تستخدم واقعيا ٠٠ وبين الجنود الذين كانوا يعيشـون حياة صعبة لاتفترق كثيرا عن حياة الجنود قبل الثورة الا فى زيادة محـدودة فى الاكل والمرتب كما أوضحت فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) ولكن الاســلحة الحديثة المتطورة بدأت تفـرض نوعية من الجنود خريجى الكليات العلمية فى الجامعات ٠٠ وهكذا كان يختلط فى الجماعة الواحدة أو حول المدفع أو داخل الدبابة جندى جامعى وآخر فلاح وثالث من العمال ٠

وفتحت ادارة التوجيه المعنوى أبوابها لعدد من السياسيين والـكتاب لمحاضرة الجنود فى موضوعات شتى ٠

اذكر أن محمود رياض وزير الخارجيه وشعراوى جمعة أمين التنظيم ووزير الداخلية ومحمد فايق وزير الاعلام وغيرهم كانوا يدعون الى عقدندوات مع رجال الجيش ٠٠ كما أذكر اننى دعيت لهده المحاضرات أكثر من مرة ٠

ولكن هذا لم يكن يعنى اقترابا من تنفيذ ماورد فى الميثاق من دخول رجال الجيش والشرطة والقضاء الى الاتحاد الاشتراكى العربى ٠

تجربة خلق تنظيم محدود من طليعة الاشتراكيين فىالقوات المسلحة والذى كان يشرف عليه المشير عامر وشمس بدران انتهت بالعـــــدوان ولم تتكرر ٠

ركز جمال عبد الناصر جهده كله على العمل العسكرى ٠ ٠ ولم يبحث فى خلق تنظيمات سياسية داخل الجيش ٠٠ ولو انه كان حريصا كما قال لى الفريق اول محمد فوزى على ان يجعل منه – اى من فوزى – رجـــلا سياسيا متفهما للموقف الاســـتراتيجى والسياسى ، والعـــلاقات بين مصر ومختلف الدول ٠

ويقول الفريق اول محمد فوزى ان جمال عبد الناصر كان كثيراماينداعبه حول أهمية ان يكون القائد العسكرى سياسى النظرةأيضا ، وذلككلمالمس من فوزى اهتماما أشد بالقضايا العسكرية ٠

ومع دلك لم تقرب السياسة من الجيش ٠٠ ولم تنسج العـــلاقه بين الضباط والجنود من جهه وبين الاتحاد الاشتراكى من جهه اخرى ٠٠عارض عبد الناصر دلك فى حزم رغم ان محمد فوزى – كما يقول – كان يطــــــالب بسدس مقاعد اللجنة المركزيه لرجال الجيش ٠

مازال العمل السياسى ضوءا أحمر يحظر على الجنود والضباطالاقتراب منه ٠

ولكن النظرة العلمية والواقعية بدأت تغير من واقع القوات المسلحة ٠ فقد أصـــبح من أهم عوامل الاستعداد للمعركه ألا تكون الهـــوة الفـــكرية والاجتماعيه واسعة بين الضباط والجنود ٠ ٠ وأن يخلق شـــعور موحـــد مشترك يجمع كل المقاتلين ٠

ويقول الفريق اول محمد فوزى انه أقنع جمال عبد الناصر الذىعارض فى البداية ولمدة اسبوع فكرة عمل الجامعيين كجنود عاديين فى القواتالمسلحة ٠٠ أقنعه بأن احتياجات الاسلحة المتطورة تجبره على اســـــتخدام خريجى الجامعات ٠

صدرت أول خطة تجنيد سنوية عام ١٩٦٨ لتحـــديد مطالب القـــوات المسلحة من التخصصات المختلفة ، وتحديد المستويات الثقافية والمهنية لكل وظيفة عسكرية ٠

وحدث ارتقاء واضح فى المجندين ٠

قبل يونيو ١٩٦٧ كانت نسبة الجنود الحاصـــلين على مؤهـــلات عليا ومتوسطة تبعا لتقرير هيئة التنظيم الحربى ٥ر٧٪ تقريبا٠

وبعد يونيو ١٩٦٧ الغى نظام الاقتراع ، وتم تجنيد اصلح الشـــــباب

بنظام تنازلى .. كما خصص ٩٠٪ من جنودالمؤهلات للعمل فىالتشكيلات المحاربة .

وحدث تطور جديد فى الكشف الطبى .

فى الماضى كان ضعف الابصار يسقط من ٨ الى ١٠٪ من المقترعين . ولكنه صدرت تعليمات بالسماح بتجنيد لابسى النظارات .

ويظهر الجدول التالى مستويات الجنود الثقافية مع تطورالوقتبالنسبة المئوية .

التاريخ	تعليم اكثر من ١٢ سنة	تعليم من ٦ الى ٩ سنوات	تعليم أقل من ٦ سنوات
يونيو ١٩٦٧	٦ر٣	٣٨ر٤	٥٥ر٣
ديسمبر ١٩٦٧	١٥	٣٨ر٣	٤٦ر٧
عام ١٩٦٨	٢٧ر٥	٣٨ر٥	٣٤
عام ١٩٦٩	٢٨	٣٩	٣٣
عام ١٩٧٠	٢٦	٤٠	٣٤

ويظهر هذا الجدول الصادر عن هيئة التنظيم ان ارتفاعا ملحوظاوحادا قد ظهر فى نسبة المجندين الذين درسوا اكثر من ١٢ سنه اى خريجى الجامعات وأن نسبة الزيادة منذ الهزيمه حتى نهايه العام فقط ، وهى الفترة التى اعتبر فيها الماريشال زخاروف والفريق أول محمد فوزى والجنرال لارشكو والفريق عبد المنعم رياض .. اعتبروا ان القوات المسلحه المصرية قد أصبحت قادرة على الدفاع عن غرب القناة وصد اى هجوم اسرائيلى . ارتفعت النسبة خلال هذه الفترة البسيطه الى ٢٣٨ اذا اعتبرت ١٠٠ فى شهر يونيو .

كما ارتفعت النسبة اكثر من أربعة أضعاف فى العام التالى مباشرة ١٩٦٨ وحافظت على ارتفاعها بعد ذلك .

اما التعليم المتوسط (من ٦ الى ٩ سنوات) وهم خريجو المدارس الابندائية والاعدادية فقد احتفظوا بنسبتهم تقريبا ولم يزيدوا سوى من ٣٨ر٤٪الى ٤٠٪ .

بينما هبطت نسبة الاميين والذين لم يكملوا دراستهم الابتدائية من ٥٥ر٣٪الى ٣٣٪ أى مايقرب من النصف تقريبا .

وهذا يوضح ويؤكد تغلب ميزان المتعلمين داخل القوات المسلحة نسبيا بالمقارنه مع الوضع السابق ومع نسبه تعداد المتعلمين الى تعداد السكان العام .

ويوضح الجدول التالى مقارنة هذه النسب بين مصر وبعض الدول الاخرى :

الدولة	التاريخ	تعليم اكثر من ١٢ سنة	تعليم من ٦ ــ ٩ سنوات	تعلم أقل من ٦ سنوات
مصر	عام ١٩٦٧ عام ١٩٧٠	٦ر٣، ٢٦	٣٨ر٤ ٤٠	٥٥ر٣ ٣٤
اسرائيل	عام ١٦٦٧	٥٠ر٣	٣٤ر٤	١٥ر٣
الاتحاد السوفيني	عام ١٩٣٩ ١٦٧٥	١٢ ٤٦	٢٧ر٥ ٥٤	٦٠ر٥ صفر

اصبحت القوات المسلحه فى تكوينها الاجتماعى من ناحية النعليماكثر تميزا من واقع المجتمع ٠

والتطور الذى حدث للجندى المصرى تركز على قدرته القنالية وتدريبه وحسن استخدامه للسلاح الى جانب المواصفات التى تميز بها من صبر وقدرة على التحمل واخلاص للوطن ٠

حرب لاتتوقف

تعددت مظاهر القتال ٠٠ ولم يكد يمر اسبوع ثم يوم دون سقوطشهيد بقذائف العدو ٠

نشرت الصحف فور انتهاء مؤتمر القمة بالخرطوم وقوع اشتباكات عنيفة بين قواتنا وقوات العدو يوم ٤ سبتمبر ١٩٦٧ عندما حاول العدو ادخال ٤ قطع بحريه فى انجاه مدخل قناة السويس فتصدت لها قواتنا ٠

ضرب العـــدو مدينة السويس فأصاب ٣٠ منزلا ومستشفيان وقتل ٤٢ وجرح ١٦١ ٠

وفى هذا الوقت بالتحديد كان الفريق عبد المنعم رياض قد سافر الى يوغوسلافيا لزيارة الجيش اليوغوسلافى لمدة خمسة أيام ٠

والفريق عبد المنعم رياض رئيس أركان الحرب هو الذى قام بدور بارز فى اعادة بناء القوات المسلحة وأعد مع الجنرال السوفيتى لاشنكو خطة تحرير مصر ، كما قال لى الفريق أول محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة ٠

وتصادف انتحار المشير عبد الحكيم عامر القائد العام السابق للقوات المسلحة يوم ١٥ سبتمبر ١٩٦٧ بابتلاع سم الاكونيتين ، ٠٠بعد أيام فقط من عودة الحياة الى القوات المسلحة ٠ عن طريق المشاركة فى القتال ٠

كان شهر سبتمبر ١٩٦٧ هو شهر البداية الحقيقية لعودة الحياة الى القوات المسلحة ، فقد تجدد القتال يوم ٢١ ويوم ٢٨ ، وقامت معركه بالمدافع مع العدو فى منطقة القنطرة ٠٠ الامر الذى جعل يوثانت سكرتير عام الامم المتحدد يطلب من أودبول كبير المراقبين الدوليين قطع اجازته والعودة فورا الى القاهرة ٠٠ وقد اعلنت الصحف وقتها ان خسائر اسرائيل قد بلغت من ٨٠ الى ١٠٠ قتيل و ، ٢٥٠ جريحا ٠

وعندما تصاعد القتال واتجهت الانظار من جديد الى منطقة القناةعين على صبرى وزيرا مقيما فى منطقة القنـــاة لتحقيق آمن المواطنين وبدأ عمله

هناك يوم أول اكتوبر ، وهو نفس اليوم الذى حضر فيه الملك حسين الى القاهرة فى طريقه لاول مرة الى الاتحاد السوفيتى حين زار موسكو ومن بعدها واشنطن ٠

ولم يقتصر القتال على القوات المسلحة فقد شن الفدائيون هجوما ليليا يوم ٣ اكتوبر على مستعمرة اسرائيلية فيما وصف بأنه أجرأ غارة للفدائيين٠

وتصادف أن حملت الاخبار نبأ مصرع الزعيم الثورى شى جيفارا اثناء قتاله مع زملاء له لتحرير قرى بوليفيا يوم ١٠ اكتوبر ٠٠ وغمر الناس نوع من الاسى والاسف ٠٠ ولكنه قدم لهم مثالا للتضحيه ٠

ووصل القتال ذروته عندما اقتربت المدمرة الاسرائيلية (ايلات)من ميناء بور سعيد فى تحد سافر خلال شهر اكتوبر ١٩٦٧ ٠

والمدمرة (ايلات) كانت مصرية تحمل اسم (ابراهيم) ضمن وحدات الاسطول المصرى وقد كلفت يوم ٣٠ اكتوبر ١٩٥٦ خلال فترة العدوان الثلاثى بالتوجه لضرب ميناء حيفا الا ان قطعا من الاسطول الفرنسى كانت فى الانتظار فأسرتها بعد معركة غير متكافئة ، وضمتها اسرائيل بعد ذلك الى قواتها البحرية ٠

كان ضرب ايلات ضرورة تفرضها الناحية العسكرية ، ولكن قرار الضرب يقتضى البحث فى ردود الفعل المحتملة لعدو منتصر ومتفوق تفوقا ساحقا فى القدرة القتالية ٠

واغراق مدمرة حربية لاسرائيل أمر لايمكن أن يمضى فى بساطة ، لانه يجرح الكبرياء الذى تعيش فيه بعد انتصار يونيو ٠٠ ولكنه فى الجانب الاخر يجدد الامل فى الحياة المصرية ويبعث نوعا من الثقه فى نفوس الجماهير والمقاتلين ٠

وتم تقدير سريع للموقف تبين منه ان رد فعل العدو سوف يكون أكثر احتمالا فى ضرب معامل تكرير البترول بالسويس وهى ذات قيمة استراتيجية كبيرة للمعركة ، وفى مدى مدفعية العدو وهاوناته ٠

ورفع الامر الى جمال عبد الناصر الذى اصدر الامر باغراق ايلات دون التعرض لوحدات الانقاذ ٠

وطلب من وزارة الداخلية تعزيز وحدات المطافىء بالسويس استعدادا لمجابهة رد فعل العدو المنتظر ٠

وقبل الغروب أعطيت اشارة البدء ، وتحركت زوارق الطوربيد المصرية ، وفوجئت المدمرة بأشباحها الصغيرة تقترب منها ٠٠ وما هى الا لحظات حتى كانت الطوربيدات قد انطلقت فشطرت المدمرة التى تحمل عددا يتراوح بين ٢٥٠ الى ٣٠٠ مقاتل الى نصفين ، وبعد دقائق كانت المدمرة (ايلات أو ابراهيم سابقا) قد استقرت نهائيا فى قاع البحر الذى غطى سطحه ببقع كبيرة من الزيت ٠

وبدات محاولات الانقاذ تحت أضواء المشاعل التى أسقطتها الطائرات الاسرائيلية ٠٠

وبعد يومين كان رد الفعل المنتظر قد تحقق وبدأت القذائف الاسرائيلية تشعل النار في معامل تكرير البترول .

ونبتت فكرة الانتقام بعملية فدائية توجه لضرب ميناء ايلات ولم يوافق جمال عبد الناصر على تصعيد الموقف بأكبر مما تحتمله امكانياته الحربية في مرحلة اعادة بناء وتنظيم القوات المسلحة .. ويقول الفريق محمد فوزي ان السوفييت كان لهم دور في التحذير من خطر الاندفاع .

ويعتبر البعض ان التصعيد نفسه بضرب المدمرة ايلات كان مبكرا اكثر من اللازم لان رد الفعل قد أصاب الانتاج المصرى بخسارة فادحة .. ولكن التأثير المعنوى كان هائلا وبلا حدود .

ويقول أمين هويدى وزير الحربية في ذلك الوقت ان فكرة ضرب ميناء ايلات الاسرائيلي قد تحولت من عمليه عسكريه الى عمليه سريه فدائية يقوم بها رجال الضفادع البشرية منطلقين من ميناء العقبة الاردني .

ثم ذلك فعلا بعد اسابيع وتفجرت الميناء واحترقت خزانات البترول وغرقت بعض السفن الصغيرة .

ونتيجة لذلك أعلنت أمريكا الغاء الحظر على تزويد اسرائيل بالاسلحة وقدمت لها ٤٨ طائرة سكاى هوك .

وفي يوم ٣١ اكتوبر ١٩٦٧ بدأت محاكمة الفريق صدقي محمود وكبار ضباط القوات الجوية الذين كانوا سببا في كارثة الهزيمة بلاقتال ، واستبدل في نفس الوقت اللواء مدكور ابو العز قائد القوات الجوية الجديد الذى عين مستشارا لرئيس الجمهورية ، باللواء مصطفى شلبى الحناوى .

وطوال هذه الفترة كان يعيش في مصر الماريشال السوفييتي زخاروف الذى حضر مع بودجورنى في زيارته لمصر بعد الهزيمة ، ثم بقى بها للاشراف على عملية اعادة بناء وتسليح وتنظيم القوات المسلحة المصريه .

وقد حرص جمال عبد الناصر على استبقائه طوال هذه الفترة ثقة منه في كفاءته وقدرته ، ولم يسمح له بالعودة الى بلاده الا أياما قليلة خلال شهر يوليو ذهب فيها لزيارة أسرته في الاتحاد السوفيتي .

وفي أحد أيام شهر نوفمبر استقبل جمال عبد الناصر الماريشال زخاروف ومعه ثلاثة جنرالات سوفييت حيث قال له ان الجبهة المصرية قد تماسكت وانها قادرة على صد أي هجوم اسرائيلي .. وكان ذلك استئذانا منه بالعودة الى بلده بعد انتهاء مهمته .

عاد الماريشال زخاروف الى موسكو وبقى عدد من الخبراء والمستشارين كان في مقدمتهم الجنرال اوكينوف مستشار الفريق اول محمد فوزي والذى كان عضوا احتياطيا في اللجنة المركزية ثم اصبح عضوا بها ، والجنرال لاشنكو الذى وضع خطة القوات المسلحة مع الفريق عبد المنعم رياض خلال عام ١٩٦٨ .

صدق جمال عبد الناصر على الخطة التى اشترك فيها القادة المصريون والسوفييت والتى عرفت باسم (الخطة الدفاعية ٢٠٠) في ديسمبر ١٩٦٨ وكانت تقضى بوصول قواتنا خلال ١٢ يوما من بدء القتال ـ الذى حدد له

جمال عبد الناصر مدة اربع سنوات كحدأقصى بعد العدوان الى الحدودالدولية مع مقابلة جميع الهجوم المضاد المحلى والعام الذى تقوم به اسرائيل ٠

قال لى الفريق أول فوزى وهو يوضح ان اطلاق اسم الخطة الدفاعية لايعنى انها دفاع فقط ، فخطة تحرير الاتحاد السوفييتى فى الحرب العالمية الثانية اطلق عليها اسم الخطة الدفاعية ايضا ٠

قال لى ان الخطة وضعت فى غرفة العمليات وكانت دائمة التطور بناء على المعلومات المتجددة والمؤثرة ٠٠ وكانت المرحله الاولى منها قد أطلق عليها اسم (جرانيت) وتقضى بتحقيق هدفين ٠٠ أولهما ٠٠ العبور ٠٠ وثانيهما احتلال الممرات ٠

وقد استدعى تنفيذ هذه الخطة وضع جدول زمنى للتسليح والتدريب الذى كان يحتاج الى خبراء مؤهلين ٠

وكان جمال عبد الناصر مدركا حالة القوات المسلحة الموروثة من الفترة السابقة تحت قيادة المشير ٠ وكان حريصا فى نفس الوقت على تحرير الارض ٠

ولذلك فكثيرا ماكان يطلب مساعدة السوفيت فى مجالات مختلفة ٠

عندما زار موسكو فى يوليو ١٩٦٨ طلب من بريجنيف ان يتولى قادة سوفييت قيادة قوات الدفاع الجوى والقوات الجوية المصرية ٠٠ كما طالب أيضا بوضع خبراء سوفييت حتى مستوى السرية ٠

ولكن بريجنيف اعتذر عن عدم تلبية ذلك ـ كما قال لى الفريق أول محمد فوزى ـ قائلا اننا مطمئنون على قدرة القيادات المصرية الموجودة ، وانها كافية لاداء واجبها بكفاءة ٠

لم يكن السوفييت براغبين فى توريط انفسهم فى معركة الشرق الاوسط بأكثر مما تسمح به قواعد اللعبه الدوليه للمحافظه على السلام العالمى ١٠٠ بينما كان جمال عبد الناصر حريصا على توريط السوفييت معه فى المعركة ضمانا لمساعدتهم فى تحرير الارض خلال أقصر وقت ممكن

ومع ذلك بدأ توافد الخبراء والمستشارين مع موجات الاسلحةالمتدفقة

قال لى الفريق أول محمد فوزى ان هؤلاء الخبراء والمستشارين الذين وصل تعدادهم فيما بعد بناء على طلب القيادة المصرية الى ٠٠٠ر١٦ مستشار سوفيتى ، ٣٠٠٠ خبير فى قوات تضاعف عددها حتى تجاوز نصف المليون ٠ هؤلاء كانوا يلبسون مثل ملابس الجنود تماما (أوفرول وطاقية وقايش) ٠٠ الاحذية فقط هى التى كانت من عندهم ٠

ويقول الفريق أول محمد فوزى أيضا ان جمال عبد الناصر كان يطلب منهم الخروج من المعسكرات للفسحة ومشاهدة معالم مصر ، ولكنهم كانوا يعتذرون فى أدب حتى لايقول المصريون عنهم انهم مستعمرون ٠

وتعتبر هذه المرحلة من أهم وأشق المراحل فى حياة القوات المسلحة ذلك انها كانت تقيم بناء جديدا تماما يحتاج الى جهد وجدية فى ظروف كان يتعالى فيها كبرياء المنتصرين وخيلاؤهم بما يظهر فى معظم الصحف العالمية من حديث يسبغ الفخر على الاسرائيليين ، ويشين سمعة العرب ويحط من قدرهم ٠

كانت المرحلة تماما كما عبر جمال عبد الناصر مرحلة صمود عسكرى وذهنى أيضا ·· كان هناك ما يمكن اعتباره (دفاعا صامتا) أى ضبط النفس وعدم الرد على استفزازات العدو الذى كان جنوده يسبحون عراة فى القناة ، ويوجهون خلال مكبرات الصوت كلمات جارحة للجنود المصريين ·

وكانت قد صدرت الى الوحدات خلال هذه الفترة أوامر مشددة بعدم اطلاق النيران ·· وقد حرص الفريق أول محمد فوزى على أن ينسب الامر الى القائد الاعلى جمال عبد الناصر لان الجنود والضباط ماكانوا ليقبلوا ذلك · ومع ذلك فقد حدثت عدة مخالفات حوكم فيها بعض المسئولين عن مخالفة هذه التعليمات ·

كان الجنود فى شوق شديد للقتال بعد وصول الاسلحة الى أيديهم مرة اخرى ·· وبعد ارتفاع قدرتهم القتالية نتيجة للتدريب العنيف الذى أصر عليه الماريشال زخاروف معتبرا أن الخطة الناجحة تنهض على التسليح والتدريب معا ·

وينسب الى الفريق عبد المنعم رياض قوله (اذا لم نقاتل فسيتحول رجالنا الى عبيد ونساؤنا الى عاهرات)

قرار مجلس الامن ٢٤٢

وكان صدور قرار مجلس الامن صدمة لبعض الذين غلبهم الشوق للقتال ، ولذا فقد عقد جمال عبد الناصر يوم ٢٥ نوفمبر أى بعد صدور القرار بثلاثة أيام اجتماعا مع كبار قادة القوات المسلحة قال لهم فيه انقبول قرار مجلس الامن هو مسألة لاتتعلق بهم ·· لان مايفعله الاسرائيليون فى الارض المحتلة يؤكد انهم لن يخرجوا منها الا اذا أجبروا على ذلك ·· وان عليهم ان يستعدوا بالتدريب الشاق لمدة من ثلاث الى خمس سنوات ليكونوا فى مستوى القدرة على تحرير الارض المغتصبة ·

وتأكيدا لهذا المعنى أعلن فى خطبته أمام مجلس الامة فى نفس الشهر قولته الشهيرة (ان ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة) ·

وبدأ جونار يارنج سفير السويد فى موسكو يؤدى دور وسيط هيئة الامم المتحدة بين اسرائيل والدول العربية بتكليف من السكرتير العام يوثانت تنفيذا لقرار مجلس الامن ·· واتخذ له مقرا رئيسيا فى جزيرة قبرص ·

ولكن سرعان ماتبين ان مهمة يارنج لاتحمل أملا حقيقيا فى السلام وأن حكومة اسرائيل تلقى حولها المصاعب التى تجعل الوسيط الدولى يدخل فى متاهات تثير اليأس والدوار · وفى مقدمتها الاصرار على القيام بمفاوضات سرية مباشرة ·

وقد عبر جمال عبد الناصر للملك حسين يوم ١٣ يناير ١٩٦٨ عنرأيه فى فقدان الأمل فى مهمة يارنج وذلك كما ذكر محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) وهو يقول ايضا ان عبد الناصر كان يعتقد أن الوصول الى اتفاق مرضى يعتبر أمرا طيبا ، وان علينا أن نقنع الرأى العام العالمى بنوايانا الطيبة · وهو ماكانت اسرائيل تحققه فى الماضى بنجاح كبير ·

وكان عبد الناصر يعتقد ان قبوله الاستمرار فى مباحثات يارنج انما

يستهدف اقناع السوفييت بانه لا سبيل الى حل ديبلوماسى وذلك رغبة منه فى تفريبهم من المشكلة وشبكهم بها .

وفى زيارة قام بها وزير الخارجية السوفييتى جروميكو الى مصر فى ديسمبر ١٩٦٨ قال لمحمود رياض بأن هناك اتصالات ثنائيه بينهم وبين الولايات المتحدة .. وتساءل عن موقف مصر بالنسبه لمباحثات يارنج .

وكان محمود رياض اكثر ميلا لاستمرار مهمة يارنج باعتبارها تتم تحت ضوء واشراف الامم المتحدة .. وعندما سأل جروميكو عن نقطة ضعف يارنج قال له جروميكو (ليس هناك خطأ ما بالنسبة ليارنج سوى أنه لايملك أساطيل فى البحر ولا صواريخ فى الهواء) .

ولكن جمال عبد الناصر أيد رأى جروميكو قائلا انه من الناحيه الواقعية فان يارنج لن يستطيع ان يفرض حلا وأن ماقد يتوصل اليه لابد وأن يكون اتفاقا بين الدولتين العظميين من خلف ستار .

وكان شهر نوفمبر ١٩٦٧ هو بداية مرحلة الردع .. المرحلة التى عادت فيها مدافعنا للانطلاق .

وكان اعداد القوات المسلحة للمعركة يسير متوازيا مع الاشتباكات المتكررة مع العدو .. وكان التدريب والمناورات التى تشترك فيها فرق كاملة بالذخيرة الحية تستهلك أموالا طائلة وأحيانا يسقط ضحية لها بعض الشهداء .

وعندما أثار بعض المسئولين ضخامة التكاليف التى تبذل فى التدريب قال لهم جمال عبد الناصر : (ان الهزيمة أغلى) .

وقد أدى تصاعد القتال فى منطقة القناة الى قرار التهجير الذى أجبر ٤٠٠ر٠٠٠ مواطن على الرجوع للخلف فى المحافظات الأخرى حرصا على أمنهم ومنعا لهم من أن يكونوا سدا أمام انطلاق قواتنا المسلحة .

ووصلت الامور فى القناة الى الحد الذى جعلها منطقة قتال حقيقية ، تتعرض فيها القوات يوميا الى قذائف المدفعية ، وقنابل الطائرات . ويسقط المقاتلون المصريون كل يوم تقريبا وهم يؤدون أشرف واجب وطنى .

هذا بينما كانت الامور فى الداخل تهدأ يومابعد يوم .. وتضاء الانوار تدريجيا ، وتتسرب الاغنيات العاطفية الى الاذاعة ، ويقتنع الناس بأن الثأر طويل والمعركة مستمرة .

وقد أدت هذه الحال الى تجسيم البعض لهذه الظاهرة بأن هناك فى مصر دولتين .. دولة محاربة فى القناة ، ودوله مسالمه فى العاصمة .

وارتفعت نبرة المطالبة بالحرب الشعبية وامداد الشعب بالسلاح لتكوين جيش شعبى ، ولكن جمال عبد الناصر رفض هذه الفكرة علنا فى مؤتمر الاتحاد الاشتراكى فى ١٤ سبتمبر ٦٨ بدعوى عدم توافر السلاح .. ولكن الحقيقة انه كانت هناك خشية حقيقية من تسليح الجماهير .

وكانت القيادة العسكرية قد أعلنت فى سبتمبر ١٩٦٨ أيضا سياسة (الدفاع الوقائى) التى لاتسمح لاسرائيل بأن تحول خطوط المواجهة الى خطوط للبقاء تقوم بتحصينها وحشد القوات فيها .

وفى نفس الوقت حرص جمال عبد الناصر على تطعيم المسئولين عن أجهزة الاعلام بالصورة الحقيقية للموقف . فطلب من أنور السادات رئيس مجلس الشعب ان يجمع رؤساء تحرير الصحف ويسافر معهم الى منطقة القناة لزيارة مصانع التكرير بعد تدميرها .

وكنت وقتها رئيسا لتحرير مجلة روزاليوسف وذهبت مع أنور السادات فى وفد ضم الزملاء : محمد حسنين هيكل واحسان عبد القدوس ويوسف السباعي وفتحى غانم وموسى صبرى حيث استقبلناهناك على صبرى الذى طاف بنا أرجاء المصنع الذى كانت تتلوى فيه الانابيب من الحريق كالثعابين الهامدة .. وأعد لنا لقاء فى مبنى المحافظة مع عدد من الشباب كانوا جميعا فى قمة الروح المعنوية العالية .

وتبين من الاحاديث والمناقشات ان هناك عتابا فى نفوس المقيمين بالمنطقة من أسلوب الحياة اللاهية فى العاصمه .

ولكن تطور المعركه لم يجعلها تقتصر على منطقة القناة .. فقد استشعر العدو فى مرحله الردع بان مدفعيتنا ترهق قواته المرابطة على الضفة الشرقية وتكبدها خسائر مستمرة ، وأن دورياتنا التى تتزايد يوما بعد يوم تصل عبر سيناء الى خطوطه الخلفيه وتشن عليه هجمات مفاجئه خاطفه لايستطيع لها دفعا فى هذه الارض الشاسعة وتحت ظلام الليل المنسدل .. فقد كانت نوعا من القتال الذى يشبه حرب الانصار أو حرب العصابات .

ولجأ الاسرائيليون الى استخدام سلاحهم الذىيملكون السيطرة الكاملة فيه وهو القوات الجوية .

كانت الولايات المتحدة تواصل امداد اسرائيل بالاسلحة المتقدمة رغم انتصارها الكبير .

قال جمال عبد الناصر للمبعوثين المصريين أثناء اجتماعه بهم فى الاسكندرية يوم ١٦ مايو ١٩٦٩ (أمريكا تعهدت لنا بتنفيذ قرار مجلس الامن، وانها ستعمل بكل الوسائل على أن ينفذ ، ولكن ما حدث بعد هذا كان يثبت العكس من ذلك فقد حصلت اسرائيل على طائرات سكاى هوك عام ١٩٦٨ ، وعلى طائرات فانتوم عام ١٩٦٩) .

وكتب الفريق محمد على فهمى فى كتابه (القوة الرابعه) عن تحول اسرائيل الى استخدام القوات الجوية ما يأتى :

(مع استمرار تصاعد العمليات العسكرية وتزايد حجم الخسائر فى القوات الاسرائيلية أدركت اسرائيل أن مصر وان كانت قد خسرت معركة عسكرية فى يونيو ١٩٦٧ الا انها لم تفقد الارادة والتصميم على القتال ،وأيقنت اسرائيل ان القتال سيستمر مالم تقهر هذه الارادة عن طريق الردع الجسيم فكان قرار اسرائيل باستخدام قواتها الجوية ، أوكما يسمونها الذراع الطويلة لجيش الدفاع الاسرائيلى)

وبدأوا يشنون غارات على الداخل .. على قناطر نجع حمادى والقناطر الخيرية مستخدمين ألغاما تجرى مع تيار المياه ، الامر الذى دفع قواتنا الى

استخدام مصائد ومصدات للالغام لحماية القناطر المحتلفة بلغت تكاليفها سبعة ملايين من الجنيهات ٠

وبدأ الاتحاد السوفييتي فى امداد مصر بصواريخ ستريللا أو سام ٧ ضد الطيران المنخفض المحملة على عربات مدرعة مجهزة بأجهزة اطلاق الصواريخ ٠

وصلت أول شحنة فى يناير ١٩٦٩ مع اسكندر شليبين عضو المكتب السياسى ، وتوالت الشحنات بعدها تحمل أنواعا متطورة من هذا الصاروخ ٠

ويذكر من باب المقارنة ان الملك حسين قد سافر الى أمريكا خلال هذه الفترة عدة مرات لاقناع الرئيس الامريكى جونسون بالحصول على أسلحة أمريكية ولكنه لم يحصل على طائرة واحدة ٠

وكتبت صحيفة جويش اوبزرفر البريطانية فى عدد ٢٣ أغسطس ١٩٦٩ تقول :

(تؤكد العمليات الجوية التى بدأت فى يوليو ١٩٦٩ ان مصر تخوض غمار حرب استنزاف ضد السلاح الجوى الاسرائيلى وان استمرار الصدام الجوى مع استمرار الغارات الجوية الاسرائيلية على الجبهه المصريه وتصدى وسائل الدفاع الجوى المصرى لها انما يعنى انه من الممكن القضاء على التفوق الجوى الاسرائيلى فى المدى الطويل بفرض أن اسرائيل لن تستطيع تعويض خسائرها) ٠

وخلال هذه المرحلة سقط الشهيد الفريق عبد المنعم رياض رئيس هيئة اركان الحرب يوم ٩ مارس ١٩٦٩ برصاص قناص للعدو وهو مجتمع مع عدد من القادة على الشاطىء الغربى للقناة ومديرا ظهره للعدو محاولا بعث روح الاقدام فى نفوس زملائه ٠

سقط عبد المنعم رياض ضابط المدفعية الذى زاملته فى مدرسة المدفعية قائدا للجناح المضاد للطائرات ، ثم خريجا فى كلية اركان الحرب ، والذى اكمل دراسته فى كلية مانوبير العسكرية الامريكية ، وكلية فرونز العسكرية السوفييتية .

كان عبد المنعم رياض قائدا محبوبا يتميز بشخصية شديدة الحيوية والتفتح ٠٠ وكان مصرعه رمزا للشجاعة أمام الجنود وأمام الشعب فى أيام كنا نحتاج فيها للمثل والتضحية ٠

ولذا كانت جنازة عبد المنعم رياض من أكبر الجنازات الشعبية التى عرفتها مصر ٠٠ سار فى مقدمتها جمال عبد الناصر وسط حشد من الجماهير التى أخذت تهتف للشهيد وللتحرير ٠

وفى عهد عبد الناصر لم تخرج فى مصر جنازات شعبيه سوى جنازة صلاح سالم ومصطفى النحاس وعبد المنعم رياض ٠

وسمعت من شعراوى جمعة ان عبد الناصر قال عندما شاهد مئات الالوف يشيعون جثمان عبد المنعم رياض ان هذا يعتبر استفتاء شعبيا على ثقة الناس فى استمرار المعركة ٠

حرب الاستنزاف :

ولم تكد نمضى عدة شهور حتى بدأت حرب الاستنزاف فى ٢ يوليو ١٩٦٩ كما قال لى الفريق اول محمد فوزى ٠

وكان دخول هذه المرحلة دليلا على جديه قتال القوات المسلحة المصرية ٠

قال لى اللواء عبد المنعم خليل أحد قادة الجيوش خلال هذه المرحلة ان اشتداد الغارات الاسرائيلية كان يحقق عدة نتائج هامة ٠

أولا ٠٠٠ تطعيم الجنود على القتال وتعويدهم على جو المعركة مما يرفع من تدريبهم وقدرتهم القتالية ٠

ثانيا ٠٠٠ تقليل الخسائر الى أدنى حد اذ يعتاد الجنود على مقاومة الغارات ٠٠٠ وضرب لى مثلا بانغارات اسرائيليه قد امتدت يوما كاملا بلا انفطاع على احدى المناطق ولكن لم يقتل احد ٠

ثالثا ٠٠٠ ارتفاع الروح المعنوية كننيجة حتمية لاستمرار البقاء والحياة رغم استمرار الغارات ٠

وكتب دكمجيان فى كتابه (مصر ٠٠ تحت حكم عبد الناصر) ان حرب الاستنزاف التى شننها مصر كانت تسنهدف عدة أهداف عسكرية وسياسية تتضمن :

١ ـ الحاجة الى تهدئة الشعور الشعبى المتزايد وخاصة فى الجيش لاتخاذ اجراءات عسكرية واسعة ضد العدو ٠

٢ ـ تدمير المواقع الاسرائيلية شرق القناة لمنع تحويل خطوط وقف اطلاق النار الى حدود دائمة ٠

٣ ـ زيادة خسائر الاسرائيليين الحربية وخاصة فى الجنود ٠

٤ ـ الحاجة الى زيادة الضغط على القوى العظمى لفرض تسوية قائمة على انسحاب الاسرائيليين ٠

ويقول دكمجيان أيضا ان اسرائيل قد ردت بتعاظم الغارات الجوية والفدائية لمنع المصريين من تدمير الاسطورة التى تقول بأن الاسرائيليين لاينهزمون ٠

وكان جمال عبد الناصر قد رفض فى خطابه فى ٢٣ يوليو ١٩٦٩فكرة وقف اطلاق النار وسط نشاط سياسى متزايد لاحداث نوع من التوازن بين موقف الدولتين العظميين ٠

كما أن جولدا مائير وأبا ايبان قد أعطيا تصريحات نشرتها صحيفة الموند الفرنسية بتاريخ ١٨ ـ ١٩ يناير ١٩٧٠ تعبر عن رغبتهما فى رؤية نظام عبد الناصر يصاب بالشلل من غاراتهم المتلاحقه ٠

وكانت جولدا مائير قد سبق ان قالت فى ٢٦ يوليو ١٩٦٩ (اننا على استعداد لاحترام وقف اطلاق النار) ووجهت الرجاء لمصر والدول العربية بوقف اطلاق النيران على الجانبين ٠

كانت الحرب تتصاعد ٠٠ ونشرت الاهرام يوم ١٧ يوليو انناأسقطنا

١٧ طائرة للعدو وحدث خلال هذه الفترة حرق المسجد الاقصى يوم ٢١ اغسطس ١٩٦٩ ، واقترح عبد الناصر على فيصل المبادرة بدعوة مؤتمر قمة اسلامى ، وكان فيصل يحاول تهدئة علاقته بمصر فسلم شقيقين من الاطباءأجبرا طائرة مصرية على الاتجاه للسعودية تحت تهديد السلاح يوم ١٨ أغسطس وعادت الطائرة والمختطفان وجميع الركاب .

وكانت عمليات اختطاف الطائرات هى (مودة المرحلة) فقد حدث بعد عشرة أيام من هذا الحادث أن اختطف فدائيان فلسطينيان احداهما سيدة ، طائرة أمريكية بها ١٧ اسرائيليا هبطت فى دمشق .

كما دعا عبد الناصر الى مؤتمر قمة لدول المواجهة انضم اليه الجزائر والسودان .

كانت المعركة قد أصبحت خشنة وكثيرة الضحايا .

وتطورت الامور الى الحد الذى جعل الفريق أول محمد فوزى يعلن فى مؤتمر القمة لدول المواجهة الذى عقد فى أول سبتمبر ١٩٦٩ وحضره الملك حسين ونور الدين الاتاسى وفريق أول صالح مهدى عماش وجعفر نميرى . ثم الرئيس بومدين الذى لحق بالمؤتمر بعد انعقاده .. يعلن فى التقرير الذى أعدته هيئة أركان الحرب انه بالتنسيق الفعال بين دول المواجهة يمكن أن تبدأ المعركة ــ أى معركة تحرير الارض ــ خلال ١٨ شهرا من ذلك التاريخ .

وينطبق ذلك على رؤية عبد الناصر التى أعلنها للقادة العسكريين فى مؤتمر ٢٥ نوفمبر ١٩٦٧ فور قبول قرار مجلس الامن من ان القوات المسلحة المصرية يمكن ان تكون جاهزة لمعركة التحرير خلال فترة تمتد من ثلاث الى خمس سنوات .

وقد قال لى الفريق أول محمد فوزى ان خطة التحرير كانت قد وضعت خلال وجود زخاروف وباشتراك كبار الخبراء والمستشارين السوفييت مع هيئة اركان الحرب المصرية بقيادة عبد المنعم رياض .. وانها اعتمدت من جمال عبد الناصر بصفته قائدا أعلى للقوات المسلحة .

كانت هذه الخطة تقضى بتحرير الارض المحتلة والوصول الى الحدود المصرية وتأمينها فى مدة اربع سنوات فقط أى فى منتصف عام ١٩٧١ تقريبا .

وقد أكد لى الفريق أول محمد فوزى ان هذه الخطة لم تكن تستهدف تحريك المشكلة سياسيا وانما كانت تستهدف تحرير الارض المصرية والعربية كلها وتأمينها تماما .

وما كادت تنقضى ستة أيام على انتهاء مؤتمر قمة دول المواجهة الذى اقترن بحدوث الحركة العسكرية الليبية فى الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ حتى قام الاسرائيليون بهجوم على الزعفرانة على شاطىء البحر الاحمر شمال رأس غارب يوم ٩ سبتمبر استخدموا فيه المدرعات والعربات البرمائية .

وتصادف ان كان عبد الناصر فى ذلك اليوم يراقب احدى المناورات

على طريق السويس ٠٠ وقد اعتاد جمال عبد الناصر حسب رواية الفريق أول محمد فوزى على المشاركة بنفسه فى حياةالقوات المسلحة ٠ فكان يتناول العشاء فى القيادة العامة مرتين كل اسبوع ٠

وعندما وصل الخبر الى جمال عبد الناصر استفسر من الفريق أول محمد فوزى الذى كان حاضرا معه فى المناورة فلم يكن يعرف شيئا عن طريق قوانه ٠ وأن مصدر المعلومات كان وكالات الانباء العالمية كما ذكر هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ٠٠ وغادر جمال عبد الناصر مكان المناورة فورا ليعود الى القاهرة لمتابعة الموقف ٠

والواقع ان عملية الزعفرانة قد تمت من الجانب الاسرائيلى بتركيز شديد ٠ فقد سيطرت قواتهم الجوية سيطرة كاملة على المنطقة ٠ وأنزلت ٩ دبابات على ثلاثة لنشات فى غسق الفجر تحت الاضواء الكاشفة ٠ وسارت من أرض الانزال جنوب العين السخنة على الطريق العام حتى وصلت الى الزعفرانة ٠ مستغلة كونها دبابات مصرية استولى عليها فى سيناء فى يونيو ١٩٦٧ وظلت تحمل علامات الجيش الثالث ٠ الى الحد الذى جعل بعض الجنود يصفقون عند مشاهدتهم لها قبل أن يحصدهم الرصاص ٠

شهد عملية النزول جندى من الحدود ، أطلق ساقيه للريح ٠ وأبلغ الحدود فالعمليات ٠ فرئيس أركان الحرب اللواء احمد اسماعيل الذى اعتقدأن الجندى المبلغ قد فعل ذلك تحت خدر أوهام خاصة ٠ ولم يصدر أوامر بمتابعة الموقف أو التعرف على حقيقة ابعاده ٠

ولم يكن جندى الحدود هو مصدر التبليغ الوحيد ٠

يقول أمين هويدى مدير المخابرات العامة فى ذلك الوقت انهم تلقوا أخبارا عن العملية من أحد أفرادهم فى منار الزعفرانة ٠ وان الاشارات حولت للجهات المختصة ٠

ويقول أحد كبار ضباط الصواريخ ان المراقبة بالنظر التابعة لهم قد أبلغت أيضا بهذه العملية ٠

ولكن أحدا لم يقدر جسامة العملية ٠ ولم يبادر باتخاذ موقف ايجابى للمقاومة ٠ ووقفت المعلومات عند حدود رئاسة أركان الحرب فقط ٠

وعندما وصل الخبر الى جمال عبد الناصر أثناء المناورة كان الاسرائيليون مازالوا فوق الجانب الغربى لخليج السويس ، فقد امتدت غارتهم من الخامسة صباحا حتى الثالثة مساء ، دون اية مقاومة ٠

وتصادف أن كان محافظ البحر الاحمر اللواء حسين كامل فى طريقه من الغردقة الى القاهرة ، عندما واجهته القوات الاسرائيلية فهشمت الدبابات سيارته ، ولحقته نيران المدافع الرشاشة فأردته قتيلا ، كما دمرت أوتوبيسا مدنيا كان يحمل ٤٠ راكبا ٠

ويقول هيكل ان جمال عبد الناصر وهو يتصل به حوالى السابعة من مساء نفس اليوم كان هابط المعنوية ، وقال له (يبدو أننا مازلنا نتصرف بأسلوب حرب ١٩٦٧) ٠

كانت الصدمة شديدة لجمال عبد الناصر في وقت يبذل فيه كل جهده وطاقته في الاهتمام بالقوات المسلحة · واعادة تسليحها وتنظيمها وتدريبها ·

ولذا فقد أصيب في اليوم التالي مباشرة (١٠ سبتمبر ١٩٦٩) بذبحة صدرية مفاجئة ، وكانت آخر صورة قد نشرت له في الصحف يوم ١١ سبتمبر مع أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة السودانية (مأمون عوض أبوزيد) .

وعندما أمره الاطباء بأن يعتكف في الفراش ، ولايمارس أى عمل مجهد شكل لجنة برئاسة أنور السادات وعضويه شعراوى جمعه والفريق أول محمد فوزى وأمين هويدى ومحمد حسنين هيكل وسامى شرف للقيام سرا بواجبات رئيس الجمهورية بعد فرض حظر يحول دون تسرب خبرالمرض المفاجىء للصحافة وأجهزة الاعلام ·

يقول الفريق أول محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة ، انه لم يعرف حقيقة المرض يوم وقوع الذبحة الصدرية ، وانما تصور فعلا أنها انفلونزا حادة ·

ويقول ان عبد الناصر كان قد اعتاد ان يتصل به مساء كل يوم قبل أن يأوى الى فراشه أو فى الصباح الباكر ليسأله عن حاله القوات المسلحة وانه انقطع عن ذلك بعد مرضه لمدة اسبوع واحد فقط ·

وعندما علم فوزى بحقيقة المرض ، لم يتصور خطورته ، لانه ــ كما يقول ــ خرج مع جمال عبد الناصر بعد شفائه للمرور على الجيش الثانى والثالث فى قناة السويس فى أواخر شهر اكتوبر ، وذهب معه الى الموقع الذى استشهد فيه الفريق عبد المنعم رياض شمال الاسماعيلية. بعد ان أصدر تعليمات بأن تتحرك عربة القيادة المسماة (٦٩ أ) وحدها من بور توفيق تحمل جمال عبد الناصر وفوزى ، وقد نشرت الاهرام لهما صورة وهما يتطلعان الى الشاطىء الشرقي ·

حرص فوزى على الاتتحرك العربات فى قول حتى لايلفت نظر الاسرائيليين كما وقع فى حادث الفريق عبد المنعم رياض الذى خرج من رأس العش فى خمس عربات اجتذبت أنظار الاسرائيليين فصوبوا قنابلهم عليها بعد وقوفها ، حيث استشهد الفريق عبد المنعم رياض بصدمه تفريغ الهواء دون ان يصاب بجرح أو ينزف دما ·

لم يؤثر مرض القلب على نفسية عبد الناصر ولم يضعف صحته · · وكل ماكان يجهده هو التهاب أعصاب الساق اليسرى من مرض السكر التى عولج منه فى تسخالطوبو عام ١٩٦٨ ،

وقد اقترن هذا الشهر من شهور الخريف بمتاعب عبد الناصر الصحية والنفسية ·· ففى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ حدث الانفصال السورى وتمزقت الجمهورية العربية المتحدة ، وأصيب عبد الناصر بمرض السكر ·

كانت اسرائيل تستهدف من هذه العمليات العسكرية ذات الصبغة المسرحية والدعائيه احباط الامل المصرى فى معاودة المعركه ، وتعقيم الجهد المكثف ، وتهبيط الروح المعنوية · وقطع الطريق على تقدم القوات المسلحة مما يصيب النظام بالشلل والانهيار ·

ولذا حرص جمال عبد الناصر على اجراء تغييرات هامة فى المناصب القيادية ·

أحال اللواء أحمد اسماعيل رئيس أركان الحرب الى التقاعد ، وعين بدلا منه اللواء محمد احمد صادق الذى كان مديرا للمخابرات الحربية ،كما عين العميد محمود فهمى قائدا للقوات البحرية ·

كما حرص على رفع الروح المعنوية للجنود الذين تعرضوا لغارات ثقيلة ·· وزادت عمليات الهجوم الفدائى والتسلل الى سيناء ·

وأصبحت حرب الاستنزاف تشمل دوريات المشاة المتسللة والتى وصلت الى حد الكتيبة ، ونيران المدفعية وقذائف الصواريخ ·

قال لى الفريق أول محمد فوزى انهم كانوا يقدمون لكل جندى يعبر القناة نيشان العبور ، ويلبسه كميدالية تزين صدره وقت الاجازات ·· وقال ان هذا النيشان قد منح لعدة آلاف من الجنود ، الامر الذى يظهر النشاط العسكرى الهجومى ·

ومع ذلك فكلما زاد الهجوم المصرى كلما زاد عنف رد الفعل الاسرائيلى · حتى وصل الى حد نزول قوات اسرائيلية فى رأس غارب على ساحل البحر الاحمر والاستيلاء على احد أجهزة الرادار ·· وكان يصحب هذه القوات كاميرات التصوير أيضا لتنسج بين الدعايه والعمل العسكرى ·

حدث ذلك أثناء انعقاد مؤتمر القمة العربى فى ديسمبر ١٩٦٩ فى الرباط بعد ثلاثة شهور تقريبا من حادث الزعفرانة واصابة جمال عبدالناصر بالذبحة الصدرية ·

وقد كان هدف العملية الاسرائيلية الى جانب الدعاية العالمية الضخمة التى أحيطت بها ، مواصلة التأثير النفسى العميق لعملية الزعفرانة وما يصحب ذلك من اهتزاز ثقة القوات المسلحة فى نفسها ·· الى جانب الحصول على جهاز رادار سوفييتى حديث الصنع ·

ولكن العملية الاسرائيلية رغم نجاحها لم تحصل على هذا الجهاز وانما حصلت على جهاز قديم B 12 سبق لهم ان حصلوا على ثلاثة منه فى سيناء فى بلاد (نخل وتمادا والعريش) ·

ومع ذلك كانت العملية الاسرائيلية تمثل عارا للقوات المسلحة وسمعتها ·· فقد تمت العملية بغير اشتباك من جانب القوات المسلحة المصرية ·

ولذا شكلت فى الغردقة محاكمة عسكرية ميدانية عالية رأسها اللواء سليمان مظهر ، وحاكمت ٦ ضباط ، ٢٨ صف ضابط وعسكرى وأصدرت أحكامها باعدامهم جميعا عدا ضابطين وأربعة صف ضباط فحكم عليهم بالاشغال الشاقة المؤبدة ·

ولكن الضابط المصدق على الاحكام الفريق أول محمد فوزى استبدل

أحكام الاعدام بالاشغال الشاقة التى بدأت أول يناير ١٩٧٠ ٠

وكان العميد محمود بركات سيد أحمد هو أقدم رتبة قدمت للمحاكمة ثم أفرج عنه فيما بعد وعاد للقوات المسلحة برتبه اللواء ٠

وتمادت اسرائيل فى هجماتها داخل الاجواء المصريه ، فأغارت على مصنع دى أبو زعبل حيث محطات الارسال للاذاعة ، وعلى مدرسة بحر البقر وسقط فى هذه الغارات عدد كبير من الضحايا ٠

كان هدف الاسرائيليين من تصعيد المعركة والهجوم على الاغراض المدنية المسالمة ، قهر الروح المعنوية المتصاعدة للشعب ، وبث روح الخوف والهزيمة ٠

ولكن هذا الامر لم يتحقق أبدا ٠

وأمكن تثبيت واقامة مواقع الصواريخ الجديدة تحت ضغط ظروف قاسية وغارات عنيفة ٠٠ وسقط اكثر من ٤٠٠٠ عامل مصرى كانوا يقيمون دشم الصواريخ ٠٠ تعصف بهم الغارات كل يوم ولكنهم يعودون للعمل بلا خوف أو تردد ٠

وأراد جمال عبد الناصر ان يخطو بالموقف خطوة أخرى الى الامام توقف غارات العدو التى تحاول احباط خطة تحرير الارض ٠

عبد الناصر يطلب قوات سوفييتية للدفاع عن مصر :

وقرر السفر الى موسكو فى رحله سريه يوم ٢٢ يناير ١٩٧٠ صحبه فيها الفريق أول محمد فوزى الذى ودع حماته وهى فى لحظات الاحتضار قائلا انه مسافر الى أسوان وشيعت جنازتها فى غيابه ومحمد حسنين هيكل ومعهما السفير السوفييتى سيرجى فينوجرادوف والجنرال السوفييتى كاتشكين الذى خلف الجنرال لاشنكوف كبيرا للخبراء بعد اصابة الاخير بذبحة صدرية عولج منها فى القاهرة ٠

سافرت هذه المجموعة سرا على طائرة سوفييتية حيث بدأت المباحثات عصر نفس اليوم بعد ان انضم مراد غالب سفيرنا فى موسكو الى عضوية الوفد ٠

قال لى الفريق اول محمد فوزى ان جمال عبد الناصر كان حريصا على أن يتحدث مع القادة السوفييت فى صراحة تامة ، وانه قال لهم ان اسرائيل قد عجزت عام ١٩٦٧ عن تركيع مصر ولكنها بغارات الاعماق تريد تحطيم النظام وهزيمة شعب مصر ٠٠ كما انها تحول دون اتمام بناء قواعد الصواريخ فى المساحة المحددة لها غرب القنال بمسافة ٣٠ كيلو مترا ٠

ويقول الفريق أول محمد فوزى ان عبد الناصر قد ابلغهم بأننا فى سباق مع الزمن وانه لايثق فى قدرة القوات المصرية بتسليحها الحالى على صد الهجمات الاسرائيلية ٠

وفى هذا الاجتماع تم الاتفاق على امداد مصر بصواريخ سام ٣ بدلا من صواريخ سام ٢ التى أمكن للاسرائيليين الهرب من تأثيرها بالطيران المنخفض ٠

ويقول الفريق أول محمد فوزى انه عندما عرض على جمال عبد الناصر أسماء المناطق الحيوية التى يجب الدفاع عنها فى أنحاء الجمهورية ، تبين أن مصر لاتملك أطقما جاهزة مدربة على استخدام الصواريخ الجديدة ٠ ٠ وأن تحويل أطقم صواريخ سام ٢ الى سام ٣ يحتاج الى وقت وتدريب لايتناسب مع الظروف الضاغطة القائمة، اذ ان الامر يستغرق ستةشهور تكون الخطة الاسرائيلية فيها قد حققت أغراضها ٠

وتبلورت فى ذهن عبد الناصر امام هذه الحقائق فكرة لم يلبث ان عرضها على القادة السوفييت دون تردد ٠

طلب جمال عبد الناصر من السوفييت امداد مصر بالصواريخ المناسبة مع أطقمها السوفييتية على ألا تتواجد فى منطقة القناة المواجهة للعدو ،وانما تتولى حماية الداخل من الغارات الاسرائيلية المتصاعدة ٠

كان تقدير موقف جمال عبد الناصر قائما على اساس انه يدخل مع الاسرائيليين فى سباق مع الزمن ، وانه اذا كانت مصر قد صمدت مايقرب من ثلاث سنوات بعد العدوان ٠ وطورت قواتها المسلحة الى الدرجة التى تجعلها قادرة على تنفيذ خطة تحرير الارض ٠ فانها اليوم وأمام غارات الاعماق تتعرض لموقف جديد يمكن ان يؤدى الى التأثير الخطير على معنويات الجماهير مما قد يحدث شللا وانهيارا للنظام ٠

وكان الطلب مفاجئا تماما للقادة السوفييت لانه يتجاوز حدود الاستعانة بالخبراء والمستشارين الى مجال جديد هو الاستعانة بالقوات السوفييتية ذاتها ، وهو أمر لايمكن للقادة الحاضرين وحدهم ان يتخذوا فيه قرارا ، لانه أمر يتصل بالاستراتيجية السوفييتية المبنية بارادة الحزب الشيوعى السوفييتى وموافقته ٠

ولم تكن هناك سابقة لتواجد قوات سوفييتية محاربة خارج حدود المعسكر الشيوعى مطلقا ٠٠ ولم تكن هناك دوله من دول منطقه التحرر الوطنى قد حظيت مثل مصر بما حظيت به من مساعدات عسكرية واقتصادية شجعتها على مزيد من المطالبة ٠

ولكن لايمكن القول بأن القيادة المصرية قد طالبت بتواجد القوات السوفيتية تهربا من أداء واجبها الوطنى ، ولا اتكالا على قوة الاصدقاء فقط ٠ وانما طلبت ذلك ادراكا منها بأن خطة الامبريالية الصهيونية المشتركة التى فشلت فى اسقاط النظام بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، قد بدأت فى تنفيذ خطة جديدة هى حرب مباشرة ضد معنوية واقتصاد الشعب المصرى ٠ ٠ ٠ فقد كان هدم القناطر يعنى طوفانا من الماء يغرق الارض ، وكان تعريض السد العالى لخطر القنابل الاسرائيلية يعنى تحطيم أعظم انجاز اقتصادى فى تاريخ مصر وما يصحب ذلك من أخطار مدمرة ٠٠ وكان تعرض المصانع ومحطات الكهرباء لاخطار الغارات المعادية يعنى تعجيز الاقتصاد المصرى ٠

ولم تكن مصر قد استعدت لمواجهة هذه الاخطار بطريقة جادة سواء

قبل العدوان او بعده ، فقد تركزت كل الانظار والجهود على القوات المسلحة، باعتبارها الركيزة الاساسية لتحرير مصر ·· دون الاهتمام بتعبئة طـــاقات الشعب المصرى وتدريبه على القتال كما حدث فى فيتنام مثلا ·

وكان ذلك نتيجة لطبيعة قيادة ثورة يوليو المنبعثة من القوات المسلحة وواقعها الطبقى الذى كان منتميا للبرجوازيه الصغيرة التى حرصـــت عــلى الانفراد بالسلطة وحدها دون اتاحة الفرصـة الكاملة للفلاحـــين والطبقه العـــاملة ·

وعندما فاجأ جمال عبد الناصر القادة السوفييت بهذا الطلب تهامس بريجنيف وجريتشكو كما كتب محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطـريق الى رمضان) ثم قال :

(ان المشكلة ليست فقط فى الصواريخ وأطقمها ، ولكن الامر يرتبط بنظام معقد للدفاع يحتاج الى طائرات ايضا) ·

وهنا بادر جمال عبد الناصر قائلا (حســـنا ·· أرسـلوا الطائرات أيضـــا) ·

وأوضح بريجنيف ان مثل هذه الخطوة قد تكون لها تعقيدات دوليـــة وعالمية خطيرة ·

وهنا أوضح لهم جمال عبد الناصر أفكاره فى صراحة قائلا ان الولايات المتحدة تمد اسرائيل بكل ماتحتاجه دون تردد ، أما مصر فهى تتعرض الآن لخطر اسقاط النظام ·· ومن جهتى ـ أى عبد الناصر ـ لايمكن لى آن أستسلم لامريكا ، وانما على أن أصارح شعبى بحقيقة الموقف ثم انحى لرئيس جديد يكون قريبا من أمريكا ، يمكن له ان ينقذ الشعب مما يتعرض له ·

ويقول هيكل ان كلمات عبد الناصر قد كهربت الجو الى الحـد الذى جعل بريجنيف يقف قائلا (يارفيق عبد الناصر ·· لاتتحدث هكذا ·· فأنت القائد) ·

ويتبادل الزعيم المصرى والزعماء السوفييت الحديث الذى وصـــــل النقطة الحرجة وانتهى الامر الى المطالبة بتأجيل الاجتماع لانه ليس مـــن سلطة القادة الحاضرين وحدهم ان يتخذوا قرارا ·

كان لابد من دعوة المكتب السياسى واللجنة المركزية ·

قال لى مراد غالب سفيرنا فى موسكو ان اعضاء المكتب قد اسـتدعوا فجأة بالطائرات من أنحاء الاتحاد السوفييتي وهو مالم يحدث من قبـل فى حدود علمه ·

وقال لى الفريق أول محمد فوزى انه نظرا لخطورة القرار فقـــد حضر اجتماع المكتب السياسى ١٢ ماريشالا ســـوفييتيا ·· وفى احـدى قاعات الكرملين وقبل أن يتوجه الوفد الى الطائرة عقدت جلسة ختامية فى السادسة مساء أعلن فيها بريجنيف ان الاتحاد السوفييتى قد اتخذ قرارا تاريخيا لم يسبق له مثيل يحتاج من مصر الى ضبط النفس ·

وافقت قيادة الاتحاد السوفييتي على امداد مصر بصورايخ سام ٣ على أن تتبعها الطائرات بعيدة المدى ميج ٢٥،المرتبطة معها فى نظام الدفاع الجوى .

وحدد السوفييت اعداد الصواريخ ومواقع اقامتها وعدد الجنود الذين يعملون عليها .. كما انفق على ارسال حوالى ١٨٠٠ مصرى للتدريب هناك مدة ستة أشهر .

وعبر عبد الناصر عن شكره وتقديره للقرار التاريخى الذى يحقق لاول مرة مجالا لتعاون الدول الاشتراكية العظمى مع دولة من دول التحررالوطنى فى معركة مشتركة ضد الامبريالية والصهيونية التوسعية .

وأعلن أن تواجد هذه القوات سوف يدفعه الى تهدئة الموقف وضبط النفس حتى يعطى لقواته فرصة اتمام التدريب حتى لاتمتد اقامة الجنود السوفييت بأكثر مما تحتاجه الظروف . وكان هناك اتفاق على أن يتم سحب الخبراء والمستشارين السوفييت من ميدان المعركة عند نشوب القتال تنفيذا للخطة الدفاعية ٢٠٠ .

ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابة (الطريق الى رمضان) ان بريجنيف قد انتقل من مقعده ووقف بجانبه قائلا له (ان هذا الامر يجب ان يبقى فى اطارالسرية الى أطول وقت ممكن) .

ويلاحظ فى كتاب هيكل ان بريجنيف كان يخاطب عبد الناصر بلقب رفيق Tovarich بينما يخاطب هيكل بلقب سيد Gospodin

قال لى الفريق أول محمد فوزى ان صواريخ سام ٣ مع أطقمها السوفييتية بدأت تصل مع شهر ابريل .

وفى يوم ١٨ ابريل ١٩٧٠ تصدت طائرات مصرية يقودها طيارون سوفييت لطائرات اسرائيلية مهاجمة .. وعندما التقطت الاجهزة اللاسلكية الاسرائيلية لغة الطيارين الروسية عادت فورا الى سيناء .

وأعلن موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى فى نفس اليوم ان اسرائيل لن تهجم على اعماق مصر لانها لاتريد ان تحارب السوفييت .

وهكذا أبلغ السوفييت الامريكان بتواجدهم فى مصر بطريقتهم الخاصة .. واصبحت مصر كلها مدنا وقرى وقناطر ومصانع فى امان .. وانحصرت المعركة والمواجهة فى منطقة القناة بين القوات المصرية والاسرائيلية .

ولم تقتصر المجابهة على منطقة القناة وحدها . ولكنها امتدت فى عملية فدائية لتصل الى ابيدجان عاصمة ساحل العاج على الشاطىء الغربى لافريقيا .

كانت المخابرات العامة قد وصلتها معلومات عن استئجار الاسرائيليين لحفار اسمه (كيننج) من شركة أمريكية كندية مشتركة وذلك لاستخراج البترول فى منطقة خليج السويس .

وتابعت المخابرات خط سير الحفار الى أن علمت بوجوده فى ابيدجان

يوم ٣ مارس فتحركت مجموعة فدائية من مصر لتدميره هناك حيث تم التنفيذ فعلا في الساعة الواحدة من صباح ٨ مارس ١٩٧٠ في وقت كانت المدينة مشغولة برواد الفضاء الامريكيين الذين كانوا يزورونها في نفس اليوم ٠

ويروي أمين هويدي قصة متابعة هذا الحفار تفصيلا في كتابه (أضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧) وهي توضح أن روح القتال كانت تدفع كافة الاجهزة الى استغلال كل طاقاتها لاستنزاف العدو وانهاكه استعدادا لتنفيذ خطة تحرير الارض ٠

توقفت مشروعات اسرائيل لاستخراج البترول في خليج السويس بعد نجاح العملية التي دمرت الحفار ٠

وتصاعدت حرب الاستنزاف ، وبدأ الاسرائيليون يفقدون سيادتهم الجوية تدريجيا ، وتعرضت طائراتهم للسقوط بوساطة الصواريخ السوفييتية ٠

وكانت أرقام الطائرات الاسرائيلية التي تتساقط تهدد السيادة الجوية تهديدا جادا وحقيقيا ٠٠ ولكن القيادة العسكرية كانت تريد أن تصل الصواريخ الى شاطىء القناة حتى تضمن دفاعا عن القوات غرب القناة ، وتضمن أيضا حماية للجنود عندما يعبرون القناة ٠

وكان الموقف قد تغير تماما بعد وصول القوات السوفييتية ، وأمكن للصواريخ المصرية أن تتفرغ تماما لمجابهة الطائرات الاسرائيلية المغيرة ٠

واعتبرت قوات الدفاع الجوى ٣٠ يونيو ١٩٧٠ عيدا لها تحتفل به الآن كل عام لانه في هذا التاريخ فوجئت الطائرات الاسرائيلية بالصورايخ المصرية وتكبد السلاح الجوى الاسرائيلي خسائر فادحة لم تكن في الحسبان كما ذكر الفريق محمد علي فهمي في كتابه (القوة الرابعة) والذي قال فيه انه طبقا للبلاغات الرسمية المصرية فان خسائر العدو خلال الفترة من ٣٠ يوليو الى ٨ أغسطس بلغت ١٦ طائرة ٠

ويبدو انه كان هناك (حرص مصرى) على عدم الاعلان عن سقوط طائرة الا بعد التأكد التام من وقوعها وذلك كرد فعل للبيانات المضللة التي صدرت خلال أيام العدوان الاسرائيلي في يونيو ١٩٦٧ ٠٠ فان مجلة (افيش ويك) نشرت في عددها الصادر في ١٦ نوفمبر ١٩٧٠ ان خسائر اسرائيل بلغت ٥١ طائرة منها ١٧ تم تدميرها تماما ، ٣٤ أصيبت ٠

هذه الحالة دفعت جولدا مائير الى القول بأن (كتائب الصواريخ المصرية كعش الغراب كلما دمرنا احداها نبتت بدلها أخرى) ٠ ودفعت ايضا أبا ايبان وزير الخارجية الى القول (لقد بدأ الطيران الاسرائيلي يتآكل) ٠

هذا يؤكد الحقيقة التي سبق ان نشرتها مجلة تايم الامريكية في حديث مع حاييم بارليف في عدد ٢٩ مارس ١٩٧٠ صرح فيه قائلا :

(على المرء ألا يقع في تصور ان صواريخ سام دفاعية انها أقيمت لاعطاء مصر قوة هجومية ٠٠ ان مجرد اقامة هذه الصواريخ سيخلق في مصر شعورا بالحرية لفعل ماتريد)

يقول دكمجيان في كتابه (مصر تحت حكم ناصر) ان الغارات الاسرائيلية

فى مطلع عام ١٩٧٠ كانت تستهدف اسقاط نظام حكم جمال عبد الناصر ، تماما كما حدث فى غارة غزة ٢٨ فبراير ١٩٥٥ (وحرب السويس) ١٩٥٦ · (وحرب الايام الستة) عام ١٩٦٧ ·

وفى كل مرة ـ كما يقول دكمجيان ـ كانت تبنى هذه السياسه على الادراك غير السليم لحقيقة المجتمع النفسية ، ويقول أيضا ان رجال الاستراتيجية الاسرائيلية فشلوا فى معرفة سحر زعامة جمال عبدالناصر · وقوة الروح القومية ، وقدرة المصريين التاريخيه على استيعاب الهزيمة وامتصاصها ·

ويفسر دكمجيان الموقف فى هذه المرحلة بأنه الى جانب المصاعب الديبلوماسية والعسكرية ، وضعف التنسيق بين الدول العربية · فان المصريين قد وجدوا أنفسهم وحدهم يواجهون عدوا قويا فى غياب فرصة فرض تسوية من الخارج بمعرفة القوى العظمى ، وعدم قبول سلام تفرضه اسرائيل ، وأن عليهم مواصلة النضال ضد اسرائيل رغم التضحيات الكبيرة ورغم جسامة المشاق المطلوبة ·

وانتهت سلبيات السنوات الاولى للثورة عندما تبين أن زعامة جمال عبد الناصر لاتملك مفتاحا سحريا لحل المشاكل دون مشاركة جماهيرية ·

وفى الماضى كان كل مايطلبه جمال عبد الناصر من الشعب هوالمساندة والتأييد وبعض تضحيات محدودة ·· وكانت انتصاراته تعتبر انتصارات شخصية لاتحتاج ولاتعتمد على مشاركة شعبية ·· ولكن رفض الاسرائيليين للانسحاب بدأ يفرض على مصر واقعا جديدا هو أهميه المشاركه الشعبيه فى النواحى الحربية والسياسية ·

واذا اعتبرنا النواحى الحربية هى (معركةالخطوط الامامية)؛ فان نجاحا كبيرا قد تحقق فى باب المشاركة ، وتغيرت طبيعة القوات المسلحة · ولم تعد اسرائيل قادرة بأى شكل من الاشكال على تنفيذ ماإعتادت عليه فى تصريحاتها من (تلقين العرب درسا) يتعلمون به قبول الوجود الاسرائيلى بالصورة التى يراها الاسرائيليون ·

تجاوزت الظروف مرحلة الغارات أو الحروب المفاجئة التى كانت تشنها اسرائيل (للتأديب او تلقين الدروس) وأصبحت المعركة سجالا بين طرفين ·

ومما لاشك فيه ان استمرار هذه الصورة من الحرب وتصاعدها تنفيذ (للخطة الدفاعية ٢٠٠) كان سيؤدى الى تغيير هائل فى (السلوك القومى كان محتملا أن يصل تأثيره الى الخطوط الخلفيه فى المجتمع ايضا)·

وهكذا كانت حرب الاستنزاف نضالا مشرفا للقوات المسلحة ، وتمهيدا جادا لعبور القناة وتحرير الارض فى سيناء · ووسيلة لبعث الحيوية فى الخطوط الخلفية حيث الجماهير كانت لاتزال تلعب دور المتفرج على معركة تزداد سخونتها يوما بعد يوم ·

وكما كانت فى الخطوط الامامية معركة ·· كانت هناك فى الخطوط الخلفية معركة أيضا ·

الفصل الثاني

معركة الخطوط الخلفية

(اننى لا اعتبر التناقض بيننا وبين الماركسيين تناقضا عدائيا ، واننى استعنت فى تحضير افكار الميثاق بكلمات ماركس ولينين وستالين ، وماوتسى‌تونج ولاسكى وغيرهم .

جمال عبد الناصر

كان التركيز على بناء القوات المسلحة واعدادها للمعركة هو الاساس الذى قامت عليه خطه عبد الناصر بعد الهزيمة .. ولكن المعركة لم تقتصر على ميدان القتال فقط .. بل امتدت الى المجتمع أيضا .

كان استيعاب النظام لصدمة الهزيمة ، وبقاء جمال عبد الناصر فى قمة القيادة ، دليلا على ان ثورة يوليو قد قدمت الى الجماهير مايدفعها الى التشبث باستمرارها .

ولكن كان صعبا وعسيرا ان تمضى الامور كما كانت عليه .. فقد اهتز سحر شخصية الزعيم ، وكشفت محاكمات مؤامرة المشير ، وجهاز المخابرات . طفحا يسىء الى طهارة الثورة والثوار .

كان ضروريا أن تتغير طبيعة النظام .. وأن يشعر الناس بمزيد من الحرية والديموقراطية .. وأن تحاصر الاخطاء والانحرافات .

ولكن شعار (التغيير) الذى رفعته الجماهير ، لم يطبق بالاسلوب الذى يحمل الاقتناع بها .. ولم يطبق أيضا بالاسلوب الجاد الذى تحقق فى

القوات المسلحة ، ووصل بها الى خوض المعركة من جديد بعد شهور فقط من الهزيمة القاسية .

كل شيء في البداية مضى في الطريق القديم .. لم يتغير أحد من اعضاء اللجنه التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي .. زكريا محيي الدين وأنور السادات وحسين الشافعي وعلي صبري ومحمد صدقي سليمان .هذا اذا استثنينا سقوط المشير عبد الحكيم عامر وهذا أمر يتصل بالحياةالعسكريه اكثر مما يتصل بالحياة المدنية .

وقد أوضحت في الباب الثالث ـ الفصل الاول ـ سطحية ماحدث من تغييرات لم تجمل وجه النظام ، ولم تبعث فيه الجدية أو الحيوية .

وقد كان المجتمع في هذه الفترة يموج بمختلف الاتجاهات ،وتتصارع فيه مختلف الاراء والطبقات .

انعكست الرجعية المضروبة خلال سنوات الثورة من أثر الهزيمة على القيادة .. وشعر الاشتراكيون وأصحاب المصلحة الحقيقية في التغيير الاجتماعي بالخطر الذي يمكن ان يهدد طموحهم وأملهم في الوصول الى مجتمع السلام والاشتراكية .

واصبح الصراع الطبقي واقعا لايمكن انكاره او تجاهله رغم فكرة تحالف قوى الشعب العامله .. وكاد يتمزق الغطاء الذي حاول جمال عبد الناصر ان يستر به عوامل الصراع الكامنه .

وبرزت قضيه حمايه الثورة بصورة رئيسيه .

وكتبت مقالا تحت هذا العنوان في مجلة روزاليوسف عندما كنت رئيسا لتحريرها في ٣١ يوليو ١٩٦٧ قلت فيه (ان ثورة ٢٣ يوليو تتميز بخاصية فريدة هي انطلاقها من الجيش تعبيرا عن ارادة الشعب المعبأة نفسيا ضد النظام الملكي .. والمفتقرة في نفس الوقت الى تنظيم يكسب ثقتها ويقود نضالها) .

وأشرت فيه الى (الحاجة الى جهاز سياسي صلب ومماسك تتوافر له وحدة الفكر وسلامة الاتجاه)

وكان الاتحاد الاشتراكي في ذلك الوقت يعتبر أكثر يسارية وتقدمية من الحكومة ومن القوات المسلحة ايضا .

كانت قد شكلت مكاتب تنفيذية من المتفرغين .. وضمت منظمة الشباب ٢٠٠،٠٠٠ عضو ، وأنشيء المعهد العالي للدراسات الاشتراكية الذي اداره الدكتور ابراهيم سعد الدين عضو الامانة العامة ، وانتشرت المعاهد في المحافظات بعد أن كانت قاصرة على السويس ، وتمت دورات تدريبية تخرج فيها ألوف العمال والفلاحين .

ومع ذلك فقد عانى الاتحاد الاشتراكي من سلبيات كثيرة تمثلت في عدم اعطاء الطبقة العاملة والفلاحين ثقلهم الطبيعي في مراكز القيادة وحل التناقض القائم بينهم وبين البرجوازية ونقص الوعي والقدرة السياسية عند أغلبية اعضاء المكاتب التنفيذية ، وعدم انتظام الاجتماعات، وغياب الديموقراطية داخل التنظيم ، وتعثر تكوين جهازه السياسي(طليعة الاشتراكيين ، ووضع أشخاص غير سياسيين في قمة المسئولية) .

وكانت الرجعيه المتربصه بثورة يوليو قد وجدت في الهزيمه فرصتها الهائلة ، وأحاطت النظام بالشكوك والاتهامات ٠٠ ونشط ماسبق ان اشار اليه جمال عبد الناصر من ان هناك حزبا رجعيا لاينقصه التنظيم ٠

واستجل منافشة دارت بين عبد الناصر وعامر في احد اجتماعات الامانه العامه للاتحاد الاشتراكى عام ١٩٦٥ ٠

قال عبد الحكيم عامر :

(توجد مشكلة سوف تواجه الاتحاد الاشتراكى حتى بعد عملية التنشيط والاستكشاف وهى ان الاتحاد الاشتراكى كقوة ليس أمامه قوة مضادة ظاهرة ولذلك لايشعر الاتحاد الاشتراكى بأنه يوجد تحدى).

وأجاب جمال عبد الناصر بقوله :

(ان العناصر المضادة موجودة داخل الاتحاد الاشتراكى وهى عناصر (حركية) ونحن ينقصنا داخل الاتحاد الاشتراكى وجود العناصر الاشتراكية الحركية المخلصة)

وقال لى شعراوى جمعة ان عبد الناصر كان يتصور دائما ان الرجعية تشكل قوة تنظيمية متربصة لايقابلها تنظيم تقدمى مماثل ، وان هذا كان عاملا مؤثرا فى بعض قراراته ٠

كان ذلك قبل الهزيمة ٠٠ أما بعد الهزيمة فقد تضاعف نشاط هذه العناصر الكامنة المتربصة فى أرجاء الاتحاد الاشتراكى ٠

ولقد أحست القوى الوطنية والديموقراطية بقلق شديد من موقف قيادة النظام وقدرتها على حماية الثورة وبث الحيوية فيها واستمرارها .رغم ما قاله جمال عبد الناصر فى خطابه يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٧ ٠

(اذا استطعنا ان نحمى الثورة الاجتماعيه فى مصر وندعم الثورة العربيه الشاملة ٠٠ فاننا نستطيع تحرير الارض المحتله) ٠

نعم ٠٠ حماية الثورة الاجتماعية كانت قضية رئيسية تؤرق القائد وتؤرق الوطنيين الديموقراطيين ايضا ٠

وتبلورت هذه القضية فى ضرورة وأهمية تكوين تنظيم سياسى ملتزم ، عبرت عنه فى مقال نشرته فى روزاليوسف عدد ٢٨ أغسطس ١٩٦٧ تحت عنوان (حزب واحد) ناقشت فيه أفكار الذين يخشون من وجود حزب واحد على مسار الديموقراطية ومضمونها ، وقلت فيه :

(ان الحزب لايعمل بعيدا عن الاتحاد الاشتراكى وليس منعزلا عنه بل انه يؤدى فى داخله دور الجهاز العصبى القادر على نقل توجيهات القيادة ودفع ارادة الجماهير ٠٠ والاتحاد الاشتراكى يضم ملايين الافراد الذين لايمكن أن تتوافر لهم جميعا صفة الالتزام الحزبى ٠٠ اى الرغبه الصادقة فى التضحية والبذل من أجل العمل السياسى ٠٠ وضرب المثل فى كافه التصرفات العامة والشخصية ٠٠ وهى الصفات الضروريه لعضو الحزب) ٠

وقلت أيضا :

(عضو الحزب يلتزم بواجبات ومسئوليات تزيد كثيرا عن واجبات ومسئوليات الانسان العادى عضو الاتحاد الاشتراكى ٠٠ وعضو الحزب

مسئول أمام الجماهير ، هى التى تقتنع به أو ترفضه وتسقطه تبعا لمايظهر به في مواجهتها ٠٠ والحزب ليس تعاليا على الناس ولكنـــــه عمل دائب في خدمة الجماهير)

ورد يوسف السباعى على ذلك بمقال جاء فيه ان هــذه الدعوة تعنى تكوين حزب شيوعى وحزب يمينى وحزب الاتحاد الاشتراكى ٠٠ وهوأمر لاتشير اليه كلماتى مطلقا ٠٠ ولم تكن هذه الفترة التاريخيه الحرجـــة هى أنسب الفترات لاطلاق الدعوة لحرية تكوين الاحزاب بصورة مطلقه ٠

ولذا فقد رددت عليه بمقال نشر في روزاليوسف فى ١٨ ســبتمبر ١٩٦٧ قلت فيه :

(هل هو وقوف على رأى جامد وثابت ؟

هل هو محاولة لتمزيق الوحدة الوطنية والشعبية ؟

أم هو استخفاف بمعالجة القضايا السياسية الحيوية ؟

لست أدرى أين كان يقف يوسف من هؤلاء ٠٠ ولكننى ادرى انه افتعـــل أساسا واهيا للمناقشة وبنى عليه هرما من الورق لايحتمل البقاء أمام تيار الحق والصدق) .

وربما كان يوسف السباعى معذورا فى فزعه من فكرة الدعوة الى الحزب معتقدا اننى أدعو الى تكوين حزب له صبغه شــيوعية ٠٠ فانه فى حدود علمى لم يكن عضوا مسئولا فى طليعة الاشتراكيين ، ولكنى أشك فى انه لم يكن يعرف تماما القصد مما جاء فى الميثاق عن تشكيل جهاز سياسى داخل الاتحاد الاشتراكى ٠

لاشك ان يوسف السباعى كان يعرف ماورد فى الميثاق ، ولكنه كان يعبر عن فكر اليمين المتخوف من اتجاه الثورة الى اليسار ، وخاصـــة بعد الهزيمة التى كان مفروضا أن تقعدها وتصيبها بالجمود فلاتتحرك نحو مزيد من التقدم .

ولايمكن انكار أن يوسف السباعى قد نال من ثورة يوليو ومنجمال عبد الناصر شخصيا أكثر مما كان يراود أحلامه كضابط من ضباطالجيش الذين استكانوا الى نظامه السابق ولم يرتبطوا بالضباط الاحرار من أجـل الثورة على النظام الملكى ٠

ولايمكن انكار ان يوسف السباعى قد اصبح علما من أعلام الضباط الذين تولوا مراكز رئيسية حساسة في مجال السياسه (ســـكرتير عـام منظمة التضامن الآسيوى الافريقى)ومجال الادب والفن(سكرتير عام المجلس الاعلى للفنون والآداب) ومجال الصحافة (رئيس تحرير الرسالة وصحف أخرى) ٠٠ ومع ذلك فانه فيما يبدو ظل حريصا على (فرملة) ثورة يوليـو عن الاتجاه نحو أهداف التقدم الاجتماعى ، متشبثا بأحلام طبقته التى انتمى اليها فى الماضى وفى عهد الثورة ايضا ٠

ولست أعيب على يوسف السباعى موقفه او دعوته ، فهـو اختياره الخاص الذى لانملك أمامه شيئا ٠

ولكنى أتخذ من هذا الموقف مثالا على انه كان فى صفوف المنتمين الى

ثورة يوليو ، المرتبطين بجمال عبد الناصر شخصيا . القائلين له فى مقدمة كل مقالاتهم (أهلا) ٠٠ كان منهم من يأخذ موقفا اجتماعيا مغايرا للاتجاه المعروف عن قيادة الثورة ٠٠ ومع ذلك تقابل كلماتهم واتجاهاتهم بالصمت ٠٠ وربما بالرضا أيضا ٠

وكان هذا دليلا على انه بعد سنوات من قوانين يوليو ١٩٦١ وصدور الميثاق عام ١٩٦٢ مازالت هناك آراء متناقضه ومتنافرة ، ومعبرة عن واقع طبقى مختلف ٠٠ وأن تحالف قوى الشعب العاملة لم يعد قادرا على خلق وحده فكرية وتنظيمية متجانسة ٠

وعلى قدر ماكان اليمين متربصا للثورة يريد الانقضاض عليها ٠٠على قدر ماكان اليسار قلقا على المكاسب الاجتماعية التى حصلت عليها الطبقات الكادحة ٠

وقد سقط القناع عن الجانب القبيح للثورة بعد محاكمات ضباط مجموعة المشير ، فقد أعلن بعضهم فى صراحة وهم الذين كان مفروضا انهم حماة الثورة بالسلاح انهم يلجأن الى أمريكا ٠٠ولذا فلم يكن غريبا أن نسمع هذه النغمة من آخرين ٠

كانت الدعوة لتكوين الحزب هى أول اشارة الى الاحزاب منذ أسقطتها الثورة وأصدرت قرارا بحلها فى يناير ١٩٥٣ ٠

وكانت هذه الدعوة تعنى بعث الحياة فى جهاز (طليعة الاشتراكيين) لممارسة دوره النضالى فى هذه المرحلة الصعبة من مراحل الثورة ٠

ولكن أمانة طليعة الاشتراكيين لم تكن تجتمع ٠ ٠ وأمينها العام شعراوى جمعة لم يوجه لها الدعوة للانعقاد ٠٠ ولذا حرصت على اثارة هذا الموضوع معه أكثر من مرة مندهشا ومستفسرا عن الاسباب التى تدعو الى وقف اجتماع الامانة التى تمثل القلب فى جهاز العمل السياسى ٠ وكان يعتذر بكثرة مشاغله ومسئولياته فى وزارة الداخلية ٠

وعندما دعيت الامانة للاجتماع فى نوفمبر ١٩٦٧ قال شعراوى جمعة بصراحة فى أول جلسة (ان فلانا ــ يقصد كاتب هذه السطور ــ كان يسقينى كأسا من السم فى كل لقاء معه من أجل دعوة الامانة للاجتماع)،

كانت عودة أمانة طليعة الاشتراكيين للانعقاد مؤشرا طيبا ولكنه لم يكن دليلا على أن الامور فى الجبهة الداخلية يمكن ان تنطلق بنفس الجدية التى تندفع بها فى الجبهة العسكرية أو القوات المسلحة ان صح التعبير ٠

عندما عادت الامانة الى الاجتماع مارست أسلوبها القديم الذى يدور فى حلقة مفرغة من المناقشات دون جدول أعمال أو متابعة للقضايا المختلفة بطريقة علمية مدروسة ، مع عقد اتصالات بيروقراطيه مع المحافظين الذين كانوا فى أغلب الاحوال هم المسئولون الاساسيون فى طليعة الاشتراكيين ٠

واحتفظت الامانة حتى ذلك الوقت بأعضائها السابقين أمين هويدى ومحمد فائق وسامى شرف وعبد المجيد فريد وحلمى السعيد واحمد شهيب وشوقى عبد الناصر وكمال الحناوى ومحمد عروق وعبد المعبود الجبيلى ٠ ومحمود العالم ويوسف غزولى وعلى السيد على واحمد كامل وكاتب هذه السطور تحت ادارة أمينها العام شعراوى جمعة (١٠ ضباط ، ٦ مدنيين) ٠

وكان شوقي عبد الناصر قد أبعده شقيقه عن مركز الامين المساعد للاتحاد الاشتراكي بمحافظة القاهره ، كما ابعد شقيقه الليثي عبدالناصر عن امانه الاتحاد الاشتراكي بمحافظة الاسكندريه .

ويذكر ان شوقي عبد الناصر كان قد حاول الانتحار عقب هذا القرار الذي اعتبره جائرا ، لانه كان يؤدي واجبه في اعتقاده بما يرضي ضميره دون تأثر بموضوع الاخوة .. وان جمال عبد الناصر لم يقم بزيارته خلال مرضه ووجوده في مستشفى المعادي .

كان كل ماحدث من تغييرات في الاتحاد الاشتراكي هو تطعيم المكاتب التنفيذية للمحافظات بشخصيات من مختلف الاتجاهات فامانة القاهرة مثلا أضيف اليها أحمد بهاء الدين وفتحي غانم ويوسف السباعي و كاتب هذه السطور من الكتاب وسمير حلمي وزير الصناعة السابق وسيد يوسف وزير التربيه والتعليم السابق وعدد آخر من الشخصيات في مكاتب الاقسام والمراكز .

وكانت بعض القرارات المختلفة الاتجاهات قد بدأت تصدر أيضا .

صدر قرار بتأميم تجارة الجملة في ١٦ اكتوبر ١٩٦٧ ، وفي اليوم التالي مباشرة صدر قرار بعودة الدكتور عزيز صدقي وزيرا للصناعة بعد خروجه من الوزارة في أثناء رئاسه علي صبري لها .

وفي بداية نوفمبر ١٩٦٧ حضر الى مصر مبعــــوث الرئيس الامريكي جونسون المالي الكبير (روبرت اندرسون) حيث اجتمع به جمال عبد الناصر مرتين اجتماعات مهدت لصدور قرار مجلس الامن في ٢٢ نوفمبر من نفس الشــهر .

وكان جمال عبد الناصر رغم الهزيمة ورغم ثبوت المساندة الامريكية الايجابية لاسرائيل حريصا على عدم قطع صلات الاتصـــــال مع الحكومة الامريكية .

وكان القادة السوفييت ينصحون جمال عبد الناصر دائما بتحاشي اتخاذ مواقف شديدة الاثارة للامريكيين الذين لاشك ان لهم دورا في حـــــل المشكلة وعودة السلام للمنطقة .

قال لي صلاح نصر ان جمال عبد الناصر قد طلب منه بعد الهزيمةعدم قطع علاقته بواشنطن ، ولذا فقد استبقى في مصر بعد قطع العــلاقات (وليم بروميل) ضابط المخابرات الامريكي لانه كان حلقة الاتصال بين صلاح نصر ورئيس المخابرات المركزية ، كما انه استبقى أيضا وليم بيرجس الذي كانت تربطة علاقات طيبة مع بعض المسئولين في مصر .

ويقول صلاح نصر أيضا انه تلقى رسالة من جونســــون في أواخر يونيو تقول :

(بالرغم من العلاقات المتدهورة بين البلدين فان الولايات المتحدة عــلى استعداد لان تدخل في مفاوضات لازالة حدة التوتر القائم ، فاذا ماوافقت مصر فان سفيرنا في روما على استعداد لمقابلة منــــدوب مصر لوضــع الخطوط الرئيسية لمحادثات على مستوى أكبر في واشنطن) .

ويذكر صلاح نصر انه حدثت موافقة مبدئية على أن يتولى هذه الاتصالات

احمد حسن الفقي وكيل وزارة الخارجية ورينهارت السفير الامريكي في روما ولكن لم ينفذ ذلك في اللحظه الاخيرة .

كما يقول ان المخابرات الايطاليه وكانت على علاقة طيبة بصلاح نصر والمخابرات المصريه قد توسطت في ٢٤ يونيو حول مشروع كانت ابرز النقاط فيه هي :

١ ـ أن يستبعد نهائيا اجراء أى مفاوضات مباشرة للصلح بين العرب واسرائيل .

٢ ـ الاعتراف بالكيان الاسرائيلي .

٣ ـ انسحاب القوات الاسرائيلية وعودتها الى ماوراء الحدود على جميع الجبهات حتى يوم ٤ يونيو .

٤ ـ ان تضمن قوات الطوارىء الدولية ذلك .

٥ ـ حرية المرور بمضيق تيران

٦ ـ تعويض البلاد العربيه عن الخسائر .

٧ ـ تعويض اللاجئين الفلسطينيين .

٨ ـ تعهد من جانب أمريكا والدول الغربية بتنفيذ برنامج اقتصادى مالى وصناعى لمدة ٣٠ سنة بهدف رفع مستوى المعيشة في جميع الميادين بين شعوب المنطقة العربية وفي مقدمتها مصر مقابل استعادة وتدعيم العلاقات والتعاون الشامل في الميدان السياسى والاقتصادى بين دول العالم العربى والدول الغربية .

وغنى عن البيان ان هذا المشروع المقترح ـ اذا صح ماورد فيه ـ لم يصل الى نتيجة ، بعد اعتقال صلاح نصر .

ومع ذلك فقد ظلت العلاقات المصرية الامريكية متصلة لاتنقطع حتى وصلت الى حد السماح للضابط السابق علوى حافظ عضو مجلس الامة بعمل اتصالات شخصية خلال شخصيات لاتخفى صلتها بالمخابرات المركزية الامريكية كما نشر في مجلة أخبار اليوم .

وكان وصول روبرت اندرسون لمصر هو نهاية لهذه المرحلة من الاتصالات التى يبدو انها لم تغير شيئا في طبيعة العلاقات ازاء اصرار أمريكا على مساندة اسرائيل وامدادها بطائرات سكاى هوك الامر الذى دفع جمال عبد الناصر الى القول في خطبته يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٨ (لايستطيع ان يجاهر الآن بصداقة أمريكا الا عميل واضح صريح) .

وقد اقترن شهر نوفمبر الذى صدر فيه قرار مجلس الامن باثارة عدة موضوعات داخلية ، كانت تمثل حساسيات خاصه لثورة يوليو هى :

١ ـ رفع الحراسات .

٢ ـ عودة المفصولين .

٣ ـ الافراج عن المعتقلين .

وقد شكلت لجان خاصة لذلك ، ورفع فعلا العزل السياسى عن اكثر من ألف مواطن ، ورفعت الحراسات أيضا عن بعض الاسر .

واعلن شعراوى جمعة في بيان خاص ان عدد المعتقلين من ٥ يونيو

الى ١٩ سبتمبر ١٩٦٧ قد بلغ ١٨١ عسكريا ومدنيا منهم ٤٤ فلاحا من قرية المشير ، ٢٤ كتبة منشورات ١٦٠ ضابط ١٧٠ مدنيا من اقارب المشير ، وضابط شرطة .

كما أعلن يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٦٧ ان دراسة شاملة لأوضاع جميع الذين مازالوا فى المعتقلات حتى الان تتم تمهيدا لتصفية المعتقلات .

كما شكلت لجنة ثلاثية لرفع الحراسات التى وضعتها لجنة تصفية الاقطاع وغيرها .

وأذكر ان موضوع الحراسة قد أثير فىاجتماع لجنة الاتحادالاشتراكى لمحافظة القاهرة ، واني وقفت ضد مبدأ (الحراسة بالتقارير) .

وكتبت فى روزاليوسف مقالا بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٦٧ جاء فيه :

(الحراسة كانت اجراء من اجراءات الحمايه الثورية ضد بعض الذين يستقر الرأى على انهم وقفوا موقفا عدائيا من التطور الاجتماعى والوطنى .. أو الذين هربوا الارض وخالفوا قانون الاصلاح الزراعى .. ولكن وضع الناس تحت الحراسة لم يكن يستقر تحت مبدأ قانوني واضح وانما كان يتم بعد دراسات تعتمد على تقارير ، والبعض فيها يحتمل التأويل ،والبعض يتعرض للخطأ والصواب .. مما أدى فعلا الى قبول بعض التظلمات ورفع الحراسة عنها .. وهذا الموقف نشأ أساسا عن عدم وجود قانون يسمح بالنظر فى أخطاء وأخطار البعض مما يمكن ان ينتهي بهم الى الحراسة خضوعاً لمواد القانون وعدالة القضاء كضرورة ثورية حاسمة) .

كما قلت أيضا فى نفس العدد :

(ليس منطقيا ان يظل الانسان معتقلا طوال عمره لانه كان عضوا فى جماعة الاخوان المسلمين فى يوم من الايام) .

كان بعث هذه القضايا فى هذا التوقيت يمثل نوعا من النقد الذاتى، وشعورا بخطر استمرار الاجراءات الاستثنائية المؤقتة .

وقد وجدت بعض العناصر فى اثارة هذه القضايا مايمكن ان يمثل تراجعا من قيادة الثورة تحت ضغط اليمين .

وهو قلق مشروع عند هؤلاء .. ولكن الاجراء لم يكن يمثل تراجعا حقيقيا عن الموقف الاجتماعى لثورة يوليو .. بل كان يمثل محاوله لتجميل وجه الثورة أمام أخطاء استمرت أكثر من التوقيت اللازم لها .

كما أن هذه القضايا (الحراسة ـ الاعتقال ـ العزل السياسى ـ الفصل من العمل) لم يكن الاعتداء عليها يمثل اعتداء على اليمين فقط .. ولكنه كان يمثل اعتداء على اليسار أيضا ، واعتداء على الديموقراطيه أساسا .

والديموقراطية هدف من الاهداف الرئيسيه التى يناضل من اجلهااليسار ضمانا لحركته .

ويبدو ان الصحافة كانت قد بدأت تلعب دورا هاما فى مناقشة القضايا الرئيسية بجرأة فرضتها الهزيمة ، ولم تعرفها الثورة من قبل ، ففرضت الرقابة على الصحف ، وعاد الرقيب منذ نوفمبر ١٩٦٧ يمارس

صلاحيات كانت قد اختفت من الصحافة تماما منذ مابعد عدوان ١٩٥٦ ·

الحقيقة انه لم تكن هناك رقابة رقيب على الصحف حتى ذلك الوقت، وانما كانت هناك رقابة ذاتية يمارسها المسئول عن التحرير ، والمعين من السلطة ·

وكان المبرر لعودة الرقابة هو تحاشى التعرض للشئون العسكرية ، ولكن المبرر الحقيقى كان تهدئة وتبريد الآراء المتفجرة الحارة على صفحات الصحف ·

ومع ذلك لم تكن الرقابة مانعا من نشر مقالات تدعو لدعم القطاع الخاص ، ودعوة رأس المال الاجنبى ·

وقد تصديت لذلك فى عدة مقالات منها مقال نشر فى أول يناير ١٩٦٨ تحت عنوان الاشتراكية المفترى عليها) جاء فيه :

(كل من يلحق به الظلم ، يدين الاشتراكية ·

الاشتراكية المفترى عليها ·· التى أصبحت مشجبا تعلق عليه كل الاخطاء والانحرافات التى يرتكبها بعض المسئولين فى مجالات العمل)،

وقلت أيضا :

(الديموقراطية سلاح من أسلحة الاشتراكية ولكننا نبقيه فى الجراب خشية منه ، مع انه فى قبضة يدنا) ·

(لقد قضى الاستعمار نصف قرن يشوه بدعايته كل ماهو اشتراكى، وهو مازال ينشط بكافة الوسائل فى هذا الاتجاه ، وعلينا وقد تبنينا الاشتراكية ألا نتطوع بتشويهها نحن أيضا من جانبنا ·· كأنما يعز علينا أن ندعه بلا ذخيرة يضربنا بها) ·

وعن الدعوة لرأس المال الاجنبى كتبت تحت عنوان : (هل تهدم الثورة مابنته ؟ مقالا جاء فيه :

(رأس المال الاجنبى اذا تسرب الى اقتصادنا قضى على تطوره فى مهده وهدد نموه ·· لان رأس المال الاجنبى لايحضر الا مصحوبا بشروطه محصنا بضغوطه ·· ومع ذلك فاننا يجب ألا نرفض ذلك رفضا باتا قاطعا ··هناك مشروعات تحتاج فعلا الى رأس المال الاجنبى لعدم قدرة اقتصادنا القومى على تنفيذ كل المشروعات ·

قال لى الدكتور عزيز صدقى ان رأس المال الاجنبى كان يتعاون معنا فى مشروعات البحث عن البترول · وتصنيع الدواء ، وغيرها من الصناعات التى تتكلف الملايين الكثيرة من الجنيهات فى الابحاث ومتابعة أحدث التطورات ·

كانت حصيلة مصر من البترول تصل الى ٧٥ ٪ بعد اتمام كشفه واستخراجه على أساس تجارى ·· وكان رأس المال المصرى فى بعض شركات الادوية لايتجاوز ٦٠٪ ·

حرصت على اعادة نشر بعض ماظهر فى الصحف خلال هذه الفترة لاعطاء صورة عن النبض الحقيقى للصراع المستتر ـ رغم ماقد يكون فى ذلك

من اطناب ــ بين قوى الردة وقــــوى التقدم المجتمعــــة تحت عباءة ثـــورة يوليـــو ٠
وكان وجود جمال عبد الناصر فى ذاته ضمانة للتقدم لان الزعيم يكون مكبلا بتاريخه دائما ، يصعب عليه التراجع عنه أو الارتداد عليه ٠
وحماية الثورة كانت تعتمد عليه شخصيا وعلى رؤيته للامور ٠ ٠ ٠ ولم تنطلق أبدا الى ساحة الجماهير للتفاعل الحى معها ٠

كان جمال عبد الناصر يتطلع الى تعديل الميثاق عام ١٩٧٠ بعد ثمانية سنوات من التجربة ٠٠ وكان قد طلب من عــلى صبرى قبل الهزيمة كتابة مقالات تثير مناقشات حية حول تعديل الميثاق ٠
ويقول فتحى غانم الذى كان رئيسا لمجلس ادارة التحرير ان مقـــــال على صبرى الاول الذى نشر عام ١٩٦٦ كان مقالا تقليديا عن ثورة يوليو ، وأن جمال عبد الناصر قد اتصل بعلى صبرى بعد ذلك وطلب منه أن تفتح المقالات أبوابا عريضة لمناقشات جدية ٠
وبدأت مقالات على صبرى تثير اهتمام الكثيرين وتفتح بابا عريضــــا لتعليقات مختلفة ٠٠ اعتبرها البعض تطرفا الى اليسار ٠ وقال محمد حسنين هيكل لجمال عبد الناصر (ان هذه المقالات ستشعل حربا أهلية) وأجاب عبد الناصر فى هدوء (طيب ٠٠ ماتردوا عليه)

كان جمال عبد الناصر يستهدف من ذلك جس نبض حالة المجتمع والتعرف على الاتجاهات الكامنة فيه تمهيدا لتعديل الميثاق ٠
ولكن الامر بالنسبة للقوات المسلحة كان شديد الحساسية ، فقــد ظهر عداء المشير عامر لعلى صبرى بعد هذه المقالات بطريقة أكثر وضوحا ٠
انتهز المشير فرصة تقرير وصل اليه يفيد بأنه فى معسكر الشـــباب بأبو قير التابع لمنظمة الشباب يدرس سؤال حول هذا الموضوع ٠
كيف يرد الشباب على محاولة انقلاب عسكرى مضاد ؟
واعتبر المشير عامر ان فى تدريس وتلقين الشباب لمثل هذه الاتجاهات تعريضا بالقوات المسلحة ٠

وصدر فى ابريل ١٩٦٧ قرار يقضى بتشكيل لجنة للشـــباب يرأسها المشير عبد الحكيم عامر ــ الى جانب اختصاصاته المتعددة ــ وتضم كلا من على صبرى وشعراوى جمعة ٠
لم تجتمع هذه اللجنة مرة واحدة ٠ ولكن تشكيلها كان يعتبر صـــفعة لعلى صبرى ٠
وتوقف على صبرى عن الكتابة ٠٠ أبلغ ذلك الى فتحى غانم يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ معلنا تخليه عن صلاحياته الاشرافية على جريدة الجمهورية ٠ ٠ حيث أصبح المشير فى هذه المرحلة هو المســـئول عن الاســتعداد الحـربى والاعلامى أيضا ٠

ويقول فتحى غانم انه قد بدأ تجميع مقالات على صبرى فى كتاب تم طبعه والاعلان عنه ٠٠ ولكنه لم يوزع أبدا ٠٠ فقد توقفت الاعــلانات عنه

يوم ٧ يونيو ١٩٦٧ ، وبقيت أكداس الكتاب في المخزن لاترى النور ·

أوقفت الهزيمة الاتجاه لتعديل الميثاق

واصبح جمال عبد الناصر حذرا في هذه المرحلة ـ مابعد الهزيمة ـ من ظهور آراء قد يتهمها البعض بالتطـــرف وتستقطب العناصر المتهادنة أو المعادية في وقت تلعق فيه الثورة جراح الهزيمة ، وتتحمـــل مسـئوليات شاقة لاعادة اكتساب ثقة الناس بها من جـــديد بعد تجربة مأســـاوية فظيعــة ·

وكان الموقف يتبلور في قضية حماية الثورة حول مطالبة الجماهـير بمراجعة أخطاء التطبيق الاشتراكي ·· بينما تحاول قوى أخرى ان توقع الثورة في الفخ عن طـريق هـــدم مابنته ، والارتداد عن الطـــريق الذي قطعته ·

وقد فجر جمال عبد الناصر هذا الموقف عندما قال في خطبتــه أمام مجلس الامة يوم ٢٣ نوفمبر ٦٧ ان البعض يتحدث عن أن زكريا محيي الدين الذي يمثل اليمين وعلى صبري الذي يمثل اليسار ·

المظاهرات ·· وبيان ٣٠ مارس

لم يكن ممكنا ان تستمر التناقضات التي فجرتها الهزيمة مكبـــوتة في الصدور ·

ولم يكن معقولا ان تمضي المقالات والآراء المختلفة التي نشرتها الصحف وكانها سحابة صيف تمضي بلا أثر ·

ولم يكن سهلا أبدا ان يجتمع قلق الثوريين ، وتربص الرجعيين في هدوء تحت خيمة الاتحاد الاشتراكي ·

وتفجر الموقف بصورة عملية في بداية عام ١٩٦٨ في أوساط الطلبة ، حيث يجتمع حماس الشباب وطهارة الوطنية والحرص على سرعة التغيير ·

وجمع توقيت واحد بين حدثين يعتبران أخطر ماتعرض له النظام بعد الهزيمة ·· محاكمات ضباط مؤامرة المشير ومظاهرات الطلبة ·

وكانت مظاهرات فبراير ١٩٦٨ التي اوضحت جذورها في (البــــاب الثالث ـ الفصل الاول) ·

كانت مظاهرات العمال والطلبة هي أول مظاهرات تخرج في مصر منذ عام ١٩٥٤ ، وهي أول لقاء ايجابي بين الطلبة والعمال منذ عام ١٩٤٦ الذي شكلت فيه (اللجنة الوطنية للطلبة والعمال) ·

وعندما ذهب جمال عبد الناصر ليخطب في عمال حلوان يوم ٣ مــــارس ١٩٦٨ كان يبدو في مظهر من يريد أن يثبت مساندة الطبقة العاملة له في مواجهة مظاهرات الطلبة ·

ومع ذلك لم يأخذ جمال عبد الناصر موقفا سلبيا من مظاهرات الطلبة ولم يفقد اعصابه أمامها ·· بل اعتبرها فورة شباب وطني يتلمس الطـــــريق للخروج من كآبة الموقف وغموض المستقبل ·

وبدأت محاولات لاحتواء الطلبة ، كان أولها مقابلة جمال عبد الناصر

لرؤساء اتحادات الجامعات مثل عاطف الشاطر (الاسكندرية) وحلمى نهنوش (عين شمس) وعبد الحميد حسن (القاهرة) رغم عدم اشتراكهم فى المظاهرات ، وعدم قدرتهم على التأثير فى جماهير الطلبة ، بعد أن وثبت اللجنه المنتخبه من مؤتمر ٢١ فبراير ١٩٦٨ الى مركز القيادة الفعليه .

وقد وافق بعد ذلك جمال عبد الناصر على تشكيل اتحاد عام لطلبه الجمهورية بعد لقائه مع المثقفين بجامعة القاهرة فى سلسله اجتماعاته مع قوى الشعب .

وأعاد جمال عبد الناصر تشكيل وزارته فى ٢٠ مارس ١٩٦٨ وهى الوزارة التى لم يدخلها زكريا محيى الدين ، واقتصرت على حسين الشافعى نائبا للرئيس ووزيرا للاوقاف .. وأدخل فيها ٩ وزراء جدد من أساتذة الجامعة هم الدكاترة : محمد حلمى مراد واحمد مصطفى احمد والسيد جاب الله والمهندس حسن مصطفى ومحمد بكر أحمد وعبد العزيز حجازى . ومحمد حافظ غانم ومحمد صفى الدين أبوالعزوعبد العزيز كامل نائبالوزير الاوقاف . وذلك كمحاولة من النظام لبعث الهدوء فى نفوس الطلبة واشعارهم بمشاركة الجامعة فى سلطة الحكم ، وخاصة ان عددا من المختارين كان له دور نشيط فى الاتصال بالطلبة .

كان عدد الضباط السابقين فى هذه الوزارة ١١ وزيرا ، وعدد الوزراء من أساتذة الجامعة السابقين او الجدد ١٢ وزيرا ، وهى المرة الاولى التى تغلب فيها النسبة العددية لأى فئة من الفئات نسبه العسكريين فى الوزارة التى ضمت ٣١ وزيرا .

ولم تقف الاجراءات عند حدود محاولة اقناع الطلبة بان السلطة تقترب منهم وتفتح أبوابها لهم ، وانما تجاوزت ذلك الى تنشيط (طليعة الاشتراكيين) داخل الجامعة فى محاولة للسيطرة السياسية عليها .. وقد صحب ذلك بعض الاخطاء التى أثارت الطلبة وأبرزت ألوانا من التناقض بينهم وبين عناصر (طليعة الاشتراكيين) الذين كانوا يعملون سرا حتى ذلك الوقت .

كما اكتشفت وزارة الداخلية ان قواتها أعجز من القدرة على مقاومة مظاهرات طلابية جارفة ، فشكلت (قوات الأمن المركزى) بعد بلوكات النظام لتكون قوة ضاربة قادرة على تفريق المظاهرات قبل نزول القوات المسلحة وما يشكله نزولها من أخطار تهدد استقرار النظام ، وأرسلت عددا من ضباط الشرطة الى فرنسا للتدريب على مواجهة المظاهرات .

وفرضت مظاهرات الطلبة وما صاحبها من تأييد شعبى على جمال عبد الناصر أن يعيد النظر فى الموقف السياسى .

وفتح جمال عبد الناصر المناقشة حول الاوضاع الراهنة فى مجلس الوزراء ، وطلب من الجميع أن يتحدثوا فى صراحة مطلقة باعتبارهم مشاركين فى قمة المسئولية .

ويقول ضياء الدين داود وزير الشئون الاجتماعية والذى كان أمينا للاتحاد الاشتراكى بمحافظة دمياط ان جميع أعضاء المجلس قد أدلوا بآرائهم فى مختلف الاساسيات والفرعيات أيضا .

وانبرى أساتذة الجامعة والوزراء الجدد يطرحون آراءهم ٠

وتحدث الدكتور عبد العزيز كامل عن المعتقلات والسجون وعماتعرض له هو شخصيا ٠

وأثار الدكتور حلمي مراد كثيرا من القضايا ومن ضمنها الصلاحيات المعطاة لبعض العسكريين ومواقفهم الخاطئة ٠٠ وخاصة ماحدث من سفير مصر في أسبانيا احمد أنور قائد الشرطة العسكرية السابق في سنوات الثورة الاولى من اعتداء بالضرب على مستشار السفارة مصطفى توفيق الذى كان ضابطا صغيرا تحت قيادته في الشرطه العسكريه ايضا ٠

ويقول ضياء الدين داود ان جمال عبد الناصر قد قال له ان الضباط الاحرار الذين قاموا بالثورة كانوا ٩٠ ضابطا تقريبا ، وان له التزاما معنويا قبلهم ٠ وخاصة أن منهم من تعرض للاعتقال والمحاكمة ، ومنهم من أبعد لثبوت عدم كفاءته ، ومعظمهم ترك القوات المسلحة ليشق طريقا جديدا في الحياة المدنية ربما لم يتعود عليه ٠

دافع جمال عبد الناصر عن أخطاء زملائه الذين قاموا بالثورة معه من موقع انساني ٠٠ وكان يدرك انه يتحمل في النهاية أخطاء وانحرافات البعض منهم ٠٠ ولكنه لم يقبل التخلي عنهم ٠

كان الاعتماد على الضباط بكل مافيهم من ايجابيات وسلبيات هو الطريق الذى اختاره جمال عبد الناصر ، بديلا عن تكوين كادر سياسي في اطار حزبي ٠٠ سواء منهم أو من غيرهم دون تفرقة بين العسكريين والمدنيين ٠

كانت المناقشات الصريحة التى دارت في مجلس الوزراء تعبر عن رغبة جمال عبد الناصر في التعرف على نبض الجماهير ٠

وتبلورت محصلة الآراء وغيرها في بيان عرضه عليهم ووافقوا عليه، ثم قال لهم بعد الموافقة : (مفيش حد نفسه في حاجه نضيفها للبيان) ٠

هكذا دارت المناقشات وانتهت الى اقرار جماعي للبيان ٠

وقد حاول الدكتور حلمي مراد فيمابعد ان يصور الامور وكان عبد الناصر قد أخذ منه موقفا لانتقاداته ٠

ولم يكن هذا صحيحا على اطلاقه ٠٠ كما ان صدور قرار منع اشتغال الوزراء في تعاقدات خارجية الا بعد ترك الوزارة بخمس سنوات لم يكن موجها ضد الدكتور حلمي مراد ٠٠ وانما كان موجها ضد تصرفات اثنين من الضباط السابقين ٠

الاول : أمين شاكر وزير السياحه السابق ، الذى سجل عليه احد كبار الصحفيين اللبنانيين في دار صحفيه تمولها مصر ، حديثا مليئا بالتهجم والسباب في جمال عبد الناصر ٠ في الوقت الذى كان قد بدأ فيه تعاونا وثيقا مع بعض الاثرياء في دول الخليج ٠

ولم يجد جمال عبد الناصر سبيلا للرد على هذا الضابط الذى كان مديرا لمكتبه سنوات طويلة الا تحديد اقامته في منزله ٠

والثاني : محمود يونس الذى دعته هيئات ومؤسسات أمريكية لزيارة

بعض مدنها ، وساعدته فى فتح مكتب يعمل فى شئون البترول والنقل والتجارة فى بيروت ، وذلك فور خروجه من الوزارة فى ٢٠ مارس ١٩٦٨ ٠

وكان القرار بمنع اشتغال الوزراء مستهدفا عدم التأثير عليهم مثل وزراء العهود السابقة للثورة الذين كانت ترتبط مصالحهم بالشركات المحلية أو الاجنبية ٠

وقبل أن يمضى اربعون يوما على مظاهرات الطلبة كان جمال عبد الناصر يخاطب الشعب من الاذاعة والتليفزيون يوم ٣٠ مارس ١٩٦٨ الموافق لرأس السنة الهجرية فى بيان اشتهر بهذا التاريخ ٠

كان البيان محاولة من جمال عبد الناصر لتوضيح الموقف للشعب عامة وللطلبة والعمال خاصة ، وأبرز للناس ماتحقق من اعادة بناء القوات المسلحة ، والنجاح فى تحقيق الصمود الاقتصادى ، وتصفية مراكز القوى ومحاكمتها وما صحب ذلك من كشف للانحرافات ٠ وخلق علاقات صداق مع كثير من الدول وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى ٠

وتحدث جمال عبد الناصر عن اعادة تشكيله للوزارة معتبرا (انه جاء الى مواقع الحكم بصفوة من شباب هذا الوطن ، لايدين أحد منهم بمنصبة لأى اعتبار) ٠٠ كما وعد باجراء تغيير فى كافة المجالات ٠٠ الانتاج والسلك الديبلوماسى والادارة المحلية قائلا :

(ان التغيير المطلوب لابد وأن يكون تغييرا فى الظروف وفى المناخ والا فان أى أشخاص جدد فى نفس الظروف وفى نفس المناخ سوف يسيرون فى نفس الطريق الذى سبق اليه غيرهم) ٠

وبعد أن ركز جمال عبد الناصر على أهمية المعركة باعتبارها (اختيارا للنصر والشرف والحياة) ٠٠ قال ان الاتحاد الاشتراكى هو الصيغه الملائمة لتجنب (دموية الصراع الطبقى) وأعلن عن ضرورة اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب من القاعدة الى القمة ، على أن يظل المؤتمر القومى قائما الى ما بعد ازالة آثار العدوان ، وأن تظل اللجنه المركزيه المنتخبة فى حالة انعقاد دائم وأن يوكل اليها الى جانب مسئولياتها المتعددة واجب بناء التنظيم السياسى لطلائع الاتحاد الاشتراكى ٠

كما أشار البيان الى ضرورة انشاء المجالس المتخصصة ، وعدد بعض المبادىء التى لاخلاف عليها ليتضمنها الدستور الجديد ٠

أعلن جمال عبد الناصر ان البيان سوف يكون موضع استفتاء الجماهير يوم ٢ مايو ١٩٦٨ ، وانه منذ ذلك التاريخ سوف تشكل لجنة مؤقتة تشرف على انتخابات الاتحاد الاشتراكى من خمسين عضوا ثم تضم بعد ذلك الى المؤتمر القومى ٠

كان هذا البيان محصلة لتفكير جمال عبد الناصر فى هذه المرحلة ٠٠ وهو فى مضمونه كان وثيقة هامة تضاف الى الميثاق بعد ست سنوات من صدوره ٠

وافق الشعب على بيان ٣٠ مارس فى الاستفتاء العام الذى أجرى يوم ٢ مايو ، وانتهت أعمال أمانة الاتحاد الاشتراكى ، كما انتهت أعمال أمانة

منظمة الشباب . وأعيد أحمد كامل محافظا قبل أن نكتمل خطته التى شجعه جمال عبد الناصر على تنفيذها ، والتى حاول بها تجميع الشباب ، وبعث الامل فى نفسه .

وحدث أن قرر جمال عبد الناصر الذهاب الى جامعة القاهرة لالقاء خطبة في قاعة الاحتفالات ، ولم يكن في البرنامج دعوة ممثل عن الطلبه لالقاء كلمة .

وهدد أعضاء اتحاد جامعة القاهرة بالاستقالة اذا لم يتحدث ممثلهم في حضور جمال عبد الناصر ، وأبلغنى ابنى علاء بذلك محتجا على اهمال ممثل الطلبة وكان قد أصبح عضوا فى الاتحاد عن كلية الآداب ، فاتصلت بشعراوى جمعة موضحا له ان مظهر الاستقالة سوف يكون مسيئا ، وانه لابد من اتاحة الفرصة لممثل الطلبة بدعوته للحضور والحديث .. وبعد ساعة تقريبا اتصل بى وأبلغنى بأن جمال عبد الناصر قد وافق على ذلك، فأبلغت ابنى علاء الذى أبلغ أعضاء الاتحاد الذين قرروا ان يكون الدكتور عبدالحميد حسن رئيس اتحاد جامعه القاهرة هو المفوض فى الحديث باسم الطلبة .

طالب عبد الحميد حسن في خطبته برفع الوصاية عن الاتحادات الطلابية بتشكيل اتحاد عام لطلبة الجمهورية .

تم تشكيل أول اتحاد عام لطلبه الجمهوريه في أغسطس ١٩٦٨ ،وانتخب الدكتور عبد الحميد حسن ممثل جامعة القاهرة رئيسا له بفارق صوت واحد عن الدكتور حلمى نهنوش رئيس اتحاد جامعه عين شمس .

وقد صدرت لائحة عن المؤتمر تنص على الغاء رواد الاتحاد من الاساتذة واعتبر ذلك من أكبر المكاسب التى حصل عليها الطلبة .

ولكن هذا المكسب لم يستمر طويلا ، فقد أصدر جمال عبد الناصر قرارا جمهوريا من مادة واحدة فى نوفمبر ١٩٦٨ ينص على تعيين رواد من هيئة التدريس فى لجان الاتحاد ومجالسه بالنسبة للكليات والمعاهد . وأن يعين رائد للاتحاد العام من أمانة التنظيم .

كما أن عبد الحميد حسن كان قد استقال من رئاسة الاتحاد العام ، تفاديا لطلب بسحب الثقة منه ، نظرا لسفره فى مهمات الى الخارج عن طريق مكتب سامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات دون الحصول على موافقة أعضاء الاتحاد العام .. وتولى رئاسة الاتحاد من بعده حسن عيد .

بدأ عام دراسى جديد ومشاعر الطلبة لم تهدأ تماما ، رغم بيان ٣٠ مارس ، وما حصلوا عليه من مكاسب .

وتفجر الموقف في المنصورة ، اثر قرار لمحمد حلمى مراد وزيرالتربية والتعليم خاص بسياسة القبول فى المدارس الخاصه .

قامت المظاهرات فى المدارس الثانوية لمدة يومين ، ثم تصدى لها رجال الشرطة وأطلقوا الرصاص ، فقتل ثلاثة وأصيب آخرون وتعاطف الاهالى مع الطلبة فى هجومهم على مديرية الأمن .

اشترك طلبه طب المنصورة فى اليوم الثالث للمظاهرات ، واعتقلت الشرطة عددا منهم ٠٠ وعندما انتقل الخبر للقاهرة خرجت مظاهرة من جامعة القاهرة تصدى لها البوليس عند كوبرى الجامعه وتم تفريقها ٠٠ أما الاسكندرية فقد أصدرت اتحادات الطلاب تحت ضغط جماهيرالطلبة بيانات تطلب التحقيق مع المسئولين عن اطلاق الرصاص ومحاكمه وزير الداخلية ، والتساؤل عن السبب فى عدم تطبيق بيان ٣٠ مارس ٠

اعتصم طلبة هندسة الاسكندرية ومعهم بعض الطلبة الآخرين بعد قيامهم بمظاهرة حاصرها البوليس الذى اعتدى على عاطف الشاطر رئيس اتحاد الطلبة الذى يحمل علم الاتحاد ٠

هرع أحمد كامل محافظ الاسكندرية وأمين الشباب السابق الى الجامعة لمواجهة الموقف بنفسه ، ولكن المشاعر الثائرة دفعت الطلبة الى اعتقاله الى حين الافراج عن عاطف الشاطر ٠

توتر الموقف فى المدينة توترا شديدا، وتجمعت قوات الصاعقة للقوات المسلحة فى استاد الاسكندرية ، وحلقت طائرات هليوكبتر فوق مبانى الكلية ٠ وكاد يحدث صدام دموى لولا استجابه السلطات لرغبه الطلبة ، وتم الافراج عن أحمد كامل ٠

دعا جمال عبد الناصر الى دورة طارئة للمؤتمر القومى لمناقشة أحداث الطلبة حيث تلا تقريرا من وزير العدل ووزير الداخلية ضد المظاهرات ٠

وفى نهاية الدورة الطارئة أصدر جمال عبد الناصر القرار الجمهورى الذى أشرت اليه والذى يقضى بعودة نظام (رواد الاتحاد) ٠

لم تنته المظاهرات الى تصفية سلمية بين السلطه والطلبة ٠٠ وبرز دور أصحاب الاتجاهات اليسارية فى تحريك جموع الطلبة والحصول على ثقتهم ٠

وكانت هذه هى المرة الاولى التى يظهر فيها يسار جديد خارج عن حدود تنظيمات ثورة يوليو لمحاولة لعب دور سياسى قيادى ٠٠ وفى مقابل ذلك نشطت (طليعة الاشتراكيين) فى محاولة فرض قيادة من بين صفوفهم ٠

وبدأ تنافس واضح فى مؤتمر اتحاد طلبة الجمهورية الذى عقد فى ابريل ١٩٦٩ لمناقشة قضايا الطلبة وانتخاب مجلس جديد ٠٠ ولكن المؤتمر انجرف تماما نحو الانتخابات ولم يناقش أية قضية أخرى ٠

ودارت المنافسة على رئاسة الاتحاد بين جمال عفيفى رئيس اتحاد جامعة القاهرة والمرتبط بتنظيم طليعة الاشتراكيين وبين علاء حمروش نائب رئيس اتحاد جامعة القاهرة والذى لم يكن عضوا فى طليعة الاشتراكيين ٠

تكتلت كل القوى غير المنتمية لطليعة الاشتراكيين رفضا منها لمحاولة هذا التنظيم فرض أعضائه ٠٠ ورغم اختلاف الانتماءات والاتجاهات السياسية فانهم اتفقوا على انتخاب علاء حمروش المعروف بميوله اليسارية ٠

وتصادف بعد ذلك أن توقفت المظاهرات خلال عامى ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ حيث بدأ اتحاد طلبة الجمهورية يلعب دورا سياسيا ، ويبادر الى اتخاذ مواقف تعبر عن ارادة الطلبة وترضى مشاعرهم الثورية ٠

وخرج اتحاد طلبة الجمهورية عن الاطار المحلى لأول مرة ، فقرر الانضمام الى اتحاد الطلبة العالمى ، واستجابت السلطة الى ذلك حرصا على

تفادي الصدام ، كما ظهر نوع من التعاون الأوثق مع المقاومة الفلسطينية نتيجة بروز دورهم المتزايد فى ساحة النضال العربي ·

وقد فطنت القيادات السياسية فى طليعة الاشتراكيين الى أنه من الافضل أن يحدث تجاوب مع الطلبة فى تنظيماتهم الخاصة دون محاولة فرض بعض الافراد عليهم ، أو اجبارهم على الخضوع الكامل لارادة السلطة ·

وقد حدث نوع من التناسق السليم بين شعراوى جمعة أمين طليعة الاشتراكيين ، وبين علاء حمروش رئيس اتحاد طلبة الجمهورية ، أمكن فيه عن طريق النقاش والمصارحة تفادى كثير من الازمات ·

ولاشك ان ظهور الجدية فى مجابهة الامبريالية والصهيونية التوسعية ، والقتال المستمر فى جبهة القتال كان عاملا مؤثرا فى تهدئة الطلبة وابتعادهم عن المظاهرات الى حين ·

الاتحاد الاشتراكى ·· والانتخابات

الاجراء العملى الوحيد الذى بادرت القيادة الى تنفيذه من بيان ٣٠ مارس هو اجراء الانتخابات فى الاتحاد الاشتراكى ليكتمل تنظيمه الهرمى وتمارس لجنته المركزية ــ التى نص البيان على ان تكون فى حاله انعقاد دائم ــ تمارس صلاحياتها ومسئوليتها السياسيه ·

جرى الاستفتاء على بيان ٣٠ مارس فى شهر مايو ، وجرت انتخابات الاتحاد الاشتراكى خلال شهرى يونيو ويوليو ١٩٦٨ ·

كان التكالب واضحا على الترشيح ، ولم تتدخل أى جهة مسئولة لوقف هذا الاندفاع الذى وصل فى بعض الشركات الى حد تقديم ٢٣٠ شخصا لانفسهم كمرشحين للجنة العشرين أمام ١٧٠٠ ناخب فقط ··ولم تظهر فكرة الاعتراض على أى من المرشحين كما كان قد حدث من اعتراض على عضوية الاتحاد الاشتراكى عند بدء تأسيسه عام ١٩٦٢ ثم سحب هذه الاعتراضات ·

وتشير هذه الظاهرة الى ان العمل السياسى خلال السنوات السابقة لم يحدث تأثيرا ونضجا سياسيا يفرز العناصر القادرة على تحمل عبء مسئولية العمل السياسى ، واما انه كان مرفوضا لان الهزيمة حدثت خلال هذه السنوات ·

تمت الانتخابات فى مرحلة فقد فيها الناس كثيرا من ثقتهم ، وأصبحوا يقدمون الشك على اليقين ، ويرفضون أن يسلموا بشىء دون اقتناع ··· ويتشبثون بالديموقراطية التى أصبحت هدفا يتطلع اليه الناس فيما يشبه التحدى ·

ولكن الانتخابات وحدها لم تكن كفيلة بتحقيق الديموقراطيه الصحيحة فى هذا الجهاز الجماهيرى الضخم الذى يضم عدة ملايين ، والذى تسيطر عليه فى القمة شخصيات معروفة لم تتغير ·

وكتبت فى روز اليوسف عدد ٢٤ يونيو مقالا تحت عنوان (ليس

بالانتخابات وحدها) جاء فيه :

(اننا يجب ان نضع الانتخابات فى موضعها الصحيح ·· لانقلل من أهميتها كوسيله لاكتساب ثقة الجماهير ومحاولةالوصول الى صورةصحيحة لارادتها ·· ولا نجسم منها باعتبارها فى ذاتها سوف تخلق الثقه وتحقق الديموقراطية ·

فانه ليس بالانتخابات وحدها ·· تتحقق الثقة ، وتزدهر الديموقراطية) ·

أذكر ان طليعة الاشتراكيين قد تدارست موضوع الانتخابات والترشيحات ·· وأن هذا الموضوع قد أثير فى لجنة الاعلام التى كان يرأسها محمد فائق وزير الاعلام وكانت تضم أحمد بهاء الدين وفتحى غانم ومصطفى بهجت بدوى ومحمد عروق وهمت مصطفى ومحمود العالم وكاتب هذه السطور ·

ونظرا لزيادة الراغبين فى الترشيح فقد اقترحنا أن يدخل الراغبون فى ذلك دون قيود وان تترك لهم فرصه الاتصال المباشر مع الناخبين · وخاصة فى الدوائر التى تضم عددا كبيرا من الشخصيات المنضمه لطليعة الاشتراكيين مثل دوائر قصر النيل وعابدين ومصر الجديدة وغيرها حيث كان مطلوبا فى النهاية نجاح ٤ فقط فى دائرة القسم للمؤتمر القومى ·

تم الاتفاق على ذلك ولم تصدر تنظيمات طليعه الاشتراكيين فى هذه الدوائر قوائم ترشيحات بالمرشحين الذين سوف يساندهم أعضاؤها ··· وأذكر اننا دخلنا الانتخابات بناء على ذلك متوجهين الى الناخبين فى مؤسساتهم الجماهيرية ومواقع عملهم ·

ولكن تدبيرات سرية كانت قد اتخذت لانجاح أسماء واسقاط أخرى ·

واذا أخذنا دائرة قصر النيل مثالا لوجدنا ان الاتحاد الأشتراكى فى القسم كان متحيزا مسبقا ضد بعض المرشحين وأنا واحد منهم ·

وكان الامر المثير أنى كنت مازلت عضوا فى أمانة طليعة الاشتراكيين وعضوا فى لجنة الاعلام أيضا ·· وصلتى كانت وثيقة بشعراوى جمعة · ومحمد فائق ·

وفى أحد الاجتماعات بمكتب قسم قصر النيل فوجئت بمحاولة بعض الاعضاء بالتدخل لمنعى من الخطابة ، ولكنى أخذت منهم موقفا جادا وهاجمت هؤلاء الذين يحاولون ان يقتلوا أول تجربة ديموقراطية داخل التنظيم الواحد وهى مازالت بعد فى مهدها ، فتراجعوا الى مقاعدهم وساد الصمت والهدوء ·

وكان ضمن قائمة المرشحين بعض المنتمين لطليعة الاشتراكيين مثل محمد فائق والدكتور حسين كامل بهاء الدين سكرتير منظمة الشباب السابق وضابط الشرطة السابق صلاح عبد المعطى الذى كان يعمل موظفا اداريا معنا فى الامانة وكان أمينا للاتحاد الاشتراكى بالقسم والدكتور عزت سلامة وكاتب هذه السطور ·· ثم الدكتور ثروت عكاشة ويوسف السباعى والدكتور زكى هاشم وآخرين ·

وعندما تبينت موقف العداء غير المبرر منى اتصلت بشعراوى جمعة ومحمد فائق واكد لى الاثنان ان المعركه حرة ومفتوحة ٠

وخضت المعركة الى نهايتها فى حماس شديد ٠٠ ثم تبين لى أن أربعة أسماء قد وزعت على الجميع لتصعد الى المؤتمر وآن عشرين اسما أخرى قد حددت أعضاء لجنة قسم قصر النيل ٠

وظهرت النتيجة مطابقة تماما لهذه الاختيارات السرية ، ونجح محمد فائق وحسين كامل بهاء الدين وصلاح عبد المعطى وأمين حلمى رئيس هيئة التصنيع وسقط الباقون ٠

وكان ضمن الذين أحكمت حولهم حلقة التآمر أيضا الدكتور ابراهيم سعد الدين عضو الامانة العامة لمعهد الدراسات الاشتراكية والذى رشح نفسه فى دائرة على صبرى وعبد العزيز حجازى بالشرقية وفوجئ أيضا بتدبيرهم لعملية اسقاطه ٠٠ كان هذا اتجاها واضحا ضد اليسار والذى يمكن ان يحمل كلمة المعارضة ٠

وتبينت فيما بعد ان هذه الانتخابات قد تمت فى وقت كانت صلتى فيه بامانه طليعة الاشتراكيين قد انقطعت دون اخطار ٠٠ فقد حدث قبل أن تنفجر مظاهرات الطلبة واثناء اجتماع للامانة فى مكتب شعراوى جمعة بمقر الوزارة المركزية سابقا فى هليوبوليس أن نبهت الحاضرين وشاركنى فى ذلك أحمد كامل الذى كان أمينا للشباب وقتها وكان عائدا لتوه من رحلة الى الوجه القبلى ٠٠ نبهت الى خطورة الموقف ليأس الناس من احتمالات تغيير حقيقى فى المجتمع يؤدى الى تحرير الارض المحتلة ، وقصد كل الهدم الفاسد في مواقع المسئولية وليس فى القوات المسلحة وحدها كما كشفت الهزيمة ٠

وكان اجتماعا ساخنا ٠٠ أعلنت فيه مسئوليتنا التاريخية في هذا المستوى التنظيمى الذى يمثل القلب ٠٠ وطالبت بضرورة مصارحة جمال عبد الناصر بالموقف باعتباره قائدا للتنظيم ٠

ولم يجد شعراوى جمعة من سبيل أمام هذا التيار الذى اشترك فيه عدد من أعضاء الامانة سوى اقتراح تشكيل لجنة من أحمد كامل وسامى شرف ومحمود أمين العالم وكاتب هذه السطور لصياغة تقرير سياسى لجمال عبد الناصر عن حقيقة الوضع واقتراح مايمكن ان نراه من علاج لتفادى مايمكن ان يحدث فى المستقبل ٠

واجتمعت هذه اللجنة الفرعية فى مساء اليوم التالى مباشرة بمكتب سامى شرف ، وبدأنا فى تدارس الموقف ٠٠ واذا بمنير حافظ احد كبار الموظفين بمكتب سامى شرف يدخل علينا معلنا أن هناك تجمعات فى أماكن كثيرة تعلن احتجاجها على بساطة الاحكام الصادرة ضد قادة الطيران ٠

واعتبرت أن فى ذلك دعما لموقفنا ٠ واثباتا لسلامة تصورنا ٠ ٠ ٠ ولكنى فوجئت بمحمود أمين العالم وكان وقتها مقربا جدا من قمة السلطة ٠ ومتوليا مسئولية رئاسة مجلس ادارة أخبار اليوم ٠٠ فوجئت به يطلب

انهاء الاجتماع حتى تتفرغ القيادة لمباشرة مسئولياتها .

وتلفت حولى باحثا عما يقصده ، فاذا به يشير الى سامى شرف الذى لم يكد يسمع هذه الكلمات التى انت اليه كطوق الانقاذ حتى تشبث بهـا ، وأعلن تاجيل الاجتماع الى موعد يحدد فيما بعد .

ولكن طال الزمن بلاتحديد لموعد اجتماع جديد .

وقامت المظاهرات ووضحت اتجاهات الجماهير .

وكانت هذه هى صلتى الاخيرة بأمانة طليعة الاشتراكيين ..لم يبلغنى أحد اننى أقصيت عنها .. ولم أعرف انها تجتمـع .. وعاودت محاولاتى السابقة مع شعراوى جمعة مطالبا باجتماع الامانة ولكنه كان دائما يعتذر بكثرة مشاغله .

وعرفت بعد وقت طويل انه منذ هذه الجلسة الساخنة ، ومنذ ذلك الاجتماع فى مكتب سامى شرف ، انه قد أقصى عـــن الامانة كـــل من أمين هويدى والدكتور عبد المعبود الجبيلى وكاتب هذه السطور .

وليست هذه الصورة الا نموذجا لفقدان الديموقراطية داخل التنظيم . والاصرار على التعاون مع الذين لايعرفون النقد او المعارضة .. فى محاولة لتثبيت سلطة شخصيات معينة .

أذكر أننى أثرت هذه القضية مع على صبرى أثناء مقابلتى له خـــلال مظاهرات الطلبة ، واننى اقترحت عليه أن يتم الترشيح لانتخابات الاتحاد الاشتراكى بتفاعل ديموقراطى داخل طليعة الاشتراكيين حتى يمـكن أن تفرز الانتخابات عناصر صالحة تكتسب ثقـة القاعـدة .. وانه كان هادئا ومطمئنا وفيما يبدو واثقا من النتيجة .

والحقيقة ان انتخابات الاتحاد الاشتراكى قد جرت فى ظروف ملائمـة تماما لعـلى صبرى .. فكان خـروج زكريا محيى الدين فى مارس ١٩٦٨ ابعادا لشخصية قوية يؤهلها تاريخها واقدميتها وعضويتها السابقة لمجلس قيادة الثورة أن تكون البديل لجمـــال عبد الناصر فى اى ظرف مفاجىء . وخاصة بعد ترشيح جمال عبد الناصر له ليكون بديله فى رئاسة الجمهورية أثناء خطاب التنحى .

ولم يكن زكريا محيى الدين قريبا من الاتحاد الاشتراكى ، فقد انتهت صلته به بعد الجهـد الذى بذله فى تكوين منظمة الشباب فى عهدها الاول ، وبعد انتهاء اشرافه على محافظة الجيزة فى الفترة الاولى لتكوين الاتحـــاد الاشتراكى عام ١٩٦٣ .

كان ابعاد زكريا فرصة لتثبيت أقدام على صبرى فى أرض المسئولية .. فقد كان هو الوحيد المرتبط بالاتحاد الاشتراكى وطليعة الاشتراكيين من بين نواب رئيس الجمهورية السابقين .

أنور السادات كان رئيسا لمجلس الامة .. وحسين الشـــافعى اقتصر عمله فى وزارة ٢٠ مارس ١٩٦٨ على أن يكون نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للاوقاف .. وعبد المحسن ابو النور الذى كان مسئولا فى الاتحاد الاشتراكى أصبح وزيرا للادارة المحلية .

وهكذا كانت الفرصة متاحة لعلى صبرى .. بعد انتحار المشير عامر ،

وابعاد زكريا محيي الدين وقد صدرت وزارة ٢٠ مارس وهو ليس عضـــوا بها بعد ان كان في وزارة ١٩ يونيـــو ١٩٦٧ نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للادارة المحلية .

وكان هذا يعني تخصصه في الاتحاد الاشتراكي ومسئوليته عنه .

وكتبت في روزاليوسف تعليقا على انتخابات أعضاء المؤتمر العام قبل انعقاده بيوم واحد في ٢٢ يوليو ١٩٦٨ قائلا :

(علينا ان نفرق بين الالزام والالتزام .

الالزام يعني التبعية المطلقة دون حوار أو مناقشات .. وهو مايؤدى الى الغاء الشخصيه الذاتية .. أما الالتزام فهو الحرص على الارتباط بتنظيم ديموقراطى يحقق هدف أعضائه ، ويتيح لهم فرصـة التعبير والمناقشـة وتوضيح الرأى الخاص مع الالتزام برأى الاغلبية .. وهو مايؤكدشخصية العضو وارتباطه بالآخرين).

ولكن الامر كان قد انقضى .. وتشكل المؤتمر القومى بأسلوب الاختيار تقريبا ..

ويبدو ان جمال عبد الناصر قد استشـعر مدى المعارضـة والرفض لاسلوب الانتخابات فآثر أن يؤجل انتخاب اللجنة المركزية حتى يتعـارف أعضاء المؤتمر القومى ــ على حد تعبيره ــ وأجريت الانتخابات .

ويمكن القول بأن على صـبرى كان له الرأى الاول فى اختيار معظـم أعضاء المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى ولجنته المركـــزية ، بل وفى لجنته التنفيذية العليا ايضا التى تم انتخابها يوم ١٩ اكتوبر ١٩٦٨ . فقد حصل على أعلى الاصوات ، وكان ترتيب اللجنة من حيث عدد الاصوات كما يلى من بين ٢٠ مرشحا منهم ٧ ضباط :

على صبرى (١٣٤ صوتا) ــ حسين الشافعى (١٣٠) ــ محمود فوزى (١٢٩) ــ أنور السادات (١١٩) ــ رمزى استينو (١١٢) ــ ضياء الدين داود (١٠٤) ــ عبد المحسن أبو النور (١٠٤) ــ لبيب شقير (٨٠) .

أما بقية المرشحين فلم يدخلوا اللجنة اذ حصلوا على أقل من ٥٠٪ من الاصوات .. كمال الحناوى (٦٤) على السيد على (٦٢) كمال رفعت (٥٠) ــ حسن عباس زكى (٣٧) جابر جاد عبد الرحمن (٣٤) سيد مرعى (٣٣) ــ عزيز صدقى (٣٣) أحمد فهيم (٣٠) ــ خالد محيى الدين (٢٠) أحمد سيددرويش (١٤) مصطفى أبو زيد فهمى (١٢) ــ فهمى منصور (١٠) .

وكانت فرصة على صبرى فى الحصول على أعلى الاصوات نابعـة من صلته ومعرفته الشخصية بمعظم أعضاء اللجنة المركزية فقد عين سكرتيرا عاما للاتحاد الاشتراكى بعد استبداله كرئيس للوزراء بزكريا محيى الـدين عام ١٩٦٥ .

أجل جمال عبد الناصر انتخاب الاثنين اللذين يكملان عدد أعضاء اللجنة التنفيذية الى عشرة تبعا لقانون الاتحاد الاشتراكى لفترة قادمة .

واستقال من الوزارة تبعا لقانون الاتحاد الاشتراكى أيضا أربعةوزراء نجحـوا فى انتخابات اللجنـة التنفيذية العليـا وهم : حسـين الشـافعى

وضياء الدين داود وعبد المحسن أبو النور ولبيب شقير .
ويلاحظ ان نسبة الضباط في اللجنه التنفيذية العليا ، وهي قمة السلطة في الجمهورية العربية المتحدة مازالت عالية (٤ ضباط غيرعبدالناصر وأربعة مدنيين) .. بينما لم يتجاوز عدد الضباط في اللجنة المركزية (١٢ ضابطا من ١٥٠ عضوا) .
كما انه لم ينجح أحد من العمال والفلاحين ، ولم يتقدم للترشيح سوى عاملين وأحد الزراعيين ، بينما بلغ عدد المرشحين من الوزراء والوزراء السابقين ١٢ مرشحا .

والنظرة الى اسماء الناجحين والراسبين تؤكد ان هناك قوة منظمة كانت تتحرك بايحاء معين مؤثر في توجيه الانتخابات .. وكل الذين فازوا كان قد أوحي لهم بترشيح انفسهم ، استمرارا وتأكيدا لاسلوب الاختيار من اعلى بعيدا عن التفاعل الديموقراطي السليم .
قال لي عدد من الذين سقطوا ان أحدا لم يهمس لهم بالترشيح .. والقاعدة كانت أن ينتظر الاعضاء تعليماتهم من المستويات الأعلى دون أية مبادرة منهم .
وكان شعراوي جمعة أمين التنظيم هو الذي رأس اللجنة التي تتلقى طلبات الترشيح ، واستمر بعد ذلك منضما الى رؤساء اللجان الخمس الدائمة التي انبثقت عن اللجنة التنفيذية العليا ليشكلوا اللجنة الدائمة للاتحاد الاشتراكي ، والتي تعتبر بمثابة اللجنة الهامة التي تملك مفتاح الاتحاد الاشتراكي .

كان توزيع أعضاء اللجنة التنفيذية العليا قد تم على النحو الآتي :

أنور السادات رئيسا للجنة السياسية ـ علي صبري رئيسا للجنة التنظيمية ـ عبد المحسن أبو النور رئيسا للجنة الشئون الداخلية ـ لبيب شقير رئيسا للجنة التطور الاقتصادي ـ ضياء الدين داود رئيسا للجنة الثقافة والاعلام .
وكان جمع شعراوي جمعة بين عمله المسئول في التنظيم واستمراره وزيرا للداخلية هو الاستثناء الوحيد الذي يشير الى أهمية الدور الصاعد الذي كان يدفعه اليه جمال عبد الناصر .. هذا الى جانب كونه أمينا لطليعة الاشتراكيين أيضا .
كانت كل الظروف تهيىء شعراوي جمعة ليصبح رجل السلطة ورجل التنظيم القوي بعد جمال عبد الناصر وعلي صبري .

ولكنه كان وحده من أمانة طليعة الاشتراكيين الذي أوكل اليه هذا الدور ، فلم يصل أحد من أمانة الطليعة الى اللجنة التنفيذية العليا . . . وشعراوي نفسه لم يكن عضوا رسميا بها ، واذا حضر اجتماعاتها فليس له حق التصويت .
الظاهرة الملحوظة ان عدد الضباط قد انحسر في نسبتهم باللجنة المركزية . وان بعض العناصر المدنية قد بدأت تلعب دورا أساسيا مسئولا

يزيد فى واقعه ومضمونه عن الدور الذى يلعبه بعض العسكريين أصحاب التاريخ والارتباط بسلطة الثورة .

قال لى شعراوى جمعة ردا على استفسار عن الاسلوب الذى اتبع فى انتخابات اللجنة المركزية واللجنة التنفيذية العليا بان طليعة الاشتراكيين كانت تستقر على ترشيح أعضاء معينين وتطلب من اعضائها مساندتهم وتأييدهم ، دون تدخل أو تزييف فى الانتخابات .

وعن انتخابات اللجنة التنفيذية العليا قال ان جمال عبد الناصر كان قد ارتضى ترشيح ستة أعضاء هم أنور السادات وعلى صبرى وحسين الشافعى وضياء داود ورمزى استينو والدكتور محمود فوزى وقام شعراوى بأبلاغ أعضاء طليعة الاشتراكيين بمساندة هؤلاء مضيفا اليهم اسمى لبيب شقير وعبد المحسن أبو النور .

لم يعترض جمال عبد الناصر على ترشيح احد للجنه التنفيذية العليا سوى خالد محيى الدين الذى كان قد ارتضى دخوله اللجنة المركزية رغم اتجاهاته اليساريه . ولم يخنق فى انتخابات الاقسام والمراكز كما حدث مع الدكتور ابراهيم سعد الدين ومع كاتب هذه السطور .

كانت الرغبة مازالت قائمة فى منع اليساريين من الوصول الى مراكز المسئولية القيادية .

ويقول شعراوى ان الانتخابات بعد ذلك قد تمت دون توجيه او تدخل فى اختيار بقية الاعضاء .

ويقول أيضا ان جمال عبد الناصر كان ينوى تغيير أقدمية أعضاء اللجنة التنفيذية تبعا للاصوات التى يحصلون عليها .. ولكنه بعد ظهور النتيجة تراجع عن ذلك (حتى لايزعل أنور السادات) على حد تعبيره .

خلافات على المسرح

كان هناك حرص على ان تدور الخلافات بين أعضاء مجلس قيادة الثورة فى الكواليس ولاتظهر مطلقا أمام الجماهير .

كانت أزمة مارس ١٩٥٤ استثناء فجرته استقالة محمد نجيب ... ثم مضت الامور بعد ذلك فى مظهر يوحى بالوحدة والاتفاق وتقدير زعامة جمال عبد الناصر .

لم يعرف الناس أن هناك خلافا بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر .. ولم يطلع أحد على دوافع استقالة كمال الدين حسين وعبداللطيف البغدادى ثم حسن ابراهيم .

كل الخلافات دارت فى الكواليس .. ولم تظهر أبدا على خشبة مسرح الحياة السياسية .

ولكن الهزيمة غيرت هذا الاسلوب .

محاكمة ضباط مجموعة المشير أسقطت القناع عن الوجه القبيح للثورة .. وأظهرت كثيرا من الاخطاء والانحرافات .. وكشفت ان عددا من المسئولين عن حماية الاستقلال الوطنى فى القوات المسلحة كانت قلوبهم

تميل الى الولايات المتحدة رغم دورها البارز في التحضير للعدوان والمساهمه فيه بمساعدة اسرائيل .

ولم تتورع الصحف عن نشر أنباء المحاكمات • والتشهير بما دار فيها من وجهات نظر مختلفة •

ومع ذلك عندما تمادى أحد الكتاب ــ موسى صبرى ــ في التعليق على محاكمة عباس رضوان • وقال ان حقيبه النقود الضـــائعه تظهر (ان ماخفى كان أعظم) •• نقل من جريدة الاخبار الى جريدة الجمهورية كاتبا بعد أن كان رئيسا للتحرير •

يبدو أن الهزيمة قدغيرت من أســـــلوب المواجهه فلم تعد كلمات التجريح الصريح تحمل لصاحبها الا تغيير موقعه مع الاحتفاظ بقلمه وحقه فى الكتابة •• بعد أن كان البعض يبعد تماما عن مجال الصحافة ويقصف قلمه لغير سبب رغم انه صديق للثورة فى اتجــاههـــا الرئيسى وهـــدفهـــا الاجتماعى •• كما حدث فى جريدة الجمهورية عام ١٩٦٤ أيام تولى رئاســة مجلس ادارتها حلمى سلام ونقل منها الى مؤسسات غير صحفية عدد من كبار الكتاب والصحفيين مثل عبد الرحمن الشرقاوى وعبد الرحمن الخميـسى • ونعمان عاشور وسعد الدين وهبه ومحسن محمد وغيرهم •

وكما حدث عام ١٩٦٦ أيضا للدكتور رشوان فهمى الاستـاذ بكلية طب الاسكندرية ونقيب الاطباء عندما خطب فى حفل أقامته النقابة ، وقال فيه ان الذين يقارنون بين قصر العينى وقناة السويس عليهم أن يوفـــروا لقصر العينى من الأموال ماهو متوافر لقناة الســـــويس ، وكان يلمح دون تصريح لكلمات قالها جمال عبد الناصر فى معرض نقده لتخلف الحال فى القصر العينى وما يرزح تحته من اهمال وقذارة •

ورغم ان الدكتور رشوان فهمى كان أحد أساتذة جامعة الاسكندرية الذين بادروا بالاتصال بنا فى منطقة الاسكندرية فور وقوع الحركة العسكرية وبادر بارسال برقية تأييد ، وبقى يحتفظ بعلاقات ودية مع قادة الثـــورة لسنوات طويلة •

رغم ذلك •• ورغم علاقات صداقة خاصة كانت تربطه بعبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم وشمس بدران فانه قد صــدر قرار جمهـــورى بوضعه تحت الحراسة ، وابعاده عن منصبه فى كلية طب الاسكندرية •

وتبين بعد الحراسة انه لايملــك مليما فى البنوك ، وانه يعيش فى شقة متواضعة الاثاث ، وانه معـروف عند الناس جميعا انه رجل شريف وصريح معا •

لم يكن هناك مبرر لصدور هذا القرار العصبى •

وقد قصدت الى المقارنة بين أسلوبين •• أسلوب لم يكن يتحمل كلمة نقد قبل الهزيمة •• وأسلوب يرتضى الصبر على كلمات التجريح بعدها •

ليس هذا فقط •

قال لى فتحى غانم ان على صبرى قد اتصل به ، وكان حريصا عــلى توفير كل وسائل الراحة النفسية لموسى صبرى فى جريدة الجمهورية ••كما

أكد لى موسى صبرى حسن معاملته خلال هذه الفترة ٠

وكان الاتحاد الاشتراكي بتشكيله الجديد قد بدأ يلعب دورا بارزا في توجيه الامور ، وساعد على ذلك سيطرته الفعلية على الصحف عدا جريدة الاهرام ٠

كان محمد حسنين هيكل قد تولى مسئوليه ادارة مؤسستى الاهرام وأخبار اليوم رغم تنافسهما التقليدى ، وميل هيكل الطبيعي الى مؤسسته التي باشر تطويرها ٠

وحرص هيكل على ان يبدو فى مظهر الحياد أثناء ادارة المؤسستين، بل انه حرص على منح موسى صبرى علاوة شهرية كبيرة باعتباره أحد رؤساء تحرير الاخبار ، وذلك ضمن علاوات أعطاها لعدد من محررى أخبار اليوم ٠

وأذكر خلال هذه الفترة ـ وكنت مازلت عضوا فى أمانة طليعة الاشتراكيين ـ اننى دعيت الى مكتب سامي شرف حيث وجدت هناك الزميل حسن فؤاد وكان مرتبطا فى التنظيم الطليعي بمنير حافظ أحد مديرى مكتب سامي شرف ٠

عرض سامي علينا قرارا أصدره محمد حسنين هيكل بابعاد عدد من الزملاء عن مؤسسة أخبار اليوم وفى مقدمتهم سعد كامل وصلاح حافظ وآخرين جملتهم حوالى ٢٠ كاتبا وصحفيا ٠

ولما طلب سامي الرأى رفضنا مجرد فكرة قبول ابعاد الصحفيين عن العمل الصحفى ٠٠ واستجاب سامي لذلك واتصل بجمال عبد الناصر الذى أوقف قرار محمد حسنين هيكل الذى كان قد سافر فى نفس اليوم فى رحلة الى الهند والشرق الاقصى ٠

وكانت أجهزة الاتحاد الاشتراكي قد تحركت لرفع يد هيكل عن أخبار اليوم ، ونجحت فعلا فى ذلك ، حيث صدر قرار تعيين محمود أمين العالم رئيسا لمجلس ادارتها ٠

عادت الى على صبرى مسئولية الاشراف على الصحف وتوجيهها خلال قيادات عينها وارتضاها ٠٠ محمود العالم مسئولا عن صحف أخبار اليوم فى الوقت الذى استمرت فيه عضويته فى أمانة طليعة الاشتراكيين ٠٠٠ وفتحى غانم فى مؤسسة الجمهورية أو دار التحرير ٠٠ وامتد ذلك الى روز اليوسف عندما عين كامل زهيرى رئيسا لمجلس ادارتها بعد أحمد بهاء الدين فى الوقت الذى بقيت فيه رئيسا لتحريرها ، متعرضا لأساليب صغيرة من الادارة الجديدة ٠

وبدأت الخلافات تظهر على خشبة المسرح فى هذه الصراعات الفكرية التى ظهرت على صفحات الصحف ٠

وقع خلاف آخر بين الاهرام وهيئة المخابرات العامة عندما صدرت الاهرام يوم ١٣ اكتوبر ١٩٦٨ وفيها مقال افتتاحى فى الصفحة الاولى تحت عنوان (واقعة خطيرة) يتحدث عن اعتقال نيابة أمن الدوله والمخابرات لمدير مركز الدراسات الاجتماعية والاقتصادية بالاهرام نتيجة بلاغ من اللواء جمال

عسكر مدير الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء الذى اعتبر ان مدير مركز الاهرام قد خالف القانون بتبليغه معلومات محظورة الى احدى الشركات اليابانية .

وقد أثارت الاهرام اعتراضات شتى على سلطة الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء ، وعلى أسلوب الاعتقال وزوار الفجر ، وعلى عدم وجود حدود مرسومة لجهاز المخابرات . مطالبه بأن يكون الحبس الاحتياطى والاعتقال فى أضيق نطاق ومحاطا بكافة الضمانات .

وكانت هذه المقالة تعتبر أول مقالة تهاجم علنا وصراحة جهاز المخابرات .. وهو أمر ماكان يمكن ان يحدث بهذه الصورة قبل الهزيمة .

ويجدر بالذكر ان مقال الاهرام قد أشار الى ان مدير المركز لم يتعرض الى أى نوع من الضغط أو التعذيب .

وانبرى أمين هويدى الذى تولى هيئة المخابرات العامة الى جانب وزارة الحربية ثم وزارة الدولة بعد الهزيمة بالرد على الاهرام موضحا ان الاعتقال والتحقيق قد تما بأمر النيابة ومعرفتها ، وأن جهاز المخابرات لم يقم سوى بمهمة جمع الادلة وتقديمها لنيابة أمن الدولة .

وأوضح فى رده تمسكه ببيان ٣٠ مارس الذى أعلن تصفية مراكز القوى وحماية الثورة فى ظل سيادة القانون من أعدائها الخارجيين والداخليين .

الظاهرة البارزة فى هذا الصراع الحوارى انه يعطى دلالة على أن النقد حتى لأكثر الاجهزة خطرا لم يعد أمرا محظورا .. ويقدم برهانا أيضا على أن محمد حسنين هيكل كان يحارب فى أكثر من جبهة .

وبعد أيام من نشر هذا النقد العنيف ، ورد أمين هويدى الذى قام فعلا بتصفية هيئة المخابرات من كثير من الاساليب القذرة التى كانت تلجأ اليها والتى لاتعتبر شيئا قبيحا فى مخابرات العالم كله تقريبا .. بعد أيام نشر محمد حسنين هيكل مقالين بتاريخ ١٨ ، ٢٥ أكتوبر ١٩٦٨ فى الاهرام يدعو فيها الى (المجتمع المفتوح) ومحمود امين العالم يرد عليه بمقالات أخرى فى أخبار اليوم مناقشا فكرة المجتمع المفتوح فى الدول الاشتراكيه .

عدد من السياسيين مثل ضياء الدين داود والدكتور محمد انيس وعبد الهادى ناصف يكتبون فى جريدة الجمهورية مقالات مضادة للآراء التى ينشرها هيكل فى الاهرام

تراشق الآراء كان يعتبر أمرا جديدا فى حياة الثورة . . ومظهرا من مظاهر الانفتاح النسبى الذى فرضته الهزيمة .

كان محمد حسنين هيكل هو الكاتب الوحيد الذى أعطيت له فرصة الكتابة دون رقابة مطلقا ، وذلك لصلته الوثيقة بعبد الناصر ... ولكنه أصبح الآن معرضا لكلمات ومقالات النقد .. بل ان لجان الاتحاد الاشتراكى لم تكن تتورع عن مناقشة مقالات هيكل أسبوعيا .. ومعارضة مافيها من اتجاهات اعتبرها البعض مؤثرة على صلابة الجبهة الداخلية ، ومضعفة للروح المعنوية . وباعثة على ممالأة حكومة الولايات المتحدة تحت شعار (محاولة تحييد أمريكا) .

ولم يكن هذا الصراع العلني أمرا يمكن ان يمضي بغير دلالة ٠٠ فمحمد حسنين هيكل قريب الى جمال عبد الناصر الى الحد الذى لم يكن خافيا على أحد ٠٠ ومقالاته في مضمونها ان لم تكن معبرة عن رأى عبد الناصر شخصيا فهى بمثابة مجس يتعرف على حقيقة نبض المجتمع وردود الفعل فيه ٠

ولذا طفا الخلاف بين الاتحاد الاشتراكي ومسئوله القوى على صبرى وبين محمد حسنين هيكل الى السطح ٠٠ وأصبحت المبارزة بينهما مشهدا تتابعه الجماهير المرتبطة بالسياسة وتعلق عليه ٠

ودفع هذا الموقف محمد حسنين هيكل الى الاستهانة بفكرة التنظيم السياسى مقتنعا بأن تأثير شخصية الزعيم خلال أجهزة الاعلام هو أشد تأثيرا واعمق نفوذا ٠

لم يجد هيكل فى الاتحاد الاشتراكي تنظيما مقنعا له رغم اقتناعه به من الناحية الشكلية ٠

كان هيكل متأثرا أو مؤثرا في جمال عبد الناصر بما رواه لفؤاد مطر في كتابه (بصراحة) حول دور الحزب والتنظيم السياسى عندما قال :

(ان وسائل المواصلات أثرت الى حد ما في مفاهيم دور الحزب ٠٠ ان لينين عندما أنشأ الحزب كان يستهدف أمرين : الاول أن ينقل الحزب عبر كوادره أفكار القيادة الى القواعد ، والثانى ضمان استمرار قوة الجماهير المنظمة وتوجيهها بحيث تكون حامية للسلطة بعد الاستيلاء عليها ٠٠ وعبد الناصر لم يكن يحتاج الى ذلك لانه باستمرار - على عكس لينين أمام الجماهير يخاطبها ويوجهها ، وعندمالايكون أمامها ، يتوجه اليها ساعة يريد عبر الاذاعة والتليفزيون ٠٠ ولقد حرك الجماهير في معظم ارجاء الوطن العربى بالمخاطبة الاذاعية ٠٠ وأسقط حلف بغداد بالكلمة المذاعة علىالهواء وأرهق الوجود الاستعمارى البريطانى في الجنوب العربى بالكلمة المذاعة أيضا ، وليس بوساطة القيادات الحزبية التى كانت تنتقل من مصر الىالجنوب العربى).

ويتابع هيكل شرح رأيه قائلا : (كانت لعبد الناصر القدرة على تعبئة الجماهير عن غير طريق الحزب ولو أن العناصر المثقفة ساعدته على انشاء الحزب المطلوب لما كان تأخر فى التجاوب مع تلك العناصر ٠

(وفى أى حال كان رأيه ان تعبئة الناس بالانجازات أكثر فعالية من تعبئتها عن طريق الحزب).

هكذا كان يفكر محمد حسنين هيكل ٠٠ وسواء كان متأثرا أو مؤثرا في عبد الناصر فان الحقيقة أن المثقفين الثوريين لم يترددوا لحظه فيالتجاوب مع عبد الناصر فى محاولته لتكوين (طليعة الاشتراكيين) بل ان حزبى الطبقة العاملة الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى والحزب الشيوعى) قد أتخذا قرارا بحل تنظيمهما وهو حدث نادر وغير متكرر في تاريخ الحركة الشيوعية ثقة منهما في أن عبد الناصر كان مخلصا فى تبنيه لفكرة [طليعة الاشتراكيين) أو الجهاز السياسى للاتحاد الاشتراكى ٠

ولكن يبدو ان الامور كانت تمضى فى غير هذا السبيل ٠٠ فالحكم

الاوتوقراطي الفردي لايرحب بتكوين حزب يحد من صلاحيات الحاكم المطلقة .

وصحيح ان كثيرا من الانجازات الهائلة قد تمت في غير وجود حزب. ولكنها أصبحت كالبناء الذى يقوم بلا حارس .. يمكن ان يتسلل اليه اللصوص من الرجعيين .

ولم يمض هذا الخلاف على صفحات الصحف وحدها .. ولكنه اتخذ أحيانا صدامات شرسة .. فقد اعتقل الدكتور جمال العطيفي لمدة عشرة أيام وعندما أثار الزميل الكاتب الصحفى صلاح حافظ هذا الموضوع فى اجتماع الاتحاد الاشتراكي في قسم النيل متسائلا عن أسباب اعتقال العطيفى كان نصيبه الاعتقال أيضا في معتقل القلعة لمدة تسعه ايام .

أذكر انى لجأت الى شعراوى جمعة وزير الداخلية محتجا على اعتقال الزميل الصديق ، فاذا بى أتلقى منه وعدا بسرعة الافراج دون تعليل مقنع لاسباب الاعتقال .

وانى ذهبت الى محمد حسنين هيكل مستفسرا عن أسباب الاعتقال باعتباره قريبا من جمال عبد الناصر وأن أحد المعتقلين يعمل معه فى مؤسسة الاهرام ، فوجدته لايخفى دهشته مما حدث ولا يجد له تفسيرا .

وهكذا قام بناء الاتحاد الاشتراكى فى بعض جوانبه على ديموقراطية غير سليمة مستهدفا الزام أعضائه دون البحث الجاد فى تقديم مايؤدى الى حسن التزامهم .

أبرز ماقام به المؤتمر الاول للاتحاد الاشتراكى فى تنظيمه الجديد هو اعادة تعريف العامل والفلاح والذى ينص على أن يكون العامل غير منتميا الى نقابة مهنية ولا متخرجا فى الجامعة أو المعاهد العليا أو الكليات الحربية ، وأن يكون الفلاح هو من يمارس الزراعة ولايملك هو وأسرته أكثر من ١٠ أفدنة .

وجاءت هذه التعريفات خطوة في سبيل تحديد نوعية العامل والفلاح بعد أن كانت تعريفات مؤتمر ١٩٦٢ تسمح لبعض الفنيين وخريجي الجامعات والضباط أن يرشحوا أنفسهم بصفتهم عمالا .. وأن يجلس تحت عباءة الفلاح من يملك ٢٥ فدانا .

كان هذا التغيير دليلا على أن الرغبة فى تغيير الميثاق وتطويره الى مزيد من التقدم فكرة قائمة وموجودة ،

والواقع أن موقف هيكل الذى جعله يستخف بالاتحاد الاشتراكى ولا يحاول وصف العلاج السليم له هو موقف لم يكن يستند الى حقيقة واقعية او علمية .. فمهما عظم سحر شخصية الزعيم واشتد تعلق الناس به ، فان هذا لايغنى مطلقا عن ضرورة التنظيم الملتزم الذى يعبىء الجماهير ويحشدها وينال ثقتها ويعبر عن ارادتها .

والاستناد الى شخص ـ أيا كان هذا الشخص ـ لايمكن أن يعتبر فى ذاته كافيا لاستمرار الثورة .. وأمامنا مثال واضح فى حياة جمال عبد الناصر شخصيا .. فما أظن ان سوريا قد شهدت مظاهرات وهتافات من

القلب تحيط بزعيم مثلما أحاطت بعبد الناصر خلال فترة الوحدة ٠٠ ومع ذلك وبعد ان رفعت الجماهير عربته فوق الاكتاف فى حلب عادت بعدسنوات فأخذت موقفا سلبيا من سقوط نظامه دون مقاومة تقريبا بانقلاب عسكرى محدود لم تلعب الجماهير فيه دورا مؤثرا للدفاع عن وحدتها وارادتها التى تعتبر شديدة التأييد والثقة بعبد الناصر اذا أخذنا مظهرها وهى تتظاهر وتحتشد وتهتف له ٠

كان الخلاف الذى يدور على خشبة المسرح معبرا عن وجود تناقض فكرى أصيل بين الاتحاد الاشتراكى الذى كان يعتبر بحكم تكوينه وارتباطه بالجماهير وحرصه على ان يظهر فى مظهر المعبر عن ارادتها اكثر يسارية من أجهزة الدولة الاخرى ٠٠ وبين الاتجاه المبتعد عن التنظيم المستخف بدوره، المستمد لقوته من السلطة وليس من الجماهير ٠

وقد وقف هيكل موقفا مضادا فى مقال نشره فى ديسمبر ١٩٦٨ من محاولة انشاء مجلس أعلى للصحافة فى الاتحاد الاشتراكى ٠

ولم يكن هذا هو الخلاف الوحيد

كان هناك خلاف آخر أظهرته انتخابات اللجنة التنفيذية العليا التى وضعت على صبرى فى المركز الاول وأنور السادات فى المركز الرابع ٠

كان أنور السادات بعيدا فعلا عن موقع المسئولية فى الاتحاد الاشتراكى ، ولم يسهم خلال عمله فى مجلس الامة بدور مؤثر فى تنظيمات الاتحاد ٠

ولكن أقدميته فى مجلس الثورة لم تكن تسمح له بقبول التراجع الى المركز الرابع فى اللجنة التنفيذية العليا ٠٠ ولذا أراد الانسحاب من العمل السياسى ليستقر فى قريته ٠٠ ولكن عبد الناصر أقنعه بالبقاء ٠

وهكذا تولدت خميرة تناقض نفسى حاد بين أنور السادات وعلى صبرى ٠

ولعب جمال عبد الناصر دور حامل الميزان فى هذه اللعبة ٠٠ يثقل كفة الشخص الذى يريد فى الوقت الذى يريد ٠

أعطى لأنور السادات مسئولية اللجنة السياسية فى الاتحاد الاشتراكى اما على صبرى فقد اعطى مسئولية أمانه اللجنه التنظيمية ، وبدا يكلفه ببعض المسئوليات السياسية الخاصة التى لم يعتد تكليفه بها من قبل ٠

كان التناطح واضحا وشديدا بين هذه الشخصيات الرئيسية الثلاث. أنور السادات وعلى صبرى ومحمد حسنين هيكل ٠

أنور السادات يستند الى تاريخه القديم وصلاته الطيبة

وعلى صبرى يستند الى أجهزة الاتحاد الاشتراكى

ومحمد حسنين هيكل يستند الى علاقته الوثيقة بعبد الناصر والى مقالاته التى كان يتابعها الناس بكل تأكيد ٠

وكان يجمع الثلاثة فى تناقضاتهم ولاء كامل لجمال عبد الناصر ٠ لايستطيعون أن يخرجوا عن حدوده ٠ فلم يكن احد منهم ليجرؤ على اتخاذ

موقف خلاف حاد لان معنى ذلك نهاية لدوره السياسى ٠٠ وخروج زكريا محيى الدين لم يكن بعيدا عن أنظارهم

ولايمكن القول بأن هذا الخلاف كان محصورا فى دائرة المنازعات والمنافسات الشخصية ٠٠ ولكنه كان تعبيرا عن واقع اجتماعى ورؤية سياسية ٠

والى جانب هذه التناقضات الرئيسية فى قمة السلطة كانت هناك تناقضات ثانوية ٠

لم يكن على صبرى مطلق السراح والصلاحيات فى الاتحادالاشتراكى بل كان الى جانبه بعض الذين وثق بهم جمال عبد الناصر من رجال الصف الثانى ، وفى مقدمتهم شعراوى جمعة أمين طليعة الاشتراكيين والذى كان يملك من النفوذ مايتيح له الوقوف مع على صبرى فى صف واحد ، ولكنه لم يغامر باللجوء الى مناطحته بل حرص على أن يلعب دور (الشخصية (المقبولة) من جميع الاطرف ولو أن هذا لاينفى أنه لم يكن يعطى ولاءه الكامل لعلى صبرى أو أنه كان يشكل معه فريقا متجانسا رغم تاكيد شعراوى لى بأنه لم يكن هناك بينهما تنافس سياسى وأنه كان يحمل احتراما وتقديرا لافكاره التى لم تكن تتناقض مع أفكاره ٠

وكذلك كان سامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات ، الذى كان مسئولا فى أمانة طليعة الاشتراكيين ، ومسئولا فى الاتحاد الاشتراكى عن منطقة شرق القاهرة (هليوبوليس والحلمية والزيتون ومدينة نصروغيرها) وهى منطقة ازداد التركيز عليها لتبدوفى صورة المنطقة النموذجية من ناحية العمل السياسى ٠٠ وكان نفوذ سامى شرف نابعا من (موقعه الجغرافى) ان صح التعبير ٠٠ أى من مكتبه الذى كان يطل منه على غرفه نوم الرئيس ويستطيع ان يتصل به فورا وفى أية لحظة ٠

هذه التناقضات الثانوية/ لم تجعل من الاتحاد الاشتراكى تنظيماصلبا متجانسا ،وانما أدخلت اليه نوعا من صراعات المماليك امتدت الى المحافظات أيضا فى صورة تناقضات كثيرة بين عدد من المحافظين وأمناء الاتحاد الاشتراكى فى محافظاتهم .

كان بعض المحافظين فى أبهة السلطه الاداريه لايطيقون تدخل أمناء ولا أجهزة الاتحاد الاشتراكى فى أعمالهم .

وفى هذا الجو المشحون بالخلافات الرئيسية والفرعية ، كان جمال عبد الناصر يعطى تركيزه الاول على بناء القوات المسلحة ، ولكنه لم يغفل ابدا عن القطاع المدنى ، مهتما أشد الاهتمام بكل مايتعلق بأمن الثورة ٠ وهو الامر الذى كان يتزايد حتى حوصربتقارير الاجهزة المختلفةالتى تحولت عنده الى منظار لايرى المجتمع الا خلاله ٠

وكان هذا فوق ماتطيقه قدرة فرد واحد ، سبق له أن أصيب بمرض السكر خلال فترة الأزمة التى قامت بين الثورة المصريه والثورة العراقية فى عهد عبد الكريم قاسم ٠

ولذا كانت تتم بعض الاجراءات بطريقة لايجد أقرب المقربين اليه لها تفسيرا مقنعا ٠٠ مثل اعتقال الدكتور جمال العطيفى وصلاح حافظ ٠ ٠ ٠ ووضع الدكتور رشوان فهمى تحت الحراسة ٠

ومثل هذا الاجراء الذى سمى فيما بعد باسم (مذبحة القضاء) والذى أفضل ان أسميه (معركة العداله) ٠

معركة العدالة

كانت معركة العداله من أهم معارك الخطوط الخلفيه التى ظهرت على مسرح الحياة السياسية

فوجىء الناس يوم ٣١ أغسطس ١٩٦٩ بصدور أربعة قوانين : ٨١ـ ٨٢ ـ ٨٣ ـ ٨٤ باعادة تشكيل الهيئات القضائية وتعـديل قانون مجلس نادي القضاة ٠٠ وقبول استقاله محمد ابو نصير وتعيين مصـطفى كمال اسماعيل وزيرا للعدل ٠

وعندما اعيد تشكيل الهيئات القضائيـة من جديد تجاوز التشكيل ١٨٩ من رجال القضاء من بينهم رئيس محـكمة النقض ، ١٥ مستشـارا بمحكمة النقض ، وأعضاء مجلس ادارة نادى القضاة ٠

المظهر الذى تمت به هذه العملية كان يوحى بأن شيئا خطيرا لابدوانه يختمر فى جهاز القضاء ،

واللجنة التى شكلت كانت من قمة السلطة ٠٠ يرأسها أنورالسادات وتضم كلا من شعراوى جمعة وأمين هويدى وسامى شرف والمستشـار عمر الشريف المستشار القانونى لرئاسة الجمهورية ٠

وكانت القضية المطروحه على اللجنة تحمل جذورا تاريخية ٠ فالتطهير لم يقترب من القضاء طوال عهد ثورة يوليو ٠ وحادث الاعتداء علىالسنهورى رئيس مجلس الدولة كان دائما بمثابة النور الاحمر الذى يحـذر من اعتداء جديد ٠٠ والقضايا التى كانت تحتاج الى رؤية واحكام سياسية ـ منوجهة نظر الثورة ـ أوكلت الى محاكم خاصة رأسها بعـض أعضاء مجلس قيـادة الثورة مثلمحكمة الثورة برئاسةعبد اللطيف البغدادى وعضوية أنورالسادات وحسن ابراهيم ومحكمة الشعب لمحاكمة الاخوان المسلمين برئاسة جمال سالم وعضوية أنور السادات وحسين الشافعى ثم المحاكم العسكريه التىحاكمت الشيوعيين وغيرهم من السياسيين ورأسها ضباط من الجيش كان آشـهرهم الفريق محمد فؤاد الدجوى ٠

وبعض الذين أدينوا مسبقا فى الخطب العامة أو الصحافة ومنهممحمد السمنى وكيل وزارة الزراعـة ، ورئيس مجلـس ادارة شركة المجمعات الاستهلاكية ، وصلاح الفقى الذى سلطت عليه الاضواء باعتباره مسئولا عن اغتيال الشهيد صلاح حسين فى كمشيش ٠٠ كل هؤلاء أصدر القضاء حكما بتبرئتهم رغم اتهامهم علنا واتخاذهم مثلا للفساد حتى فى بعض خطب جمال عبد الناصر ٠٠ ومع ذلك لم يتخذ اجراء ادارى واحد نحو أحد من القضاةأو المستشارين ٠٠ ولم ينقض حكم أية محكمة ٠

اذن لم تكن للقضاءمع الثورة مشكلة ٠

ولكن الميثاق كان ينص على أن رجال الجيش والشرطة والقضاء لهـم مكان فى الاتحاد الاشتراكى ٠

ورغم ان هذا النص لم ينفذ وبقى اعضاء هذه الهيئات الثلاث بعيـــدين عن الانضمام رسميا للاتحاد الاشتراكي ، الا أن علي صبرى قد نعرض لهـذه المشكلة في سلسلة مقالاته التى كان ينشرها في جريدة الجمهوريه ، فكتب خمس مقالات عن تصوره لانضمام القوات المسلـحة انتهت يوم ١٧ مارس ١٩٦٧ لتبدأ تسع مقالات عن تصوره لانضمام رجال القضاء ، كما أعطى تصريحا للاهرام نشر بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩٦٧ قال فيه (على ان يكون للقضاء تنظيم سياسى خاص) ٠

ومضت المقالات بلا أثر ايجابى حتى حدث العدوان ووقعت الهزيمة في شهر يونيو ، وأوقف نشر الكتاب الذى ضم هـذه المقالات كما سبق ان ذكرت ٠

والحقيقة ان هذه المقالات قد كتبت بايحاء من جمال عبد الناصر لاحداث صدمة في المجتمع يتبين بعدها ردود الفعل ، ويكتشف الطريق الصـــحيح بعد تعديل الميثاق الذى كان مفروضا ان يتم مع حلول عام ١٩٨٠

ولذا فقد وجد بين القضاة من يؤيد فكرة الانضمام للاتحادالاشتراكي ووجد من يعارض الفكرة

وكان بدوى حمودة الذى عين رئيسا للمحكمة الدستورية على سبيل المثال من الذين انضموا للاتحاد الاشتراكى معتبرا انه تنظيم قومى وليس حزبيا ٠٠ وأن ذلك لايتعارض مع استقلال القضاء ٠

ويقول المستشار صادق المهدى الذى كان يشغل منصب وكيل مجلس نادى القضاة ٠ كما ورد في كتاب الزميل عبد الله امام (مذبحة القضاة) انه أثناء نشر هذه المقالات عقد مجلس ادارة النادى اجتماعا للمناقشة انتهى الى الموافقة على انضمام القضاة ولكن بطريقةتجعل انضمامهم له مظهرهواستقلاله الخـاص ٠

ولم يحدث بعد ذلك مايمكن ان يفرض هـــذه المشكلة ٠٠ فجمـال عبد الناصر قد استغرقته عملية اعادة بناء القوات المسلحة وتماسك المجتمع ٠٠ بل انه خطب في المنصورة يوم ١٨ ابريل ١٩٦٨ قائلا :

(اننى لست ميالا في الوقت الحاضر لاشتراك القضـــاء أو القوات المسلحة او الشرطة في التنظيم السياسى) ،

ولكن الاتحاد الاشتراكى في محاولته لفرض نفوذه أراد أن يقتحم ـ فيما يبدو ـ مجال القضاء أيضا ، مستندا الى تصرفات قام بها بعض القضاةخرجت بهم عن قدسيتهم واستقلالهم ، وأدخلتهم في معترك السياسه الذى يتعـــرض فيه كل من يدخله الى المتاعب والمصاعب والاحجار ,

وكان السبب في ذلك هو تعيين محمد أبو نصير وزيرا للعدل في وزارة ٢٢ مارس ١٩٦٨ ،وهو شخصية غير محبوبة من رجال القضاء لانه انغمس في العمل السياسى بعد أن كان في مجلس الدولة ، وعين في فترة ما وزيرا للتجارة ، وتصور البعض انه سوف يحمل معه تغييرا يجبر القضاة على الارتباط بالاتحاد الاشتراكى ٠

ورغم أن محمد ابو نصير قد نفى ذلك ، الا ان بعض القضاة قد اعـــدوا

بيانا دون معرفة أعضاء مجلس ادارة نادى القضـاة او موافقته ، وأن هـذا البيان قد تلي على الحاضرين فى اجتماع الجمعيه العموميـــه للنادى يوم ٢٨ مارس ١٩٦٨ وانه استقبل بالموافقة مع التصفيق الشديد

وبعض كلمات البيان لايمكن أن يعترض عليها أحد ٠٠ فهى تدعو الى أن ماأخذ بالقوة لايسترد الا بالقوة ، وانه لابد من تأكيد مبدأ الشرعية الذى يعنى فى الدرجة الاولى كفالة الحريات لكل المواطنين وسيادة القانون عـلى الحكام والمحكومين على السواء ، وضرورة سيادة القانون واستقلال القضاء ٠

وبعض ماورد فيه يستحق المناقشة مثل (رفض منح سلطة الحكم الى غير القضاة المتخصصين المتفرغين) وهو رفض لمبدأ اشراك الشعب فىالقضاء المعروف فى بعض دول الغرب بالمحلفين والمعروف فى الدول الاشتراكية ٠٠ وكذلك رفض الانضمام للاتحاد الاشتراكى ٠

لم يتحرك الاتحاد الاشتراكى الحركة السياسية اللازمة لتهدئة القضاة والاقتراب منهم ، وتأجيل أى خطوة نحو ربطهم بالاتحاد الاشتراكى الىمابعد ذلك ٠٠ وانما بدأ كعادة أجهزة الامن يتوثب للانقضاض على اعداء قد لايكونون موجودين وانما يخلقهم خلقا ٠

وكان اتجاه الثورة وقتئذ يسمح باحتضان دعاة سيادة القانون ، بعد قرارات رفع الحراسة والعزل ومنع الفصل والافراج عن المعتقلين

وكذلك فان الجمعية العمومية لمستشارى محكمة اسـتئناف القاهرة المنعقدة يوم أول ابريل ١٩٦٨ قد اعترضت على بيان نادى القضاة عدا عضو واحد وأصدروا بيانا أعلنوا فيه ان بيان النادى يعتبر (خـروجا على حياد القضاء ومهمته) ٠٠ واعتبروا أن بيان ٣٠ مارس هو المعبر عن آرائهم ٠

كما ان مجلس القضاء الاعلى قد اجتمع برئاسة عادل يونس رئيـس محكمة النقض وتوجه أعضاؤه الى القصر الجمهورى حيث سـجلوا (تحيتهم وتقديرهم الى قائد النضال الوطنى الرئيس جمال عبد الناصر ٠٠ وأشادوا بما جاء فى بيان ٣٠ مارس من كفالة حصانه القضاء) ٠

كان ممكنا استغلال هذه المواقف والعمل على تصفية بذور الخـلاف النابتة فى أرض القضاء ٠٠ ليس بالاجراء الادارى ولكن بالعمل السياسى والمناقشة والاقتناع ٠

ولكن تطورت الامور بطريقة تدل على عجز الجهاز السياسى عن كسب ثقة المعارضين ٠

والموجود فى السلطة عنده دائما فـرص اكبـر للحوار والمنـاورة واتخاذ الاجراءات التى تتلاءم مع الظروف القائمة ٠

ولكن الاتحاد الاشـــتراكى ومحمد أبو نصير أكثر انتماء اليه من الانتماء الى رجال القضاء ، أهدر ذلك،وآثران يسلك سلوك أجهزة الامن فيقيم مجموعة من طليعة الاشتراكيين تضم بعض المقربين من رجال القضاء ليتحركوا بطريقة سرية ـ كما كان متبعا فى التنظيم حينذاك ٠

وانتهز البعض فرصة هذا التناقض فحاول ان يركب موجة الخلاف ليبدو فى مظهر المدافع عن حقوق المظلومين ٠٠ مثل حلمى مراد الذى كان

وزيرا وأفشى بعض مداولات مجلس الوزراء التى أقسم على سريتها . ولما وصل ذلك الى زميله محمد ابو نصير لم يجد سبيلا سوى كتابة تقرير ضده رفعه الى جمال عبد الناصر ، الذى استثاره ماحدث واعتبر أن مايقوم به بعض القضاة هو نوع من التخريب الذى صبر عليه سنة كاملة ، واصدر قرارا يوم ٩ يوليو ١٩٦٩ باعفاء حلمى مراد من منصبه الوزارى .

وقال لعلى نور الدين أثناء حواره معه (أنا هابص للجيش اللى بيحارب ولا لى عاوزين يعملوا لى ثورة مضادة فى الداخل) .

نعم .. كانت حرب الاستنزاف تقترب من ذروتها .

وكان ممكنا ان تكون هناك بذور ثورة مضادة فى مجال القضاء استغلتها بعض السفارات الاجنبية المعادية التى أعادت طبع بيان النادى .

ولكن القضاء عليها لم يكن أبدا باثارة الرأى العام حول فصل ١٨٩ قاضيا منهم رئيس محكمة النقض ورئيس مجلس الدوله ورؤساء لبعض محاكم الاستئناف .. والناس تحمل تقديرا خاصا للقضاة ولذا لايسهل اقناعهم بأن الاعتداء عليهم كان تفاديا لثورة مضادة .

والاجراءات الادارية كانت أسهل كثيرا بالنسبة لقيادة الثورة حتى بعد الهزيمة .

أصدرت اللجنة التى شكلها جمال عبد الناصر هذه القرارات التى خلقت ١٨٩ شهيدا فى المجتمع فى وقت كان يتساقط فيه الشهداء الحقيقيون على ضفاف القناة .

وهكذا أظهرت هذه التراجيديا السياسية التى ظهرت على المسرح واستمرت عليها التعليقات فترة طويلة ان قيادة الثورة لم تستفد كثيرا من خبرة الهزيمة .. وأن جمال عبد الناصر كان يائسا من المحيطين به الذين حولوا العمل السياسى الى صورة باهتة مما تقوم به أجهزة الامن ، ولم يحاولوا كسب مختلف الفئات بالعمل السياسى الناضج .

أسدلت الستار على هذه التراجيديا السياسية ، ولكنها ظلت حديث المجتمع .. تثبت ان بعض المعارك الداخلية التى لاتسيل فيها الدماء تكون أحيانا أشد تأثيرا من معارك القتال فى نفوس الجماهير .

ظهرت قرارات القضاء فى أول يوم من أيام سبتمبر ١٩٦٩ .. نفس اليوم الذى انطلقت فيه الحركة العسكرية فى ليبيا لتسقط حكم الملك السنوسى وتبنى الجمهورية العربية الليبية .. وذلك فى الوقت الذى كان مجتمعا فيه ملوك ورؤساء ومندوبو دول المواجهة فى القاهرة .. الملك حسين ونور الدين الأتاسى وهوارى بومدين وجعفر نميرى وحردان التكريتى .

وكان توافقا غريبا ..

سبقت حركة القضاء ، الحركة العسكرية الليبية بيوم واحد

وانتقل جمال عبد الناصر من تقارير محمد أبو نصير وأعضاء لجنة القضاء الى تقرير الفريق أول محمد فوزى الذى أعده مع رؤساء أركان دول المواجهة

والذى ينتهى الى خلاصة تقول بأن دول المواجهة تكون جاهزة للمعركة خلال ١٨ شهرا ٠

مسئولية التحرير تدخل مرحلة حاسمة من الجدية ٠ والحركةالعسكرية الليبية يمكن أن تمنح مصر عمقا استراتيجيا هائلا جهة الغرب ، كما منحتها الحركة العسكرية السودانية فى ٢٥ مايو من نفس العام عمقا استراتيجيا جهة الجنوب ٠

والاندفاع الى المعركة كان يمضى فى سرعة متزايدة ، منذ بدأت حرب الاستنزاف فى ٢ يوليو ١٩٦٩ كما قال لى الفريق أول محمد فوزى ٠

مرض عبد الناصر :

كان حارا صيف ذلك العام ٠٠ أمضى جمال عبد الناصر معظم الايام فى القاهرة قريبا من القيادة العامة للقوات المسلحة ٠٠ تعكر عليه أخبار الغارات الاسرائيلية المتزايدة الصفو والهدوء ٠٠ ويفقد بين حين وآخرضابطا من الشباب الذين اعتاد أن يلتقى بهم فى مناقشات التحضير للمعركة ،

قال لى اللواء حسن البدرى الذى عمل مستشارا عسكريا لجمال عبد الناصر ثم اشتغل فى ميدان الصحافة والتأليف بجريدة الاهرام ومركزها للدراسات الاستراتيجية ٠٠ ان جمال عبد الناصر كان يحضر ندوات للقيادات المسئولة لمناقشة أخطاء ودروس عدوان ١٩٦٧ ، ومتابعة آخر التطورات فى فن وتكتيك الحروب الحديثة ٠٠ وان المناقشة فى هذه الندوات كانت تتميز بالصراحة المطلقة الى حد مواجهه الذين أخطأوا عام ١٩٦٧ باخطائهم فى حضورهم ٠٠ وتحذيرهم من أى أخطاء جديدة

كان الجهد الذى يبذله جمال عبد الناصر أكثر مما يحتمله فرد حتى ولو كان فى عمر الشباب ٠٠ وجمال عبد الناصر كان قد تجاوز الخمسين.

وكان الاسلوب الذى اعتمد عليه فى نظام حكمه ينهض على أساس المركزية المطلقة ، والاعتماد الكبير على تقارير الأمن من شتى المصادر ٠

ولذا كانت تختلط أحيانا المواقف الوطنية الكبيرة ، بمواقف داخلية صغيرة ٠٠ وكان جمال عبد الناصر يلبس غالبا ثياب رجل الدولة المتمرس الذى تصقله التجارب والاحداث وخاصة بعد النكسة ٠٠ ولكنه أحيانا يظل فى ثياب البكباشى الذى يتعامل مع الآخرين فى حذر ، تؤرقه التقارير وتدفعه الى اتخاذ اجراءات لاتتناسب مع شخصيته البارزة ٠

لم يدرك جمال عبد الناصر أن أمنه الشخصى وأمن النظام ينبع اساسا من المواقف الوطنية والاجتماعية الصلبة والمتقدمة ٠٠ وانما ظلت المخاوف والهواجس تحيط به ، وتدفعه الى تصرفات لاتخدم فى المدى الطويل أمن النظام ولا تبعث فى أنصار الثورة الاطمئنان ٠

ولذا أصاب الارهاق جمال عبد الناصر ، وخاصة بعد تأثير مرض السكر عليه وتصلب الشرايين الذى عالجه فى أغسطس ١٩٦٨ بمصحة تسخالطوبو فى الاتحاد السوفييتى وكان مفروضا أن يعاود السفر الى هناك فى نفس الوقت من العام التالى ١٩٦٩

ولكن تلاحق الاحداث وزحمتها .. واختلاط المسئولية العسكرية مع تخوفات الامن ، والحذر الشديد من الاشخاص المقربين اليه وخاصه بعدما لمسه من صراع بين الشخصيات البارزة حوله .. وما كشفه من ضغوط في انتخابات الاتحاد الاشتراكي كانت لاتخرج عن طاعته ، ولكنها لاتمثل كامل ارادته ، وتظهر له عنصر منافسة يبدو كبرعم صغير أمام شجرة باسقة .

كل هذه الاحداث .. والاخبار اليومية المتلاحقة عن حرب الاستنزاف ومؤتمر قمة دول المواجهة ، وحركة الفاتح من سبتمبر فى ليبيا .. أحاطت عبد الناصر بجو من القلق والتوتر

وصل هذا القلق ذروته يوم ٩ سبتمبر ١٩٦٩ عندما هاجم الاسرائيليون الزعفرانة كما أوضحت في الباب السابق

وفى يوم ١٠ سبتمبر سقط جمال عبد الناصر فى القاهرة فريسة أول ذبحة صدرية واستدعى الى منزله في هذا اليوم كلاً من أنور السادات والفريق أول محمد فوزى وشعراوى جمعة وأمين هويدى ومحمد حسنين هيكل وسامى شرف حيث شكلت منهم لجنة للاشراف على شئون الدوله خلال فترة المرض التى منع فيها الاطباء جمال عبد الناصر عن الحديث أو الحركة أو مباشرة آية مسئولية .

ويلاحظ أن على صبرى لم يستدع لعضوية هذه اللجنة .

ولم تقتصر العناية الطبية على المصريين .. حضر الى القاهرة الطبيب السوفييتى الدكتور شازوف أخصائى أمراض القلب الذى نصح بالغاء رحلة عبد الناصر الى تسخالطوبو .. فلم يعد القلب يحتمل .. ونصح بالبقاء فى الفراش لمدة ستة أسابيع مع ابطال التدخين والبعد عن التوتر ، ونشرت الاهرام خبر حضوره يوم ٢١ سبتمبر .

كانت تعليمات الأطباء تعنى النهاية لكل مايحب عبد الناصر . . . مباشرة المسئوليات المختلفة بنفسه ، ومقابلة الشخصيات السياسية والتدخين أيضا .

وبقى المرض سرا لايذاع مما اضطر جمال عبد الناصر الى مقابلة بعض الشخصيات وهو في فراش المرض مثل بهجت التلهونى رئيس وزراء الاردن الذى هدد بالاستقالة اذا لم يقابل عبد الناصر وبابكر عوض الله الذى كان جعفر نميرى يدبر خطة لاخراجه من الوزارة وكان عبد الناصر يريد منه أن يكون صبورا فيقبل منصب وزير العدل الذى أعده له نميرى بعد أن كان نائبا لرئيس مجلس قيادة الثورة .

بقى الدكتور شازوف عشرة ايام فى مصر عاد بعدها الى موسكو .

ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ان جمال عبد الناصر قد اتصل به تليفونيا فى اليوم الثالث لمرضه .. وانه لم ينفذ تعليمات الأطباء بالبقاء ستة أسابيع فى الفراش فعاد الى ممارسة عمله فى أواخر سبتمبر .

ويقول أمين هويدى ان عبد الناصر لم ينقطع انقطاع المرضى عن مباشرة العمل ، فقد ظل على اتصال مستمر به .

ويقول شعراوى جمعة انه كان حريصا على عدم الاتصال بجمال عبد الناصر خلال هذه الفترة ، ومع ذلك كان يتلقى منه مكالمات تليفونيه تحمل تعليماته وتوجيهاته ٠

وخلال الفترة القاسيه للمرض ودون أن تعرف الجماهير شيئا عن الحالة الصحية للزعيم فوجىء القراء صباح يوم ٢١ سبتمبر بأخبار مثيرةفى جريدة الاهرام تقول ان وكالات الانباء الغربية تروج ان على صبرى كان يعد لانقلاب في مصر ، وان الاتحاد السوفييتى كان ضالعا فيه ٠

وكانت الاهرام نفسها قد نشرت قبل ذلك بيومين أن لجنة التنظيم للاتحاد الاشتراكى تجتمع (غدا) للبحث فى موضوعات يتحتم البحث فيها قبل المؤتمر القومى ٠

ونشرت صحيفة الاهرام تفسيرا لما حدث جاء فيه ان على صبرى قد حمل أمتعة كثيرة في طريق عودته من موسكو خلال شهر يوليو وانها خرجت فى أحد لوريات الاتحاد الاشتراكى ، ولم تدفع عنها جمارك ٠

وقالت الاهرام ان تحقيقا قد بدأ فى هذه الواقعة ٠٠ وأن على صبرى قدرأى أن يدفع كل المطلوب منه للجمارك حتى على الامتعه التى لا تخصه شخصيا ، وأن يضع استقالته تحت يد جمال عبد الناصر من جميع مناصبه ٠

وأصدر جمال عبد الناصر قرارا بأن يتولى شعراوى جمعة أمانة اللجنة التنظيمية بدلا من على صبرى الذى استمرت عضويته فى اللجنة التنفيذية العليا ٠

ونشرت الاهرام صورة للجنة الدائمة للاتحاد الاشتراكى برئاسة أنور السادات وحضور على صبرى وعبد المحسن ابو النور ولبيب شقير ٠ وضياء الدين داود وشعراوى جمعة ٠٠ وذكرت أن كمال ستينو لم يحضر لوجوده فى بلغاريا ٠٠ وفى هذا الاجتماع تقرر قبول استقالة على صبرى وتعيين شعراوى جمعه بدلا منه ٠ الامر الذى أقرته اللجنة المركزية فى أول اجتماع لها بتاريخ ٤ فبراير ١٩٧٠ ٠

كانت الاجراءات التى اتخذت ضد على صبرى دليلا على ان ثقة جمال عبد الناصر فيه قد تبددت نهائيا ٠ وانه آثر تحطيمه بفضيحة تتصل بالسلوك ٠٠ وهو الامر الذى يثير مشاعر الجماهير ٠

كان الاجراء مدبرا ومتعمدا ومثيرا لاكثر من علامة استفهام

هل نجح أحد فى اثارة جمال عبد الناصر ضد مدير مكتبه الصامت والمخلص له طوال سنوات الثورة ؟

هل ارتكب على صبرى عملا أثار شكوك عبد الناصر لانه لم يبلغه عنه ؟

هل علت موجة احتجاج الذين سقطوا فى انتخابات الاتحادالاشتراكى حتى جرفت المسئول الاول فيه ؟

هل صدق عبد الناصر ماقاله البعض من أن على صبرى كان يروج لخلافته وخاصة بعد مرضه ؟

هل أثر المرض على قرارات جمال عبد الناصر فجعلها تصدر في صورة عصبيه ؟

المؤكد ان الحدث في ذاته ـ أي تمرير بضائع دون دفع جمارك ـ لم يكن ليؤدي الى هذا الاجراء العنيف ·· فكثير من ضباط الثورة والمقربين من السلطة قد قاموا بذلك بصورة معروفة ومتكررة

ولم يعرف عن جمال عبد الناصر انه حاسب واحدا من زملائه في المجلس على عدوانه على الاموال العامة

كما لم يعرف عنه انه قد اتخذ من التشهير العلني سلاحا للقتل ·

ولم يكن أكثر الناس اقترابا من السلطة يتصور ان على صبرى يمكن أن يعامل فجأة هذه المعاملة الفظة

قال لى أمين هويدى انه عندما عرف النبأ اتصل بجمال عبد الناصر قائلا له في دهشة : (والله أنا مانا عارف حاجه) ·

وقال جمال عبد الناصر : (احسن)

واستأذن هويدى في زيارة على صبرى مع شعراوى جمعه ، ووافق عبد الناصر على ذلك

وعندما ذهب الاثنان الى زيارته كان هناك طبيب القلب اللواء رفاعى كامل الذى ذهب لعيادته خوفا عليه من آلام ربما كانت من معاودة الذبحة المتدربة له وهى التى أصيب بها أثناء عودته جوا من رحلة الى نجع حمادى عقب الغارة الاسرائيلية عليها قبل ذلك بشهور ·

وفي هذه الزيارة كان على صبرى فى غاية الضيق ·· يكيل السباب بلا حساب ·· وتستبد به الدهشة من هذه المعاملة الشاذة ·

طبعا لم يكن استغلال النفوذ أو التهرب من الجمارك هو السبب في توجيه هذه الضربة القاضية للشخصية السياسية المؤهلة لقيادة العمل السياسى ··

ويقول البعض ان ذلك كان نتيجه لما حدث فى امانه القاهرة عندما تقدمت فنانة معروفه متزوجة من أحد الصحفيين بتقرير قالت فيه ان بعض أعضاء أمانة القاهرة يتهجمون على جمال عبد الناصر

وأصدر عبد الناصر أوامره باخراج أمين عز الدين وسامى الليثى من أمانة القاهرة ، وكذلك اخراج عبد المجيد فريد من أمانة رئاسة الجمهورية، وقصر عمله على الاتحاد الاشتراكى ·

وذهب عبد المجيد فريد الى على صبرى يطلب منه أن ينفذ الامر فى هدوء وعلى مراحل ، وليس دفعة واحدة ، ووافقه على صبرى على رأيه ·· ولكن الامر بعد ذلك وصل الى جمال عبد الناصر وكأنه يكسر أوامره

ولعل خلافات سامى شرف (التحتية) مع على صبرى كانت سببا فى تجسيد هذه القضية ·

وقال لى شعراوى جمعة ان صورة على صبرى ربما تكون قد اهتزت أمام جمال عبد الناصر عندما أبلغه حسين الشافعي بواقعة الجمارك والتى عرفها من شقيقه الذى كان يعمل فى الاتحاد الاشتراكى والتى تتلخص فى

أن سكرتير علي صبري مصطفى ناجي قد اتصل تليفونيا من موسكو وطلب عربة لوري تنتظر في المطار لحمل الحقائب الكثيرة ، والاتصال بشركة مصر للطيران لتدفع العفش الزائد.

ويقول شعراوى ان علي صبرى عندما علم بأن سكرتيره قد أرسل الاشارة طلب الغاءها ·· ولكن بعد فوات الاوان ·

ولما استثارت هذه الواقعة التي أبلغها حسين الشافعي حفيظة جمال عبد الناصر طلب شعراوى جمعة مقابلته للتحدث معه في هذا الموضوع قبل ظهوره في صحيفة الاهرام ·· ويقول ان عبد الناصر كان غاضبا وكان يردد (ان علي صبرى كان يعمل لي والآن يعمل معي) ·· وكان بذلك قد تجاوز حدودا رسمها عبد الناصر له ·

صدر قرار (كسر) علي صبرى بعد آن كانت الظروف قد أقصت من أمامه عددا من أخطر المنافسين ·

انتحر المشير عبد الحكيم عامر ، وهو الذى لم يقتنع يوما بأهميه الاتحاد الاشتراكي ، والذى اتخذ موقف العداء من منظمة الشباب التي أنشأها علي صبرى ·

واستقال زكريا محيي الدين وهو الشخصية المؤهلة بعد عبد الناصر في تاريخ الثورة لتكون (رجل دولة)

كان الطريق ممهدا أمام علي صبرى ليؤدى دور الرجل الذى لانقدر المنافسة علي النيل منه

ولكن أنور السادات وحسين الشافعي ومحمد حسنين هيكل كانوا من الشخصيات التي لاتقبل من علي صبرى أداء دور أكبر من طاقته ·· كما أن شعراوى وسامي شرف كانا لايريدان الذوبان في شخصية علي صبرى

كان التنافس واضحا ، وصراع القوى لايهدأ

ولم يكن اخراج علي صبرى – في يقيني – رد فعل لحادث الجمارك ،فقد سبق ذلك تغييرات تعتبر مؤشرا لنية جمال عبد الناصر

كان قد أعاد حسن التهامي سفير مصر في فينا لمدة سبع سنوات للعمل مستشارا له ثم أمينا لرئاسة الجمهوريه في ١٥ يوليو ٦٩ بدلا من عبد المجيد فريد الشخصية القريبة من علي صبرى أيضا ، والذى ظل معذلك في موقعه أمينا للاتحاد الاشتراكي بالقاهرة ، وسكرتيرا لجلسات مجلس الوزراء ·

وحسن التهامي هو أحد الضباط الاحرار الذين كانوا يعملون في ادارة المخابرات الحربية قبل الثورة ، وكان في نفس الوقت مقربا منجمال عبد الناصر ·· اشترك معه هو وحسن ابراهيم وكمال رفعت في محاولة اغتيال اللواء حسين سرى عامر قبل أسابيع من قيام حركة الجيش ·

وقد أبعد الى فينا بعد صدور قرارات يوليو ١٩٦١ لموقفه المضاد لها حيث كان يعتبر ان مثل هذه الاجراءات تعتبر انحرافا نحو الماركسية بعيدا عن الاسلام ·· علي حد تصريحه بذلك فيما بعد ·

ولذا كان استدعاء جمال عبد الناصر له وتعيينه فى هذا المنصب الحساس بدلا من شخصية كانت تؤدى دورا بارزا فى العمل السياسى ـ عبد المجيد فريد ـ كان الاستدعاء يعتبر مؤشرا ودليلا على تغيير كان يختمر فى صدر جمال عبد الناصر ٠

ربما أسرع المرض فى اخراج قرار على صبرى الى العلانية ٠

ولكن الموقف فيما يبدو لم يكن قاصرا على على صبرى وحده ، ولكنه تجاوزه الى المرتبطين به ارتباطا سياسيا ٠٠ الامر الذى يعطى أبعادا جديدة للموقف ، رغم محاولة الاهرام تفسير ذلك بأنه تم نتيجه امور اداريه ٠

صدر قرار أيضا فى نفس اليوم ٢١ سبتمبر ١٩٦٩ باقصاء رئيس مجلس ادارة أخبار اليوم محمود أمين العالم ، ولم يعين أحد بدلا منه

الذى كلف من عبد الناصر بتنفيذ الامر ٠٠ كان انور السادات الذى اعتمد على احسان عبد القدوس وموسى صبرى ٠٠ وبقى اسم محمود أمين العالم مكتوبا على صحف الدار ببنط صغير لايكاد يقرأ الى أن عين رئيسا لمؤسسة المسرح ٠

كان أنور السادات قد بدأ يؤدى دورا متزايدا فى الحياة السياسية ٠ ولم يعد له بين الرسميين من أعضاء مجلس الثورة منافس سوى حسين الشافعى الذى ظل محتفظا بموقفه الفكرى الذى لم يتطور مع تطور الثورة

مثل أنور السادات مصر فى اجتماع القمه الاسلامى فى الرباط ٠٠ يوم ٢١ سبتمبر ١٩٦٩ ٠

وفى يوم سفره نشرت صورته وهو يرأس اللجنة الدائمة بحضور على صبرى فى آخر اجتماع له بعد استقالته ٠

ومما يذكر انه قد حدث خلاف فى هذا المؤتمر حول تمثيل الهند التى سبق ان وجهت الدعوة الى رئيس جمهوريتها فخر الدين على أحمد ولكن المؤتمر رفض قبول تمثيله رغم سفره للمغرب ٠

وكانت هذه هى المرة الاولى بعد الهزيمة التى يقوم فيها أنور السادات بتمثيل مصر فى مؤتمر دولى تحضره ٢٥ دولة يمثل عشرا منها الملوك والرؤساء ٠

كما قام جمال عبد الناصر بتكليف أنور السادات بعمل اجتماعات أسبوعية مع السفير السوفيتى سيرجى فينوجرادوف لمناقشة القضايا السياسية والتعرف على أبعادها ، ونقل صورة عنها الى جمال عبد الناصر حسب قوله فى تصريحات مختلفة

وهكذا دخل أنور السادات فى دائرة المسئولية العليا للعمل السياسى وخاصة بعد أن اقتصر عمله على اللجنة التنفيذية العليا بعد حل مجلس الامة فى ٧ نوفمبر ١٩٦٨ بعد انتهاء اجتماعات المؤتمر القومى فى دورته الثانية وتغيير تعريف العامل والفلاح ، قبل ان تنتهى مدته الرسمية بعدة أشهر ٠

جرت انتخابات المجلس الجديد يوم ٩ يناير ١٩٦٩ وتغيرت معالم

المجلس الجديد فقد نجح من الاعضاء القدامى ٩٢ نائبا من ١١٧ رشحوا انفسهم ٠

وتغيرت التركيبة الاجتماعية للمجلس ٠

وفى عام ١٩٦٤ كان هناك ٧٥ عاملا ، ١٠٨ فلاحين أما فى مجلس ١٩٦٩ فقد نجح ١١٩ عاملا ، ٦٤ فلاحا ٠٠ وكان هذا دليلا على أن فرص النجاح قد أصبحت أقل للفلاحين الذين يملكون أقل من عشرة فدادين حسب التعريف الجديد للفلاح ٠

كما نجح ٢٣ نائبا من المنتمين للاتحاد الاشتراكى باعتبار ذلك شرطا للترشيح ولكنهم لم يكونوا من مرشحى قيادة الاتحاد الاشتراكى

وانتخب لبيب شقير رئيسا للمجلس الجديد ٠٠ وتفرغ السادات للمهام السياسية وكلف انور السادات بالسفر مع محمود رياض وزير الخارجية وفريق أول محمد فوزى الى موسكو يوم ١٢ ديسمبر ١٩٦٩ لمناقشة القادة السوفيت فى بعض القضايا السياسية والعسكرية ٠

أذكر اننى التقيت به قبل سفره وطلب منى اعداد ورقة له عن (لينين وقضايا التحرر الوطنى) لانه ينوى مناقشة كادر الحزب الشيوعى السوفييتى فى موقف الشرق الاوسط ٠ وأعددت له بحثا مختصرا حول هذه القضية ٠

وبعد أيام من عودته وبعد ثلاثة شهور من اقصاء على صبرى ، وفى يوم سفر جمال عبد الناصر بعد شفائه الى مؤتمر الرباط يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٦٩ ، طلب عبد الناصر من أنور السادات وهو فى منزله ليرافقه الى المطار أن يحلف اليمين القانونية نائبا لرئيس الجمهورية ،

قال لى حسين الشافعى انه كان حاضرا وقت حلف اليمين الذى تم بطريقة مفاجئة له ودون حضور مصور أو اتخاذ أى اجراءات رسمية ٠٠ هذا رغم أن جمال عبد الناصر قد أبلغهما فى الليلة السابقة أنه سيعين نائبا لرئيس الجمهورية دون تحديد اسمه ٠

ويقول محمد حسنين هيكل الى فؤاد مطر فى كتابه (بصراحة) ان عبد الناصر عندما عين أنور السادات نائبا له كان بسبب معلومات وصلته ومفادها ان هناك مؤامرة لاغتياله فى الرباط خلال مشاركته فى مؤتمر القمة العربى الخامس ٠٠ وهو مارواه لهيكل فى الطائرة ٠

سواء صح خبر المؤامرة أم لم يصح فقد اختار جمال عبد الناصر من بين زملائه أنور السادات ليكون نائبا له ، وبالتالى يكون أقرب المرشحين لرئاسة الجمهورية فى حالة وقوع القدر ٠

ولم يقتصر دور انور السادات على الشئون الخارجية فقط ، ولكنه اصبح الشخصية الرئيسية فى اللقاء مع الجماهير .. عقد فى شهر يناير ١٩٧٠ اجتماعين مع قيادات الاتحاد الاشتراكى بالوجه القبلى والوجه البحرى حضرها عبد المحسن أبو النور ولبيب شقير وضياء داود وشعراوى جمعة ٠

ولذا فقد وافقت اللجنة المركزية دون تعقيب فى اجتماعها يوم ٤ فبراير ١٩٧٠ على استقالة على صبرى من امانة لجنة التنظيم واستبداله بشعراوى جمعة .. وذلك لما لمسته من تغيير فى اهمية الادوار التى يلعبها المحيطون بعبد الناصر .

وكان من أهم مظاهر معركة الصفوف الخلفية ما يرتبط بالناحية الاقتصادية والاتجاهات التى فرضتها الهزيمة :

أولا ــ اصطدمت قضية التنمية المخططة منذ نهاية الخطة الخمسية الاولى بمشكلات حادة منها : أزمة شديدة فى النقد الاجنبى منذ عام ١٩٦٣ وصلت لأقصى حد عام ١٩٦٥ بقطع اتفاقيات القمح الامريكية والاضطرار لاستيراد القمح والدفع بالعملات الحرة (٦٠ مليون دولار سنويا) ثم هجوم القوى المحافظة على التجربة ورفض أسلوب التنمية المخطط • واستجابة نظام الحكم جزئيا لهذه الدعاوى وتأجيل الخطة الخمسية الثانية (وضع خطة لمدة سنتين انكماشية مع وزارة زكريا محيى الدين ورفع أسعار بعض السلع الغذائية مثل الارز)

وأخيرا بدء تقديم بعض التنازلات للرأسمالية الزراعية برفع أسعار السلع الزراعية •

ثانيا ــ ارتفع الناتج القومى الاجمالى فيما بين عامى ١٩٥٢ وحتى ١٩٦٥ بمتوسط ٥٪ • ارتفع مابين عامى ١٩٥٥ و١٩٦٥ بمتوسط ٦ ٪ سنويا ثم توقف الارتفاع فى عام ١٩٦٥ وأخذ فى الهبوط وبخاصة بعد حرب يونيو سنة ١٩٦٧ •

ثالثا ــ حدث تدهور مطلق فى حجم الاستثمار الحقيقى بعد عام ١٩٦٥ وتأكد هذا الاتجاه الانكماشى بعد حرب يونيو ١٩٦٧ • وهكذا تعثرت التنمية الاقتصادية منذ منتصف الستينيات وارتفع الدين الخارجى وأصبح التمويل الخارجى أكثر صعوبة فاضطر النظام لتخفيض الواردات وأصاب التخفيض مستلزمات الانتاج أساسا مما أضر بالصناعة • أما قيمة الواردات الغذائية فقد ارتفعت نتيجة لارتفاع أسعارها أساسا بمعدل ١١٫٥٪ سنويا فيما بين عامى ٦٤/٦٥ وعامى ٦٦/١٩٦٧ كما ارتفعت أيضا نتيجة للتوسع فى استيرادها اسكاتا لأصوات الطبقة الجديدة الساخطة •

رابعا ــ بعد الهزيمة كان لابد من تمويل انفاق عسكرى متزايد • وكان أمام الحكومة أسلوبان : اما الحد من الاستهلاك وخاصة للطبقات القادرة وتخفيض الاستهلاك العام المدنى واما الاقتطاع من مخصصات الاستثمار • وقد اختارت الحكومة البديل الاسهل فنيا وسياسيا عن طريق التخفيض فى الموارد الاستثمارية ودون المساس بالاستهلاك الخاص والعام المدنى لتمويل عبء الزيادة فى الانفاق الحربى • فتحمل الاستثمار «عبء المعركة» وهو بديل يحافظ على مصالح البرجوازية أساسا •

وقد انخفض الاستثمار عام ١٩٦٨ بمعدل ٥٠٪ عن مستواه سنة ١٩٦٧ واستمر الانخفاض بعد ذلك • وقد ترتب على الانخفاض المستمر فى حجم الادخار والاستثمار الانخفاض فى معدل تكوين الطاقة الانتاجية وبالتالى الانخفاض فى معدل زيادة الناتج القومى •

خامسا ــ انخفض الدخل الحقيقى للفرد فى العام الاول بعد الهزيمة بنسبة ٧٫٥٪ وتدهور استهلاك السلع الغذائية الاساسية (بالرغم من

المعونات الخارجية الكبيرة من الدول الاشتراكية بعد عام ١٩٦٧ لسند النظام المصرى) وانخفض متوسط نصيب الفرد اليومى من السعرات الحراريه من ٢٩٤٢ سعرا عام ٦٤/٦٥ الى ٢٨٩٦ سعرا عام ٦٨/٦٩ وانجهت الاسعار للارتفاع . ومن جهة أخرى تضاعفت أرباح الرأسمالية فزائد عوائد التملك بمعدل ٦٫٨٪ فى العام الاول بعد الحرب ثم بمقدار ١١٫٣٪ فى العام الثانى وزادت أرباح التجار ومقاولى الباطن بنسبة ٣٩٪ ثم ٧٨٪ فى أعوام ٦٨/٦٩ و٦٩/٧٠ على التوالى . وهكذا فان التضحية تحملها أساسا الشعب العامل من استهلاكه .

سادسا ـ ان النمط الجديد لاستخدام الموارد بعد ١٩٦٧ لم يقتصر على الموارد المحلية بل امتد ليشمل موارد النقد الاجنبى النادرة . فقد تمت التضحية بموارد النقد الاجنبى المتاحة للاستثمار والاستهلاك الوسيط (أى مستلزمات الانتاج) اللازمة لتشغيل الطاقة الانتاجية فى المجتمع وقد ترتب على ذلك انخفاض الواردات من السلع الرأسمالية مما ترتب عليه انخفاض معدل زيادة الطاقة الانتاجية .

وانخفاض حجم الواردات من مستلزمات الانتاج مما ترتب عليه انخفاض تشغيل الطاقة الانتاجية القائمة وظهور الطاقة العاطلة فى كثير من الصناعات ووصلت الى مايزيد عن ٦٠٪ من الطاقة الانتاجية لبعض الصناعات مثل الصناعات الكيماوية والهندسية وصناعة الادوية .

وقد ترتب على ماسبق انخفاض معدل نمو الانتاج الصناعى من ٨٫٥٪ سنويا خلال فترة الخطة الخمسية الاولى الى ٢٪ سنويا خلال الفترة من ١٩٦٨ الى ١٩٧٣ .

ولقد ترتب على العبء الدفاعى والوفاء بالاحتياجات الاستهلاكية ـ نتيجة لعجز الانتاج الزراعى عن الوفاء بمتطلبات الزيادة عن الطلب على المواد الغذائية ـ أن وقع عبء مواجهة هذه المستلزمات على الواردات مما ترتب عليه الازدياد فى عجز ميزان المدفوعات وذلك لعدم قدرة الحكومة على وضع خطة لاستخدام القطاع الصناعى وتوجيهه لخدمة أغراض الدفاع . (نودى بقوة فى ذلك الوقت من جانب القوى الوطنية بوضع نظام لاقتصاد الحرب ولم تحاول الحكومة الاستجابة لهذا الامر أبدا الا فى حدود شكلية وذلك لعدم استعدادها لتحميل الطبقات القادرة بأى تضحية بحجة جماعية التحالف الوطنى) .

وكان يواجه هذا الاتجاه الانكماشى الذى قاوم ضرورة فرض اقتصاديات حرب .. اتجاه آخر لتنمية السلع الوسيطة .. والاتفاق على اقامة مجمع الحديد والالمونيوم ..

كان جمال عبد الناصر هو الراغب فى اقامة مشروعات صناعية كبيرة تبدد وهم الانحسار الكامل ، وتدفع الطاقة الانتاجية للامام : كما قال لى وزير التخطيط .

وهكذا تحددت معالم الصراع بعد الهزيمة فى الناحية الاقتصادية .

وكان هناك صراع آخر ..

لم تحسم المعركه بين (مماليك السلطه) اذا صح التعبير لمصلحه شخص دون الاخرين .

كان جمال عبد الناصر يلعب لعبة التوازن بمهارة اكتسبها من أسلوب قيادته خلال السنوات السابقة

عاد على صبرى للظهور من جديد ، بعد أن كانت صوره وأخباره قد اختفت من الصحف تماما .

كان الاحتفاظ به عضوا في اللجنة التنفيذية العليا دليلا على أن له دورا يمكن أن يؤديه في مرحلة قادمة .. وان وجوده مهم في نجاح لعبة التوازن .

ظهر على صبرى فى حفل افتتاح الدورة البرلمانية يوم ٦ نوفمبر وهو يستقبل عبد الناصر واقفا بعد أنور السادات وحسين الشافعي .

وكان عبد الناصر قد عاد لممارسةعمله الطبيعي واستقبال الشخصيات السياسية .. وأول صورة ظهرت له كانت مع الرائد عبد السلام جلود عضو مجلس قيادة الثورة الليبية يوم ٢٣ اكتوبر ١٩٦٩ .

وفى خطبتة أمام مجلس الامة تحدث جمال عبد الناصر لاول مرة عن (لجنه المواطنين من أجل المعركه) ، وقال وفى ذهنه تصاعد حرب الاستنزاف (اذا كان العدو لايملك أن يخسر معركة . فنحن لم نعد نملك ان نخسر معركة) .

وعقب عودة عبد الناصر من رحلته السرية الى موسكو التى قام بها يوم ٢٢ يناير ١٩٧٠ دعا الى مؤتمر قمة لدول المواجهه عقد فى القاهرة يوم ٨ فبراير ١٩٧٠ حضره جعفر نميرى ايضا .. وتشكل الوفد المصرى من حسين الشافعى وعلى صبرى

ويوم ٢٦ ابريل ١٩٧٠ حدث تغيير جديد فى مواقع السلطه .. تغيير فوجىء به أقرب الناس الى عبد الناصر ، فقد حدث تغيير وزارى عين فيه كل من حسن التهامى وسعد زايد وسامى شرف وزراء دولة ، كما عين محمد حسنين هيكل وزيرا للارشاد .

وعين أيضا حافظ اسماعيل رئيسا لهيئة المخابرات العامة بدلا من أمين هويدى الذى اقتصر عمله على وزارة الدوله ، وأصبح محمد فايق وزير دولة للشئون الخارجية

كانت هذه التغييرات تظهر اتجاها جديدا لشراع السلطة .. محمد حسنين هيكل لم يكن راغبا فى منصب وزارى . وكان مكتفيا بدوره رئيسا لتحرير الاهرام وصديقا مقربا من رئيس الجمهوريه .. وعندما حاول الاعتذار عن عدم القبول رفض جمال عبد الناصر ، وارتضى له أن يجمع بين المنصبين بصفة استثنائية .

ولم يقف التغيير عند هذا الحد .. عاد على صبرى الى موقع هام فى الاتحاد الاشتراكى .. أنشئت فى نفس اليوم لجنة سادسة منبثقة عن اللجنة التنفذية العليا هى (اللجنة الدائمة للشئون الخارجية) وانتدب

على صبرى أمينا للجنة الجديدة ·· وبعد ذلك عين على صبرى فى منصب فريق بالقوات الجويه ·· ولكن حرص جمال عبد الناصر على ان يؤكد لمحمد فوزي انه منصب شرفى ليسب له أيه أقدميه ، وأن يوجه نظره الى الحذر من ناحيه مرور على صبرى على القوات الجويه ·

لعبه التوازن لاتحتمل السكوت الطويل ·· وعودة على صبرى مقلم الاظافر تشير الى ان له دورا ، ولكنه ليس دور البطوله ·· وربط هيكل بالوزارة يضعف من قدرته على الحركه والمناورة ويضعه تحت سلطه الرقابه الشعبية فى مجلس الامة · وينهى فرصته فى نقد أجهزة الاعلام الامر الذى أطاح بمحمد فائق بعيدا عنها ·

وحدث خلال هذه الفترة أن ظهرت صراعات المماليك بصورة غريبة ·· فقد سجلت أجهزة الامن حديثا دار فى شقه لطفى الخولى رئيس تحرير (الطليعة) ونوال المحلاوى السكرتيرة الشخصية لهيكل والسيدة صاحبة النفوذ فى المؤسسة . وهما يتبادلان مع بعض الاصدقاء حديثا حول تعيين هيكل وزيرا ، يجمع بين نقد الاجراء منسوجا ببعض السباب·· واصدر عبد الناصر أوامره باعتقال لطفى وزوجته ونوال المحلاوى ·· واستمر الاعتقال عدة شهور ·

وكان ذلك الاجراء صدمة لهيكل ، واضعافا لمركزه ، فهو لم يستطع أن يفعل شيئا للمعتقلين وهم من أقرب الناس اليه ·· ولكنهم ضبطوا متلبسين بتهمة الهجوم على رئيس الجمهورية الذى يضم هيكل فى كنف حمايته ·

ولذا كان موقفه حرجا ·· وتدخله شديد الحساسيه ·

ويتضح من ذلك أن جميع الاقوياء فى هذا الوقت لم تكن الارض ثابته تحت أقدامهم ·· فلم يكن أحد منهم يستمد سلطته الا من الزعيم الذى كثيرا ماكان يوجه لهم كلمات النقد سواء فى حضورهم او غيابهم

هكذا كانت تبدو معركة الخطوط الخلفيه ·· لم أشأ أن أدخل فى فرعياتها وجزئياتها وتفاصيلها ·· مكتفيا بتوضيح هذا القدر الذى يؤكد ان التجانس والتنسيق كان غائبا فى دائره السلطه العليا

ولكن معركة الخطوط الخلفيه لم تكن (صراع مماليك) فقط ·· فقد دفعت الهزيمة بالمعركة الى خارج حدود السلطه ، وأصبحت تعبر بصورة أكثر وضوحا عن (صراع طبقات) ظل هادئا أو مكبوتا خلال فترة ماقبل الهزيمة التى حفلت بتغيرات اجتماعية ملحوظه ·

كان صراع المماليك فى دائرة السلطه يعبر عن تناقضات وخلافات شخصية اكثر مما يعبر عن مواقف طبقيه واجتماعية ·· كان الجميع ينتمون الى الطبقة نفسها التى ينتمى اليها جمال عبد الناصر (البرجوازية الصغيرة) ولكن مواقعهم فيها تختلف ·· البعض أكثر اقترابا للطبقة العاملة والفلاحين والبعض معبر عن مصالح طبقته خير تعبير ، والبعض تجذبه اغراء البرجوازية الكبيرة بكل ماتحفل به حياتها من بريق ·· ولكنهم فى النهاية أبناء طبقة واحدة ، تجمعهم رؤية واحدة ، قد تكون محدودة وضيقة عند البعض ·وأكثر اتساعا وشمولا عند البعض الآخر .

وقد وضحت هذه الظاهرة تماما فى المجالات القياديه للاتحاد الاشتراكى الذى كان يعتبر اكثر أجهزة السلطة تقدما ويسارية ٠٠ فلم يكن بين أعضاء اللجنة التنفيذية العليا عامل أو فلاح ٠٠ ولم يحتفظ بهذه النسبه فى المكاتب التنفيذية بالمحافظات وخاصة القاهرة والاسكندرية ـ رغم أن ذلك لايعتبر مؤشرا فى ذاته على القدرة القياديه عند العامل او الفلاح دون تأهيل ونضج سياسى ٠

لم يكن التحالف قائما على أساس الثقل والوزن الطبيعى للطبقات التى يمثلها المجتمع ٠٠ ولكنه كان تحالفا يتحرك بقبضة الطبقه الوسطى للسيطرة على بقية الطبقات.

ولذا فان الخلافات التى بدأت تظهر بين الشخصيات الكبيرة على مسرح الثورة لم تجذب الجماهير اليها ، ولم ينفعل بها احد من المشاهدين كانت كل الشخصيات تتحرك من موقع السلطة دون اعتماد أو ارتباط مع الجماهير ٠

ولم يكن على صبرى مختلفا عن الآخرين ٠٠ فانه رغم تأثيره ونفوذه فى الاتحاد الاشتراكى وارتباط عدد من قادته به شخصيا ٠٠ الا أنه لم يكن شخصية جماهيرية ٠٠ ولذا فان الاجراء العنيف الذى اتخذ ضده فى سبتمبر ١٩٦٩ لم يحرك أحدا للدفاع عنه ٠٠ ونظر الناس اليه على أنه ضربة خاطئة تحت الحزام وجهت اليه فى مباراة للملاكمة ، سرعان ما ينفض الناس عنها ويعودون الى بيوتهم

ولكن معركة الخطوط الخلفية ٠٠ لم تكن محصورة فى حدود(صراع المماليك) ٠٠ كانت فى مضمونها الحقيقى معركة بين أنصار التقدم ٠ وبين المحافظين والرجعيين ٠٠ معركة فى داخل دائرة السلطة وخارجها

كانت الرجعية تتربص بالثورة المهزومه المثخنه بالجراح ٠ تعمل على أن تنزف دمها لتسقط منهية دورها التاريخى كما أرادت اسرائيل والامبريالية ٠٠ وكانت قوى اليسار والتقدم تناضل من اجل استمرار الثورة مع فصد دمها الفاسد ٠

وكان جمال عبد الناصر يمارس لعبة التوازن بمهارة ، بين مماليك السلطة ٠٠ وبين القوى الاجتماعية المختلفه ٠

وكان فى هذه الممارسة (سجينا لتاريخه) ٠٠ أى انه لم يكن قادرا على التراجع بأهدافه الى حد اسقاطها منحازا لليمين ٠٠ بل ظل مدافعا عن أفكاره وعقائده مستلهما الظروف التى يمكن ان تنقذ ثورته ٠

وفى نفس الوقت لم يندفع جمال عبد الناصر الى اليسار ليصبح فيديل كاسترو آخر فى العالم الثالث

لم يكن واقعه ٠٠ ولم تكن ظروف مصر تسمح بذلك

حدثت الهزيمة فى مصر ٠٠ والاحزاب الشيوعية قد حلت نفسها وارتضت قيادة جمال عبد الناصر ٠٠ وبذلك غاب تأثيرها وضعف دورها فى الطبقة العاملة والطبقات الكادحة الاخرى

لم يتوافر تنظيم ثورى مناضل ، يستطيع ان يجذب بقوته جمال عبد الناصر الذى كان يقف فى يسار طبقته ٠

وكان بعض أعضاء التنظيمات الشيوعية السابقة قد عينوا فى أماكن ومراكز هامه · ولكنهم كانوا ينصرفون كأفراد دون انتماء · يحسنون ويخطئون بلا حساب ·· ينلمسون الثقه بهم من المسئولين وليس من الجماهير التي يتعاملون معها ، أو من التنظيمات التى سبق لهم ان ربطوا حياتهم بها ·

ولم تحدث بعد الهزيمة معاودة نظر سريعة لقضيه حل الاحزاب والتنظيمات الشيوعية ·· بل استكان الكثيرون الى وضعهم الجديد · ·لم يتضامنوا مع الذين أهملتهم السلطة ولم تعدهم الى أعمالهم ··

كانت الثورة أكثر ميلا لاجتذاب الشيوعيين المثقفين منها الى اجتذاب الشيوعيين من العمال أو الفلاحين

ويقول ضياء الدين داود عضو اللجنة التنفيذية العليا انه عندما كلف بصفته مسئولا عن الدعوة والفكر باختيار أساتذة معهد الدراسات الاشتراكية اختار عددا من الشيوعيين السابقين · وعرض اسماءهم على جمال عبد الناصر ، قال له :

(اننى لاأعتبر التناقض بيننا وبين الماركسية تناقضا عدائيا ·· واننى استعنت فى تحضير أفكار الميثاق بكتابات ماركس ولينين وستالين وماوتسى تونج ولاسكى وغيرهم) ·

ثم أضاف قائلا :

(اننى أعتقد ان التعاون معهم أولى من كسب عدائهم ·· ورأيى أن نلمهم جميعا فهذا أفضل من أن نخسرهم)

ورغم ذلك فقد بذل معظم هؤلاء ـ كل فى موقعه ـ غاية مايملك من جهد لتغليب تيار اليسار والتقدم ·· وتعاون بعضهم باخلاص مع عناصر السلطة اليساريين ·

وأمكن خلال هذا التعاون تقليل الحساسية والصدام بين أفكار يوليو وبين الماركسية ·· ولو أن أحدا لم يحاول وضع حل للمعادله التى يمكن أن تجمع بين كل قوى اليسار والتقدم فى جبهة واحدة

كان الحذر من الماركسية والماركسيين يكاد يستوى عند بعض المسئولين بالحذر من الرجعية والاخوان المسلمين ·· وكلما تأزمت الامور حول قضية أو قامت مظاهرات ، أسرعت اصابع الاتهام تشير للاتجاهين معا ·

ورغم كل التغييرات الاجتماعية التى قامت بها ثورة يوليو ، الا أن البرجوازية المصرية ظلت متأثرة ومرتبطة بنموذج الحياة الغربيه · واستمرت الجامعات ترسل بعثاتها الى انجلترا والولايات المتحدة ، ويعود الخريجون متأثرين بالافكار والاتجاهات الرأسمالية · فينشرون ذلك بين طلبتها ·

وظل معظم أساتذة الجامعة من الناحية السياسية عنصرا من عناصر اعاقة التطور الفكرى ·· وكانت عيون الكثيرين منهم تنجذب الى جامعات الدول البترولية التى تغدق الاموال على الاساتذة ·

وعرفت مصر فى هذه الفترة هجرة بعض أبنائها الى الخارج ، بعدأن كان هذا أمرا نادر الحدوث فى مصر ·

كآبة الهزيمة ، وصعوبة الحياة ، وعدم حدوث تغيير جذرى حقيقى·

يضع المجتمع على الطريق الصحيح للتقدم .. كل ذلك دفع المثقفين الى الاتجاه للهجرة بصورة متزايدة .

ومصر تؤثر وتتأثر بالوطن العربى .. لها دور قيادى لاشك فيه .

وكما فرضت الهزيمه ظروفا صعبه فى مصر .. خلفت اتجاها واضحا نحو الافكار الماركسية فى الحركات السياسية العربية

وحلت بعض الدول معادلة تعاون النظم الوطنيه الديموقراطيه .. مع القوى الشيوعيه . ونادى حزب البعث فى العراق بانشاء جبهة وطنية وقومية تقدمية ينضم اليها الحزب الشيوعى والحزب الديموقراطى الكردستانى ، واستمر فى ندائه حتى تحقق هدفه ..

وفى قوى المقاومة الفلسطينية نما الاتجاه الماركسى وأصبح عقيدة لعدد من المنظمات ، واعداد متزايدة من الشباب .

ولكن هذا الاتجاه الجديد لم يؤثر كثيرا فى مصر .. وغيبة الاحزاب والتنظيمات الشيوعية لم يفرض واقعا جديدا على النظام .. والعناصر الماركسية استغرقتها مسئولياتها ولم يعد يربط بينها روح الانتماء ولا وحدة التنظيم .

وجمال عبد الناصر مازال هو الزعيم المؤهل لقيادة أى تغيير اجتماعى .

وبعد أن قرر تحديد مواصفات العامل والفلاح بصورة أكثر واقعية أدت الى اعادة انتخاب مجلس الامة .. وافق مؤتمر الاتحاد الاشتراكى فى ٢٣ يوليو ١٩٦٩ على النزول بالحد الاقصى للملكيه الى خمسين فدانا . مع اقرار قيام شركات عامة لادارة ٧٠٠ر٠٠٠ فدان وهو مايؤدى الى ظهور بشائر المزارع الجماعية .. كما اتخذ المؤتمر قرارا بأن تخصص دورته القادمة لقضايا التحول الاشتراكى .

ولكن جمال عبد الناصر فى نفس هذا المؤتمر قاوم اتجاها لفكرة حرب التحرير الشعبية بدعوى نقص السلاح كماذكرت سابقا .. وكان عبدالناصر منطقيا مع نفسه وواقعه .. فهو لم يكن هوشى منه ، ولم يكن الاتحاد الاشتراكى هو حزب العمل الفيتنامى ، ولم تكن هناك جبهة مثل جبهة تحرير فيتنام تضم كل القوى الوطنية بتضاريسها وقدراتها الطبيعية

كانت قدرات جمال عبد الناصر فى الخروج من طبقته والاندفاع الى اليسار مع الفلاحين والطبقة العاملة قدرات محدودة بطبيعته الشخصية والاسلوب الاوتوقراطى الذى اعتمد عليه حكمه ، وعدم توافر تنظيم سياسى ملتزم يمكن أن تتبلور الافكار الجديدة فى صفوفه بطريقة ديموقراطية .

ولم يكن مطلوبا من جمال عبد الناصر فى هذه المرحلة أن يتحول الى فيديل كاسترو جديد .. ولكن كان مطلوبا منه أن يساند وينمى قوى التقدم صاحبة المصلحة الحقيقية فى الاشتراكيه .

ولكنه ظل حبيس نظامه ، أسير الشخصيات التي فرضها ، يلعب لعبة التوازن ·· ويخشى أن يأخذ خطوة أكثر راديكالية الى اليسار ·

كانت فرصة تاريخية لنظام ثورة يوليو يمكن بها أن يتدعم وتمتد جذوره الى الطبقات الكادحة التي لو شعرت بالمشاركه الحقيقيه في النظام لنبتت منها طاقات هائلة

ولكن النظام ترك هذه الطبقات في الظل ·· تعاني من الأميةوالتخلف ولايربطها بالنظام وبعبد الناصر شخصيا ·· سوى الامل وما حصلت عليه من مكاسب نسبية

كانت فرصة عبد الناصر لبناء أساس صالح لقيام مجتمع اشتراكي موجودة وليست مستحيلة · · ولكنه ترك التناقضات والحساسيات والصراعات مكبوته وغير محلولة .

وأصبحت الاشتراكية هي المشجب الذي تعلق عليه كل أخطاءالنظام وهي بريئة ومفترى عليها ·· وأصبح المحافظون والرجعيون وعملاء الامبريالية يصورون أن مايحدث في مصر هو ماركسيه شيوعيه ·· وهم يعرفون تماما أن الشيوعيين والماركسيين كانوا بعيدين تماما عن مركز التأثير في السلطة ولكنهم كانوا يقيمون سدودا أمام احتمالات انطلاق القوى الكادحة من عمال وفلاحين للقيام بدور مؤثر في النظام طالما أن اسرائيل ترفض السلام والمعركة الوطنية محتدمة ·

ويقول دكمجيان في كتابه (مصر تحت حكم ناصر) ان هناك خمسة أسباب حالت دون اختيار طريق أكثر يساريه وهي :

١ ـ القوة المستمرة للدين الاسلامي والازهر

٢ ـ الفئوية (الوسطى) عموما للقوات المسلحه ·

٣ ـ الضعف النسبي لليسار المصري مقارنا بالقوات المسلحة والمؤسسات الدينية ·

٤ ـ الرغبة في حفظ العلاقات مع الولايات المتحدة لاحداث توازن مع النفوذ السوفييتي المتزايد ، ولتكون وسيطا محتملا مع اسرائيل ·

٥ ـ الزعامة المركزة حول شخص عبد الناصر

ويقول (دكمجيان) انه ماكان يمكن لعبد الناصر أن يرسو بنجاح على مرفأ أكثر يسارية حتى لو أراد ذلك نتيجة للعوامل الثلاثة الاولى ·· وانه لذلك لعب دورا رئيسيا لمنع اى تطور يساري معتقدا فيما يبدو بقدرة الصيغة المعتدلة التي وضعها لليسار العربي القومي في التغلب على مشكلات مصر مع اسرائيل

ومع ذلك لايستبعد (دكمجيان) في المستقبل اختيار عبد الناصر لبرنامج ايديولوجي يساري او شيوعي مشيرا الى أنذلك يعتمد علىأسلوب الولايات المتحدة واسرائيل في معالجة المشكلة سوالى لن تمزق الحركةالثورية العالمية قد يعطل تطور الشيوعية في مصر ويضرب مثلا بالخلاف الصيني السوفييتي ·

ويعتقد (دكمجيان) ان رفض اسرائيل للانسحاب من سيناء قد يدفع

القيادة فى حالة اليأس الى الابتعاد عن الطبقة الوسطى والسياسة الاشتراكية المعتدله ومحاوله بناء حركة يساريه ثوريه مشابهه لحركه فيديل كاسترو القائمة على الطبقة العاملة والفلاحين ، والتى تواءمت مع الدين والوطنية وهو مايمكن أن يتم فى مصر أيضا

ولكن عبد الناصر لم يتحول الى كاسترو

الهزيمة لم تدفعه الى اليسار تماما ٠٠ كما أعلن كاسترو الاشتراكية بعد وضوح المساندة الامريكية فى الغزو الفاشل لمنطقه (خليج الخنازير) ،

وعبد الناصر لم يحاول دعم وتقوية الاحزاب الشيوعية أو العناصر الشيوعية التى تعاون معها وانما عمل على احتوائها ٠٠ أما كاسترو فقد تعاون تماما مع الحزب الشيوعى الكوبى حتى انتهى الامر باندماج الحزب مع قوته الثورية فى تنظيم ماركسى واحد

وعندما لم يتخذ عبد الناصر الموقف الذى تحدث عنه (لاكمجيان) ، وواصل لعبة التوازن ، ظهر ذلك فى عدة مجالات هامة بصورة انحراف الى اليمين ٠

أولا : الاقتصاد

أخذت صيحات الدعوة لاقتصاد حرب تخفت يوما بعد يوم ،وارتفعت الدعوة لدعم القطاع الخاص ، وتشجيع رؤوس الاموال الاجنبيه كما سبق أن أشرت ٠

ووضح ذلك فى المنهج الذى سار عليه حسن عباس زكى ومن بعده عبد العزيز حجازى فى وزارة (أساتذة الجامعة) التى شكلت بعد مظاهرات الطلبة ٠

وفى مقابل التسهيلات التى أعطيت للقطاع الخاص ، أعطيت علاوات لعمال القطاع العام ٠٠ لعبة التوازن مستمرة

ثانيا : الثقافة

تعرضت الثقافة بعد الهزيمة لهزات مثيرة ٠٠ وكان وزيرها عندئذ هو الدكتور ثروت عكاشة الذى كان قد بدأ يعيد تنظيم الوزارة التى عاد اليها على أسس واقعية وعلمية ، ويختار لاجهزتها شخصيات تنال احترام المثقفين ٠

الاديب نجيب محفوظ رئيسا لمؤسسة السينما والدكتور عبد الرازق حسن عضوا منتدبا والدكتور على الراعى رئيسا لمؤسسة المسرح ، وسعد كامل مديرا للثقافة الجماهيرية والدكتورة سهير القلماوى ثم محمود أمين العالم رئيسا لمؤسسة النشر ، وحسن فؤاد مديرا للسينما التسجيلية ٠ والمستشار مصطفى درويش رقيبا على المصنفات الفنية

وكانت وزارة الثقافة قد بدأت تستعيد ثقة المثقفين بها ٠٠ وتمارس دورا هاما فى حياة الجماهير ٠٠ وقد أدى رؤساء الاجهزة دورا بارزا فى هذا المجال ، وبدت الوزارة تعمل فى تناسق وتوافق الاوركسترا السيمفونى ٠

ولكن الهزيمة أحدثت اضطرابا ملحوظا فى مجال الوزارة ، أعاده

البعض الى صلة الصداقة الوثيقة التى كانت تربط بين المشير عامر وصلاح نصر وبين ثروت عكاشه ٠

ولكن محاكمة المؤامرة مضت ٠٠ وثبت أن ثروت عكاشه لم يكن ضالعا فيها واستمر فى منصبه ٠

ثم جاءت انتخابات الاتحاد الاشتراكى (يونيو ١٩٦٨) التى أشرت اليها وسقط ثروت عكاشه فى دائرة قصر النيل وكان هذا دليلا على وجود تناقض بينه وبين على صبرى او اجهزة الاتحاد الاشتراكى ٠

وهو الامر الذى دفع ثروت عكاشة الى التخلى عن بعض الذين عملوا معه فى اخلاص دون اى تفسير لهم ، معتقدا بذلك أنه ينقد نفسه من ملاحقات اجهزة الامن وأجهزة الاتحاد الاشتراكى التى كانت تحاول تصوير نشاط الوزارة وكأنه نشاط شيوعى كما قال لى ٠

وافصح ثروت عكاشه للمسئولين فى الوزارة عن رغبته فى ان تقدم أجهزتها أعمالا ترفيهيه ، وهو اتجاه يرتبط مع فكرة تدليك اعصاب الجماهير حتى تبعدعنهم مرارة الهزيمه ٠

اقول بدات هده الاتجاهات التى تتعارض مع القيم الثقافيه التى يؤمن بها المثقفون الدين يتولون مسئوليه اجهزة الوزارة ، تتحول الى اجراءات ايجابيه عن طريق حصار هذه الشخصيات تم ابعادها عن مواقع المسئوليه ٠

تولى عبد الحميد جوده السحار رئاسة هيئه السينما بدلا من نجيب محفوظ ، ووضع عبد الرحمن الشرقاوى وسعد مكاوى ومحمود توفيق ورافت الخياط فى ففص لجنه القراءة بلامسئولية تقريبا

وتولى عبد المنعم الصاوى رئاسة هيئه المسرح بعد أن كانت العلاقات قد توترت بينه وبين ثروت عكاشة ، بعد عمل مشترك امتد طوال سنوات الثورة تقريبا سواء فى مجال الصحافة اوالثقافه ، وأحيل الدكتور على الراعى الى المعاش رغم عدم وصوله الى الخمسين

وأقيل سعد كامل من منصبه كمدير للثقافة الجماهيرية وهى الادارة التى أنشأها بجهده وعرقه وتعاون المثقفين معه ، وامتدت أجهزتها ومراكزها الى معظم المحافظات فأحدثت فيها نهضة ملحوظة ٠٠ لم تقابل من بعض المحافظين بالتأييد ، وبادروا بالقاء تهمة الشيوعية على عدد من الشباب الذين تولوا ادارة هذه المراكز باخلاص شديد ، واستجابت وزارة الداخلية لهذا الاتجاه أيضا ٠

وحوصر حسن فؤاد فى ادارة الافلام التسجيلية حتى لم يجد سبيلا الا الفرار والعودة للصحافة

أما محمود أمين العالم فكان قد انتقل من المسرح الى رئاسة مؤسسة أخبار اليوم ٠

وحلت السيدة اعتدال ممتاز محل المستشار مصطفى درويش أكثر المثقفين خبرة بفن السينما

ويلاحظ ان معظم الشخصيات التى أبعدها ثروت عكاشة تتميز باحترام المثقفين ، والفكر المتفتح المتقدم ٠ وأن العناصر البديلة لم تكن من ناحية الثقافة فى المستوى الذى يؤهلها لاحداث (ثورة ثقافية) كان المجتمع فى أشد الحاجة اليها خلال هذه المرحلة الحاسمه ٠

ولقد بدأت نضـــارة الثقافة تذبل ، وتدفع البيروقراطية العنـــاصر المبشرة والمتفتحة للهجرة من مواقعها ·· وفقدت وزارة الثقافة دورها الذى خلقت من أجله ·

عبرت هذه (الردة الثقافية) عن نفسها فى رفض كثير من الافـــلام والمسرحيات التى حاولت نقد الاوضاع من موقع الحرص على الثـــورة ·· ومنعت مسرحيات ليوسف ادريس وسعد الدين وهبه وعبد الرحمن الشرقاوى· ·· وخلت خشبة المسرح من فرسانها ·

وبدأ الانحدار فى هيئة السينما واستمر ذلك حتى وصلت الى القاع

وهكذا كان التغيير فى وزارة الثقافة رجوعا الى الوراء · وانحرافا الى الترفيه والتفاهة · وتغليبا للعناصر الرجعيه والمحافظه ، واطفاء لنور كـان مفروضا أن يضىء ظلام الهزيمة ·

ويرتبط هذا الموقف فى الثقافة بموقف آخر فى الاعلام والصحافة ·

ثالثا : الاعلام والصحافة

لم يكن اهتمام جمال عبد الناصر بتعيين التقدميين فى مواقع المسئولية الصحفية نابعا من فراغ ·· فانه كان يدرك ان الصحافة هى المشعل الـذى ينير الطريق والموجه الذى يحدث التغيير الحقيقى فى عقول الجماهـــير ، والقاموس الذى يفسر اتجاهات الثورة · وان المثقفين الاشتراكيين هم أقدر الناس على التعبير فى اخلاص عن رؤية الجماهير لحركه المجتمع ·

ويمكن القول بأن تغييرات الصحافة كانت بمثابة (الترمومتر) الذى يظهر حقيقه اتجاهات الثورة ، وهى بذلك كانت أكثر تقدميه لسببين :

أولا ــ انها كانت مثل المدفعيه الثقيله التى تمهد للهجوم ، وثانيا ·· انها كانت مرتبطه بالاتحاد الاشتراكى وهو اكثر أجهـــزة الدوله تقـــدما ويسارية ·

والعودة الى احسان عبد القدوس رئيسا لمؤسسة أخبار اليوم بدلا من محمود أمين العالم ، وكامل زهـــيرى بدلا من أحمــــد بهاء الدين فى ادارة روز اليوسف ــ رغم مطالبة بهاء المتكررة بترك روز اليوسف والتفرغ لدار الهلال ·· كان دليلا على أن اندفاع الصحافه الى اليسار قد وصل غايتـــه وأن موجة المد قد آلت الى انحسار ·

هكذا كانت المعركة فى الخطوط الخلفية تتضـــمن صراعا بين اليمين واليســـار ·

ولكن وجود جمال عبد الناصر فى قمة القيادة كان يعطى ضمانةنسبية بأن كفة اليمين لن ترجح ·· وأن هذه الاجراءات كانت بمثابة انتزاع بعض الثقل من كفة اليسار حتى تتعادل مع كفة اليمين ·

وهو دليل على أن جمال عبد الناصر لم يشأ أن يدخل معركة اليمين واليسار منحازا بكل طاقته وزعامته وتأثيره الى جانب اليســـار الحقيقى ،

خشية ان تخرج الامور من يديه ومن طبقته . لتصل الى أيدى العمال والفلاحين .

ودليل ذلك انه عندما زادت الغارات الاسرائيلية على الداخل . وبنفس الامر مع قادة الاتحاد السوفييتى فى زيارته السرية فى يناير ١٩٧٠ لم يفكر فى نقل المعركة الى يد الشعب فى حرب تحرير شعبية . وانما عقد بأن يسلم السلطة الى من يستطيع ان يتفاهم مع أمريكا كما اوضحت تفصيلا فى الفصل السادس (المعركة فى الخطوط الامامية) وهو يدرك ان أمريكا لن تجلب سلاما فى مصلحة الشعب . وانها فى نفس الوقت عاجزة وحدها عن فرض حل يرضاه الجماهير .

كانت هذه المعركة بين اليمين واليسار هى ابرز المعارك مضمونا فى المجتمع المصرى .. ولكنها كانت تدور فى صمت . تعلو عليه اصوات(صراع المماليك) فى تلك السلطة .

ولم يكن احد يستطيع ان يتنبأ بما يمكن ان يفرضه موقف ا اليمين على المنطقة من اتجاهات سياسية فيما لو رفضت الانسحاب .. بعد عدت المعركة كما كان يحدث فعلا .

ولكن كانت هناك الى جانب معارك الخطوط الامامية والخلفية . .. محاولات جادة للسلام .

الباب الخامس

السلام ... من فوهة البندقيّة

الفصل الاول

الحرب والسلام

● (الى المطبخ يا جولدا ‥ الى القاهرة يا جولدمان)

هتافات المتظاهرين فى اسرائيل
ابريل ١٩٧٠

(ان مسألة جولدمان أحدثت خلافات حادة فى الرأى داخل الكنيست وفى داخل الاحزاب نفسها وان هذه الخلافات امتدت الى الائتلاف الوزارى داخل الحكومة) ٠

وكالة الأنباء الفرنسية
١٨ أبريل ١٩٧٠

لم يكن القتال وعودة المعركة هدفا فى ذاته ، ولكنه كان عند جمال عبد الناصر وسيلة للوصول الى السلام العادل فى المنطقة ‥ فقد كان مقتنعا بأن ماأخذ بالقوة لابد وأن يسترد بالقوة ‥ ولذا ركز جهده وطاقته كما أوضحنا فى اعادة بناء القوات المسلحة ، والدخول بها فى معارك متصلة وصولا الى مركز قوة يتيح له فرض السلام ٠

لم يكن هناك من سبيل للوصول الى السلام فى مواجهة عدو منتصر تغمره الغطرسة والكبرياء ‥ الا القتال ‥ ولذا لم يتردد جمال عبدالناصر لحظة فى تصعيد المعركة تبعا للخطة ‥ ولكنه لم يتردد أيضا فى البحث عن وسائل ايجابية لتحقيق السلام ٠

أثبتت عودة المعركة أن الحرب لم تعد (حرب الايام الستة) ولكنها أصبحت حرب شهور وأعوام مستمرة ‥ يتراشق الطرفان فيها بقنابل المدفعية والطائرات ، ويتبادلان الهجوم الخاطف بالدوريات والعمليات الفدائية ‥ وتتربص القيادة المصرية اللحظة المناسبة للانقضاض على العدو وتحرير الارض ٠

دماء الشهداء لم تتوقف عن رى الارض فى سيناء ومنطقة القنال ٠ والبحر الاحمر ‥ وفى داخل مصر أيضا قبل وصول قوات الدفاع الجوى

السوفييتية فى ابريل ١٩٧٠ ٠٠ لم يكن يمضى يوم دون قتال يسقط فيه الضحايا من ابناء القوات المسلحة ٠٠ ومن المدنيين الذين اسهموا فى اعداد الدفاعات والذين بلغ عدد شهدائهم حوالى ٤٠٠٠ شهيد ٠

ومع ذلك لم يكن الموقف السياسى العربى مريحا تماما لجمال عبد الناصر ٠

كانت ثورة ١٧ يوليو ٦٨ فى العراق تأخذ موقفا متشددا ، وكانت المظاهرات كثيرا ما تجتاح بغداد مطالبة بالقتال ورفض محاولات التسوية السياسية ٠٠ وقد سرب جمال عبد الناصر الى الصحافة خطابا أرسله الى أحمد حسن البكر يقول فيه ان توحيد الجهد فى قتال الاسرائيليين أفضل من اطلاق المظاهرات فى الشوارع ٠

وكانت سوريا التى رفضت قرار مجلس الامن ، ورفضت حضور مؤتمر الخرطوم تأخذ نفس النهج تقريبا ٠ الامر الذى دفع جمال عبد الناصر الى مواجهة نور الدين الاتاسى بذلك عند مقابلته له فى ليبيا أثناء حضور الزعماء العرب لحفل جلاء الامريكيين عن قاعدة (هويلس أو عقبة بن نافع) ومصارحته بأنه يشعر أن موقف الحكم فى سوريا يشكل نوعا من نكران الفضل والجميل ٠٠ وذلك حسب ماجاء فى كتاب ناتنج (ناصر) ٠

كما ان الجزائر واصلت سياستها المبدئية الرافضة أصلا لوقف اطلاق النار ٠

ولكن جمال عبد الناصر وجد انه يمكن ان يحضر مؤتمرا للقمة بعد نجاح الحركة العسكرية فى السودان وليبيا ، وبعد نجاح الحركة العسكرية التى قادها محمد سياد برى فى الصومال وأيدها جمال عبد الناصر فى ١٩ اكتوبر ١٩٦٩ ، وبعد جلاء القوات البريطانية عن اليمن الجنوبية ٠٠ وبعد زيادة توثق العلاقات بينه وبين المقاومة الفلسطينية عقب تدخله فى الازمة اللبنانية فور شفائه من الازمة القلبية التى تعرض لها ، الامر الذى انتهى الى عقد ما عرف باسم (اتفاقية القاهرة) فى ٢ نوفمبر ١٩٦٩ والتى وقعها ياسر عرفات ورئيس أركان حرب الجيش اللبنانى ٠

ذهب عبد الناصر الى الرباط بعد أن اسقطت قوات الدفاع الجوى المصرية أول طائرة فانتوم اسرائيلية يوم ١٠ ديسمبر ١٩٦٩ من الطائرات التى سلمت لاسرائيل فى سبتمبر من نفس العام ٠٠ ذهب وفى قبضة مصر أيضا عدد من الاسرى الاسرائيليين ٠

ولذا وقف جمال عبد الناصر فى مؤتمر الرباط موقفا حازما من الذين كانوا يعارضون التسوية السلمية بينما قواتهم المسلحة لاتشترك فى القتال ٠

سألهم ـ حسب ماورد فى كتاب انطونى ناتنج (ناصر) ـ عما اذا كانت عندهم خطط محددة للحرب ضد اسرائيل ٠٠ وعما اذا كانت معارضتهم لقرارات الامم المتحدة بصورة مطلقة سوف تؤدى الى استراتيجية بديلة تخرج اسرائيل من الارض المحتلة ٠

وتساءل ايضا ٠٠

هل ستقوم الجزائر مثلا بدعم قدرة الضربة الجوية الرئيسية ؟

وكم عدد القوات التي ستشترك بها سوريا والعراق في المعركة ؟
وهل سيهاجمون من سوريا فقط ، ام ان هناك خططا للهجوم من الارض الاردنية ؟
ماهو الدور الذى رسم لتؤديه مصر ؟
ومن الذى سيدفع المال ٠٠ ومن اين سيحصلون على الاسلحه لشن الحرب ضد العدو ؟٠
كل هذه الاسئلة وغيرها أثارها جمال عبد الناصر طالبا عنها اجابة وافية قبل مطالبته بالابتعاد عن طريق البحث في عقد تسوية سلمية ٠
يبدو ان جمال عبد الناصر كان يريد ان نزداد استراتيجية مصر وضوحا ٠٠ وهي الجمع بين القتال في اشد صورة ، والبحث عن السلام في شقى طرقه ٠٠ واشعار الجميع بانه ما لم يتوافر للعرب خطط بديلة ، قادرون على تنفيذها لتحرير الارض ، فان الامر يدخل عندئذ فى باب المزايدة وعدم تقدير الامر الواقع ، وتجاهل كل فرص الوصول الى تسوية ٠
قال لى الفريق اول محمد فوزى الذى كان قد قرأ تقريرا امام قادة دول المواجهة في بداية سبتمبر ١٩٦٩ يؤكد فيه الثقه في قدرة مصر على الحرب التحريرية خلال ١٨ شهرا، ان جمال عبد الناصر لم يشأ أن يفصح عن اسرار خططه القتالية حرصا على السرية الضروريه ٠
ومن الجانب الآخر كانت تساور بعض القادة العرب الثوريين شكوك حول أسلوب النظام المصرى في مواجهه الهزيمه ٠
كانت بعض الاحداث المثيرة تخلق شعورا بالشك في قدرة القوات المصرية المسلحه ٠٠ مثل حادث الزعفرانة وشدوان وضرب قناطر نجع حمادى وغيرها ٠٠ كما ان عدم المعرفة الكاملة بتطورات الخطة المصريه كان يخلق نوعا من الغموض في العلاقات ٠
واذا كان جمال عبد الناصر لم يشأ ان يفصح عن أسرار خططه القتالية فانه لم يشأ ان يفصح أيضا عن أسرار خططه السلامية ٠
كان مؤمنا بالسرية في حركته سواء في الحرب أو السلام ٠٠ تماما كما اعتمد على السرية المطلقة في اعداد حركة يوليو ١٩٥٢ العسكرية ، وفي تأميم القناة ١٩٥٦ ، وفي اعلان قوانين يوليو ١٩٦١ الاشتراكية ٠
غادر جمال عبد الناصر مؤتمر الرباط تلاحقه بعض الشكوك وعلامات الاستفهام ٠
قال الفريق صالح مهدى عماش انه غادر بغداد بالطائرة الى القاهرة ، ودخل الاجواء المصرية دون تبليغ ، وأن أحدا لم يعترضه في الجو ، ولم تطلق على طائرته طلقة انذار الى أن اقترب من القاهرة وأبلغ عن وصول طائرته ٠
وقد زرع ذلك في نفسه شكوكا عميقة في قدرة الدفاع الجوى المصرى ، وفي اتجاه جمال عبد الناصر للتسوية السياسية ٠
ذهب جمال عبد الناصر الى طرابلس حيث اجتمع مع القذافي ونميرى وهناك تم التوقيع على ماعرف باسم (ميثاق طرابلس) والذى يضمن لمصر عمقا استراتيجيا في الغرب والجنوب ٠
قال لى الفريق أول محمد فوزى ان طائرات T. U. 16 البعيدة المدى

كانت فى الجزائر وفى قاعدة العضم بليبيا ، وأن ميناء طبرق فتح أبوابه للبحرية المصرية ٠٠ كما انها تواجدت ايضا فى مطار وادى سيدنا شمال الخرطوم وهو مطار يخرج عن آخر مدى للفانتوم ٠

ويقول أيضا ان طائرات أخرى حديثة ـ ميج ٢٥ ـ كان لها دور فى الخطة الدفاعية ٢٠٠ ، ولكنها كانت تقبع في الاتحاد السوفييتي ، على أن تكون فى الاجواء المصرية بعد ٦ ساعات فقط من اشارة استدعائها للمعركة ٠

كان جمال عبد الناصر مهتما بتحسين العلاقات مع السودان وليبيا ، تأمينا لحركتهما العسكرية ، وضمانا لأمنه الاستراتيجى ٠ ٠ ولذا زار السودان أيضا بعد أيام فى أول يناير ١٩٧٠ للاحتفال معهم بعيد الاستقلال ٠

كان جمال عبد الناصر يبحث عن السلام ٠٠ من فوهة البندقية ٠

ولذا لايمكن اضفاء شبهة الضعف أو التهاون على محاولات جمال عبد الناصر السلمية ، للوصول الى تسوية سياسية ٠٠ بل انها يمكن ان تعتبر رصيدا لصقل شخصيته كرجل دولة مسئول ٠

اتصالات ٠٠ من اجل السلام

لايمكن القول بأن هناك اتصالا واحدا من أجل التسوية السياسية والسلام ٠٠

كانت هناك اتصالات كثيرة تغلفها السرية ٠٠ بدأت مع الهزيمة ٠ ٠

وما قاله صلاح نصر من وجود اتصال مع جونسون فى محاوله لعقد مقابلة بين السفير الامريكى فى روما ومسئول مصرى مفوض (أحمد حسن الفقى وكيل وزارة الخارجية) خلال شهر يوليو ١٩٦٧ ، هو امر يثبت ـ ولو انه لم يتم ـ ان جمال عبد الناصر كان يحاول سلوك كل سبيل ممكن للتعرف على امكانيات السلام ٠

ويؤكد ذلك أيضا مانشره النائب علوى حافظ من اتصالات قام بها مع الامريكيين خلال شخصية هندية الاصل كانت تعمل لحساب المخابرات المركزية الامريكية ٠٠ وهى اتصالات لايمكن أن تتم الا بمعرفة جمال عبد الناصر شخصيا ٠٠ ورغم انها لم تنته الى شىء لصالح مصر الا انها اثبتت اليقين ى أن أمريكا ليست مخلصة فى حقيق سلام عادل ، ويمكن الاطلاع على تفاصيل هذه الصلات فى كتاب نشره علوى حافظ حول هذا الموضوع ٠

وقد نشطت اتصالات الامريكيين فى الاتصال بمصر بعد الهزيمة محاولة من حكومتها في تجسيد فكرة ان الولايات المتحدة هى الدولة الوحيدة القادرة على فرض السلام عن طريق الضغط على اسرائيل ٠

ولم تقتصر محاولات الاتصال على صلاح نصر أو علوى حافظ وانما وصل الى القاهرة أيضا المالى الامريكى المعروف اندرسون بوصفه ممثلا شخصيا للرئيس الامريكى جونسون ، وعقد مقابلة مع جمال عبد الناصر

صدر بعدها قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ٠

كما انها لم تقتصر على المصريين فقط ٠

حاول بعض الزعماء من أصدقاء مصر وعبد الناصر ان يسهموا بدور فى اقرار السلام بالمنطقة ٠٠ أرسل شاوشيسكو سكرتير الحزب الشيوعى الرومانى نائب وزير الخارجية جورجيو ماكونسكو للاتصال بعبد الناصر فى يونيو ١٩٦٨ ، بعد ان أمضى جدعون رافائيل أحد كبار المسئولين فى وزارة الخارجية الاسرائيلية فترة فى بوخارست لمحاولة اقامة اتصالات مع القاهرة سواء سرية او علنية ٠٠ وكانت رومانيا هى الدولة الاشتراكيه الوحيدة التى احتفظت بالعلاقات الديبلوماسية مع اسرائيل ٠

ولم يرفض جمال عبد الناصر العرض وانماطلب من المسئول الرومانى أن يعود اليه ومعه خريطة يوضح عليها الحدود التى تبغى اسرائيل أن يقوم السلام عليها ٠

وسافر المسئول الرومانى ولم يعد ٠٠ فلم يكن هناك رد من الحكومة الاسرائيلية ٠

وكذلك فعل عبد الناصر مع هيلاسلاسى عندما حاول التدخل فى القضية خلال يونيو ١٩٦٩ قبيل زيارة أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل لاديس ابابا فقد طلب من الامبراطور أن يناقش الامر مع ايبان ويحصل منه على خريطة بالحدود التى يتصورها اسرائيل ٠٠ ولم يصل الجواب أيضا ٠

وأبلغ الملك حسين جمال عبد الناصر انه تلقى رساله من ليفى اشكول رئيس وزراء اسرائيل عن طريق يارنج وسيط الامم المتحدة ولكنه رفضها٠ وقال الملك انه يعتقد ان يارنج واقع تحت ضغط اسرائيلى يوجهه نحو تواجد مندوبين سريين للدول العربيه لمقابلة مندوب اسرائيلى فى حضور يارنج ٠

كانت اسرائيل تصرح علنا بأنه لابد من مفاوضات مباشرة بين الطرفين ٠ وكانت تمهد لذلك بفكرة الاجتماعات السرية ٠٠ التى رفضها العرب جميعا باعتبار أن مبدأ المفاوضة يعنى قبول الهزيمة أمرا واقعا يذعن له العرب بالجلوس مع المنتصرين على مائدة واحدة ٠

كان هذا المبدأ الذى اتفق عليه فى الخرطوم مازال ساريا ومؤكدا ، والشائعات التى لاحقت الملك حسين من انه قد عقد اجتماعات سرية فى هذه الفترة مع بعض المسئولين الاسرائيليين لم تثبت صحتها ٠ ٠ وكان الملك يقوم بدور الوسيط ليس بين الدول العربية واسرائيل ، وانما بين القاهرة والرياض حيث بقيت العلاقات باردة بعد مؤتمر الخرطوم الى أن زار الملك فيصل القاهرة أثناء ذهابه الى مؤتمر الرباط (ديسمبر ١٩٦٩) ٠ ٠ وكان الملك قد أخذ موافقة مؤتمر القمة بالخرطوم على ان يبذل كل جهده وصلاته مع الغرب لمحاولة تحرير الضفة الغربية دون حرج ٠

ولكن صلات الملك حسين مع الغرب لم تثمر ٠

ومحاولات الامريكيين مع القاهرة لم تقدم شيئا نافعا يغير من طبيعة دورها ٠

ووساطات اسرائيل لعقد اجتماعات سرية مع مندوبى الدول العربية كانت تمضى فى طريق مسدود ٠

اتصالات شعبية ٠٠ من اجل السلام

لم يتوقف اتصالات السلام عند الحدود الرسمية الحكومية ، وانما انطلقت الى مجال جديد . هو مجال الاتصالات الشعبية داخل اسرائيل ٠ والتى كان الهدف منها هو تشكيل قوة ضاغطة ضد الحكومة الاسرائيلية التى كانت ترفض الانسحاب من الارض المحتلة ثمناً لاسرائيل ٠

وقد شاءت الظروف ان أكون طرفا فى هده الاتصالات مفوضا من جمال عبد الناصر ٠

بدأ ذلك عقب زيارة الى فرنسا فى مايو ١٩٦٩ التقيت فيها بعدد من اليهود المصريين الذين اخرجوا من مصر بتهمة الشيوعيه ، وفى مقدمتهم هنرى كورييل ٠

كان التحليل السائد حتى هذه اللحظة ان سكان اسرائيل يشكلون مجموعة متماسكة موحدة غير قابلة للانقسام فيما يختص بأهدافها او أغراضها ٠٠ وهو تحليل خاطيء لانه ينكر وجود تناقضات رئيسية وفرعية داخل المجتمع الاسرائيلى ٠

كان الموقف العربى الذى دام سنوات طويلة يعتبر (سلبيا) لانه ينكر وجود اسرائيل وحقوق سكانها ، بل ورفض اى صلة مع أى شخص ينتمى الى هذه الدولة حتى اذا كان معارضا معروفا لسياسة الحكومة الاسرائيلية ومناصرا للمواقف العربية ٠

وفى كافة المؤتمرات الدولية ، كان (حضور) المندوب الاسرائيلى يفرض (انسحاب) المندوب العربى أو مطالبته باخراج مندوب اسرائيل ٠

وكان هذا الموقف يتجاهل تماما التناقضات التى تهز المجتمع الاسرائيلى وتقوم بين اليهود الشرقيين (سفرديم) واليهود الغربيين (اشكنازى)، والتى تقوم أيضا بين العرب واليهود حاملى الجنسية الاسرائيلية ، وبين الاحزاب المدنية ـ الماباى والمابام ـ والاحزاب الدينية ، وبين جبهة أنصار السلام التى تزداد اتساعا وتطالب بالانسحاب ثمنا للسلام ٠٠ وبين الحكومة التى تنتهج سياسة توسعية معادية للسلام ٠٠ وأخيرا بين الاحزاب التقدمية وفى مقدمتها الحزب الشيوعى (راكاح) الذى يتبنى سياسة مؤيدة للحق العربى ، وبين الاحزاب الاخرى التى تتبنى سياسة صهيونية مغامرة ورجعية ٠

هذه التناقضات ـ رئيسية او فرعية ـ لم تكن موضع اهتمام السياسة العربية ، ولم تأخذ حيزا مناسبا فى مجال الدعاية العربية ٠٠ ولذا فانه بعد مناقشات طويلة فى فرنسا تبينت انه يمكن للسياسة التى تستهدف السلام أن تلعب دورا مؤثرا داخل اسرائيل لاجتذاب العناصر الديموقراطية والسلامية داخلها ، وانه يمكن لهذه العناصر بالتالى ان تلعب دورا مؤثرا فى الحياة السياسية والاعلامية الاسرائيلية لتغيير العقيدة التى رسختها القوى الصهيونية بأن العرب يطلبون تدمير اسرائيل وهدم كيانها ووجودها ٠

وعندما عدت الى القاهرة خاطبت جمال عبد الناصر بهذا الرأى ، وأوضحت له انه يمكن خلال الاتصال بالعناصر المصرية الاصل فى باريس أن تلعب دورا ايجابيا مناصرا للسلام العادل ، داخل اسرائيل ٠

لم يتردد جمال عبد الناصر فى الموافقة على بدء هذه الاتصالات متابعا سياسة (السلام من فوهة البندقية) فقد اقترنت هذه المرحلة بحرب

الاستنزاف التى قال لى بعض من اتصلت بهم أنها كانت تعنى كارثه للامهات اللاتى يذهب اولادهن لجبهه سيناء .

والتقيت خلال الزملاء المصريين مع أمنون كابليوك - الكاتب الصحفى المعروف عضو حزب المابام ومراسل الموند فى اسرائيل - وناتان يالين مور مؤسس جماعة (شتيرن) التى اغتال اعضاؤها اللورد موين عام ١٩٤٦ فى القاهرة ثم تحول مع الوقت ليصبح معاديا للارهاب ونصيرا للسلام ، والكاتب والاديب الاسرائيلى المشهور عاموس كينان ، وشالوم كوهين نائب الكنيست عن جماعة (القوات الجديدة) التى كان يرأسها (يورى افنيرى) عضو الكنيست أيضا ، ورئيس تحرير صحيفة (هاعولام هوزيه) ومؤلف كتاب (اسرائيل بلا صهيونية) .. هذا الى جانب عناصر قيادية من حزب راكاح .

كانت هذه الاجتماعات تأخذ طابع البحث الجاد فى طريق الوصول الى السلام العادل .. وكانت فرصة مفيدة لتوضيح استراتيجية جمال عبد الناصر التى أصبحت محل اقتناعهم تماما بأهدافها السلاميه التى تقوم على أساس قرار مجلس الامن الذى يعترف فى مضمونه بوجود اسرائيل

تكررت هذه الاجتماعات وتعددت حتى كسرت تماما حاجز الشك من ناحية السياسة المصرية فى نفوس العناصر التقدمية اليهودية داخل اسرائيل . وبدأ تحول واضح فى أسلوب الكتابة .. بل وفى أسلوب تجمع العناصر الديموقراطية داخل اسرائيل .

وأصبح لسياسة مصر أنصار داخل اسرائيل .

ولكن هذا لايعني ان السلام قد أصبح فى متناول اليد .. ولكنه تحول من سراب الى هدف يزداد الاقتراب منه يوما بعد يوم .

وقد دشن جمال عبد الناصر هذه الاتصالات ، ومنحها دفعة سياسية قوية - وهى التى ظلت مغلفة بالسرية الضرورية - بحديثه لاول مرة فى عيد العمال أول مايو ١٩٧٠ بشبرا الخيمة عندما ذكر دور العناصر أنصار السلام داخل اسرائيل .

كانت هذه هي أول مرة فى تاريخ السياسة العربية بعد قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ ، يتحدث فيها زعيم عربى .. بل أعظم زعماء المرحلة .. عن العناصر المعارضة لسياسة الحكومة الصهيونية التوسعية ويشيد بدورها . ويثبت بذلك ان النظرة العربية السابقة الى اسرائيل ككيان موحد متماسك قد تغيرت .

وقد وصلت هذه الاتصالات الى الحد الذى دفع ناتان يالين مور الى نشر حديث مع كاتب هذه السطور يوم ٣ مايو ١٩٧١ فى صحيفة (هاأرتس) اليومية ، ومجلة (اكتواليتيه) الفرنسية ، وقد أعادت نشره جريدة الاتحاد العربية التى تصدر عن حزب (راكاح) فى حيفا ، أتاح لى فيه فرصة تفسير الموقف المصرى للمواطنين العرب واليهود داخل اسرائيل ، وادانة موقف حكام اسرائيل .. وكان هذا أول حديث مع مصرى ينشر فى الصحف الاسرائيلية .

كان جمال عبد الناصر يتابع خطوات الاتصال، ويدخلها فى حساباته

السياسية ، تماما مثل لاعب الشطرنج الذى يحسن استخدام كل القطع ، مستخدما المبدا العسكرى (استغلال النجاح) .

قضية جولدمان

وتصادف أن انتقل موضوع هذه المقابلات الى مجال جديد لم أخطط له ، وانما جاء مصادفه وبمبادرة خاصه .

ابلغنى الزميل الكاتب الصحفى ايريك رولو مسئول قسم الشرق الاوسط بصحيفه (لوموند) الفرنسيه ان ناحوم جولدمان يتبنى افكارا تتعارض مع سياسه الحكومه الاسرائيليه ، وتلتقى مع افكار جمال عبد الناصر السلامية .. وانه قد تلقى دعوة لزيارة مصر عن طريق الماريشال تيتو ، وانه عندما علم بوجودى فى باريس . وبالدور الذى اقوم به ، طلب مقابلتى .

ولم يكن فى ذهنى أن ألتقى مع مثل هذه الشخصية الصهيونية الكبيرة التى تراس (المجلس اليهودى العالمى) ، ولكنى عندما علمت أن هناك دعوة موجهة له لزيارة مصر لم أتردد فى مقابلته .. واجتمعنا فى منزل ايريك رودو المطل على (البانثيون) مقبرة العظماء فى باريس .

وجولدمان شخصيه عالمية معروفة له صداقات مع عدد كبير من زعماء العالم ، تجاوز السبعين ولكنه يمتلك صحة جيدة وحديثا فيه مرح الشباب وقدرا وفيرا من المعلومات .

كتب هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) يقول ان ناحوم جولدمان حاول الاتصال بعبد الناصر عن طريق بينو ، ولكنه بعد تبادل خطابين بين جولدمان والماريشال بدا واضحا أن الامر لايؤدى الى شيء ما .

ولكن جولدمان كان قد بدأ يدرك الاخطار التى تتعرض لها اسرائيل نتيجة عناد سياسة حكومة جولدا مائير .

قال لى انه أثناء محادثة تليفونيـة مع بنحاس سابير وزير الخزانة الاسرائيلى يسأله فيها عن زوجته المريضة بالسرطان قال له سابير : ان حالة زوجته ميئوس منها تماما مثل حالة الدولة الاسرائيلية .

وأوضح لى أن عنده اقتراحات لتحريك القضية ودفعها نحو السلام ، بدلا من انفجار حربى قد يعرض الطرفين لاخطار شديدة ، ويزيد المرارة بينهما .. وانه يوجد داخل الدوائر الحاكمة الاسرائيلية عناصر تؤيد موقفه وتسانده .. وطلب منى ان أحمل هذه الرسالة الى عبد الناصر حتى يقرب ذلك من موعد زيارته المحتملة .

واعتقدت ان الدعوة تمضى فى طريقها خلال وساطة تيتو . . وأن دورى لن يتعدى شرح وجهة نظره الى جمال عبد الناصر .

وكانت هذه المقابلة ليلة سفره الى تل أبيب .. ويبدو انها شجعته على مصارحة جولدا مائير بأن عنده دعوة لمقابلة جمال عبد الناصر .

ثارت جولدا مائير ، ورفضت ان تصرح له بقبول الدعوة .. وقامت بين الاثنين ــ وهما من الرعيل الاول للصهاينة ــ مشادة انتهت الى حد التهديد

بالتنازل عن جواز سفره الاسرائيلي وهو يحمل أربعة جوازات سفر (أمريكي وبريطاني وسويسري واسرائيلي) ٠

وعندما وصل الامر الى أجهزةالاعلام تفجرت التناقضات داخل اسرائيل فجأة ، ونشرت الصحف ان جولدمان قد صرح بأنه قد التقى بمندوب مصري في باريس حمل له دعوة من جمال عبد الناصر ٠٠ وكان ذلك يوم عودتي من باريس الى القاهرة ، وقد فوجئت بذلك عندما طالعت الصحف الفرنسية ٠ وتخيلت التأثير المفاجيء لذلك على نفسية جمال عبد الناصر ٠

ولذا أسرعت فور عودتي بكتابة خطاب الى عبد الناصر شرحت له فيه ظروف المقابلة وما دار فيها ٠٠ وتلقيت في المساء مكالمة تليفونية من صديق في مركز السلطة يتساءل في دهشة عن الاسباب التي دفعتني لمثل هذا اللقاء ٠ وما قد يجلبه ذلك على من متاعب ٠

تصادف أن كان صديقي الشهيد عبد الخالق محجوب موجودا في القاهرة بعد ابعاد جعفر نميري له هو وصادق المهدي ٠ فاستمحت لنفسي أن اكسر حصار السرية التي تفرضها مثل هذه المقابلات على الانسان ، وصارحته بما حدث ، وبمكالمة الصديق وما يتوقعه من متاعب ٠٠ ولكن عبد الخالق كانت له وجهة نظر مختلفة ، وهي انه طالما ان جولدمان ينهج سياسة سلامية معادية للحكومة الاسرائيلية فان جمال عبد الناصر لن يقيم سدا في هذا الطريق ، ولن يمنع أحدا من السير فيه ٠

وكانت خلافات جولدا مائير وناحوم جولدمان قد أثارت عاصفة حقيقية داخل اسرائيل وعبرت عنها صحيفة (الاهرام) بما نشرته صباح ١٨ ابريل ١٩٧٠ عندما قالت :

فجرت (حكاية جولدمان) والدعوة المزعومة التي قيل انه تلقاها لزيارة القاهرة خلافات عميقة داخل المجتمع الاسرائيلي وكشفت عن القشرة الدقيقة التي تغطي التمزق داخل الائتلاف في حزب العمال وفي الحكومة وفي الحركة الصهيونية عموما ٠

وقالت عن وكالة الانباء الفرنسية (ان مسألة جولدمان أحدثت خلافات حادة في الرأي داخل الكنيست وفي داخل الاحزاب نفسها وان هذه الخلافات امتدت الى الائتلاف الوزاري داخل الحكومة ومن أبرز مظاهر هذا الخلاف :

١ ـ ان مجموعات من (العسكريين) والطلبة تظاهروا أمس أمام مبنى الوزارة وهم يحملون لافتات تؤيد جولدمان وتعارض مائير قائلة (الى المطبخ يا جولدا ٠٠ الى القاهرة يا جولدمان) ٠

٢ ـ الصحف تنقد الحكومة لانها أساءت معالجة الازمة ٠

٣ ـ طالب بعض النواب بمناقشة الموضوع في البرلمان ٠

٤ ـ جولدا دعت اللجنة المركزية لحزب العمل ٠

وذكرت يونيتدبريس (ان جلسة الكنيست كانت عاصفة وتبودلت فيها الاتهامات الى حد السباب ، وبادرت الحكومة الى اغلاق الباب على القضية) ٠

وكانت الحكومة قد هاجمت جولدمان لانه (أثار دراما كبيرة حول موضوع لاأساس له).

كما ان أبا ايبان وزير الخارجية قال (انها فقاعة صابون كبيرة) ·

وأخيرا صرح جولدمان بأنه (لم يتلق دعوة وان كانت هناك اقتراحات بذلك) ·

واكتملت القضية أو كادت عندما وصلت الى القاهـــرة برقية لوكالة الانباء الفرنسية تقول :

صحيفة اسرائيلية تتحدث عن مسألة الوسيط المصرى ·

تل أبيب فى ٨ ابريل ·· قالت صحيفة هاآرتس الاسرائيلية المستقلة ان الوسيط المصرى الذى قال الدكتور ناحوم جولدمان انه قابله فى باريس هو أحمد حمروش رئيس التحرير الحالى لمجلة روزاليوسف المصرية الاسبوعية الهامــة ·

وأضافت الصحيفة تقول ان أحمد حمروش يعتبر من الايديولوجيين المقربين من موسكو وأنه قام عدة مرات بزيارة الاتحاد السوفييتى ·

وقالت صحيفة ها رتس انه على الرغم من أن أحمد حمروش ليس مقربا من الرئيس عبد الناصر مثل محمد حسنين هيكل رئيس تحرير (الاهرام) فان الرئيس المصرى لم يكن ليعهد اليــه برئاسة تحرير مثل هــذه المجلة الاسبوعية لو لم يكن يقدره تقديرا كبيرا) ·

وبقيت أنتظر ردود الفعل فى القاهرة ·· وأحدث نفسى عما يمكن أن يقوم به عبد الناصر فى معالجة الموضوع ·· الى أن تلقيت مكالمة تليفونية من الزميل أمين هويدى وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية يدعونى فيها الى مكتبه برئاسة مجلس الوزراء ·· وما أن دخلت حتى قدم لى الخطاب الذى رفعته الى جمال عبد الناصر وعليه هذه التأشـيرة (حمروش ·· لمواصـلة الاتصال بجولدمان ومحاولة أن يكون صديقا له) ·

وهدأت أنفاسى ، وأدركت ان جمال عبد الناصر يتصرف بأسلوب رجل الدولة المسئول ، وأن ظروف مابعد الهزيمة قد صقلت تجربته وخبرته وأنه فى حرصه على السلام العادل يسلك السبيل السليم ·

وطلب منى أمين هويدى ان أستعد للسفر الى باريس لمقابلة جولدمان بناء على تعليمات عبد الناصر فقد كان مفروضا ان يعـود من تل أبيب اليها فى اليوم التالى ·

وهكذا بدأت قضية جولدمان ·· وتعـددت مقابلاتى معه فى منـزله بباريس أو فى منزل ايريك لو ·· وكان مصدرا من أهم المصـادر الزاخرة بالمعلومات ·· فكيسنجر ـ حسب قوله ـ هو ابن المربية التى كانت تشرف على بيت أسرة ناحوم جولدمان ·

ولم يعلم بهذه الصلة من المصريين غير الذين تتيح لهم مراكزهم فرصة معرفة مثل هذه الامور سوى الزميل الكاتب الصحفى سعد كامل الذى وافق جمال عبد الناصر على تعريفه بما يدور · لاهمية الدور الذى يمكن ان يؤديه حيث كان قد قرر الاقامة فى باريس عدة شهور للدراسة والمراسلة الصحفية ·· وهو صديق أيضا للمجموعة التى بدأت صلتى معها من اليهود المصريين فى فرنسا ··

والاتصال بناحوم جولدمان وهو مالى كبير .. مع الاتصال بالتقدميين داخل اسرائيل كان يجمع فى نفس الوقت بين عناصر مختلفة سياسيا ولكنها متفقة فى النظرة الى ضرورة واهمية العمل من اجل السلام .. وهو ما كان يتفق مع اهداف جمال عبد الناصر .

كتب ناحوم جولدمان خلال فترة اتصالى بـه ثلاث مقالات نشرت فى صحيفة الموند بتاريخ ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ مايو ١٩٧٠ بداها بقوله :

(لم اكن اعتقد حتى بعد الانتصار الساحق فى حرب الايام الستة ان هذا النصر يمكن أن يؤدى الى تسوية للصراع العربى الاسرائيلى . وينطبق نفس هذا الاعتقاد على الوسائل التى يلجأ اليها المسئولون عن السياسة الخارجية فى اسرائيل . ومع ذلك فقد امتنعت لمدة سنتين ونصف عن الافصاح عن آرائى غير الملتزمة حتى لا اعقد مهمة الحكومة التى انتسب اليها) .

ويستطرد جولدمان فى شرح آرائه الجديدة قائلا :

(كان حاييم وايزمان — وهو من اكثر رجال الدولة الصهيونيين تبصرا وبعدا للنظر — يرى أن الصراع العربى اليهودى ليس صراعا بين الحق والظلم ولكن بين حقين) .

ويقول أيضا :

(ان سياسة الانتقام التى نشأت بوحى من بن جوريون لم تؤد الا الى زيادة عداوة العرب وتوسيع الهوة التى تفصل بيننا وبينهم) .

ويعارض جولدمان مطالبة الحكومة الاسرائيلية بالمفاوضات المباشره قائلا : (ان هذه الطريقة يجب أن تكون غاية وليست بداية .. لان العرب يرون ان المفاوضات المباشرة فى الوقت الحالى تساوى الاستسلام .. وقد ضعف موقف اسرائيل فى المجال الدولى بسبب سياستها المتشددة غير المرنة) .

كما يدعو الى ضمان الدول الكبرى بعدم انتهاك الحدود التى يتفق عليها ضمانا فعليا ملموسا . وليس ضمانا (افلاطونيا) كما ينادى بعقد اتفاقية دولية تحدد شحنات الاسلحة المرسلة الى دول الشرق الأوسط .

وقد صرح جولدمان فى باريس بتصريح نقلته عنه رويتر يقول فيه :

(انه يعتقد انه من الممكن ان يسعى الزعماء المصريون والاسرائيليون الى التوصل لتسوية سلمية فى الشرق الاوسط عن طريق الاتصالات السرية) .

ثم يدون جولدمان عدة مقترحات تصلح اساسا للمناقشة لانها تتضمن الانسحاب من الأرض العربية المحتلة . وتتضمن اقتراحا عن القدس يقول فيه بجعل هذا القطاع منطقة مستقلة ذاتيا يتولى سكانها ادارتها ، ويكون لها وضع دولى .

ثم يطالب جولدمان حكومة اسرائيل بقبول قرار مجلس الأمن — دون غموض — وذلك اذا أرادت الاسراع فى التسوية .. وحكومة اسرائيل لم تكن قد قبلت قرار مجلس الأمن .

واكد ان السريه أمر ضرورى ، وأضاف انه يعتقد أن جولدا مائير واقعه تحت ضغط من المثقفين الذين ينتقدونها لعدم بذلها القدر الكافى من الجهد لاجل السلام ·· ولكن مثل هذه التصريحات من جانبها قد تسيء الى الفرص الممكنه لاجراء اتصالات سريه بين الممثلين المصريين والاسرائيليين وأضاف ان المصريين مستعدون للتوقيع على معاهدة سلام رسمية مع اسرائيل ، ولكنهم سيفعلون ذلك فقط فى حالة انسحاب الاسرائيليين من صحراء سيناء وتحويل شبه الجزيرة الى منطقة منزوعة السلاح ومن بينها شرم الشيخ وهى نقطة أساسية تحرس المدخل الى مضايق تيران وأضاف ان من بين الترتيبات أن يتم فتح قناة السويس وخليج العقبة للملاحة الدولية وأن تقوم قوة حفظ للسلام تابعة للامم المتحدة تحت الاشراف المباشر لمجلس الامن لحراسة سيناء ·· وأضاف ناحوم جولدمان ان المشكلة الكبرى هى القدس ويمكن التوصل الى حل بالنسبة لايجاد وضع خاص للقدس التى يمكن ان تحتفظ بأغلبيتها اليهودية)

وقد نمت آراء جولدمان وانتشرت بين عدد كبير من اليهود داخل وخارج اسرائيل ·· وقد أبلغنى خلال مقابلاتى معه ان عددا من المسئولين الاسرائيليين يهمسون له برغبتهم فى التوصل الى اتفاق ينقذ اسرائيل من ورطتها – على حد تعبيره ·

وكان جولدمان يعتبر ان بنحاس سابير وزير مالية اسرائيل هو اكثر الوزراء تفهما للموقف ورغبة فى السلام ·· كما ان موشى ديان كان يحاول الاتصال عن طريق جولدمان ، وعندما أثرت مداعبا عصابة عينه السوداء التى تكشف كل محاولة سرية ، قال جولدمان انه قد أبدى استعداده للبس نظارات سوداء ، وانه قد سبق له ممارسة ذلك فى اتصالات خاصة ·

ولكن جمال عبد الناصر لم يتخذ قرارا نهائيا فى حضور جولدمان للقاهرة أو فى السماح لى بمقابلة المسئولين فى الحكومة الاسرائيلية مكتفيا بتكثيف الضغط على الحكومة خلال كماشة طرفها حرب الاستنزاف المتصاعدة وطرفها الثانى جماهير اسرائيل المتعطشة للسلام مع الشخصيات المفكرة من المثقفين والادباء والعلماء والسياسيين الذين اتسعت جبهتهم حتى شملت أولياف سكرتير حزب ماباى والذى اتصلنا به فاقتنع رغم افكاره الصهيونيه بأهمية الانسحاب من الارض المحتلة والاعتراف بحقوق شعب فلسطين كوسيلة لاقرار السلام الدائم وهو الموقف الذى انتهى به الى الاستقالة من حزب العمال وتشكيل حزب خاص ·

وقد كانت الفرصة متاحة لناحوم جولدمان لعرض آرائه ونشرها فى مختلف صحف العالم باعتباره رئيسا للمجلس اليهودى العالمى ·

وكان ناحوم جولدمان يفكر تفكيرا بعيدا عن الحكومة الاسرائيلية ·· ولو انه ينبع من حرص على بقاء اسرائيل وضمان أمنها فى المستقبل ·

آراء جولدمان التى ضمنها مقالاته ثم كتابه (رئيس دولة بدون دولة) أثارت ضجة فى اسرائيل والحركة الصهيونية ، لانها أظهرت ان سياسة حكومة اسرائيل تزداد افلاسا وافتقادا للحس التاريخى ، وانها تخلق تناقضا بين اسرائيل ويهود العالم ·

ولا اريد ان اتعرض فى هذا الكتاب لآراء جولدمان بالنقد أو التحليل لان ذلك أمر يطول ٠٠ ولكنى أقف فقط عند التناقض الذى اقتنصه جمال عبد الناصر ولعب عليه ٠٠ فليس أمرا سهلا ان يختلف زعماء الحركة الصهيونية حول مفهوم السلام ٠

وقد اراد جمال عبد الناصر ان يزيد التناقض حدة فكشف عن صلتى مع ناحوم جولدمان فى خطابه أمام المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى فى ٢٣ يوليو ١٩٧٠ مدللا بذلك على رغبة مصر فى السلام وعناد حكومة اسرائيل ٠

ولا نطوى صفحة هذه القضية قبل التأكيد بأن سياسة جمال عبد الناصر السلامية قد اكسبته تأييدا كبيرا فى الرأى العالمى ٠٠ وفى داخل اسرائيل ٠

مبادرة روجرز

وجاءت مبادرة روجرز بعد قضية جولدمان ٠

حرب الاستنزاف مازالت فى عنفوانها ، وجمال عبد الناصر لاينجرف لاحلام السلام وحدها ٠٠ ولكنه يقبض على بندقيه لها فوهتان ، واحدة للحرب وأخرى للسلام ٠

كان جمال عبد الناصر قد اطمأن الى الدفاع الجوى عن داخل مصر منذ ١٨ ابريل ١٩٧٠ عقب وصول أطقم الدفاع السوفييتيه واعلان موشى ديان وقف غارات الاعماق لانه لا يريد مواجهة السوفييت ٠ كما سبق أن اشرت ٠

ولكن المعركة فوق منطقة القناة كانت تزداد شدة ٠٠ والغارات الاسرائيليه لاتتوقف معظم ساعات اليوم ٠ والجنود يعانون من الجهد والارهاق ولو أن الخسائر كانت تقل مع الوقت نظرا لاعتيادهم المعركه ، وكذلك كانت ترتفع روحهم المعنوية ، عندما يكتشفون ان الغارات التى أعلن جمال عبد الناصر فى احدى خطبه انها تكلف اسرائيل مليون دولار يوميا قد انتهت بغير خسائر أو بخسائر محدودة ٠

وكان التركيز الشديد للغارات الاسرائيلية يؤرق عبد الناصر كثيرا، لانه يعطل ــ الى حد ما ــ ترتيبات انجاز الخطة الدفاعية ٢٠٠ ، كما انه كان يتأثر كثيرا لاخبار الضحايا من الضباط والجنود ، وخاصة الذين شاءت الظروف له ان يلتقى بهم ٠

قال لى الفريق أول محمد فوزى ان جمال عبد الناصر قد اعتاد فوق زياراته المتكررة للجبهة وحضور المناورات والتدريبات ٠٠ كان يذهب للقيادة العامة مرتين كل اسبوع ويتناول طعام العشاء هناك ٠

وخلال هذه الحرب المركزة المتصاعدة كانت الاعصاب مشدودة واليقظة فى قمتها والتعاون مع الاصدقاء السوفييت فى أوثق صوره ٠

قال لى الفريق أول محمد فوزى انه حدث ان تحطم ١٢ ايريال رادار فى احدى الغارات ، فاتصل بالخبير السوفييتى الذى أرسل رسالة عاجلة الى موسكو بالشفرة ، ووصل المطلوب خلال ١٢ ساعة فقط ٠

كما يقول ان ٣٠ خبيرا ومستشارا سوفييتيا قد قتلوا أثناء المعارك ، وأن أربع طائرات ميج سوفييتية قد سقطت نتيجة توجيه سيىء من غرفة (الكنترول) فى بنى سويف ، حيث وضعتهم فى موقع الفريسة من طائرات

اسرائيلية مهاجمة .. ولم يكن العيب في الطائرات أو الطيارين كما حاول البعض التلميح لذلك .

ورغم ان جمال عبد الناصر كان قد سافر الى موسكو فيرحلته السريه يوم ٢٢ يناير ١٩٧٠ التي توصل فيها الى أخذ الموافقه على ارسال وحـدات دفاع حديثه سوفييتيه الى مصر لاول مرة في تاريخ العلاقات بين الدول الاشترا ليه ودول منطقه التحرر الوطني .. رغم ذلك فانه سافر الىموسكو مرة ثانيه يوم ٢٩ يونيو ١٩٧٠ على رأس وفد مشكل من على صبريومحمود رياض ومحمد حسنين هيكل ومراد غالب .

قال لى الفريق أول محمد فوزى وكتب محمد حسنين هيكل في كتابه (الطريق الى رمضان) انه فيبداية المحادثات قال جمال عبدالناصر لبريجنيف (ان عندى أخبارا سارة فقد اسقط أولادنا أمس ثلاث طائرات اسرائيليه - ٢ فانتوم وطائرة سكاى هوك - ولكن بريجنيف نظر الى جرينتشكو الذىاخرج ورقة من جيبه ونظر فيها ثم تحدث بالروسيه مع بريجنيف الذى قال (يبدو يارفيق ناصر انك قداخطأت فيالحساب فانه بناء على معلوماتنا فانكماسقطتم ٦ طائرات وكان هناك خط ربط تليفونى بين وزارة الدفاع السـوفييتية وقيادة الخبراء السوفييت في القاهرة .

وبين الزيارة الاولى .. والزيارة الثانية .. كانت قد حدثت في مجال الاتصالات الدولية والسياسية أحداث هامة .

تحدث وليم روجرز وزير الخارجية الامريكية يوم ٩ ديسمبر ١٩٦٩ في أحد المؤتمرات قائلا :

(سياسة الولايات المتحدة الامريكية تهدف الى تشجيع العرب علىقبول سلام دائم وفي الوقت نفسه تشجع اسرائيل على قبول الانسحاب منأراض محتلة بعد توفير ضمانات الامن اللازمة ، وان ذلك يتطلب اتخاذ خطوات تحت اشراف جونار يارنج وبنفس الترتيبات التي اتخذت في رودس عـام ١٩٤٨ ، وكمبدأ عام فانه عند بحث موضوعي السـلام والامن فانه مطلوب من اسرائيل الانسـحاب من الاراضى المصرية بعد اتخاذ ترتيبات للامن في شرم الشيخ ، وترتيبات خاصة في قطاع غزة مع وجود مناطق منزوعة السلاح في سيناء) .

ويلاحظ ان هذا التصريح الذى يعتبر جـديدا في مـوقف الولايات المتحدة لم يصدر الا بعد اشتداد حرب الاستنزاف . وتاثيرها على القـوات الاسرائيلية والمجتمع الاسرائيلي ، وهو مايجب ان نحرص على توضيحـه دائما ، فقد كانت هذه المرحلة من أبهر مراحل نضال الجنود المصريين .

قابلت القاهـرة تصريح روجرز بالصمت التام وبغير تعليق يظهـر الرفض او القبول .

أما اسرائيل فقد بادرت الى رفض مبادرة روجرز .

ويبدو ان حكومة اسرائيل في صلتها مع الحكومة الامريكية خلال هذه لفترة كانت تركن وتعتمد على هنرى كيسنجر الذى كان مستشار الرئيس لامريكى للامن القومى فقط .. وذلك كما أبلغنى ناحوم جولدمان وهو يقول ن كيسنجر كان يستخف بروجرز ويسعى لان يحل محله .

وقد وصل تأثير حرب الاستنزاف على اسرائيل الى الحد الذى دفع الحكومه الامريكيه الى تقديم مذكرة يوم ٢ فبراير ١٩٧٠ عقب ايام من عوده عبد الناصر من موسكو تطلب فيها وقف حرب الاستنزاف والعودة لوقف اطلاق النار والا فان اسرائيل سوف تستمر فى غارات العمق ولن تستطيع أمريكا ان تفعل شيئا ٠

وتابعت حكومة الولايات المتحدة دورها ، فصرحت مصادرها الرسمية بابداء الرغبة فى زيارة جوزيف سيسكو وكيل الخارجية الامريكية للجمهورية العربية المتحدة اذا قبلت القاهرة ذلك ٠

رحبت القاهرة ٠٠ ووصل سيسكو اليها يوم ١٠ ابريل ١٩٧٠ اثناء انتقال معدات الدفاع السوفييتيه سرا الى مصر ٠

بقى سيسكو أربعه أيام ، وقابل جمال عبد الناصر يوم ١٢ ابريل ، ويقول أمين هويدى وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية فى ذلك الوقت فى كتابه (أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧ وعلى حرب الاستنزاف) :

(تحدث سيسكو عن رغبة حكومة نيكسون فى تحقيق سياسة متوازنة فى المنطقه فهى — فى رأيه — اكثر مرونة من غيرها من الحكومات التى سبقتها اذ انها ترفض مبدأ المفاوضات المباشرة الذى تتمسك به اسرائيل ٠٠ واضاف سيسكو ان المبادرة التى يعدها روجرز سوف تكون فى صف العرب بمقدار ٦٥ بالمائة) ٠

ولم تنته المحادثات الى نتائج مادية محددة ٠

ومع ذلك فقد وجه جمال عبد الناصر رسالة مفتوحة الى نيكسون فى خطابه بشبرا الخيمه يوم أول مايو ١٩٧٠ أثناء الاحتفال بعيد العمال ،اشار فيها الى مقابلته مع سيسكو ، واعتبر ان الولايات المتحدة على وشك ان تقوم بخطوة بالغة الخطورة ضد الامه العربية عندما وافقت على عقد صفقة طائرات فانتوم وسكاى هوك جديدة لاسرائيل ، لانها تؤكد التفوق العسكرى لصالح اسرائيل ، وهو ما (سوف يؤثر على علاقات الولايات المتحدة بالامه العربيه لعشرات بل مئات السنين) ٠

وقال جمال عبد الناصر فى نفس الخطاب (انه اذا كانت الولايات المتحدة ترغب فى السلام فعليها أن تأمر اسرائيل بالانسحاب من الاراضى العربية المحتلة ٠٠ ان ذلك فى طاقة الولايات المتحدة التى تأتمر اسرائيل بأمرها لانها تعيش على حسابها) ٠

(والحل الثانى ٠٠ اذا لم يكن فى طاقة امريكا ان تأمر اسرائيل فنحن على استعداد لتصديقها اذا قالت ذلك مهما كانت آراؤنا فيه ، ولكننا فى هذه الحالة نطلب طلبا واحدا هو بالتأكيد فى طاقة أمريكا ٠٠ ذلك الطلب هو ان تكف عن أى دعم جديد لاسرائيل طالما هى تحتل أراضينا العربية) ٠

وخلص عبد الناصر بانه (اذا لم يتحقق الحل الاول أو الثانى فان على العرب أن يخرجوا بحقيقة لايمكن المكابرة فيها بعد الآن وهى ان الولايات المتحدة تريد لاسرائيل أن تواصل احتلال أراضينا حتى تتمكن من فرض شروطها علينا بالاستسلام ٠٠ وهذا لن يحدث ٠٠ وكل المؤامرات التى تجرى ضدنا لن تنجح) ٠

وختم خطابه قائلا :

(انني اقول للرئيس نيكسون ان هناك لحظه فاصله قادمة فى العلاقات، بين بلدينا اما ان تكرس القطيعه ، واما ان تكون بداية اخرى جاده ومحددة)

بعد توجيه هذا النداء من عبد الناصر الى نيكسون دارت عدة اتصالات بين سيسكو ودونالد بيرجس المشرف على رعايه المصالح الامريكيه فى السفاره الاسبانيه وبين وزير الخارجيه محمود رياض تضمنت رسالة من روجرز سلمها بيرجس الى صلاح جوهر وكيل وزارة الخارجيه يوم ٢٠ يونيو ١٩٧٠ .

وتضمنت الرسالة الموجهة الى محمود رياض من روجرز المقترحات الآتية :

١ ـ ان توافق كل من اسرائيل ، والجمهورية العربية المتحدة ، على العودة الى وقف اطلاق النار ولو لمدة محدودة .

٢ ـ أن توافق كل من اسرائيل ، والجمهورية العربية المتحدة ، والاردن على التصريح التالى الذى يصدره يارنج فى شكل تقرير الى السكرتير العام يوثانت :

(أبلغتنى ج.ع.م والاردن واسرائيل انها توافق على :

(أ) انه بعد ان قبلت وابدت رغبتها فى تنفيذ قرار ٢٤٢ بكل اجزائه فانها سوف تعين ممثلين لها فى المناقشات التى تعقد تحت اشرافى طبقا للاجراءات والمكان والزمان الذى قد اوصى به مع الاخذ فى الاعتبار ـ كلما كان ذلك مناسبا ـ مايفضله الاطراف بالنسبه لاسلوب الاجراءات وبالنسبة للتجارب السابقة بينهم .

(ب) ان الهدف من المناقشات المشار اليها عاليه هو التوصل الى اتفاق حول اقامة السلام العادل والدائم بينهم مستندا الى :

١ ـ الاقرار المتبادل من ج.ع.م والاردن واسرائيل للسيادة وسلامة الاراضى والاستقلال السياسى للطرف الآخر .

٢ ـ الانسحاب الاسرائيلى من أراضى احتلت خلال نزاع عام ١٩٦٧ وذلك طبقا للقرار ٢٤٢ .

(حـ) وانه لتسهيل مهمتى للعمل من أجل التوصل الى اتفاق كما تضمن قرار ٢٤٢ فان الاطراف ستحترم بكل دقة ابتداء من اول يوليو حتى اول أكتوبر على الاقل قرارات مجلس الامن الخاصة بوقف اطلاق النار)

هكذا كانت مبادرة روجرز الرسمية تقضى بوقف اطلاق النار لمدة ٣ شهور فور قبولها .. وكانت الجمهورية العربية المتحدة هى الدولة الوحيدة من دول المواجهة التى خرقت قرار وقف اطلاق النار الذى نص عليه قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، واستمرت المعركة كما أشرنا دون توقف .. ورفضت أكثر من محاولة قامت بها اسرائيل للارتداد الى قرار وقف اطلاق النار .

ولذا كان مجرد النظر والبحث فى وقف اطلاق النار من جانب القاهرة يعنى أن شيئا ما يدفع الامور فى هذا الطريق .

وقد أبدى بيرجس لصلاح جوهر بعد تسليمه الرسالة ملاحظات تشمل

الى أهمية الالتزام بوقف اطلاق النار سكلا ومضمونا ، وقد كتب أمين هويدى هذه الملاحظات تفصيليا فى كتابه (اضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧) وهى تشير اساسا الى أن وقف اطلاق النار يجب ان يشمل الارض والبحر والجو وعدم تغيير الوضع العسكرى شرق أو غرب القناة بوضع صواريخ واقـامة منشات حربيه . كما أن الولايات المتحدة سوف تطالب اسرائيل بالدخول فى مفاوضات غير مباشرة والموافقة على مبدأ الانسحاب قبل المفاوضات . وهـو ما يعتبر تنازلا ـ من وجهة النظر الاسرائيلية .

كما تضمنت ملاحظات بيرجس استعداد الولايات المتحـدة للمشاركة فى بذل الجهود من أجل السلام بعد بدء المفاوضات ، واستعدادها أيضـا لتنفيذ تعهداتها مع اسرائيل للامداد بالسلاح دون زيادة اطلاقا (١٠٠ طائرة سكاى هوك تم التعاقد عليها عام ١٩٦٦ ، ٦٠ طائرة فانتوم تم التعاقد عليها ١٩٦٨) . وان التوصل الى اتفاق سوف يخلق جوا ملائما لاستئناف العلاقات بين ج.ع.م والولايات المتحدة .. ويقول أنور السادات فى خطابه لأساتذة الجامعات يوم ٨ يناير ١٩٧٠ ان أمريكا تعهدت بعدم امداد اسرائيل بالاسلحة خلال شهور وقف اطلاق النار (٩٠ يوما) .

تسلم محمود رياض المبادرة أثناء زيارة جمال عبد الناصر الى ليبيـا خلال الفترة من ١٩ الى ٢٧ يونيو ولذا فقد أرسلت له رسـالة روجرز فى طرابلس .

ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) انه شعر بأن عبد الناصر قد وافق على المبادرة فور قراءتها دون أن يصرح لأحد بحقيقة رأيه ، وكان هيكل معه فى زيارة ليبيا .

وقال لى الفريق أول محمد فوزى انه عندما استشير فى بنود المبادرة ضغط لقبولها من وجهة نظر عسكرية بحتـة .. فقد كان يود الوصـول بحائط الصواريخ الى الضفة الغربية للقناة وذلك لحماية قواتنا فى الغرب من الغارات الاسرائيلية وتهديد الطائرات المعيرة الى مسـافة ١٥ كيلو مترا شرقها ، وهى مسافة كافية تتيح لقواتنا العبـور تنفيـذا للخطة الدفاعية ٢٠٠ بأمان نسبى .. وذلك لصعوبة نقل الصواريخ تحت قنابل الغارات المستمرة .

كان تأمين القوات المسـلحة المصرية من الغارات الاسرائيليـة ، مـع الاستعداد للعبور والهجوم هدفا من أهم الاهداف التى كانت تشغل فـكر عبد الناصر فى ذلك الوقت .

وفور عودة جمال عبد الناصر من طرابلس عقد اجتماعا للجنة التنفيذية العليا ، عرض عليهم فيه مشروع مبادرة روجرز .

ويقول ضياء الدين داود عضو اللجنـة فى ذلك الوقت ان جمـال عبد الناصر أعطى المشروع لعلى صبرى وكان مكتوبا بالانجليزية ولم يترجـم للعربية بعد .. وطلب منه قراءته .. ثم طلب بعد سماع اللجنة معرفة رأى اعضائها ، مبتدئا بالدكتور محمود فوزى مساعد رئيس الجمهورية .

وأدلى الاعضاء بآرائهم .. ولم تكن فى جملتها تميل ميلا واضحا لقبول المبادرة ، بل كان الاتجاه السائد هو التحفظ والرفض .

ولم يناقش جمال عبد الناصر الامر .. طوى الاوراق بلا كلمة واحـدة

معلنا أنهم سيواصلون المناقشة بعد عودته من الاتحاد السوفييتى ·
وسافر جمال عبد الناصر الى موسكو دون أن يفصح لأحد عن رأيه بالنسبة لقبول المبادرة ·
وبعد المباحثات مع القادة السوفييت ذهب عبد الناصر الى مصحة (بربيخا) لمدة اسبوعين ، ولتغطية ذلك أعلن انه يقوم بمباحثات مطولة مع الزعماء السوفييت الذين كانوا يقومون بزيارته فى المصحة بين حين وآخر ·

قال لى الدكتور مراد غالب سفيرنا فى موسكو ان عبد الناصر كان يطلب فى هذه الرحلة مزيدا من الاسلحة اقترابا لساعة تنفيذ الخطة ·وقال لى الفريق أول محمد فوزى ان التدريب كان قد وصل الى ذروته فى كافة مستويات القوات المسلحة ·

على مستوى الجنود ·· وصلوا الى حد عبور (مصرف المحيط) عند برقاش فى الجيزة تدريبا على عبور القناة وهم معصوبو الاعين لعدة مرات· كما درسوا مناطق العبور الاصلية فى القناة الى حد معرفة تفاصيل الارض معرفة دقيقة ·

على مستوى الدفاع الجوى ·· سقطت الطائرات الاسرائيلية التى تحدث عنها عبد الناصر وبريجنيف فى لقائهما الاول يوم ٢٩ يونيو ، وسقط طيار اسرائيلى عند جنيفا حيث التقط بهليوكبتر اسرائيلى بعد اتصال لاسلكى معه كما أسر خمسة طيارين اسرائيليين أحياء لأول مرة فى تاريخ المعارك · ·· واعتبر ذلك اليوم ٣٠ يونيو عيدا سنويا للدفاع الجوى ·

وعلى مستوى القيادة درست كافة احتمالات خطط الهجوم المضاد الاسرائيلى ومنها محاولات الاختراق عند الديفرزوار التى عرفت فيما بعد باسم خطة (الغزالة) ونسبت الى الجنرال شارون الذى نفذها يوم ١٦أكتوبر ١٩٧٣ ·

كانت القوات المسلحة قد وصلت الى ذروة الاستعداد تقريبا ولم يعد باقيا الا دفع حائط الصواريخ الى الأمام ·· الى الضفة الغربية للقناة ·
واختلفت الآراء حول (مبادرة روجرز) بين الذين يعلمون تأثير قبولها على موقف قواتنا المسلحة ·· وبين الذين لايعلمون ·
يقول أمين هويدى فى كتابه (أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧) وهو يومها كان فى مركز يتيح له معرفة مايدور فى كواليس السياسة المصرية :

(حينما درست هذه الرسالة ـ يقصد مبادرة روجرز ـ بوساطة الجهات المعنية هنا فى القاهرة انقسمت الآراء بين مؤيد ومعارض ، وأبلغت آراء المؤيدين والمعارضين للرئيس جمال عبد الناصر مع ذكر الاسباب التى تؤيد وجهات النظر المختلفة ، وأذكر اننى كنت أحد المؤيدين القلائل لهذه المبادرة) ·
وقد وجد أنور السادات بصفته نائبا لرئيس الجمهورية ورئيسا للجنة السياسية بالاتحاد الاشتراكى أن يعلن رأيه بالنسبة للمبادرة · · فدعا

اللجنة السياسية للجنة المركزية الى اجتماع تقرر فيه بالاغلبية عدم قبول المبادرة .

ولكن جمال عبد الناصر كان له رأى آخر ، لانه كان يعلم كل شيء ويمسك كافة خيوط الموقف .

وفي اجتماع مع بريجنيف عقد يوم ١٦ يوليو وهو اليوم السابق لعودته الى القاهرة قال جمال عبد الناصر انه قرر قبول المبادرة الامريكية، ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ان بريجنيف كان مندهشا ولكنه تفهم الموقف عندما قال له عبد الناصر مجيبا على تساؤله عما اذا كان سيقبل اقتراحا عليه العلم الامريكي (بالضبط ..اننيسأقبلها لان عليها علم أمريكي .. فاننا يجب ان نأخذ فترة لالتقاط الانفاس حتى نستطيع ان ننتهي من بناء مواقع الصواريخ .. اننا نحتاج ان نعطى فترة راحة لقواتنا المسلحة ، وأن نقلل من خسائر المدنيين — نحن نحتاج الىفترة وقف اطلاق نيران . وهذا التوقف لن تحترمه اسرائيل الا اذا كان اقتراحا أمريكيا .. ولكنني لاأعتقد ان لهذه المبادرة أى نصيبمن النجاح ، وفرصتها فى ذلك لا يتجاوز ½٪ .

كانت خسائر المدنيين الذين يشتركون فى بناء قواعد الصواريخ قد بلغت ٤٠٠٠ شهيد كما ذكرنا .

كان هذا يعني رفضا من جمال عبد الناصر لقرار نائبه في عدم قبول مبادرة روجرز ،

سافر أنور السادات الى قريته (ميت أبو الكوم) .

قال لى أحد أعضاء اللجنة التنفيذية العليا أن جمال عبد الناصر قد اعطى لهم توجيها بزيارة أنور السادات فى قريته .. وان جمال عبد الناصر قد زاره هناك وصحبه معه فى عربته الى الاسكندرية .

ودعا جمال عبد الناصر أعضاءاللجنة التنفيذية العليامرة أخرىلمناقشة المبادرة فاجتمعت عدا أنور السادات وبدأت المناقشة بالدكتور محمودفوزى مرة أخرى ، وحدث تغيير فى اتجاه الاعضاء نحو القبول ، شعورا منهم بأن جمال عبد الناصر قد اتخذ قرارا بالقبول .

وفى هذا الاجتماع دارت مناقشة طويلة أوضح فيها جمالعبدالناصر المبرر العسكرى لقبول المبادرة دون الدخول فى تفصيلات سرية .. كما قدم للاعضاء المبرر السياسى لقبولها أيضا ، باعتبار أن ذلك سوف يحرج اسرائيل أمام الرأى العام العالمى ، وأمام أمريكا أيضا ..

ويقول ضياء الدين داود أنه بعد أن انتهت المناقشات وانعقد اجماع الاعضاء على قبول المبادرة طلب منهم انيتحدثوا مع الناس فىالمبررالسياسى . دون أن يكشفوا عن المبرر العسكرى ، منبها الى أهمية ذلك .

أعلن جمال عبد الناصر قبوله للمبادرة فى خطابه يوم ٢٣ يوليو فى

العيد الثامن عشر للثورة ٠٠ وتفجرت ردود الفعل فيمختلف أنحاءالعالم ٠
فقد كان الاعلان مفاجئا بعد فترة صمت امتدت الى أكثر من شهر ٠

ولاحظ جمال عبد الناصر ان قبول المبادرة لم يصادف استجابة عميقه عند اعضاء المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي ، فقرر أن يعقد جلسه ثالثه سريه ، حتى لاينفض المؤتمر والاعضاء على غير اقتناع ٠

وفى هذه الجلسه السريه أفصح جمال عبد الناصر عن بعض الحقائق التى كانت مغلقة بالسرية حتى ذلك الوقت ٠

والظاهرة التي يجب الوقوف عندها طويلا هي خروج الاسرائيليين الى الشوارع في مظاهرات ترقص وتبتهج فقد انتهت بالنسبه لهم حرب الاستنزاف التي أرهقتهم نفسيا وماديا وكبدتهم خسائر كثيرة فيالارواح ٠

أنقذ قبول المبادرة الاسرائيليين من تكرار ماحدث فى ذلك اليوم الذى أطلقوا عليه اسم (السبت الحزين) عندما وقعت احدى دورياتهم في كمين للقوات المصرية المتسللة في سيناء ، وقتل منها ٤٠ جنديا ، وعاد المصريون باثنين من الاسرى ٠

رقص الاسرائيليون تصــــورا منهم ان المبادرة هى خطوة أولى نحو السلام فعلا ٠٠ وهكذا كانت قناعة الرأى العالمى أيضا ٠

كان محمود رياض قد سلم رد مصر الى دونالد بيرجس يوم ٢٢ يوليو

وبدأت مفاوضات وقف اطلاق النار ، فى وقت كان يتـولى فيه محمد حسنين هيكل أعمال وزارة الخارجية بجانب وزارة الارشاد القومى لوجـود محمود رياض في رحلة بالخارج لزيارة دول البلقان ٠

قال لى محمد حسنين هيكل انه فوجىء بأن دونالد بيرجس المشرفعلى المصالح الامريكية فى القاهرة يطلب منه Stand still cease fire أى وقف اطلاق النار مع تثبيت الاسلحة والصواريخ فى مواقعها ٠٠ وانه عندما أبلغ عبد الناصر ذلك طلب منه أن يماطلهم عدة سـاعات حتى يدفع صـواريخ هيكلية الى الضفة الغربية للقناة ، ثم يستبدلها ليلا فيما بعد بصـــواريخ حقيقية ٠٠ وكان الامر يحتاج منه الى مدة لاتقل عن ٦ ساعات ٠

وأبلغ هيكل بيرجس الذى كان يستعجله فى لهفة قائلا له انواشنطن معه على الخط ، وروجرز ينتظر النتيجة ٠

وقال له هيكل انه لايستطيع ان يعطى تأكيدا الا بعد ضمان وصول التعليمات الى كافة القوات المنعزلة والبعيدة فى منطقة البحر الاحمر ٠

وهكذا حصل جمال عبد الناصر على الساعات التى طلبها ٠

وقال لى الفريق أول محمد فوزى ان القوات أمضت الليل وهى تدفع صواريخ هيكلية الى الامام ، حتىاذا أشرق الفجر بدت تحت عدساتالاقمار الصناعية ، وكأنها صواريخ حقيقية فى موضعها ٠

ويقول هيكل ان الامريكيين قد انزعجوا من تحريك الصواريخوانهم ـ حسب قوله ـ فى كتابه (الطريق الى رمضان) قد اتهموا المصريين بالغش وانهم قرروا امداد الاسرائيليين بمزيد من الاسلحة ٠

يؤكد ذلك ان الدافع الرئيسى لقبول المبـادرة الامريكية كان دافعـا

عسكريا أساسا وهوتحريك حائط الصواريخ الى الضفة الغربية ·
ووضعت المبادرة موضع التنفيذ مع وقف اطـــلاق النار فى الساعة الواحدة من صباح السبت ٨ أغسطس ١٩٧٠ لمدة ٩٠ يوما ·· وأبلغ جمال عبد الناصر الفريق اول محمد فوزى بأن يستعد لتنفيذ المـرحلة الاولى من الخطة الدفاعية ٢٠٠ وهى ماسميت بالاسم الكودى (جرانيت ١) والتى تتضمن عبور القناة ودفع العدو الى الممرات ·

وقد كتب الفريق محمد على فهمى فى الاهرام يوم ٥ اكتوبر ١٩٧٧ يقـول :
(فى صباح يوم ٩ اغسطس ١٩٧٠ وهو اليوم التـالى لوقف اطلاق النار دعا قائد قوات الدفاع الجوى لاجتماع فىمكتبه حضره قادة التشكيلات وهيئة الاركان فى قيادة الدفاع الجوى)
ثم يحدد محمد على فهمى مهمة الاجتماع بقوله :

(طلب من المعاونين اعداد دراسات تفصيلية كلفيما يخصه عن المشاكل والصعوبات المنتظر ان تلاقيها قواتالدفاع الجوى فىمعركه العبوروالتحرير واعداد المقترحات كلها) ·
ويعبر محمد على فهمى عن الروح التى سادت فى هـذه الفترة بقوله أيضـا :
(ان التفوق الجوى الاسرائيلى حقيقة يجب أن نعترف بها ، ولكن ينبغى أيضا ألا ننسى اننا استطعنا تحدى هذا التفوق مرات عديدة خلال حـرب الاستنزاف بل واستطعنا تحقيق بعض الانتصـارات عليه ، وفى معركتنـا المقبلة لن يقتصر دورنا على مجرد تحدى هذا التفوق ، بل سيـكون علينا أن نهزم هذا التفوق ونحطم الاسطورة) ·

والفريق محمد على فهمى كان قائدا للدفاع الجـوى خلال حـرب الاستنزاف وأثناء قبول مبادرة روجرز ·· وهو مايؤكد جـدية الاستعداد للعبور والتحرير خلال فترة وقف اطلاق النار التى فرضتها المبادرة ·
ليس هناك شك فى ان السبب العسكرى كان فى مقدمـة الاسـباب الدافعة لقبول مبادرة روجرز ·

انعكاسات قبول المبادرة :

كان قبول عبد الناصر لمبادرة روجرز بمثابة (القنبلة السياسية)التى تفجرت فى انحاء العالم ·
بدأت الصحف الاجنبية تقرن اسم عبد الناصر بلقب (بطل السلام) ·
انتعشت العناصر التقدمية داخل اسرائيل ، ورأتان حلمها فىالسلام يقترب ·· وصرح ناحوم جولدمان بأن قبول مبادرة روجرز هو خطوة هائلة للسلام من جانب عبدالناصر وأن على الحكومة الاسرائيلية أن تلتقى معه فى منتصف الطريق ، وخاصة ان قبولها يعنى ضمنيا قبول اسرائيـل لقرار مجلس الأمن ·

صدمت العناصر الصهيونية التوسعية بقبول القاهرة للمبادرة وبدأت في محاولة تحطيم آثارها ، بتسليط الضوء على تحريك الصواريخ ، وجعله الموضوع الرئيسى المتكرر فى الصحف ٠٠ ومع ذلك تحطم الائتلاف الحكومى الاسرائيلى وانسحب وزراء حزب (جاحال) السته ومنهم مناحم بيجين وزير الدولة وعزرا وايزمان وزير المواصلات ٠

وهكذا اهتزت الجبهة الداخلية الاسرائيلية ٠٠ وسافرت الى باريس بناء على موافقة جمال عبد الناصر لدفع التحركات الضاغطة على الحكومه الاسرائيليه ، ومحاولة اظهار موضوع الصواريخ كأنه موضوع فرعى لايستحق الضجة والاحتجاج التى تثيرها الحكومة الاسرائيلية وأعوانها من الامريكيين ٠

ولكن موشى ديان أعلن فى الكنيسست ان اسرائيل تنظر الى الوضع الجديد للصواريخ نظرة خطيرة ٠ وأن حكومته قد قررت وقف بدء الاتصالات مع يارنج حتى تسحب الصواريخ المصرية ٠

وفى يوم ٦ سبتمبر أعلنت اسرائيل انسحابها من الاتصالات مع المبعوث الدولى يارنج بدعوى (انتهاك مصر لترتيبات وقف اطلاق النار ٠ ورفضها العودة بالموقف الى ماكان عليه قبل بدء تنفيذ وقف اطلاق النار فى ٨ أغسطس ١٩٧٠) ٠٠ ويذكر أن اسرائيل لم تعد للاتصال بيارنج الا بعد حصولها على صفقة أسلحة أمريكية قيمتها ٥٠٠ مليون دولار ٠

ورغم أن قبول مبادرة روجرز كان يعتبر من الوجهة السياسية انتصارا للسياسه السلامية اكسبت عبد الناصر تقديرا واسعا فى الرأى العام العالمى مما اعتبره وقتها حسب مقال نشرته فى روزاليوسف (ضربه معلم) ٠

ورغم انه كان يعتبر من الناحية العسكريه انتصارا حربيا لاشك فيه اذ أن العودة الى اطلاق النار كانت سوف تتم والقوات المسلحه المصرية فى وضع أفضل كثيرا عن ذى قبل ٠

ومع ذلك فان انعكاس قبول المبادرة من وجهة النظر العربية كان سلبيا ٠

لم تقدر بعض القوى أهمية قبولها تقديرا واقعيا سليما ، وانجرفت الى رفضها ٠٠ أعلنت ذلك كل من سوريا والعراق ٠

وأصدرت (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) بيانا قالت فيه اذا كان بعض العرب قد أجهدهم النضال فعليهم ان يتنحوا للجيل الجديد المستعد للتضحيات الضرورية ٠٠ ووجدت المنظمات الاخرى نفسها منجرفة الى هذا الاتجاه خوفا من اتهامها بالتفريط فى القضية الفلسطينية ٠٠ وخرجت المظاهرات فى شوارع الأردن ولبنان تهتف لاول مرة ضد عبدالناصر وحسين معا وفى مواجهها مظاهرات أخرى تدافع عن موقف عبد الناصر ٠

وانعكس ذلك فى اذاعة (صوت فلسطين) الصادرة من القاهرة ،والتى اتهمت الذين قبلوا المبادرة بالخيانة ، وهاجمت عبد الناصر الذى لم يحتمل مثل هذا الاسلوب ، وطلب وزير الارشاد محمد حسنين هيكل أن يبحث الامر مع قادة منظمة التحرير ، ويقول هيكل انه قابل فاروق قدومى وأبلغه بأنه يمكن لهم أن يهاجموا المبادرة كما تشاء لهم نظرتهم السياسية ٠ أما

أن يتعدى الامر اتهام الذين قبلوها بالخيانة فأمر غير مقبول ·

ويقول هيكل ان أجهزة اللاسلكى استقبلت بعد ذلك اشارة واردة لاذاعة (صوت فلسطين) تقول ـ لاتستجيبوا للضغط من احد ·· هاجموا اى شخص تريدون) ·

وصدر قرار جمال عبد الناصر بوقف اذاعة (صوت فلسطين) يوم ٢٩ يوليو ١٩٧٠ ·

وكان الامر فى حقيقته كارثة سياسية ·· لان تفسير الامر للقيادة الفلسطينية لم يكن أمرا صعبا او مستحيلا ·· والعوامل التى دفعت لقبول المبادرة لايمكن ان يرفضها وطنى وخاصة بعد أن تكشفت الامور عن موجة الاحتجاج الاسرائيلية العارمة على تحريك الصواريخ ، وبعد أن صارح جمال عبد الناصر أبوعمار بأن احتمالات نجاح المبادرة لاتتجاوز ½٪ وأن مدتها مشروطة بتسعين يوما فقط ·· وماكان سهلا على عبد الناصر أن يفقد بقبوله المبادرة حصاد ثلاث سنوات من القتال والنضال والتضحية ·

كانت كارثة سياسية ألا يتفهم القادة المصريون والفلسطينيون حقيقة الموقف ·· وكانت كارثة أيضا ان يخرج صدامهم الى الرأى العام · ولايصنفى بالاجتماعات الخاصة التى يمكن أن تزيد الامور وضوحا وتفسيرا ، وتذيب الحساسيات والشكوك ·

كارثة سياسية ·· لم تبدأ فى الحقيقة مع قبول مبادرة روجرز وانما بدأت قبل ذلك بشهور ·

كان الفلسطينيون قد أصبحوا بقواتهم المسلحة المتزايدة ، ومقاومتهم الباسلة ، مثل قنبلة زمنية تخشى الانظمة أن تتفجر فوق أرضها ·

وكان ماحدث فى لبنــان مما انتهى الى اتفاقيــة القاهرة فى نوفمبر ١٩٦٩ هو البداية التى كشفت التناقض بين القوى والتنظيمات الســياسية العربيــة ·

العرب ·· يقتلون العرب

ثم كان ماحدث فى الاردن

قوات المقاومة الفلسطينية كانت تعيش أساسا فى الاردن ، وهناك نوع من التعايش الســلمى وقبــول الامر الواقع بينها وبين الســلطة الاردنية ·

الفدائيون المقاتلون يحتلون المواقع فى الوديان والجبــال على حــدود الارض التى تحتلها اسرائيل ·· والقيادات تقيم فى عمان ·· ومعســكرات التدريب تنتشر فى اكثر من مكان

ومع الوقت أصبح للمقاومة الفلسطينية نوع من النفوذ الادارى المباشر على الفدائيين ·· وأصبحت بطاقاتهم صالحة كجواز مرور على الحدود

ولم تكن نظرة التنظيمات الفدائية موحدة فيما يتعلق بالنظام الاردنى · كانت (فتح) أكبر المنظمات تعلن انها لاتتدخل ولاتريد أن تتدخل فى الامور الداخلية للاردن ·· بينما كانت هناك منظمات أخرى تعلن ان طريق التحرير الى تل أبيب يمر بعمان وعواصم الدول العربية التى تسيطر عليهــا انظمة

رجعية .. ولم يكن ياسر عرفات (أبوعمار) مسيطرا على كافة التنظيمات.

قمت خلال هذه الفترة بزيارة الى الاردن مدعوا من منظمة (فتح) ولمست ان المقاومة الفلسطينية قد أثبتت وجودها بالتاثير المعنوى والنفوذ التنظيمى بين جماهير الشعب الفلسطينى . وان هنـــاك قتالا حادا يتزايد داخل اسرائيل والارض المحتله . وشـعرت بان هناك تناقضا بين السلطة وقوات المقاومه يحاول الطرفان ان يتحدثا به همسا ، دون أن يتفجرويظهر فوق السطح .

ولكن كتمان هذا التناقض ، وانتصار الحكمة ، وتثبيت مبدأالتعايش كان صعبا وضد طبيعة الامور .. فمما لاشك فيه ان نظاما فى السلطة له حسابات تختلف تمـاما عن حسابات قوى ثوريه تعيـش معـه فوق أرض واحدة .. ومما لاشك فيه ايضا ان بعض المزايدات والمواقف المتطرفه كانت تدفع بقية المنظمات الفدائية للجنوح الى انتهاج مواقف وأساليب لاتتفق مع الظروف الواقعية القائمة . وذلك خشـيه اتهامها بالتفـريط فى حق القضـية .

كل قوى المقاومة الفلسطينية أجمعت على رفض قرار مجلس الامن .. ولكنها لم تتفق على نهج النضال وأسلوبه فى المستقبل .. والوحدة التنظيمية أصبحت هدفا عسيرا .

دخلت خلافات الانظمة العربية وتناقضاتها الى الساحة الفلسطينية . فكل منظمة كان لها اتصال مع دولة أو قوة سياسية عربية .. الامر الذى فتح فرصة التسرب الى صفوف المناضلين ، وتشتيت جهودهم بالخـلافات المحليـة .

وظهرت بوادر صدام المقاومة الفلسطينية مع النظام الاردنى عنـدما أعلنت الصحف عن وجود خلاف بين المقاومة والملك حسين فى ١٢ فبراير ١٩٧٠ بعد اجتماع قمـة المواجهة الذى عقـد فى ٧ فبراير عقب زيارة عبد الناصر السرية الى موسكو والتى تم الاتفاق فيها على زيادة التعاون مع الاتحاد السوفييتى فى مجال الدفاع الجوى .

وأسرع عبد الناصر بالتدخل فعادت الاسلحة الى وضـع الراحة بدلا من وضع الاستعداد .. واستجاب الطرفان للزعيم الذى كان الفلسطينيون يتحركون تحت مظلته . والذي كان الملك حسين يخشى الصدام به .

ولكن الهدوء لم يستقر طويلا .. فرض الصدام نفسـه .. انطلقت ذخيرة البنادق نحو صدور العرب بدلا من الاسرائيليين .. ونشرت الصحف ان القتال قد اندلع فى عمان وضواحيها .. وبلغ عدد القتلى ١٢٢ قتيلا ، ٥٨٤ جريحا .. وكان ذلك فى شهر يونيو ١٩٧٠ بعد أن رفضت المقاومة قرار السلطات الاردنية بحظر حمل السلاح الا لأفراد القوات المسلحة .

ومرة أخرى أسرع الوسطاء . وهدأت الامور مؤقتا بعد أن أبعد الملك اثنين من كبار الضباط اشتهرا بالعـــداء للفلسطينيين واجتمع مع ياسر عرفات .. ولكن الذخيرة لم تنزع من البنادق .. وظل المرجل يغلى .

وجاء قبول القاهرة لمبادرة روجرز ، وما صحب ذلك من ظهورمعارضة المقاومة الفلسطينية ·

وتفجر الموقف دون تقدير سليم لأهداف عبد الناصر من قبول المبادرة ·

عمت المظاهرات عددا من المدن العربية ·· وتبادل المتظاهرون شعارات ولافتات بعضها يؤيد عبد الناصر والبعض يهاجمه ·

وكتبت وقتها مقالا فى مجلة (الحوادث) ـ عدد ٧ أغسطس ١٩٧٠ ـ جاء فيه :

(الظواهر المثيرة التى حدثتفىالوطن العربى خلالهذا الاسبوعليست جديدة او طارئة ·· بل كانت متوقعة ·

انها تعبير عن خلافات أصيلة فى الاستراتيجية الفكرية للقوى السياسية طفت الى السطح بعد أن كانت فى الاعماق · · وتبادل الناس الحديث عنها علنا وصراحة · بعد أن كانوا يدورون حولها فى حرص واستحياء ·

وتنبعث الخلافات ـ فى رأيى ـ حول تقدير قضية السلام فىالمنطقة خلال هذه المرحلة التاريخية الحاسمة ·

وما أظن الحديث عن السلام ـ كما يتصور البعض ـ يمكن أن يكون موضع خجل أو حساسية ·· ولا أعتقد ان المناضلين من أجل السلام أقل تضحية من المغامرين ·

وقلت :

(الظاهرة المميزة لسياسة القاهرة التى قبلت الحل السلمى هى الاستعداد المستمر خلال السنوات الثلاث الماضية لتطوير قواتها المسلحة، والوصول بها الى مستوى الكفاءة القتالية ·· وكان الاستعداد العسكرى الجاد هو وسيلة الذين قبلوا الحل السلمى للضغط على العدو من أجلتحرير الارض المحتلة)

ثم تساءلت :

(ماذا يحدث اذا فرضنا جدلا احتمال الوصول الى حل سلمى؟

كانت الاجابة الغالبة استبعاد هذا الاحتمال · ثم القاء كلمة صاخبة متطرفة بعيدة عن الاتزان المطلوب فى مواجهة أمور شديدة الحساسية والحيوية تتعلق بمستقبل الملايين ·

مجرد توجيه السؤال كان يصيبهم بالحساسية ·· وضاعت الشهور والسنوات دون محاولة جادة لمجابهة هذا الاحتمال الذىبدا فىذهنهم خياليا كالسراب ·

وهذه هى الاستراتيجية الفكرية التى يصعب تجريدها من الحماس والوطنية والتضحية ·· ولكنه لايصعب تجريدها من عمق الوعى وأصالة الفكر الواقعى ·

هذه الاستراتيجية الرافضة لكل شىء الا القتال حتى النصر · · · أو الموت ·

واذا تجاوزنا الخشية من أن تكون هذه الاستراتيجية الفكرية امتدادا للظاهرة العربية التى سادت خلال ربع القرن الاخير ، واعتادت أن تقف موقف الرفض مع كل قرار لايتفق تماما مع رغبتها ٠٠ والتى تجعل كلمة (لا) تسبق كل كلمات القاموس فى أى حوار سياسى ٠

اقول اذا تجاوزنا ان يكون موقف القوى الجديدة امتدادا لهذه الظاهرة القديمه ٠ فاننا نصل مباشرة الى قلب الموضوع فى صراحة وبلا حساسية ٠

هل يمكن ان يكون هناك تناقض بين الوصول الى حل سلمى وبين ماتصر عليه بعض قوى المقاومة ؟)

وبالمنطق الهادىء البسيط لا يمكن أن نجعل من تحرير القدس وسيناء والضفة الغربية والجولان خطوة الى الوراء ٠٠ ولا يمكن أن نقول أن تنفيذ قرارات الامم المتحدة فيما يتعلق بحقوق شعب فلسطين اعتداء على هذا الشعب ٠

ولذا يصبح الرفض المطلق والتناقض المصطنع ظاهرة غريبة ٠٠مثالية وبعيدة عن الواقعية)

ظهر هذا المقال فى وقت عمت فيه الخلافات وسادت ، وتصارعت الآراء فى المنابر وفوق صفحات الجرائد ٠٠ وتحولت فوهات البنادق من صدور الاعداء الى ظهور الذين يفترض فيهم أن يكونوا أصدقاء ورفقة نضال ٠

وخشى عبد الناصر ان يستغل الملك حسين الفرصة ويوجه ضربته الى الفدائيين فطلب منه الحضور لمقابلته فى القاهرة ٠٠ وحضر الملك يوم ٢٠ أغسطس يحمل سيلا من الشكاوى ضد المقاومة التى تحاول أن تخلق (دولة داخل الدولة) ٠

ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ان عبد الناصر قد قال له :

(أنا لاأريد منك أن تصفى المقاومة ، ولا من المقاومة أن تصفيك ٠٠أنا أعلم ان لديك من القوة مايجعلك قادرا على ضربهم ولكن هذا سوف يدفعك الى تصفية ٠٠٠ر٢٠ شخص وبذا تصبح مملكتك ــ مملكة الاشباح ــ وسأبلغ الفدائيين بألا يعملوا ضدك لانهم لايستطيعون ان يوفروا ماتوفره حكومتك لهم من تعليم وتموين ومواصلات وغيره ٠٠ وكلاكما يجب أن يتعايش فهذا هو الطريق الوحيد) ٠

وحضر ياسر عرفات يوم ٢٤ أغسطس ٠٠

لم يكن جمال عبد الناصر فاتحا صدره لهذه المقابلة ٠٠ فقد كان ياسر عرفات قد زار العراق وقابل السيد احمد حسن البكر ٠

وكان عبد الناصر يقاسى من هجمات سوريا والعراق على مصر لقبولها المبادرة ٠٠ ولذا اعتبر أن ذهاب أبوعمار لمقابلة البكر انحيازا منه الى الجانب

الآخر ، وهو الذى قدم له كافة المساعدات السياسية والعسكرية الممكنة التى تبتت أقدام المقاومة .

رفض جمال عبد الناصر فى هذه المقابلة اعادة فتح محطات صوت (فلسطين) التى أغلقها قبل ذلك بثلاثة أسابيع .

وحذر أبوعمار من أنهم بسياستهم سوف لايلومون الا أنفسهم اذا انقض الملك حسين عليهم .

وفى نفس الوقت أعطى لأبوعمار تفسيرا للدوافع التى أدت الى قبول مبادرة روجرز وأبلغه أن احتمالات نجاحها - كما قال لبريجنيف - لاتتجاوز ½٪

وبعد هذه المقابلة التى قال عنها ناتنج فى كتابه ناصر انها كانت (باردة) .

وبعد موقف الحكومة العراقية الذى كان يتبلور فى رفض المبادرة

بعد هذا وذاك أصبح موقف أبوعمار مرتبطا أشد الارتباط بموقف القوى الفلسطينية الاخرى وفى مقدمتها (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) التى كانت تدين المبادرة والانظمة وتجعل الفلسطينيين فى الساحةوحدهم يحاربون وظهورهم الى الحائط .

واتخذ أبوعمار قرارا بأن المقاومة الفلسطينية لانلتزم مطلقا بوقف اطلاق النار الذى تفرضه مبادرة روجرز .

ويشير هيكل الى أن عبد الناصر لم يصارح الفلسطينيين (طبعا) بأن السيادة الجوية الاسرائيلية قد تجعلنا ننزف حتى الموت فى حرب الاستنزاف ، وأن حلقة النجاة هى الوصول بحائط الصواريخ الى الضفة الغربية .

ولكن أمام تطور الاحداث السريع ، أرسل عبد الناصر وفدا يمثل الاتحاد الاشتراكى يضم أحمد بهاء الدين ومحمود أمين العالم وعبد اللطيف بلطية وعبد الهادى ناصف والدكتور وليم سليمان لمقابلة القيادات الفلسطينية أثناء اجتماع المجلس الوطنى الفلسطينى فى الاردن .. وقد حاول هذا الوفد اقناع هذه القيادات بالهدوء والتراجع عن موقفها المندفع، ولكن الامور كانت قد تجاوزت الحدود التى يمكن للعقل فيها أن يسيطر ويتحكم على جموح العاطفة .

ويقول هيكل ان الملك حسين سافر وهو غير سعيد .

وهنا لابد من الوقوف عند هذه الظاهرة .. ظاهرة عدم الثقة وعدم المبادرة الى تنسيق العمل فى ظروف خطيرة .

والحرص على السرية أمر مطلوب وضرورى وهام ..

ولكن كان يمكن تفادى كثير من ردود الفعل التى حدثت نتيجةقبول المبادرة ، بمصارحة القيادات الفلسطينية قبل اعلان قبولها بأهمية ذلك وحيويته من الناحية العسكرية ، والوصول معهم الى اتفاق كامل على موقفهم منها وحدود معارضتهم لها .

ولكن تركيز القرار فى قمة السلطة ، وعدم وجود كادر حزبى متفهم

ومعارس للعمل السياسى ٠٠ صعب الامور وعقدها ٠٠ وجعل بعض كبار المسئولين فى مصر يتارجحون فجأة من موقف المعارضة للمبادرة الى موقف التأييد دون تفسير ٠ وجعل بعض المسئولين العرب تأخذهم المفاجأة والدهشة ويتصورون أن فى وقف القتال لعبة ما ٠٠ كما انه أعطى لبعض المتطرفين من قادة حركات المقاومة فرصة فريدة للهجوم والتشهير ٠

ربما كانت هناك اعتبارات أمن تدفع الى الحذر من التصريح أو التلميح بالأسباب الحقيقية الموحية بقبول المبادرة ٠٠ ولكن احتمالات ردود الفعل ماكان يمكن أن تخفى على القائد السياسى ٠

ومنا حدث ى الواقع كان تأكيدا بأن هناك نوعا من عدم الثقة لم يستطع النضال المشترك ان يبدده وأن هناك خطأ ما قد وقع فى انضاج وعى بعض القادة العرب والفلسطينيين من ناحية الاقتناع بقبول المبادرة ٠٠ وأن ذلك قد انتهى الى كوارث مدمرة ٠

وخلق الثقة ، وتنسيق النضال ، أمور لا تنشأ فجأة ، وانما تتم عبر مراحل نضال طويلة ٠٠ وثلاث سنوات من القتال تعتبر مدة كافية لذلك ٠ ولكن غيبة التنظيم الحزبى والعمل السياسى من الجانب المصرى ٠٠ وغيبة الوحدة التنظيمية وتناقضات التنظيمات المختلفة من الجانب الفلسطينى كانت أسبابا جوهرية فى الحالة التى وصل اليها الموقف بعد قبول المبادرة ٠

وكل ماقام به جمال عبد الناصر من دعم للمقاومة الفلسطينية قد انتهى فى لحظة نتيجة لاخطاء ونقط ضعف سابقة ٠

ولم يقدر بعض القادة الفلسطينيين أن الحكومة الاسرائيلية نفسها قد أخذت تناور لتحطيم مبادرة روجرز التى خرج الشعب الاسرائيلى فى مظاهرات فرح صاخبة يوم اعلانها لانها أنهت التوتر الذى ساد جبهة سيناء ، ووضعت حدا لخسائر حرب الاستنزاف اليومية ، وفتح باب الامل فى تحقيق السلام ٠

ولكن الحكومة الاسرائيلية كانت تريد الخروج من (حصار السلام) فافتعلت من نقل الصواريخ قضية أحاطتها بدعاية هائلة ، وجعلت أمريكا تنقض شرطها الخاص بعدم امداد اسرائيل بالسلاح خلال أيام وقف اطلاق النار ، كما أعلن أنور السادات أمام أساتذة الجامعة يوم ٨ ينـاير ١٩٧١ عندما قال :

(انتهزت أمريكا هذه الفرصة علشان تقول أن القضية مش قضية احتلال اسرائيل لارض عربية ٠٠ لأ دى قضية خرق مصر لوقف اطلاق النار !

(وعلى هذا الأساس بدأ سيل الأسلحة يتدفق على اسرائيل مخالفا الكلام اللى قالته أمريكا بأنها لن تسلم اسرائيل خلال فترة وقف اطلاق النار أى سلاح) ٠

وهكذا تعثرت مبادرة روجرز ، ولم يقم يارنج بمهمته ٠٠ ولم ينفذ منها سوى وقف اطلاق النار ٠

والغريب ان المبادرة قد حوربت من بعض القيادات الفلسطينية ٠ ٠ وحوربت أيضا من الحكومة الاسرائيلية ثم الامريكية رغم انها قدمت من وزير خارجية أمريكا ٠

وهذا دليل على أن المبادرة كانت تحوى فى مضمونها مايعطى لجمال عبد الناصر فرصة المناورة وحرية الحركة استعدادا لتوجيه ضربته التحريرية وتحقيق سلام من فوهة البندقية ٠

الفصل الثاني

خريف عبد الناصر

الخريف يبدا فى سبتمبر ٠

أوراق الشجر تتساقط ٠٠ ويختلط اللون الابيض للسحب الطائرة مع اللون الازرق للسماء الصافيه ٠٠ وترطب نسمات الهواء البارد حرارةشهور الصيف ٠٠ وتغتسل الأرض برذاذ المطر ٠٠ والخريف عندنا هو الربيع ٠٠ لايحمل الاتربة ولا يعرف الحر ٠٠ وهو الفصل الذى يستقبل الناس فيه العمل بعد استرخاء الاجازات ٠٠ يقبلون على الحياة فى نشاط وسلام ٠

ولكن خريف ١٩٧٠ فى الوطن العربى كان شيئا آخر ٠

بدأ شهر سبتمبر والموقف يتردى فى الاردن ٠٠ يسقط القتلى والدماء تروى الارض مع زخات المطر ٠

واللحظة التى تصور جمال عبد الناصر انه سوف ينتهى فيها من الوصول بالصواريخ الى ضفة القناة الغربية لتأمين القوات المسلحة ٠٠ ليبدأ أياما يلتقط فيها النفس ٠٠ استعدادا لتنفيذ خطة التحرر ٠

هذه اللحظة لم تبدأ أبدا ٠

ولم يذق جمال عبد الناصر طعم الراحة التى طلبها منه الاطباء حماية لصحته ٠

كان الأطباء المصريون والسوفييت قد الحوا عليه فى أن يقضى شهرا كاملا بعيدا عن ممارسة المسئولية ٠٠ بعيدا عن المقابلات والاحاديث والتليفونات ٠

ورضخ جمال عبد الناصر ٠٠ واختار شهر سبتمبر ليمضى منه عشرة أيام فى مرسى مطروح ٠

ولكنه لم يخلع مسئولياته وهمومه قبل السفر .

قال لى الفريق اول محمد فوزى انه ذهب اليه هناك حاملا تفاصيل الموقف والخطه بعد الوصول بحائط الصواريخ الى شاطىء القناة .. وعندما حاول عرض الامر عليه فى حضور حسين الشافعى ركله فى قدمه تحت المائدة ، ونظر اليه نظرة فرضت عليه الصمت .

لم يكن جمال عبد الناصر راغبا فى كشف أسرار الخطة لشخص غير مسئول عن تنفيذها حتى ولو كان عضوا فى اللجنة التنفيذيه العليا ،وزميلا فى مجلس قيادة الثورة .

هل هو الحرص على السرية الذى لازم جمال عبد الناصر فى كل قراراته وخطواته الهامة ؟

هل منحته مسئولية الحكم خبرة أن تكون المعلومات الهامة فى حدود المسئولين عنها فقط ؟

أم .. هل كان هناك موقف خاص من زميله السابق يدفعه الى هذا التصرف ؟

رويت لى قصه ماظن ان مجال نشرها هذا الكتاب .. ولكنها تؤكد الحقيقه الموضوعيه القائمه .. وهى ان الدين تربعوا فى قمة السلطه حول الزعيم .. لم يكونوا - رغم دورهم التاريخى - أكثر الناس قدرة ووعيا .. وانهم ظلوا فى مواقعهم رغم صيحات الشعب المطالبه بالتغيير .. لان الزعيم قد استكان اليهم وارتاح لتصرفاتهم معه ..

لم يعرض الفريق أول محمد فوزى تفاصيل الخطة فى هذه الجلسة ، وعرضها بعد ذلك .

لم ينعم جمال عبد الناصر بلون البحر الفيروزى .. ولا بالهدوء الشامل فى مرسى مطروح .. اقتحمت الاحداث عليه خلوته ، وفرضت الكارثه نفسها عليه .

كان الملك حسين قد بدأ عملياته ضد الفدائيين .. وأسرع بعض قادتهم فى القاهرة - رغم موقفهم المعادى لعبد الناصر بعد قبول المبادرة - يقولون انه اذا لم يتدخل عبد الناصر ، فان هذا سوف يكون بمثابة الضوء الاخضر لمزيد من جموح السلطة الاردنية .

كان الموقف يتدهور ساعة بعد أخرى .. ونزيف الدماء بدأ يختلط بمياه الامطار وتراب الارض وعدد الذين تفقدهم المقاومة يتزايد .

واجتاح الغضب أرجاء الوطن العربى .. وأخذت الدهشة الرأى العام العالمى .. لان العرب بدأوا تصفية المقاومة الفلسطينية .

وعقدت جلسة طارئة لمجلس الجامعة العربية ، بعد أن اتصل بهم خالد الحسن مندوبا عن منظمة التحرير ، موضحا لهم خطورة الموقف .

تشكلت فى نفس اليوم لجنة خماسية من سليم اليافى أمين الجامعة المساعد ، وأمين الشبلى سفير السودان فى الجامعة ، وعثمان نورى سفير مصر فى الجامعة وسفيرها السابق فى الاردن ، ومندوب الجزائر ، ومندوب ليبيا .

سافرت اللجنة الى عمان يوم ٧ سبتمبر واختارت أمين الشبلى رئيسا لها ‥ وكانت المناوشات قد بدأت ٠ ولكنها لم تصل حد المذبحة ٠

وقامت اللجنه باتصالات مكثفه بين الملك حسين من جهة وبين أبوعمار وقادة المقاومة من جهه آخرى فى محاوله مستميتة لتفادى تفجير الموقف ٠

كان الملك مصرا على تأكيد سلطته فى دولتـــه ، وكان قادة المقاومة مصرين على عدم التراجع عما كسبوه من حقوق خلال سنوات مابعد العدوان، معتقدين فى قدرتهم على هزيمة قوات الملك واحتلال عمان ٠

قال أبوعمار لأعضاء لجنة الجامعة العربية ان قواته تستطيع أن تحتل العاصمة الاردنية فى ساعتين ٠ لان نصف الجيـش الاردنى سوف ينضـم اليهم اذا حدثت بين الطرفين معركة ٠

وكان هذا تفاؤلا مبالغا فيه ٠

استقبل عبد الناصر الموقف فى أسى فظيع ‥ وتبددت أحلامه فى أن يهجع قليلا الى الراحة ، لمواجهة أعباء الحرب من جديد بعد انقضاء ٩٠ يوما على وقف اطلاق النار ٠

وكان جمال عبد الناصر فى هذه الفترة قـد أصبح مريضا ‥ تثقله أعباء المسئوليات العديدة ٠

والنظـام الذى فرضه على نفســه لم يتح له تفريغ أصدقاء جدد ٠ ولم يعد بجانبه الا عدد محدود من الاصدقاء القدامى ٠

بعد الهزيمة انتحر عبد الحكيم عامر ‥ وترك موته أثرا بالغا فى نفسه ‥ فقد كان رغم كل شيء ـ أقرب الأصدقاء وأعزهم ٠

واستقال زكريا محيى الدين ولم يلتق بجمال عبد الناصر مطلقا ٠

والذين استمروا فى العمل معه تعرضوا لمواقف منه، صعب على بعضهم أن يجد لها تبريرا ٠

الفضيحة التى وضع فيها على صبرى عمدا ، لم تستخدم من قبل مـع الاصدقاء ٠ وعودته مرة أخرى الى العمل حتى وصل عضـوا فى وفد مصر اثناء زيارته فى يونيو الى موسكو ماأظن انها قد قد جعلت الجرح يلتئم ٠

وأنور الســادات الذى عينه نائبا له أمضى أياما فى قريته بعد رفضه لمبادرة روجرز ‥ وهـو تصرف ما أظن أن نائب رئيس للجمهورية يغمـره بسهولة فى بحر النسيان ٠

وتعرض محمد حسنين هيكل أيضا الى موقف لم يتعرض له من قبل، غندما فوجيء فى شهر أبريل ١٩٧٠ بتعيينه وزيرا للارشـاد بدلا من محمد فايق الذى أصبح وزير دولة للشـئون الخارجية ‥ فى نفس الوقت الذى أصبح فيه حسن التهامى وسعد زايد وسامى شرف وزراء أيضا ٠

وهيكل يقول الى فؤاد مطر فى كتابه (بصراحة) ـ كنت فى حالة صعبة من الضيق وقتها بسبب قرار توزيرى ٠

وبعد أيام صـــدر قرار باعتقال لطفى الخولى رئيس تحرير الطليعة وسكرتيرة هيكل نوال المحلاوى وهما يتبادلان حـديثا مليئا بالهجوم عـلى عبد الناصر نتيجة لهـــذا التعيين الذى لم يوافق هوى فى نفوسهم ولا نفس هيكل أيضا ٠

كانت تصرفات عبد الناصر قد تركت فى نفوس هؤلاء جروحا ٠ ٠ استطاع البعض أن يعلو عليها ويعبرها ٠٠ وبقيت غائرة لا تلتئم فى نفوس البعض الآخر ٠

وهى تصرفات تبدو فيها عصبية الارهاق وتوتر المرض ٠ لان عبدالناصر كان يراجع نفسه فيها ، ولا يصر عليها ٠

وفي هذه الفترة كان قد قرب اليه عبد اللطيف البغدادى ٠٠ والتقى الاثنان كثيرا فى سهرات خاصة ٠

قال لى عبد اللطيف البغدادى انهما كانا يتناقشان فى السياسة كثيرا لتقريب وجهات النظر ٠٠ وانه كان يعد له رحلة لزيارة الاتحاد السوفيتى للتعرف على زعمائه الجدد وعلى ابعاد الصداقة الوثيقة بين الدولتين ٠٠ وقال لى أيضا انه تحدث اليه فى موضوع ترشيحه رئيسا للوزراء ٠

ولكن هذه الصلة لم تثمر شيئا ٠٠ فقد كان البغدادى غير متحمس للتعاون مكتفيا بتجديد الصداقة ٠٠ وعبد الناصر كان يريد صديقا يفكر مثله ٠

وتثبت هذه الصلة الطارئة ان جمال عبد الناصر قد حاصر نفسه خلال سنوات حكمه بقيود جعلته لا يتعرف الى شخصيات جديدة يمكن ان تصبح له فى موضع الصديق ٠ ٠ وأسلوب يجعل الوصول الى صداقته امرا عسيرا ٠

وتثبت أيضا أن النظام لم يفرخ قيادات مؤمنة بالتحول الاشتراكى يمكن ان تفرض نفسها ٠٠ وأن محاوله اعادة البغدادى للعمل ، تشير الى أنه كان يحاول تغيير أفكاره أولا ثم الاعتماد عليه بعد ذلك ٠٠ وهذا أمر يتناقض تماما مع بعث القيادة فى مجتمع اشتراكى فهى لاتورث ٠ ولا تتم بالاختيار ٠

ولذا يمكن القول بأن جمال عبد الناصر قد واجه كارثة محاولة تصفية المقاومه وحيدا ٠٠ ومريضا ٠٠ وتتنازعه عدة عوامل نفسية ٠

الموقف يتدهور فى سرعة ٠

وعلى الساحة العربية بدأ جمال عبد الناصر يستشعر أشياء غريبة ٠

المقاومة الفلسطينية التى احتضنها وفتح لها ذراعيه أصبحت تهاجمه بعنف ٠٠ سوريا والعراق تشتد أيضا فى الهجوم ٠

المواقف الاستفزازية لبعض المنظمات تعقد الامور وتجعل الصدام أمرا حتميا لاسبيل لتفاديه ٠

وعبدالناصر فى أزمته النفسية حريص على بقاء المقاومة لدورها الايجابى فى معركة التحرير ٠٠ تعيس للتمزق الذى تعيشه منظماتها ٠٠ حزين لان أحدا فى صفوفها لم يعد قادرا على الدفاع عنه ٠

كان جمال عبد الناصر شديد الايمان بما قام به ٠٠ ولكنه كان عاجزا عن اقناع الآخرين ٠

وأسهمت (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) فى اشعال الموقف المعادى لعبد الناصر وللانظمة العربية ٠٠ وأسهمت أيضا بشكل رئيسى فى استفزاز

النظام الاردنى .. وفى وضع المنظمات الاخرى وخاصة فتح تحت نيران الاتهام بالتفريط .

وتعثرت العمليات الفدائية داخل اسرائيل .. بعد أن أصبحت حماية المقاومه داخل الأردن هى المسئوليه الاولى للجميع .

واختارت الجبهه الشعبيه طريقها (الخاص) لتصعيد المعركة بعيدا عن قبضة الملك حسين .

وقامت يوم ٦ سبتمبر بخطف طائرة بوينج أمريكية كبيرة هبطت فى القاهرة ثم نسفت بعد اخلائها من الركاب .

ولم يقف الامر عند هـذا الحد فقد خطفت بعد أيام طائرتين واحدة أمريكيه والاخرى سويسرية تبعتها ثالثة بريطانية وهبط الجميع فى مطار مهجور بالاردن أطلقوا عليه اسم (مطار الثورة) ..وطلبت الجبهه من حكومات انجلترا واسرائيل وسويسرا وألمانيا الغربية اطلاق سراح الفدائيين المعتقلين قبل الافراج عن الركاب .. ولكن جميع الحكومات رفضت الخضوع .

ورغم ان منظمة التحرير والحكومات العربية قد أدانت هذا الاسلوب الا أن أحدا لم يستطع أن يتدخل لانقاذ الركاب الذين اضطرت الجبهة للافراج عنهم بعد أربعة أيام عقب نسف الطائرات الثلاث .

وكان هذا الحادث هو أكثر الحوادث استفزازا للنظام الأردنى ، استغله الملك حسين الذى قال له جمال عبد الناصر فى معرض مطالبته بأن يحافظ على المقاومة انه يمكن اطلاق لفظ (صبر حسين) مثل (صبر أيوب) .. ولم يقبل الملك أن يصل الاعتداء على مملكته الى هذا الحد باقامة (دولة داخل الدولة) .

وارتكبت الجبهة الشعبية بهذا الحادث خطأ تاريخيا .. فهو عمل بعيد تماما عن مقاومة العدو .. مثير لعداوة الشعوب والرأى العام العالمى .

وكانت الجبهة الشعبية قد بدأت أسلوب خطف الطائرات منذ يوليو ١٩٦٨ عندما خطفت طائرة بوينج اسرائيلية كانت فى طريقها من روما الى تل أبيب ، وأجبرت بوساطة المسلحين الفلسطينيين على الهبوط فى الجزائر حيث بقى ١٢ راكبا اسرائيليا فى الحجز لمدة شهرين قبل اطلاق سراحهم .

وبعد خمسة شهور استولى الفدائيون على طائرة بوينج اسرائيلية أخرى فى مطار أثينا حيث قتل أحد الركاب قبل أن يعتقل البوليس اليونانى المختطفين .

ورد الاسرائيليون على ذلك بتدمير ١٣ طائرة عربية فوق أرض مطار بيروت .

ومع ذلك لم تتوقف الجبهة الشعبية عن انتهاج هذا الاسلوب .. فقد هجم مجموعة من أفرادها فى مطار زيوريخ على طائرة اسرائيلية فجرحوا ستة من الركاب وأفراد الطاقم ، وقتل أحد الفلسطينيين واعتقل البوليس السويسرى الباقين وذلك فى فبراير ١٩٦٩ .

ولم تفلح محاولات أبو عمار فى وقف مثل هذه العمليات التى كانت تشوه وجه المقاومة وتسىء الى أهدافها النبيلة ، فقد اختطفت طائرة أمريكية

كانت فى طريقها الى تل أبيب فى أغسطس ١٩٦٩ وهبطت فى دمشق ، وفى سبتمبر هوجم مكتب شركه (العال) فى بروكسل ودمر تماما ، وهوجمت بعد ذلك مكاتب اسرائيلية فى بون ولاهاى ثم فى أثينا خلال شهر نوفمبر ١٩٦٩ حيث هوجم مكتب شركه (العال) ايضا وجرح ١٥ شخصا ٠

وفى يناير ١٩٧٠ خطفت طائرة أمريكية أخرى فى طريقها بين باريس وروما ، وفى فبراير هوجمت عربة شركة طيران فى مطار ميونيخ ظنا بأن ابن موشى ديان هو أحد الركاب ٠

وقد أثارت هذه الحوادث المتكررة غضب كثير من الدول العربية ومنظمه فتح وغيرها ٠٠ وخلقت موجه من الرفض العالمى لهذا الاسلوب الذى يعرض المدنيين للخطر. ويفتعل أحداثا مثيرة فى دول يحرص العرب على كسب الرأى العام فيها وليس تنفيره واجباره على اتخاذ موقف العداء ٠

وأعلن رئيس وزراء الاردن ادانته لمثل هذه الاعمال وأعلن انه سيعتبر القائمين بها خارجين على القانون ٠

واضطر ابو عمار لاصدار بيان فى يونيو ١٩٧٠ باسم المجلس الوطنى الفلسطينى يعلن فيه ان عمليات خطف الطائرات المدنيه منافيه للهدف الفلسطينى ومتناقضة مع سياسة منظمة التحرير الرسمية ٠

ولكن الجبهة الشعبية أرادت أن تثبت استقلالية سياستها فخطفت طائرة يونانيه لم تفرج عنها الا بعد أن أفرجت الحكومه اليونانية عن سبعة من الفدائيين المعتقلين ٠

تاريخ طويل فى خطف الطائرات لايمكن تدوينه ضمن النضال ضد الاحتلال الاسرائيلى للأرض العربية ٠

ولو كان خطف الطائرات سبيلا لتحرير الارض لكان الفيتناميون قد خطفوا كل الطائرات الامريكية ، ولم يواصلوا النضال الشاق فى حرب مريرة أكثر من ثلاثين عاما ٠

ولكنها فيما يبدو كانت فترة لم تنضج فيها بعض القيادات الفلسطينية ولم تصقل بالخبرة والتجربة ٠٠ فأرادت أن تلفت نظر الرأى العام العالمى لقضية شعب فلسطين بهذه الاحداث المثيرة التى لم تثمر شيئا نافعا ٠

وكان حادث الجبهة الأخير هو الفرصة النادرة للملك حسين ٠٠ اذ أبلغ أمين الشيلى رئيس لجنة الجامعة العربية عندما قابله يوم ١٢ سبتمبر انه اذا لم يحدث اتفاق قبل يوم ١٥ سبتمبر فانه سوف يصدر الامر لقواته المسلحة بضرب المقاومة ٠

وكانت الجبهة الشعبية قد منحت بعض ركاب الطائرات المحتجزة (تأشيرات دخول) خاصة على جوازات سفرهم ٠

وفى يوم ١٥ سبتمبر توصلت لجنة الجامعة الى اتفاقية مشتركة أعلنتها الاذاعة الأردنية ٠

واعتقد البعض ان الامور تمضى الى هدوء وسلام ٠

ولكن الملك أصدر قرارا فى الثانية من صباح يوم ١٦ سبتمبر بتغيير وزارة عبد المنعم الرفاعى وتعيين اللواء محمد داود رئيسا لوزارة عسكرية أعلنت الاحكام العرفية ٠

ويقول أمين الشبلي ان محمد داود قد أمضى يوم ١٦ سبتمبر وهو يتصل به في نقابة المحامين بعمان . التى اختارها مقرا للجنة الجامعة العربية مطالبا بسرعة تنفيذ الاتفاقية التى كانت تنص على خروج الفدائيين من المدن وعدم حملهم السلاح .

ولكن اللجنة التنفيذية المشكلة من ١١ منظمة فلسطينية رفضت الحضور متخذة من التعيين الوزارى دليلا على عدم جدية النظام الاردنى ، أو رغبته في اقرار الهدوء .. واعتبرت أن تشكيل الوزارة العسكريه دليل لايعوزه التأكيد على أن الملك سادر فى خطته لضرب المقاومة .

وأصدرت اللجنة التنفيذية التى اجتمعت فى الاشرفية بيانا بذلك رغم محاولات أمين الشبلي وأعضاء اللجنة فى عقد اجتماع مشترك مع ممثلى السلطة لتنفيذ الاتفاقية .

وفي يوم ١٧ سبتمبر الساعة الواحدة صباحا اتصل أبوعمار بأمين الشبلي وأبلغه ان الضرب قد بدأ .. وتفجرت العاصمة الاردنية بأصوات القنابل وطلقات الرصاص . . وانفضت اللجنة الخماسية للجامعة العربية .

اصدر الملك الاوامر لقواته المسلحة بالهجوم على معسكرات الفلسطينيين ومراكز تدريبهم وقواعد المقاومة ومخابئها .

وتحركت قوات البادية تدمر كل شيء وتقتل كل فلسطينى .

مأساة .. وكارثة .

وتحركت القوات السورية الى بلدة (الرمثا) على الحدود الاردنية .. ولم تقابل هذه الحركة بالصمت من جانب الولايات المتحدة . أبلغت عن طريق الاتحاد السوفييتى بأنها لن تسمح بدخول القوات السورية الى الاردن .. وانها سوف تحمى نظام الملك حسين .

ووصلت الى جمال عبد الناصر معلومات تفيد بأن القوات الجوية الامريكية في تركيا قد وضعت فى حالة استعداد لسحب الامريكيين من الاردن .. واعتبر ان هذا غطاء لعملية غزو مرتقبة . . وطلب من حافظ اسماعيل مدير المخابرات العامة فى ذلك الوقت متابعة كافة التحركات الامريكية .

وقد صرح نيكسون فيما بعد بأن الولايات المتحدة لم تقترب من خطر صدام عالمى مثلما اقتربت فى هذه الفترة .

عاد عبد الناصر الى القاهرة ليواجه الموقف المتردى .. وفكر للوهلة الاولى بالذهاب شخصيا الى عمان لفرض وقف اطلاق النار ، ولكنه أرسل الفريق محمد أحمد صادق رئيس الاركان فى ذلك الوقت الى عمان ليبصر الملك باخطار تصفية المقاومة ، وليقنعه بأن الحرب الاهلية لن تكون الا فى صالح اسرائيل .

قال لى الفريق محمد احمد صادق انه ذهب ومعه طائرتان تحملان الادوات الطبية ، وانه وجد من الملك حسين رفضا واضحا لقبول تصرفات

المقاومة الفلسطينية . وانه مصر على تحرير ارادة حكومته من كل هذه الضغوط .

ظل الموقف يتدهور بطريقة مفجعة ، وساد الظلام فى الاردن .وتحول شهر سبتمبر الى شهر كئيب حزين أسود .. وتجاوز عدد الذين سقطوا قتلى برصاص السلطة الاردنية ، عدد الفدائيين الذين استشهدوا فىعملياتهم داخل اسرائيل والارض المحتلة .. وفى كافة المعارك الخالدة مثل (الكرامة) وغيرها .

وصل رئيس سوريا نور الدين الاتاسى الى القاهرة يوم ٢١ سبتمبر، وهو يحمل معه الرغبة فى دخول الاردن .. ولكن جمال عبد الناصر حذره من الموقف الامريكى ، ومن الخطوات غير المحسوبة .

ولم يجد عبد الناصر سبيلا لمواجهة الموقف سوى بالدعوة لمؤتمر قمة عربى .

مؤتمر القمة الاخير :

استجاب الملوك والرؤساء ، واجتمعوا فى القاهرة مع يومى ٢٢ و ٢٣ سبتمبر ١٩٧٠ .

مؤتمر القمة ينعقد قبل مضى عام على مؤتمر الرباط (ديسمبر ١٩٦٩) .

تجبر الظروف جمال عبد الناصر على عقد هذا الاجتماع .. وهو الذى أطلق التساؤلات المحرجة فى وجه هؤلاء المجتمعين قبل تسعة شهور .. ثم غادر اجتماعهم ليواصل الاستعداد للمعركة .

ولكن فظاعة الكارثة كانت تفرض نفسها على الجميع .. عار تاريخى يلحق بهؤلاء الرؤساء والزعماء .. المقاومة الفلسطينية التى نمتوتضاعفت وفرضت نفسها على العالم بعد مؤتمر الخرطوم - اغسطس ١٩٦٧ - وبعد تغير قيادتها عقب استقالة احمد الشقيرى .. تذبح اليوم علنا برصاص العرب .. وكل القيادات عاجزة عن حمايتها .

المؤتمر ينعقد فى ظروف قاسية .. والدهشة تعقد الألسنة أمام جسامة المأساة .

الملوك والرؤساء يتوافدون الى فندق هيلتون على نيل مصر .والمذبحة مازالت مستمرة فى الاردن .. وأحرار العالم يحتجون فى مظاهرات صاخبة .

التاريخ يسجل الأحداث بقلم من الدم .. وأنظار الجميع تتجه الى الفندق الكبير ، تتسابق لمعرفة الاخبار . وما يصدر عن المجتمعين منقرارات يمكن أن توقف النزيف . قبل أن يهمد جسد المقاومة .

الملك حسين لايحضر ويرسل اللواء محمد داود رئيس الوزراء مندوبا عنه يوم ٢٣ سبتمبر .

البعض يحاول ان يدين النظام الاردنى ويتخذ موقفا ضد الملكحسين، وخاصة معمر القذافى .. وجمال عبدالناصر يدرك ان هذه القراراتلن توقف

نزف الدماء ، وستدفع الملك حسين لمواصلة مايقوم به .

ويرسل المؤتمر جعفر نميرى مندوبا عنه على رأس وفد يضم الباهى الادغم رئيس وزراء تونس وأمين الشبلى سفير السودان فى الجامعة العربيه ووزير العدل السابق فى وزارة ٢٥ مايو والفريق محمد أحمد صادق سافر الى عمان يوم ٢٢ سبتمبر .. وصرح نميرى لانطونى ناتنج بأنه لم يواجه موقفا أكثر صعوبة من هذا الواجب الذى كلف به .

لم ينجح الوفد فى وقف اطلاق النار .

كما يقول الفريق محمد أحمد صادق أن أسلوب العملية يدل على أن النية كانت مبيتة لها .

وعندما يعجز الوفد عن الوصول الى تسوية بين العرب المتحاربين .. أوبين جيش الملك ومعظمه من البادية وقوات الفدائيين ، يعود الى القاهرة ليفضى الى المجتمعين بصعوبة الموقف وخطورته .

وتتبلور عند جمال عبد الناصر معلومات تفيد ان مايحدث فى الاردن، وما قاله عنه الباهى الادغم بأنه أمر لايحدث فى أية دولة متحضرة كعملية بوليسية وانما هو عملية حربية شاملة .. انما هو تدبير وتخطيط من المخابرات المركزية الامريكية بالتعاون مع بعض العناصر الاردنية مثل وصفى التل .. خاصة وأن بوارج الاسطول السادس كانت تواجه الشواطىء الاسرائيلية واللبنانية وضمنها حاملتا طائرات .

وكان جمال عبد الناصر على أشد الحذر من انزلاق الامور الى تدخل أمريكى اسرائيلى مشترك .. ولذا فقد صارح السوريين عندما أظهروا رغبتهم فى دفع قواتهم للاردن بأن مصر لن ترسل أى قوات لسوريا أو الاردن فى حالة تدخل أمريكا .

وكان جمال عبد الناصر صائبا فى رؤيته .. فان الامريكيين أخذوا الامر على محمل الجد ، وأوضحت التقارير الواردة من واشنطن ونيويورك أن نيكسون قد يرسل الى الاردن بقوات أمريكية فى أية لحظة .. كما ان قادة الاتحاد السوفيتى قد طالبوا عبد الناصر بضبط النفس تفويتا للمؤامرة .

أكد نيكسون ذلك بعد انتهاء الازمة كما أشرنا .. ولم تثبت المعلومات أن الملك حسين قد طلب مساعدة أمريكية .

واضح أن القوات الاردنية كانت قادرة ـ وحدها ـ على تنفيذ المهمة التى كلفت بها .

ولم يعد أمام المؤتمر من سبيل سوى الارتفاع عن كلمات الادانة ، ومطالبة الملك حسين بحضور المؤتمر ، وخاصة بعد أن عاود جعفر نميرى سفره الى الاردن يوم ٢٤ سبتمبر على رأس وفد يضم حسين الشافعى والباهى الأدغم والشيخ سعد العبدالله الصباح وزير دفاع وداخلية الكويت .

وكان محمد داود الذى عينه الملك حسين رئيسا لوزارة عسكرية قد أرسل الى الملك استقالته لان ابنته المتزوجة فى بيروت حضرت اليه أثناء انعقاد المؤتمر فى القاهرة وتمثيله للاردن وطالبته بألا يكون مخلب القط

الذى يضرب الفدائيين ‥ ولان معمر القذافي واجهه بمسئوليته فى خيانة القضيه العربية ·
استقال وحصل على الجنسية الليبية ·
وينصل جمال عبد الناصر بالملك حسين طالبا منه الحضور الىالقاهرة مقتنعا بان حضوره يخفف من غلواء بعض أقاربه والمحيطين به الذين يدفعونه فى تعصب أحمق الى تصفية الفلسطينيين ‥ حتى الذين يعيشون المأساة فى خيام اللاجئين ·
تحدث عبد الناصر الى الملك حسين وبجانبه الامير صباح السالم الصباح أمير الكويت ‥ وحرص أثناء الحديث أن يثنى على الملك حتى يغريه على الحضور ·
وكان عبد الناصر مقتنعا بأن مسئولية المذبحة البشعة تقع على عاتق النظام الاردنى أساسا ، ولكنه كان مقتنعا أيضا بأن تصرفات الجبهة الشعبية قد دفعت الامور الى ذلك ·
الوفد المفوض من مؤتمر القمة يلتقي مع ياسر عرفات فى السفارة المصرية أثناء زيارته الاولى وخلال الزيارة الثانية يقوم الوفد بتهريب ياسر عرفات فى طائرتهم الى القاهرة بعد ان أمر الشيخ سعد العبد الله ولى عهد الكويت حاليا ووزير دفاعها فى ذلك الوقت ـ أحد أعوانه بخلع جلبابه أو (دشداشته) والباسها لابى عمار الذى ما كان ليفلت من القوات الاردنية التى صوبت نيرانها على مقر اقامة وفد مؤتمر القمة عندما علمت انه لايريد أن يغادر البلاد الا بعد وقف اطلاق النار تماما ·

وعندما استجاب الملك حسين لرغبة عبد الناصر وحضر الى المؤتمر يوم ٢٥ سبتمبر ‥ دخل قاعة الاجتماع يحمل مسدسه وكذلك أبو عمار ‥‥ وأراد الملك فيصل ترطيب الجو فقال انه يجدر بنا أولا نزع سلاح المتحاربين ·
وتوصل المؤتمر يوم ٢٧ سبتمبر الى اتفاق وقعه الملك حسين وياسر عرفات ويقضى بالآتى :

أولا : الوقف الفورى لاطلاق النار ·
ثانيا : انسحاب الجيش الاردنى والفدائيين من كافة المدن قبل مغرب نفس اليوم ·

ثالثا : تكليف لجنة برئاسة الباهى الادغم تسافر الى الاردن يوم ٢٨ سبتمبر لتشرف على اجراءات التنفيذ ·
وانتهى أطول مؤتمر قمة فى تاريخ العرب ‥ امتد أسبوعا كاملا ·
وغادر جمال عبد الناصر فندق هيلتون يوم ٢٧ سبتمبر الى دارهليكون قريبا من المطار أثناء توديع الملوك والرؤساء ·

الباب السادس

عبد الناصر ... مات

انتهى مؤتمر القمة الذى عقد تحت ضغط المذبحة ، واختلطت كلمات المناقشة فيه بأصوات الرصاص ٠

وافق الملك على وقف المذبحة ٠٠ وقبل أبوعمار سحب الفدائيين من المدن ٠

وأصبح واضحا أن الأردن لم تعد أرضا صالحة للفدائيين ٠٠ ولم تعد نقطة انطلاق الى داخل الارض المحتلة ٠

كان هذا المؤتمر هو اكثر مؤتمرات القمة ارهاقا لعبد الناصر ٠٠ فقد أجبر على عقده لان قبوله لمبادرة روجرز هو الذى فجر الاحداث ، ووصل بها الى هذه المأساة الانسانية ٠

ولذا حمل العبء كله ٠٠ وفى أعماقه شعور بأنه مسئول ـ مسئولية غير مباشرة ـ عن التدهور الذى انزلقت اليه الامور ٠٠ وعن دماء ألوف من الفلسطينيين قتلهم رصاص النظام الأردنى ٠

ورغم أن عبد الناصر لم يكن مسئولا فى حقيقة الامر عن شىء من ذلك ولكنه ارتبط بالمأساة ٠ وأصبح طرفا فيها ٠

ومع أن مذبحة الأردن لم تكن فى هول هزيمة ١٩٦٧ وبشاعتها ، الا أن مؤتمر القاهرة (سبتمبر ١٩٧٠) قد انعقد تحت ضغط عصبى يفوق كثيرا ٠ بما لا يقيم وجها للمقارنة مع مؤتمر الخرطوم (أغسطس ١٩٦٧) ٠

كان شعب السودان قد استقبل عبد الناصر استقبالا تاريخيا خالدا،

لايمكن أن يستقبله شعب لقائد مهزوم ·· وكان ذلك تعبيرا عن ثقة شعوب الامة العربية فيه قائدا يتحمل مسئولية النضال والتحرير في المستقبل ·

أما مؤتمر القاهرة فقد عقد ، وبعض القوى تهتف بسقوط عبدالناصر وتلقى جانبا من مسئولية المذبحة عليه ·

وكان الامر على نفسه قاسيا ·· بل شديد القسوة ·· فقد أمضى السنوات الثلاث التي أعقبت الهزيمة في كفاح مستمر لامتصاص الهزيمة وازالة آثارها ·· وانتصر في ذلك بما جعل قواتنا المسلحة قادرة على الحاق الخسائر بالعدو ، واشعاره بأن نصره السريع في يونيو ١٩٦٧ ليس دائما أو أبديا ·

وكانت فترة وقف اطلاق النار التي أتاحتها مبادرة روجرز ·· هي فترة التقاط الانفاس والاستعداد النهائي ·· لمواصلة القتال ، وتنفيذ خطه تحرير الارض ·

وعاش جمال عبد الناصر في هذا الامل ·· ولم يتصور – فيما أعتقد – أن طعنة بمثل هذا العنف يمكن ان توجه اليه من هذا الاتجاه ، فتطيح بأمله وتهدد خطته ، وتجعله يقف وحيدا فوق بركة من الدماء ، يحاول دفع المأساة ·

ولاشك ان عدم تنسيق الاستراتيجية العربية بين كافة الانظمة والقوى السياسية ·· وعجز المقاومة الفلسطينية عن توحيد فصائلها بما يجعل لها سياسة واحدة ·· كان من الاسباب الرئيسية التي أتاحت لمؤامرة النظام الأردني ان تنجح ·

حمل جمال عبد الناصر عبء المؤتمر – سياسيا ونفسيا وماديا – ووصل به – رغم كل شيء – الى تحقيق :

وقف اطلاق النار وقطع نزيف الدماء ·

تفويت الفرصة على أي تدخل امريكي مباشر ·

هذا مايمكن – رغم سلبيته – أن يعتبر ايجابيا في قرارات أطول وأصعب مؤتمر للقمة العربية ·

ولعل ماقاله معمر القذافي ، أثناء المؤتمر ، من أن الملك حسين مجنون يقتل شعبه · وأن على المجتمعين أن يرسلوا من يقبض عليه ويدخله المستشفى ·· وما دار بعد ذلك من حوار سجله محمد حسنين هيكل تفصيلا في كتابه (الطريق الى رمضان) ، والذي قال فيه الملك فيصل (ربما كنا جميعا مجانين) ثم ماانتهى اليه الحوار من قول جمال عبد الناصر :

(أحيانا عندما نرى مايحدث في العالم العربي ، فاني أعتقد ان ذلك قد يكون صحيحا ياصاحب الجلالة ·· ولذا فاني أقترح ان ننتدب طبيبا للكشف علينا دوريا ، ومعرفة المجنون فينا) ·

أقول ·· لعل هذا الحوار الذي خرج عن حده المعتاد بين الرؤساء والملوك ·· يعطي احساسا بسخونة الموقف داخل قاعة الاجتماع ·· ويدفع الى التساؤل في نفس الوقت ·

هل هو جنون فرد الذي فجر هذه المأساة ·· أم خيانة طبقة ونظام ؟

وهل افرخت المأساة والمذبحة بين المجتمعين في قاعة المؤتمر ٠٠ أم أنها امتدت الى قادة بعض القوى التى الهبت المشاعر واخطات التقـدير ٠٠ ولم تحضر المؤتمر ؟

مهما حاولنا من تعليق الخطايا في رقاب المتهمين ٠٠ فان الشهداء لن يعودوا للحياة ٠٠ ووصمة العار لن تمحوها الايام من جبهة النظام الاردني؛ ولا من حياة بعض الذين لجأوا الى الاسـتفزاز وحده من بين بعـض فصائل المقاومة الفلسطينية ٠

ضاعت الفرصة الى الأبد في أن يعود الفدائيون أحرارا في الاردن ٠

وأغلقت حدودالضفة الغربية فلم يعد يتهددالخطر أحدا داخل اسرائيل من هذا الاتجاه ٠

وبدأت لجنة يرأسها الباهي الادغم تشرف على تنفيذ الاتفاق الذىوقعه الملك حسين وياسر عرفات ٠

وبدأ الملك والرؤساء يغادرون القاهرة الى بلادهم في نفس اليـوم ٠

وأصبح يوم جديد ٠٠ يحمل تاريخا له وقع حزين في نفوس المهتمين بقضايا الامه العربية ٠

٢٨ سبتمبر ٠٠ يوم انفصال سوريا عن مصر بانقلاب عسكرى ٠٠ يوم تمزقت الجمهورية العربيه المتحدة ٠٠ التى اعتبرت ولادتها انتصارا تاريخيا للقومية والوحدة العربية ٠

٢٨ سبتمبر ٠٠ ذلك اليوم الذى انتقل فيه جمال عبد الناصر منـذ تسع سنوات الى دار الاذاعة لاول مرة ليتابع أخبار الحركة الانفصالية ٠

٢٨ سبتمبر ٠٠ اليوم الذى أصدر فيه جمال عبـد الناصر تعليمات بارسال قوات لمقاومة الانفصاليين في سوريا ، ثم أصدر أمرا بعودتها وهى بعد مازالت في الطريق ٠٠ حتى لايقتتل العرب ٠٠ ويهدر الرصاصالعربى دماء عربية ٠

٢٨ سبتمبر ٠٠ اليوم الذى أغلق فيه جمال عبد الناصر غرفته عـلى نفسه ، وأجهش بالبكاء لان دمشق التى أحبها ضاعت ٠٠ وكانت أولهزيمة للزعيم صاحب الانتصارات الصاعدة ٠

استيقظ جمال عبد الناصر مرهقا في ذلك اليوم ـ ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ـ ولكنه لم يتردد في توديع الملوك والرؤساء في مطار القاهرة ٠

وعند الوداع الاخير لأمير الكويت كانت طاقة جمال عبد الناصر عـلى الاحتمال قد نفدت ٠٠ ولم يعد قادرا على الوقوف ٠٠ طلب الطبيب وهرعت اليه العربة التى أسرعت الى داره في منشية البكرى فوصلت في الثالثـة والنصـف ٠

الاسرة تنتظره على الغداء ٠٠ ولكنه مرهق ٠٠ مرهق ٠٠ يدخل غرفته ويخلع ملابسه وينام على السرير ويكتشف الطبيب أن أزمة قلبية قد هاجمتا ٠٠ وأن الموقف خطير ٠

ويتوالى حضور الاطباء والمسئولين ٠

وبعد أن كان يقف الى جانبه شعراوى جمعة وسامى شرفومحمد أحمد

بوالى وصول محمد فوزى وأنور السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى ..
وبقيت الاسرة خارج الغرفة .

وبدأت محاولات الطب لانقاذ حياة الزعيم .. والذهـول يعقد ألسنة الحـاضرين .

وقفوا ساعتين حول عبد الناصر .. وهم لايتصورون أن عبد الناصر قد مات .

وعندما انهار أحد الاطباء ، اكتشف الحاضرون الموقف .. وانفجـــر البكاء .

بكى رفاق عبد الناصر عليه .. فى نفس اليوم الذى بكى فيه هو منذ تسع سنوات لفراق سوريا .

عبد الناصر .. مات .

وليس أمام الموت عظيم .

جنازة .. الزعيم .

أعلن أنور السادات نائب رئيس الجمهورية الخبر الحزين على جماهير الشعب من ميكرفون الاذاعه وشاشه التليفزيون .

وكان الخبر صدمة مذهلة .. فقد شاهده الناس منذ ساعات يـودع أمير الكويت فى المطار .

وزحف الناس الى بيته .. مئات الألوف .. ثم الملايين امتلأت بهـم شوارع القاهرة .

وعقدت الوزارة مع اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى اجتماعا مشتركا فى قصر القبة لاعداد ترتيبات الجنازة التى تقرر أن تشيع يوم أول أكتـوبر .

وتقاطر الزعماء والرؤساء على القاهرة لتوديع جمال عبد الناصر .

وامضى الشعب المصرى ثلاثة أيام حزينة .. تسير جموعه تغنى اغنيات تنضح بالاسى والفجيعة .. كل الذين ارتبطت آمالهم به أصابتهم الفاجعـة فى الصميم .

ولم يعـرف تاريخ مصر أياما مثل هـــذه الايام الثلاثة التى سـبقت الجنازة .

ولم تفلح كافة الاجراءات والترتيبات الادارية فى اخراج جنازةرسمية .. احتضن الشعب جثمان الزعيم ، واختلط البكاء مع الصراخ والنحيب والدعاء والهتاف .

ودفن جمال عبد الناصر فى المسجد الذى أقامه مجاورا للقيادة العامة للقوات المسلحة التى زحفت اليها قوات الجيش ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

عبد الناصر .. مات .

وشيع شعب مصر جنازته فى موكب تاريخى رهيب .

وانتهت صفحة قائد ثورة يوليو .

ولكن (قصة ثورة ٢٣ يوليو) لم تصل نهايتها بعد .

الباب السابع

تقييم لدور البطل والزعيم

عبد الناصر ٠٠ مات ٠

لم يعد صاحب الرأى والارادة ٠٠ ومركز حركة الاحداث ٠

نام في صمت أبدى ٠٠ وترك الحديث للناس ٠

مفجر ثورة يوليو وقائد مسيرتها ٠٠ مات ٠٠ قبل أن ينتهى الطريق وتكتمل القصة فصولا ٠

غاب المخرج والمؤلف والبطل ٠٠ وبقى المشاهدون ٠٠ لم يسدل الستار بعـــد ٠

غاب الزعيم ٠٠ وبقى الشعب ٠٠ ولم تنته قصة ثورة ٢٣ يوليو ٠

والدور الذى قام به جمال عبد الناصر ٠٠٠ حفـر له مكانا بارزا فى تاريخ مصر ٠

لم يكن جمال عبد الناصر هو البطل الوحيد على خشبة المسرح ٠ ٠ ٠ ولكنه كان يلعب دور الفتى الاول الذى جذب الأضواء وسحر الجماهير ،وتلقى أكاليل الغار ٠٠ حتى وقع من الهزيمة القاسية ، ثم نهض كبطـل اغريقى يحارب من أجل مجده وحرية وطنه ، فوق أرض روتها الدماء ٠٠ وسط شعب اهتزت ثقته ٠٠ ولكنه ظل يبلور أمله فى هذا الرجل الاسمر القادم من صعيد مصر ، الذى أقام الجمهورية وأصبح أول رئيس منتخب لها بعد حكم للفراعنة والاباطرة والخلفاء والملوك امتد آلاف السنين

فرض عبد الناصر نفسه على عصره ٠٠ وأصـــبح الناس فى الخارج يقولون (ناصر) اذا ذكرت (مصر) ٠

كان بطلا قوميا ألهب مشاعر العرب ٠٠ وساند [illegible] التحررية ٠٠

واقام أول دولة للوحدة ج٠ع٠م٠

وكان أحد ثلاثة من كبار زعماء العالم ، أسسوا الحياد الايجابى وعدم الانحياز ٠٠ نهرو وعبد الناصر وتيتو ٠

وكان زعيما وطنيا جريئا كسر القيود التى فرضتها الامبريالية على وطنه ٠٠ وانتصر على العدوان الثلاثى ٠٠ وتعاون مع الدول الاشتراكية فى مجالات التصنيع والاقتصاد والتسليح ٠

وفوق أرض مصر ٠٠ تغيرت معالم الحياة ٠٠ ولعب عبد الناصر فى ذلك دورا رئيسيا ٠

تحرر الفلاح من سيطرة الاقطاع ٠٠ وأصبحت ثلاثة أرباع الارض يملكها الذين يزرعونها ٠٠ وسقط السيد المعبود الذى كان يملك الارض ومن عليها ٠

وارتفعت مداخن المصانع من الاسكندرية الى أسوان ٠٠ وقامت قاعدة صناعية قوية ، يعمل فيها ٧ ملايين عامل ، وأصبحنا ننتج ما يمكن تصديره للخارج ٠٠ بعد أن كانت مصر تستورد كل شىء حتى ابر الخياطة ٠

ودخلت مصر مجال الصناعة الثقيلة ٠٠ وأقامت بالتعاون مع الاتحاد السوفييتى مجمع الحديد والصلب فى حلوان ، ومجمع الألمنيوم فى نجع حمادى ومئات المصانع ٠

كما دخلت عصر الكهرباء باقامة السد العالى الذى وفر لنا كل الكهرباء لمصانعنا ، وأضاف مليون فدان لرقعتنا الزراعية التى تحاصرها الصحراء ٠

وأخذ العمال بعض حقوقهم ٠٠ أصبحت مدة العمل ٧ ساعات يوميا ٠ وامتنع الفصل التعسفى ٠٠ وشارك العمال فى الارباح وفى عضوية مجالس الادارة ٠٠ وتشكل الاتحاد العام لنقابات العمال بعد تعذر تشكيله قبل ٢٣ يوليو ٠

وأصبح التعليم مجانا فى مختلف المراحل بما فيها الجامعات ٠٠ ولم تعد هناك قيود مادية او اجتماعية تحول بين الموهوبين ومواصلة التعليم ٠

وضمنت الدولة حق العمل لكافة خريجى الجامعات والمعاهد ٠٠ وتراجعت البطالة التى كانت تزحف على المجتمع ٠

وانتشرت الجامعات فى الدلتا والصعيد ٠٠ وأصبح لدى مصر مايكفيها من الأطباء والمهندسين والعلماء والاداريين ٠٠ وما يمكن توفيره أيضا لعدد من الدول العربية الاخرى ٠

كان جمال عبدالناصر هو القوة الدافعة الرئيسية وراء كل هذه المكاسب والانجازات ٠

ولكن الزعيم وحده ــ دون محاولة التقليل من دوره ــ لايستطيع أن يقبض على كل الخيوط ٠٠ ويعجز مهما كانت قدراته وعظم اخلاصه ٠٠ أن يبنى المجتمع وحده ٠

وجمال عبد الناصر اعتمد فى بناء المجتمع الجديد أساسا ، على الذين يحيطون به من العسكريين ٠٠ وتشكلت (أوتوقراطية عسكرية) تربع فى قمتها بغير منازع ٠

اختار الطريق السهل ·· الذى يعتمد فيه على القرارات الادارية ، ينفذها له مجموعه من العسكريين ، الذين نشأوا ودربوا فى أجهزة الامن والمخابرات ، كما أوضحت ذلك تفصيلا فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) ·

والمعارك السياسية الداخلية التى خاضها اعتمد فيها على القرارات الادارية وحدها ·

ألغى الاحزاب جميعا ، دون أن يفرق بين التى لعبت دورا وطنيا ،والتى قامت لخدمة المحتلين والسراى (الوفد وأحزاب الاقلية) ·· وهاجم فكرة الحزبية فى مجتمع كانت الطبقات فيه مازالت تتصارع ·· ولكنه احتكر العمل السياسى فى يد تنظيمات ورقية أشرف عليها العسكريون ··· ولذا سقطت الحياة السياسية فى فراغ رهيب حتى عام ١٩٦١ ·

حاكم الاخوان المسلمين والشيوعيين وبعض رجال الاحزاب السابقين، ولم يدرك ان هذه الاجراءات الادارية لايمكن أن تعنى تصفية سياسية ··· فالافكار لاتقهرها الا أفكار أخرى ·· والذين ينظمون أنفسهم فى خدمة طبقة لاينتهى دورهم الا اذا صفيت تماما هذه الطبقة ·· أما اذا كانت طبقة لها مستقبل فان كل الاجراءات الادارية تنتهى الى عدم مع الذين ينظمون انفسهم فى خدمة حقوقها ·

وجمال عبد الناصر مثل كل زعيم لابد وأن ينتمى الى طبقة يعبر فى النهاية عن مصالحها ·

واذا كانت حركة الجيش قد حاولت أن تكون مظهريا فوق كافة الطبقات ، فانها انتهت الى دورها الطبيعى فى خدمة البرجوازية الصغيرةالتى انتمى اليها الضباط الاحرار ·· وهى الطبقة التى مازال لها رصيد فى النضال الوطنى والاجتماعى ، والتى ترفع فى مراحل التغير الاجتماعى شعارات وطنية وتقدميه ولكن عناصر كثيرةفيها تظل حبيسة ضيق الافقوقصر النظر، وتنتهز الفرص المتاحة للانجذاب الى البرجوازية الكبيرة ·

وجمال عبد الناصر كان ابنا وفيا لهذه الطبقه ·· بل هو من أكثر أبنائها وطنية وميلا الى اليسار ·· تطور مع الزمن ·· فلم ينحرف الىاليمين ولم يتراجع عن اتجاهه التقدمى ولكنه كان يصر على أن يعمل من موقع طبقته للعمال والفلاحين ·· وليس بهم ·

وما أسفرت عنه حالة المجتمع من شعور طبقى عند جمال عبد الناصر من أن الامور والنفوذ يعودمنجديد الى البرجوازية الكبيرة،وكبارالرأسماليين ·· هو الذى دفعه الى قرارات وقوانين تأميم يوليو ١٩٦١ ·

أصدر جمال عبد الناصر هذه القوانين (الاشتراكية) والاشتراكيون الحقيقيون المدافعون عن مصالح الطبقة العاملة والفلاحين ، قد أغلقت عليهم قضبان السجون والمعتقلات بتهمة الشيوعية ·· واستمر الامر كذلك اكثر من سنتين بعد صدور هذه القوانين ،مما يشكل انفصاما فى شخصيةالمجتمع الذى ينادى بالاشتراكية ·· ويعتقل الاشتراكيين الحقيقيين ·

وقد حول جمال عبد الناصر (الاشتراكية) من كلمة يدخل المبشر بها

الى السجن قبل ٢٣ يوليو ، الى شعار ترفعه حركة الجيش ٠٠ يتغير مع الايام من اشتراكيه ديموقراطيه تعاونية ٠٠ الى اشتراكيه علمية كما ورد فى الميثاق ٠

وقد أدى هذا التطور الى موقف فريد ٠٠

حلت التنظيمات الشيوعية نفسها فى بداية عام ١٩٦٥ ، وهى ظاهرة لم تحدث من قبل ٠٠ تماما كما حل حزب البعث فى سوريا نفسه بعد اقامة دوله الوحدة فى فبراير ١٩٥٨ ٠

كان هذا دليلا مؤكدا على الثقة التى حصل عليها جمال عبد الناصر وقت اتخاذ هذه القرارات التاريخيه الضخمة ٠

عندما اعتقد الشيوعيون انه قد بدأ عملية التحول الاجتماعى فى طريق الاشتراكية العلمية ، سلموا له علم القيادة ، وارتضوا أن يكونوا رفاق نضال معه فى الاتحاد الاشتراكى وطليعته ٠

وعندما قامت دوله الوحدة ، اطمأن البعثيون ، وسلموا له أيضا علم القيادة ، وارتضوا أن يكونوا رفاقا له فى الاتحاد القومى ٠

وكان القراران ــ من الوجهة السياسية ــ خطأ ٠٠ فقد أثبتت الايام أن الوحدة لم تدم ، وأن الاشتراكية التى بشر بها الميثاق لم تتحقق ٠

وكانت الصخرة التى تحطم عليها الأملان هى (الديموقراطية) ٠

وليس المقصود بالديموقراطية هذه الصورة الليبرالية المطلقة التى اقترنت بالنظام الرأسمالى فى الدول الغربية ٠٠ فلم تكن الحاله فى مصر بعد الخطوات التى اتخذت تسمح بذلك ٠ ٠

ويجب ألا نبتعد كثيرا عن الاصل الذى نهض عليه نظام جمال عبد الناصر ، حتى لانخطىء الحساب ٠

حركة الجيش ليلة ٢٣ يوليو هى حركة عسكرية ، بدأت انقلابا ، ثم تحولت مع الوقت الى ثورة ، يقودها أصحاب الرتب الصغيرة من الضباط الذين لاينتمون للطبقات الحاكمة فى ذلك الوقت ٠

وعسير أن يتحول انقلاب عسكرى الى نظام ديموقراطى وسليم ، مهما حقق من انجازات وطنية واجتماعية ٠٠ لم يحدثنا التاريخ عن مثال واحد ــ الى الآن ــ بدأ الامر فيه انقلابا ثم انتهى بنظام ديموقراطى ٠

ولايعنى وجود دستور وانتخاب مجلس أمة عام ١٩٥٧ أن ديموقراطية قد تحققت فى مصر ٠٠ فقد كان الاتحاد القومى ثم الاتحاد الاشتراكى يقبضان على حرية الترشيح والانتخاب بيد من حديد ٠

والاوتوقراطية العسكرية كانت لها اليد العليا دائما ٠

وفى التنظيمات التى قامت لم تتوفر الديموقراطية أيضا ٠٠ فلم تكن المعارضة مقبولة ومستساغة داخل التنظيم ٠٠ وظل الامر فى قبضة العسكريين الذين تعجزهم طبيعتهم الصارمة عن التفاعل الحى مع الجماهير ٠٠ والذين اعتمدوا فى قهر بيروقراطية الدولة على الاسلوب الادارى الحازم وحده ٠٠ وهو مايمكن اعتباره ــ اذا لم ينسج مع العمل السياسى ــ سرابا لايصل اليه انسان ٠

كان غياب الديموقراطية هو نقطة الضعف الرئيسية التي جعلت البناء الاشتراكي يقوم على قاعدة سلبية ·

ساعد على ذلك أيضا أن جمال عبد الناصر لم يكن شديد الحرص على بناء حزب مناضل يحمل معه مسئولية التحول الى المجتمع الاشتراكي ·· وتجربه طليعه الاشتراكيين ـ رغم ماكانت تبشر به من أمل ـ انتهت الى طريق مسدود ·

غيبة الديموقراطية ، وغيبة الحزب السياسى المناضل ، وتغلغل الاوتوقراطية العسكرية فى أجهزة الحكم،ونمو البرجوازية الصغيرة ورسوخ أقدامها فى قمة التنظيمات القائمةدون اهتمامباطلاق طاقات العمال والفلاحين السياسية والاجتماعية ··

كل هذا أضعف دور الرقابة الشعبية ، وفتحبابا عريضا للانحرافات· سرقة المال العام ، الاعتمال بغير حساب ، مرض الحراسة بالتقارير · تعذيب المعتقلين حتى الموت أحيانا ·

ورغم قسوة هذه الانحرافات وتأثيرها السيىء على نفسية الجماهير·· فانها ظلت في الاغلب الاعم ، تأخذ مركزاً ثانيا من اهتمام الجماهير بعد ثقتها بالزعيم وتاييدها لخطوات الثورة الوطنية والتقدمية ·

كان البعض اذا سمع عن الخطأ أو الانحراف ، تصور انه لابد وأن يزول اذا وصل الامر الى سمع جمال عبد الناصر ·

وربما كان هذا صحيحا ·· ولكن ·

من الذى كانت تتاح فرصة وصول صوته الى الزعيم وحوله أعوان متورطون فى هذه الانحرافات ؟

ولو كان هؤلاء الاعوان يعرفون ان الزعيم ـ مثلا ـ يرفض الاعتقال والتعذيب فهل كانوا قد لجأوا اليه أسلوبا للتعامل ؟

وهل توقف التعذيب بعد مصرع عدد من الذين ضمتهم المعتقلات ومنهم شهدى عطية الشافعي وغيره ؟

يعيدنا ذلك الى الحديث عن عجز الزعيم ـ أى زعيم ـ حتى ولو بلغ مرتبة جمال عبد الناصر التى لم يرق اليها زعيم آخر فى بلد عربى مع بدايه انتصاراته الوطنية والقومية فى منتصف الخمسينيات ·· عجز الزعيم عن أن يلمس كل شىء ويحرك كل أمر فى مجتمع كبير يزيد مليونا كل عام ·· وانما يصبح نفسه مع الوقت أسيرا لطبيعة تكوين النظام من حيث التركيب الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ·

ولاشك أن أكثر ظاهرة أفرزها هذا المجتمع وضوحا ·· هى هزيمة ١٩٦٧ التى يتحمل جمال عبدالناصر مسئوليتها الاولى ـ كما أصر هو نفسه على ذلك ـ حيث جنح الى مراضاة صديق عمره المشير عبد الحكيم عامر معتمدا عليه فى قيادة القوات المسلحة ، رغم عدم توافر صفات القيادة العسكرية فيه ، ورغم أخطائه عام ١٩٥٦ · وأثناء حركة الانفصال عام ١٩٦١ ·

قد يكون جمال عبد الناصر قد أدخل في حساباته تأثير عامرالانساني على الضباط .. ولكن الاسلوب الاوتوقراطي الذى يرضى ويغضب ، يصفح ويعاقب ، بغير حساب الا الرؤية الشخصية .. والذى يقاوم بناء مجتمع ديموقراطي أصيل .. هو الطريق الذى يؤدى الى ان يصبح الزعيم أسير بعض أعوانه وأتباعه .

وهنا نقول ان مثل هذا الزعيم يصعب عليه أن يحسن اختيار أعوانه . لانه يتيح فرصة التقرب للمنافقين .. ويرضى عن الخاضعين .. ولايحاسب أحدا على انحرافه لان هذا الانحراف يريده خضوعا وركوعا .

وليس التعميم صائبا في هذا المجال .. فهناك من يقترب من الزعيم بطاقته وكفاءته واخلاصه ونكران ذاته .. ولكنه لايمثل الحركة المؤثرة فى مجال السلطة .. ولا يرقى الى أكثر مما يسمح به الزعيم .

وجمال عبد الناصر - رغم أسلوب حكمه الاوتوقراطى - لم يكن ديكتاتورا .. بل كان زعيما يعمل من أجل مصلحة الجماهير .. وقداستطاع أن يكسب ثقة كل الذين عاشوا وامالهم معلقة بخطواته وقرارات هذا الرجل الذى لم يقف أبدا مع المستغلين ، وانما دافع دائما عن الفقراء والمستضعفين .

وربما كانت نشأة جمال عبد الناصر فى أسرة متواضعة سببا من الاسباب التي جعلته يقف في يسار طبقته ، أقرب الى أحلام الكادحين منه الى حياة المرفهين .

واذا كان التطبيق الاشتراكى لم يستطع خلال سنوات حياته أن يتخلص مما لحق به من عيوب .. وبقيت الفروق الطبقية قائمة وواضحة .. الفلاح التعيس فى بيت الطين الذى عاش فيه منذ آلاف السنين .. والفقير فى المدينة ضائع مسكين .. والعامل ينكدس مع أسرته فى غرفة واحدة .. والسيادة لبعض المنحرفين .. والامية تكبل أكثر من نصف المجتمع .

أقول اذا كان التطبيق الاشتراكي لم يستطع أن يفصد الدم الفاسد . وأن يحقق أهداف الاشتراكية السامية .. فانه يكفى أن الانطلاق كان قد بدأ .. وأن القاعدة الصناعية القوية قد رسخت .. وأن الطبقة العاملة قد وجدت .. وأن الفلاح قد تحرر ماديا ومعنويا من حق الملكية المقدس .

المدة التى انقضت على ثورة يوليو ١٩٥٢ لم تكن قد تجاوزت ١٨ عاما حتى وفاة جمال عبد الناصر .. ومع صدور قوانين التأميم ١٩٦١ بدأت المؤامرات تضرب أول نظام يحاول الوصول للاشتراكية فى منطقة التحرر الوطنى خلال طريق خاص .. ويخطو فى هذا السبيل خطوات هائلة ... الانفصال فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ .. خطة استنزاف جهد مصر فى حرب اليمن بالتعاون بين الامبريالية والنظم الرجعية .. قطع المعونة الغذائية الامريكية ١٩٦٥ .. وأخيرا العدوان المسلح ١٩٦٧ الذى شنته الصهيونية التوسعية والامبريالية الامريكية .

الوقت لم يكن كافيا لانضاج التجربة ٠

ومؤامرات الامبريالية لم تترك فرصة للنفس الهادىء ٠

وكان استمرار عبد الناصر بعد الهزيمة ، بارادة الشعب المصرى فشلا لمؤامرات اسقاط نظامه التقدمى وتأكيدا لدوره التاريخى وبلورة لثقة الناس به رغم كل شيء ٠

ولكن ٠٠ عبد الناصر مات ٠٠

وقصة ثورة ٢٣ يوليو لم تكتمل بعد ٠

الاســـــكندرية في ٢٤ سبتمبر ١٩٧٧

شــكر وعرفان

ما كان لهذا الكتاب ان يظهر لولا هؤلاء السادة الذين تفضلوا فمنحونى بعض وقتهم للبحث والمناقشة ومعذرة اذا كانت الاسماء قد ظهرت بلا ترتيب تقتضيه التقاليد المرعبة ، فانى قد حرصت على تدوينها تبعا للوقت الــذى ســجلت فيــه .

وكل الشكر والعرفان بالجميل لهم فردا فردا .

١ ــ العســكريون :

الاسم	آخر رتبة عسكرية	آخر منصب
محمد نجيب	لواء أركان حرب	رئيس جمهورية مصر
عبد اللطيف بغدادى	قائد جناح	نائب رئيس جمهورية
زكريا محيى الدين	بكباشى أركان حرب	نائب رئيس جمهورية
كمال الدين حسين	بكباشى أركان حرب	نائب رئيس جمهورية
حسن ابراهيم	قائد سرب	نائب رئيس جمهورية
خالد محيى الدين	صاغ	عضو مجلس الثورة ورئيس ادارة (أخبار اليوم)
يوسف صديق	قائمقام	عضو مجلس قيادة الثورة
عبد المنعم أمين	صاغ أركان حرب	عضو مجلس قيادة الثورة
كمال رفعت	صاغ	عضو مجلس رئاسة ثم سفير
ابراهيم الطحاوى	صاغ	رئيس جمعية الشبان المسلمين
احمد لطفى واكد	صاغ	رئيس تحريرجريدة (الشعب)
احمد انور	بكباشى	سفير بالخارجية
حسن فهمى عبد المجيد	صاغ	سفير بالخارجية
احمد كامل	يوزباشى	رئيس المخابرات العامة
حسنى عبد المجيد	صاغ أركان حرب	لواء بالجيش
حسين عرفة	صاغ	مدير المباحث الجنائية العسكرية
توفيق عبده اسماعيل	يوزباشى	مدير عام برئاسة الجمهورية
احمد المصرى	يوزباشى	مؤسسة السينما
أمال المرصفى	يوزباشى	مدير المسرح القومى
أمين هويدى	صاغ	وزير حربية ووزير دولة
توفيق عبد الفتاح	بكباشى أركان حرب	وزير شئون اجتماعية ثم سفير
ثروت عكاشة	صاغ أركان حرب	مساعد رئيس جمهورية

الاسم	آخر رتبة عسكرية	آخر منصب
محمدابوالفضل الجيزاوى	صاغ	عضو مجلس امة
شوقى فهمى حسين	قائد سرب	وزارة الاسكان
شعراوى جمعه	يوزباشى	نائبرئيس وزراء ووزيرداخلية
محمد رياض	يوزباشى	مندوب حكومة قطر فى مصر
سعيد حليم	يوزباشى	وزير مفوض بالخارجية
عبد المحسن مرتجى	فريق بالقوات المسلحة	قائد القوات البرية
محمد التابعى	بكباشى	سفير بالسودان
عبد المنعم النجار	بكباشى	سفير بالعراق
فؤاد المهداوى	يوزباشى	محافظ مرسى مطروح
محمود الحمزاوى	لواء بالشرطة	مدير ادارة الجوازات
حامد محمود	يوزباشى	محافظ الجيزة
عبد الرءوف نافع	قائمقام	عضو مجلس ادارة منتدب لدار الهلال
محسن عبد الخالق	صاغ	سفير باليابان
محمد البلتاجى	صاغ	محافظ بالسويس
زكريا العادلى امام	صاغ	سفير بالهند
عبد الحميد صبور	عميد	سفير بليبيا
فؤاد هلال	صاغ	سفير بقطر
حسن حافظ مهمى	بكباشى	عضو مجلس امة
صدقى سليمان	قائمقام مهندس	رئيس وزراء ثم رئيس الجهاز المركزى للمحاسبات
طلعت حسين	يوزباشى	رئيس مجلس مدينة الجيزة
حسن الدمنهورى	صاغ	الجامعة العربية
حسنى الدمنهورى	بكباشى	أعمال حرة
ابراهيم بغدادى	يوزباشى	محافظ القاهرة
فريد طولان	صاغ اركان حرب	نائب مدير المخابرات العامة
فؤاد حبشى	صول طيار	اعمال حرة
امين شاكر	صاغ	وزير سياحة
عبد الفتاح ابو الفضل	صاغ	الأمانة العامه للاتحاد الاشتراكى
وفاء حجازى	صاغ	سفير فى بنجلاديش
عبد المجيد نعمان	قائد سرب	المحرر الرياضى لجريدة الاخبار
فتح الله رفعت	يوزباشى	رئيس مؤسسة الاقراض الزراعى
محمد ابو نار	يوزباشى	رئيس شركة الاخشاب
محمد فوزى	بكباشى	فريق اول ووزير الحربية وقائد عام القوات المسلحة
مجدى حسنين	صاغ	سفير فى تشيكوسلوفاكيا
عبد المجيد شديد	يوزباشى	امين تنظيم الاتحاد الاشتراكى

الاسم	آخر رتبة عسكرية	آخر منصب
منير موافى	ملازم أول	مؤسسة روز اليوسف
صلاح الحديدى	فريق أول	رئيس المخابرات الحربية
محمدعلى بشير	صاغ	رئـــيس مجلس ادارة الشركة الشرقية للبترول
ممدوح جبه	صاغ	سفير سوريا
عبد الحميد الدغيدى	لواء جوى	قائد القوات الجوية بسيناء
حسن خليل	صاغ	قائد المباحث الجنائية العسكرية
مصطفى بهجت بدوى	صاغ	رئيس مجلس ادارة دار التحرير

٢ ــ السياسيون :

الاســـــم	آخــر منصب
احمد فؤاد	رئيس مجلس ادارة بنك مصر
عز العرب عبد الناصر	رئيس مكتب الجمهورية بالاسكندرية
محمد رياض	وكيل وزارة الداخلية
فتحى رضوان	وزير الثقافة
محمد شطا	عامل
فؤاد سراج الدين	وزير داخلية سابق
فتحى خليل	صحفى بروز اليوسف
محمود امين العالم	رئيس مجلس ادارة اخبار اليوم
موسى صبرى	رئيس تحرير الاخبار
سعد كامل	محرر بالاخبار
ابراهيم فرج	وزير دولة
زكى مراد	محامى
عزيز صدقى	مساعد رئيس الجمهورية
حسين فهمى	رئيس تحرير الاخبار
محمد الغتيت	وكيل بنك الائتمان العقارى
مصطفى مرعى	محامى
محمود الشريف	وكيل وزارة الاعلام بقطر
كمال نا ى	وكيل وزارة التعليم بقطر
مراد غالب	وزيرخارجيةثم سفيرليوغسلافيا
ابراهيم سعد الدين	عضو امانة الاتحاد الاشتراكى
احمد بهاء الدين	رئيس تحرير الاهرام
عبد المنعم الصاوى	نقيب الصحفيين المصريين
احمد سعيد	مدير صوت العرب
دكتور فؤاد مرسى	وزير التموين السابق

المراجع العربية

الكتاب	المؤلف
فلسفة الثورة	جمال عبد الناصر
خطب جمال عبد الناصر	
اسرار الثورة المصرية	انور السادات
اسرار معركة الحرية	حسن عزت
حقيقة الانقلاب الاخير فى مصر	راشد البراوى
الثورة العرابية	لورد كرومر
حرب التحرير الوطنية	كمال رفعت
الناصرية	عبد الله امام
ما الذى جرى فى سوريا	محمد حسنين هيكل
عبد الناصر والعالم	محمد حسنين هيكل
مذكرات ابدن	
صلاح سالم	الدكتور محمد المعتصم
العالم الثالث (قضايا وآفاق)	س . جوكوف وآخرون
تاريخ الاقطار العربية الحديث	لوتسكى
من اسرار الساسة والسياسة	محمد التابعى
انجلترا وقناه السويس	الدكتور محمد مصطفى صفوت
عبد الناصر والحركة النقابية	محمد خالد
ميلاد ثوره	محمد عودة
السياسة الاستعمارية بعدالحرب العالمية الثانية	
ثورة ٢٣ يوليو	فاخره شيف
محاضر محادثات الوحدة	عبد الرحمن الرافعى
المشاكل المعاصرة للتحرير الوطنى	
التورط السوفيتى فى الشرق الاوسط	لينين
أسرار معركة بورسعيد	ميلز كوبلند وهـ . هانتر
قصة ملك وأربع وزارات	أحمد حمروش
ثورة ٢٣ يوليو	موسى صبرى
سنوات التحول الاشتراكى	دكتور ثروت بدوى
مصر منذ الثورة	على صبرى
بيانات الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء	فاتيكيوتس

فهرست

المؤلف والكتاب

مؤلف هذا الكتاب الأستاذ أحمد حمروش أحد كتاب مصر اليساريين وهو من الذين شاركوا في صنع ثورة ٢٣ يوليو اليسارية وهو ضابط بالجيش المصري قبل قيام الثورة وكان يعمل أيضاً بالكتابة في جريدة الاهرام ومجلة الفصول وهو من أوائل الضباط الذين انضموا إلى تنظيم الضباط الأحرار تحت قيادة جمال عبد الناصر .

أصدر ورأس مجلة (التحرير) أول مجلة لحركة الجيش صدرت في ١٦ سبتمبر ١٩٥٢ ، ومن بعدها أصدر ورأس تحرير مجلة (الهدف) عام ١٩٥٥ ، (الكاتب) عام ١٩٦١ ، (روز اليوسف) ١٩٦٤ ، وكذلك أصدر ١٢ كتاباً في السياسة والقصة والمسرح والرحلات .

تعد دراسته عن ثورة ٢٣ يوليو التي تصدر في أربعة أجزاء أكبر أعماله حيث تتميز برؤيته كأحد جنود ثورة يوليو ، وهي حصيلة جلسات مناقشة طويلة مع زملائه الذين شاركوا في صنع الثورة ، وتحملوا مسؤولية مسيرتها ، ومع السياسيين الذين عايشوا أحداثها الكبرى .

انه تقييم صريح .. خطير وشيق ... لموضوع يحتاج إلى الصراحة والموضوعية .

الثمن ٣٫٧٥ جنيه مصري